شعر الغزل السياسي قبل الإسلام
الى عصر بني أمية

علي كمال الدين الفهادي
جامعة الموصل / كلية الآداب

مقدمة

درج أغلب الباحثين على القول بظهور الغزل السياسي في عصر بني أمية ، ولم يلاحظوا أن هذا الغزل بدأ قبل الإسلام عند شعراء الأوس والخزرج وأولوا اهتمامهم بنمط واحد من أنماطه وهو النمط الهجائي ، ومن يرجع الى شعر الغزل قبل الاسلام يجده مقسما الى ألوان ثلاثة في الغالب : العذري ، والصريح أو المطلق ، والتقليدي : (١)

ومن هنا تأتي أهمية دراسة لون رابع من الغزل (الغزل السياسي)

يتناول البحث دراسة بواكير هذا الغزل وبواعثه وانماطه ثم يدرس شواهده الشعرية دراسة فنية تعتمد مختلف الشواهد قبل الاسلام وبعده كما تقوم هذه الدراسة على اعتماد عدد من النصوص التي سبق الاعتماد عليها في دراسة بواكير هذا الغزل وبواعثه وانماطه مع تكرار قليل لبعض من النصوص عند دراسة المظاهر الفنية لهذا الشعر ونسأل الله العون والتوفيق .

تسميته :

لقد أشار عدد من الدارسين الى هذا اللون من الغزل إشارات متباينة ووفق تسميات مختلفة فالدكتور طه حسين وعلي النجدي ناصف والدكتور ابراهيم عبدالرحمن أسموه الغزل الهجائي (٢) اما الدكتور أحمد محمد الحوفي والدكتور محمد الكفراوي فقد أسمياه الغزل الكيدي (٣) والدكتور شوقي ضيف أطلق عليه اسم الغزل الفاضح وسيلة

الى الهجاء المقذع (٤) والدكتور نعمان القاضي والدكتور يوسف خليف والسيد غانم جواد رضا دعوه الغزل السياسي (٥) اما الدكتور حسين عطوان فقد سماه الغزل الهجائي السياسي (٦) ومن يرجع النظر في تسميات هذا الشعر يرى أن جل التسميات قد اعتمدت الهجاء والسياسة مضموناً غالبا على هذا النمط من الشعر وهي غلبة واضحة حقاً لذا اوحى هذا المضمون لهؤلاء الباحثين ان يطلقوا عليه تسميات نابعة من اقترانه بالهجاء فأسموه الهجائي والفاضح وسيلة الى الهجاء المقذع والكيدي . وهي تسميات تصدق على كثير من هذا الشعر ولكنها لاتصدق عليه جميعاً ، فنحن نرى عدداً من المقطوعات ومقدمات القصائد قيلت لأسباب سياسية من غير أن يكون لها صلة بأي لون من ألوان الهجاء ولم تهدف الى النيل من الخصم او الطعن في شرفه وكبريائه وانما قالها اصحابها بهدف الدعاية السياسية للأحزاب التي وقفوا الى جانبها وجانب زعمائها ، كغزل ابن قيس الرقيات في زوجتي عبدالله ومصعب ابني الزبير في مقدمات قصائده التي مدح بها قائدي حزبه – حزب الزبيريين – وهو غزل عف اشبه بالمديح والثناء ولايمس شخصية المرأة ولا يخدش مشاعر زوجها واهلها من قريب اوبعيد(٧). هذا فضلا عن الغزل في مقدمات الاعتذار كالذي ورد في شعر بشر بن ابي خازم الأسدي مقدما به للأعتذار من أوس ابن حارثة بن لأم الطائي (٨) ذاكراً أمة سعدى بغزل عفيف – لأنه كان هجاه وذكرها في قصائد الهجاء – ليغسل ماعلق في نفس ممدوحه من سيئات هجائه السابق (٩) .

فكانت هذه القصائد سببا في إطفاء نار الفتنة وإخماد سعير الحرب التي قامت بين قوم الشاعر بني اسد وقبائل طيء قوم الممدوح .

وهناك غزل قاله اصحابه شكراً ليد سلفت بفضل فأراد الشاعر ان يسجل ذلك الفضل لصاحبته غزلا كغزل ابن قيس الرقيات بكثيرة المرأة الخزرجية الكوفية التي أوته عندها مايقرب من عام بعد ان أهدر الأمويون دمه (١٠) :

وبعد فاذا صحت سمة الهجاء على أغلب هذا الشعر فإنها لاتصح على النماذج الثلاثة التي ذكرناها وهي الغزل دعاية للحزب واعتذاراً من موقف او شكراً لفضل ، ولـذا فاننا نرى أن اوفق الأسماء لهذا الغزل هو (الغزل السياسي) لأنه يضم تحت جناحيه كل الأنماط وهو عنوان سبقنا الى اختياره الدكتور نعمان القاضي (١١) والدكتور يوسف خليف (١٢) والسيد غانم جواد (١٣) :

تعريفه :

إن استعراض تعريفات هذا الغزل يبين لنا أنها أكدت على المقدمات الغزلية لقصائد الهجاء التي قيلت بدافع الكره للخصوم والتعريض بهم من خلال الغزل بقريباتهم فالدكتور الحوفي يرى أنه (نوع من الغزل لاهو عذري ولاهو حسي ولاتمهيدي ، فليس عـذرياً ولاحسيا لأنه غير منبعث من عاطفة .. وانما الغرض منه الكيد والإغاضة وتجريح الخصم بشباة اللسان فهو في الحقيقة لون من الهجاء (١٤) فالدكتور الحوفي ينكر صلة هـذا الشعر بعاطفة الحب اما الدكتور الكفراوي فيعرفه بقوله (هو الذي لاينبعث عن عواطف عميقة الجذور ولكنه يقال لايذاء اهل المشبب بها) (١٥) وهذا التعريف يؤكد على الهجاء وسطحية العواطف التي ينبعث منها . ويرى السيد غانم جواد أن هذا الغزل (وسيلة سياسية مهمة للنيل من خصومهـم السياسيين واغاضتهم والأزدراء بهم ، والحط مـن شأنهم فابتدعوا لعبة الغزل والتشبيب بنسائهم أوبناتهـم للسخرية والأنتقاص من اولئك الخصوم السياسيين او من اتصل بهم من الولاة وغيرهم) (١٦) ولايكاد هذا التعريف يختـلف عن التعريفين السابقين من حيث اعتماده على الهجاء، ونرى أن هذا الغزل ماهو الا شعر سياسي اتخذ من الغزل مظهراً له وصور عاطفة الحب صادقة مرة وزائفة اخرى ووظف ألوان الغزل حسب هدف الشاعر ، فبدأ بمظهر الغزل العذري حينا وبمظهر الغزل الصريح حيناً اخر ، معرضاً بخصومه السياسيين مرة وشاكراً لفضل امرأة مرة اخرى ، وداعيا لقادة حزبه مرة ثالثة .

ويدل الشعر الذي اتخذ مظهر الغزل الصريح على تدن في خلق الشاعر الـذي يسعى الى إغاضة خصمه والكيد له بطرق رخيصةتعتمد التشهير وإشاعة الفضائح المصطنعة عن طريق الطعن بشرف المرأة التي لاشأن لها في النزاع السياسي من قريب أو بعيد في عصر أعطى للمرأة العربية مكانا رفيعاً يصونها من عبث العابثين . فضلا عن أنه نوع من القذف بالمحصنات الذي نهى عنه الإسلام وعاقب عليه ، ومن الغريب حقـاً ان يلجأ الشعراء قبل الاسلام الى هذا اللون من الشعر مرتدياً ثـوب العفاف ، مطبوعاً بطابع عذري في وقت يذهب فيه عدد من الشعراء في العصر الأموي مذهب شعراء الغزل الصريح بغزلهم هـذا ناسين حرمة المرأة العربية التي جاء الاسلام فعزز مكانتها وزادها فضلا على فضل :

١ ــ بواكير الغزل السياسي :

ظهرت بواكير هذا الفن قبل الاسلام موسومة بوسم يثربي عند شعراء الأوس والخزرج الذين قدموا لقصائدهم بالغزل بواحدة من قريبات الشاعر الذي يناجزهم الهجاء ،يذكرون

جمالها وحسنها ويشيرون الى علاقة تربطهم وتجمعهم معها محاولين بذلك إغاضة خصومهم وجرح كبريائهم وكان هذا الشعر وليد الحروب والمنازعات التي كانت تقوم بين الأوس والخزرج قبل ان يمن الله على القبيلتين بالاسلام ، وكان استعار تلك الحروب والمنازعات مصحوباً باستعار حرب كلامية سرعان ماتنظم القصائد لتمثيلها وتصويرها مشحونة بالحماس والفخر ويقصد القصيد بالهجاء والتهديد والوعيد ، ولم يشف ذلك كله غليل الشاعر ، فراح يطعن خصمه بذكر نسائه في مقدمات تلك القصائد .

فهذا قيس بن الخطيم يسجل انتصاره على الخزرج في يوم بعاث فيقدم لفخره بذلك الانتصار بالغزل بعمرة بنت رواحة أخت شاعرهم عبدالله بن رواحة فيقول (١٧) :

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب | لعمرة وحشا غير موقف راكب

ديار التي كادت ونحن على منى | تحل بنا لولا نجاء الركائب

ثم ينتقل قيس الى الفخر بقومه الأوس ويهجو الخزرج ويشيد بانتصار قومه عليهم ، فيرد عليه عبدالله بن رواحة الخزرجي مفاخراً وممهداً لفخره على الأوس بالغزل بليلى أخت قيس بن الخطيم : (١٨)

أشاقتك ليلى في الخليط المجانب | نعم فرشاش الدمع في الصدر غالبي

بكى أثر من شطت نواه ولم يقف | لحاجة محزون شكا الحب ناصب

وكما فعل عبدالله بن رواحة فعل حسان بن ثابت (رض) في قصيدة يفاخر فيها بانتصار قومه الخزرج على الأوس مفتتحا قصيدته بذكر ليلى بنت الخطيم يقول حسان : (١٩)

لقد هاج نفسك أشجانها | وعاودها اليوم أديانها

تذكرت ليلى واني بها | اذا قطعت منك أقرانها

فأجابه قيس بن الخطيم ناقضاً عليه فخره مقدماً لهذا الفخر بذكر عمرة بنت صامت بن خالد الأوسية زوج حسان بن ثابت بقوله: (٢٠) .

أجد بعمرة غنيانها ؟ | فتهجر أم شاننا شانها

وان تمس شطت بها دارها | وباح لك اليوم هجرانها

ولم تقتصر بواكير الغزل السياسي على هذا النمط الهجائي ، بل تعدت ذلك الى نمط آخر أعطى للغزل دورا ايجابيا ووظيفة تكرم المرأة وتعلي مكانتها وتثني عليها الثناء الحسن ومنه شعر بشر بن أبي خازم الأسدي الذي ذكر فيه سعدى بنت حصين الطائية في مقدمة مديحه لابنها اوس بن حارثة بن لأم لأنها كانت السبب في انقاذ حياته من القتل فرمز لها باسم اسماء في البيت الأول ثم صرح باسمها في البيت الثاني عشر وانتقل واصفاً رحلة ناقته الى ابنها وممدوحه اوس (٢١) .

١ — كفى بالناي من أسماء كافي   وليس لحبها اذ طال شافي

وانتقل الشاعر من ذكر أسماء الى ذكر سعدى في البيت الثاني عشر

١٢ — على أني على هجران سعدى   أمنيها المودة في القوافي

لابد من الإشارة الى اقتران بواكير هذا الفن ببيئة المدينة (يثرب) قبل الاسلام وبعده وهذا الاقتران هو الذي جعلنا نقول بأن هذه البواكير موسومة بوسم يثربي ، اذ مامن شك في ان البيئة تركت أثراً واضحاً في شعر هذا الغزل وما من شك ايضاً في ان الشعر نفسه نتاج البيئة ، والذي يدل على يثربية هذا الفن الملاحظات الآتية : —

١ — انتماء الغالبية من شعراء الغزل السياسي الى المدينة ، وان بواكيره الأولى ظهرت فيها ، فمن شعرائه حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم ، وعبدالله بن رواحة وكعب بن الأشرف وفي صدر الاسلام العباس بن مرداس السلمي ، وفي العصر الأموي عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت ، والأحوص الأنصاري وعبدالله بن عمر العرجي وعبيدالله بن قيس الرقيات .

٢ — ان هذا الفن متوارث بين شاعرين من جيلين شاعر قضى شطراً طويلا من حياته — ستين سنة — قبل الاسلام واكمل الشطر الثاني — ستين سنة ايضاً — في الاسلام وهو حسان بن ثابت وشاعر آخر عاش في العصرين الاسلامي والأموي وهو عبدالرحمن بن حسان . وتزودنا المصادر بوثيقة تشير الى توارث هذا الفن فتقول :

عندما وقع الهجاء بين النجاشي — من بني الحارث بن كعب — . وبين عبد الرحمن ابن حسان — نصحه ابوه ان يتغزل بأخت النجاشي وقال له : (اعمد الى امرأة لطيفة بأخت النجاشي فمرها فلتصفها لك، واجعل لها جعلا ففعل) (٢٢) وقال عبد الرحمن في هجاء النجاشي (٢٣) .

ياهندُ يأأخت النجاشيّ اسلمي   هل تذكرين لبيلة باضَمِّ

وليلة اخرى بجوّ الحرم   والشامة السوداء بالمخدم

والخال بالكشحِ اللطيفِ الأهضَمِ

فهذا الأسلوب درسٌ يدرس وعلم يعلم ولكنه تشهير مقيت ان سمحت به أخلاق الوثنيين ، فأحرى بأخلاق المسلمين ان تعافه وتأباه .

٣ — ان المدينة من اشعر القرى العربية حسب تصنيف ابن سلام (٢٤) وفيها اعرق بيت من بيوتات الشعر ينتسب اليه شاعران متقدمان من شعراء الغزل السياسي حسان وابنه

عبدالرحمن ويرى المبرد ان (اعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان بن ثابت ، فأنهم كانوا يعتدون ستة في نسق كلهم شاعر ، وهم سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ، وبعد هؤلاء في الوقت آل ابي حفصة فأنهم أهل بيت كلهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر) (٢٥) .

ان اتصال هذه السلسلة الطويلة من الشعراء يشهد بما للمدينة من باع طويل في الشعر وليس بدعا ان تكون اما لهذا الفن الذي ولد فيها قبل الاسلام ونشأ يافعاً ثم اشتد ساعده في ربوعها في عصر الأمويين :

٢ ــ بواعث الغزل السياسي

عرف الشعر العربي بواكير هذا الفن قبل الاسلام وكان الباعث على ظهوره آنذاك ، الأيام والمنافسات القبلية التي دارت بين الأوس والخزرج عند شعرائهما : قيس بن الخطيم ، وحسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكان شأن اليهود في تلك النزاعات الوقوف مع واحدة من القبيلتين ضد الأخرى واشعال نار الفتنة بين الطرفين وا ذكاء نارها بالحطب الجزل ــ قصائد الفخر والهجاء ــ وتناجز الشعراء المذكورون الهجاء وعرض بعضهم بنساء بعض بما يسوؤهم ويكيدهم ــ فكانت تلك القصائد جذورا لفن النقائض الذي استمر في عصر صدر الأسلام ثم وصل أوج تطوره في عصر بني أمية عند جرير والفرزدق والأخطل ــ وقد انعم الله على الأمة العربية بالإسلام وآخى الرسول (ص) بين الأوس والخزرج ونهى عن رواية الشعر الذي قيل في عهد الوثنية لما فيه من احقاد واثارة للفتن واحياء للعصبية ، فلم يرق ذلك الصفاء وتلك المودة لليهود الذين كادوا للعرب قبل الاسلام فكيف لا يكيدون لهم وقد حظوا بنعمة الأسلام فراح كعب بن الأشرف يهجو المسلمين ويقدم لذلك الهجاء بالتشبيب بنسائهم فأمر الرسول(ص) المسلمين بقتله فقتل(٢٦) وبموت كعب اختفى هذا اللون من الشعر السياسي لسببين : ــ

(آ) السيف والعقوبة والحساب الصارم .

(ب) الوعظ والأرشاد .

لقد حرم الأسلام القذف بالمحصنات الغافلات قال تعالى :

(ان الـذين يـرمـون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنُوا في الدنيا والأخرة ولهم عذاب عظيم) (٢٧) وامر بحد الذين خاضوا في اعراض الناس وقال الرسول (ص) : «كلُ المسلم على المسلم حرام دمه ومالهُ وعرضَهُ » (٢٨) وقال بوجوب كف المسلم

للسانه عن أذى الناس وذكرهم بما يسوؤهم (المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده)(٢٩) وسار الخلفاء الراشدون على هذا النهج ، فقد هدد عمربن الخطاب رض الله عنه الحطيئة بقطع لسانه ان هو عاد الى هجـاء المسلمين (٣٠) وحبس عثمان بن عفان رضي الله عنـه الحارث بن ضابيء البرجمي في السجن حتى مات فيه لأنه أفحش بنساء الأنصار في شعره(٣١) فالدولة في عهد الرسول (ص) والراشدين أخذت على عاتقها قطع الالسنة التي تسيء لنساء المسلمين وتمس اعراضهم وحرماتهم غير ان هذا اللون من الشعر عـاد الى الظهور مـن جديد بظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي ومعارضتها للحكم والتزام الشعراء لهذا الحزب أو ذاك حتى غدا الشاعر الناطق الرسمي باسم الحزب الـذي ينتمي اليـه ، يدعو بدعوته ويكسب له الأنصار والأتباع ويدافع عنه وكأنه صحيفة سياسية تناضل عن حزبهـا وقيادته :

وقد اتخذ الغزل السياسي في عهد الأمويين طريقاً اوسع من الطريق التي سلكـها الشعراء قبل الإسلام فأوجدوا انماطا لم يعرفها الشعر قبل ذلك ، بل ان شعر صدر الاسلام شهـد نمطاً لم يحظ به الشعر قبل الاسلام وكانت بواعثه الصداقة الحميمة التي جمعت الشاعـر بقوم اوقبيلة اصابها الزمن فوقف الشاعر حزينا الى جانبها يأسى عليها ويمدح نساءها متغزلا بهن تضامنا مع قبيلتهن .

كما دفع الحب الصادق الشعراء الى الغزل بواحدة من نساء البيت الأموي او نسـاء ولاتهم ورجال دولتهم ، فكان ذلك الغزل سببا لملاحقة الدولة لهم ومطاردتهم .

وكذلك دفع حب الشهرة وذيوع الشعر بين المغنين والمغنيات شاعراً آخر الى نظم الغزل في واحدة من تلك النساء سليلات الأسر السامية اللائي ينتسبن الى بيت الخلافة حتى يحقق لشعره الرواج والشهرة :

كما ان الهجاء الذي وقع بين شاعرين كان السبب لأن يذكر احدهما أخت الثاني بغزله مشيراً الى علاقة مزعومة بها ليغلب أخاها بمهاجاته كالذي رأيناه في شعر عبدالرحمن بن حسان الذي هجا به النجاشي وذكر فيه اخته هنداً في مطلع القصيدة .

ولم يكن موقف الدولة من هؤلاء الشعراء واحدا ، فقد اختلف باختلاف الخلفاء فمعاوية إبن ابي سفيان كان يحاول ان يغض الطرف عن شعراء الغزل ويحاول ان يسكتهم ويلهيهم ويزوجهم ويكذبهم ، ولم يتخذ أسلوب القسوة ولا التهديد) (٣٢) .

اما عبدالملك بن مروان فكان (بين الشدة واللين مع شعراء الغـزل من الذين يبحثون عن الشهرة (او اللذة) من خلال التعرض لنساء الطبقة الراقية (٣٣) .

وهكذا فإن الخلاف القبلي والسياسي كان الباعث القوي على ظهور هذا الغزل، فضلا عن الموقف الشخصي للشاعر او طلب الشهرة عن طريق الغزل بنساء القصور ، كما كان الحب الصادق من البواعث التي دعت إلى ظهوره .

٣ — أنماط الغزل السياسي

أولا: الغزل السياسي المدحي :

وهو الغزل الذي يأتي في مقدمات قصائد المديح والأعتذار يذكر الشاعر فيه امرأة يربطها بالممدوح قرابة اوصلة رحم ، ويطبع غزله بطابع العفة بحيث يكون أقـرب الى المديح والثناء منه الى الغزل ، وقـد يأتي هذا النمط بشكل قصائد مستقلة اومقطوعات .

وأول ظهور هذا النمط يرجع الى موقف بشر بن ابي خازم من اوس بن حارثة الطائي الذي هجاه الشاعر وذكر أمه سعدى في الهجاء ثلاث مرات / مرة حين نذر اوس ان يقتله ان ظفر به فقال : (٣٤)

فـقـولـوا للـذي الى يـمـيـنـاً أفيَّ نذرت يـاأوس الـنـذورا؟
قباسـتـك حار نذرُك بابن سـعـدى وحُـق لـنـذر مـثـلـك ان يحورا

ومرة ثانية بقوله : (٣٥)

فيا عجبا أيوعـدني ابن سـعـدى وقـد أبـدى مـساوئـه الهجاء

وذكرها مرة ثالثة بقوله : (٣٦)

أتوعدني بقومك يابن سـعـدى وذلك من ملمات الخطوب

وتتطور الأحداث ويتحول مجراها فيقع الشاعر اسيرا بيد اوس وبتهيأ اوس لاحراقه لكن سعدى ام اوس تتدخل بنظرها الثاقب ورأيها السديد وتطلب من ابنها ان يطلق سراح الشاعر لأن ما قاله فيها من هجاء لا يغسله غير لسانه فعفا عنه اوس واطلق سراحه واكرمه فمدحه بشر بقصائد ذكر فيها (سعدى) في مقدمة القصيدة الأولى التي ضمنها اعتذارا من ابنها (٣٧)

١ — كفى بالنأي من اسماء كافي وليس لحبها اذ طال شافي
٢ — بلى انّ العزاء لَـــهُ دواءُ وطول الشوقِ ينسيك القوافي
١٢ — على أني على هجران سعدى أمنيها المودة في القوافي

ان ربط الشاعر لذكر قوافي الهجاء التي يـود ان ينساها الممدوح وتنساها سعدى بشوق الشاعر اليهما (وطول الشوق ينسيك القوافي) مع المودة التي يمنيها بها رغم الهجران كان

هذا الربط بمثابة اعتذار لهذه المرأة الذكية الكريمة وتمهيد نفسي يتسلل من خلاله الشاعر الى المديح ليرضي نفسه ونفس ممدوحه .

ان هذه القصيدة مثال فريد لهذا النمط اذ لانجد شاعراً من شعراء هذا الغزل ذكر امرأة بهجائه ثم عاد فتغزل بها مادحا غير بشر بن ابي خازم الأسدي في هجائه ومديحه لأوس بن حارثة الطائي .

ذلك ان موقفه كان فريداً (وسعدى) هي الاخرى امراة فريدة بين النساء .

ومع هذا التفرد نجد لهذا النمط مثالا اخر في موقف مختلف وعصر آخر فالعباس ابن مرداس السلمي –قبل اسلامه – يأسف لجلاء بني النضير من المدينة يوم أجلاهم الرسول (ص) عنها بقصيدته التي يقول فيها (٣٨)

ولو أن أهل الدار لم يتصدعوا رأيت خلال الدار ملهى وملعباً

ثم يذكر نساءهم وحسن استقبالهن للضيف والصديق بوجوه كالدنانير (٣٩)

إذا جاء باغي الخير قلن فجاءة له بوجوه كالدنانير مرحباً

وأهلا فلا ممنوع خير طلبته ولاأنت تخشى عندنا أن تؤنبا

وماتصل الى عبيد الله بن قيس الرقيات حتى تكثر النماذج من هذا النمط في شعره وجل هذه النماذج تلك القصائد التي قالها في كثيرة المرأة الانصارية التي اوته عندها في الكوفة مايقرب من عام بعد ان اهدر الأمويون دمه ودم من اواه وهي قصائد ومقدمات قصائد ومقطوعات يلهج بها بأسم كثيرة لهجاً كله مديح وثناء (٤٠)

١ – شب بالعال من كثيرة نار شوقتنا وأين منا المزار . ؟

٢ – أوقدتها بالمسك والعنبر الرطب فتاة قد ضاق عنها الإزار

٣ – تتقي بالحرير من وهج الشمس وخز العراق والأستار

٥ – قد تراها ولو تشاء من القر ب لأغناك عن نداها السرار

٦ – تلك نار لها أضاء سناها لمحب له بيثرب دار

٧ – ذكرتني حلف النبي وقد تعلم حلفي وحلفها الانصار

٨ – لم أخنها فتطلب الوتر مني عند ذي الذحل تطلب الاوتار

٩ – أطلقي إذ ملكتني ثم فكي عن أسير عان براه الإسار

ثانياً: الغزل السياسي الهجائي :

الذي يذكر الشاعر فيه واحدة من نساء الخصوم يشير فيه الى علاقة حب مزعومة مع تلك المرأة وذلك للطعن بكبرياء خصمه وخدش غيرته استفزازاً واغاظة ، وترجع بدايته

الى شعر الهجاء القبلي الذي تبادله شعراء الاوس والخزرج كما أشرنا الى ذلك من قبل ومنه قول حسان بن ثابت الذي يفخر فيه على الاوس فاتحاً قصيدته بالغزل بليلى أخت شاعرهم قيس بن الخطيم (٤١)

فإن تك ليلى قد نأتك ديارها ... وضنت بحاجات الفؤاد المتيم
وهمت بصرم الحبل من بعد وصله ... وأصغت لقول الكاشح المترعم
فلا حبلها بالرث عندي ولا الذي ... يغيره نـــاي ولـو لـم تكلم
وماحبها ماوكلتني بوصالة ... وان صرم الخلان بالمتجذم
لعمر أبيك الخير ماضاع سركم ... لدى فتجزيني بعاداً وتصرمي

ومن هذا النمط قول كعب بن الاشرف اليهودي في أم الفضل بن الحارث من قصيدة قالها بعد انتصار المسلمين بمعركة بـــدر يرثي قتلى المشركين ويذكر نساء المسلمين تعريضاً وتجريحاً (٤٢)

أراحل انت ام لم تحلل بمنقبة ... وتارك انت أم الفضل بالحرم ؟
صفراء رادعة لو تعصر انعصرت ... من ذي القوارير والحناء والكتم
يرتج مابين كعبيها ومـــرفقها ... اذا تأتت قياماً ثم لـم تقم

ومن هذا النمط أيضاً شعر ابن قيس الرقيات في أم البنين زوج الخليفة الوليد بن عبد الملك وابنه عبد العزيز بن مروان التي اتخذ من الغزل بها طريقاً الى الكيد لاعداء حزبه الزبيري من الأمويين والحط من شأنهم في نظر الرأي العام (٤٣)

١ – قد تـولى الحـي فـأنطلقا ... واستطارت نفســه شفقـاً
٢ – من لعين تمنـح الارقـــا ... ولهم حـــادث ضـرقـــاً
٣ – غادروا لادر درهـــم ... حيـن راحـو جوذرا خرقـا
٤ – وحـلا في اللحـم مئزره ... عبقاً بـالطيـب مختلقـا
٥ – قد تمنينـــا زيـارتـــه ... لوأتانـا الـزور منـرقـا
٦ – لقضينـــا مـــن لبانتــه ... وانما يشتـــاق مـن عشقـا
٧ – اسلموهـا فـي دمشـق كمـا ... اسلمـت وحشيـــة لهقـــا
٨ – لـم تـدع أم البنيـــن لــه ... معه مـــن عقلـــه رمقا

وهذا النمط الهجائي من أكثر الانماط شهرة واوسعها شيوعاً من بين الانماط الاخرى وقد بلغ اوج تطوره عند عبيد الله بن قيس الرقيات وقد اشار اليه صاحب الأغاني

في ترجمته للاحوص الأنصاري بقوله (كان الأحوص يشبب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى في شعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس)(٤٤)وممن تغزل بهن عاتكة بنت يزيد بن معاوية وفيها يقول: (٤٥)

يـابيت عاتكـة الـذي اتعـزل حذر العدى وبـه الفـؤاد موكل
أصبحت أمنحك الصدود وانني قسمـاً اليـك مـع الصدود لاميل

وللعرجي شعر من هذا النمط بقوله في جيداء ام محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي الذي كان والياً على مكة (٤٦) ولم يكن يشبب بها لمحبة بينهما ولكن ليفضح ابنهـا بها (٤٧) :

الى جيداء قـد بعثـوا رسولا ليخبرهـا فـلا صحب الـرسول
كأن العام ليـس بعـام حـج تـغيرت المـواسـم والشكـول

ومن شعر عبد الرحمن بن حسان من هذا النمط ماقاله في رملة بنت معاوية بن أبي أبي سفيان وقد قاله على رأي المستشرق نالينو لبغضه للامويين (٤٨) ومن هذا الشعر قوله : (٤٩)

رمل هـل تذكرين يوم غزال اذ قطعنـا مسيـرنـا بـا لتمني
اذ تقولـين عمـرك الله هـل شي وان جـل سـوف يـسليـك عني
أم هل اطمعت منكم يابن حسان كمـا قـد أراك اطمعت مـني

ثالثا: غزل الشهرة :

وهو الغزل الذي يقوله الشاعر في واحدة من النساء المشهورات ويد فعه للمغنين ليشتهر شعره بين الناس ومن هذا النمط شعر الاحوص الأنصاري في عقيلة التي (قيل إنها أمراة من ولد عقيل بن أبي طالب (رض) وقيل هي سكينة بنت الحسين عايهما السلام كنى عنها بعقيلة (٥٠) وفيها يقول (٥١)

١ – ياللرجال لـوجـدك المتجدد ولما تـؤمـل من عقيلة فـي غـد
٢ – ترجو مواعد بعث ادم دونها كانـت خبـالا للفـؤاد المقصـد
٣ – هل تذكرين عقيـل أو انسا كه بعدي تقلب ذا الـزمان المفسـد
٤ – يومي ويومك بالعتيق إذ الهوى منا جميع الشمل لـم يتبدد
٥ – لي ليلتان فليلة معسولـة القى الحبيب بها بنجم الاسعـد

٦ - ومريحة همي علي كأنني حتى الصباح معلق بالفرقد

ومن هذا الغزل أيضاً غزل ابن رهيمة الذي كان (يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن إبن الحارث بن هشام، ويغني يونس بشعره فأفتضحت بذلك، فأستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك فأمر بضربه خمسمائة سوط، وأن يفعل ذلك بكل من غنى في شيء من شعره فهرب هو ويونس فلم يقدر عليهما (٥٢) وهذا النمط من الغزل قليل ايضاً قياساً الى النمطين الأول والثاني

رابعاً : الغزل السياسي العاطفي :

وهو الذي يقوله الشاعر بدافع الحب الحق لواحدة من نساء القصر أو الخلافة ولكن هذا الحب لايروق لرجال السياسة فيلجأون الى التفريق بين الشاعر والمرأة بالتهديدوالوعيد أو بالوعد والعطاء .

فقد احب الشاعر محمد بن عبدالله بن نمير الثقفي زينب بنت يوسف أخت الحجاج ، وشبب بها بغزل عفيف، ولم يرق ذلك للحجاج فطلبه حتى ظفر به فقال :أنت القائل ماقلت؟ قال: وهل قلت أصلح الله الامير إلا :

يخبئن أطراف البنان من التقى ويخرجن شطر الليل معتجرات

فعفى عنه (٥٣) وشعره الذي قاله في زينب قوله (٥٤)

فلم تر عيني مثل سرب رايته خرجن من التنعيم معتمرات
مررن بفخ ثم رحن عشية يلبين للرحمن مؤتجرات
ولما رأت ركب النميري اعرضت وكن من أن يلقينه حذرات
دعت نسوة شم العرانين بزلا نواعم لاشعثاً ولاغبرات
فأبرزن لما قمن يحجبن دونها حجابا من القسي والحبرات
تضوع طيباً بطن نعمان اذ مشت به زينب في نسوة عطرات
يخبئن أطراف البنان من التقى ويخرجن شطر الليل معتجرات

ومن هذا النمط أيضاً شعر أبي دهبل الجمحي الذي قاله في عاتكة بنت معاوية بن

أبي سفيان فقد ورد في الاغاني ان الشاعر التقاها مصادفة في طريق مكة عند ذهابها الى الحج فقال بها شعراً كان سبباً لعلاقة حب جمعت بينهما وذاع ذلك الشعربين الناس حين تداولته السنة المغنين فهرب الشاعر الى مكة وارسل لها رسالة يقول فيها (٥٥)

أعاتك هلا إذ بخلت فلا ترى ... لذى صبوة زلفى لديك ولا حقا

رددت فؤاداً قد تولى به الهوى ... وسكنت عيناً لاتمل ولاترقا،

ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى ... ولم ار يوماً منك جوداً ولا صدقاً

أتنسين أيامي بربعك مدنفا ... صريعاً بأرض الشام ذا سقم ملقى

وليس صديق يرتضى لوصية ... وأدعو لدائي بالشراب فماأسقى

واكبر همي ان ارى لك مرسلا ... فطول نهاري جالسٌ ارقبُ الطرقا

فواكبدي اذ ليس لي منك مجلسٌ ... فاشكو الذي بي من هواك وما القى

رايتك تزدادين للصب غلظة ... ويزداد قلبي كل يوم لكمُ عُشقا

وقد وقعت الرسالة هذه بيد معاوية فشاور ابنه يزيد في امر الشاعر فاشار عليه بقتله لكن معاوية رفض ان يقتل رجلاً من قريش وسافر الى مكة والتقى الشاعر هناك وزوجه من بنت عم له وأصدقها الفي دينار فوعده ابو دهبل الا يعود الى الغزل بأبنته عاتكة (٥٦) .

فواضح ان هذا الغزل قيل بدافع الحب الحق الذي وقع بين عاتكة من جهة وبين ابي دهبل من جهة ثانية وكلاهما قريشي فليس هناك مايمنع الشاعر من التفكير في الزواج من عاتكة فهو ذو نسب عريق . وهو مثقف وشاعر وله خبرة في اعمال السياسة وعرف بجماله فكل ذلك يؤهله ان يكون زوجاً لابنة الخليفة ، يقول أبو الفرج، (كان ابو دهبل رجلا جميلا شاعراً وكانت له جمة يرسلها فتضرب منكبيه وكان عفيفاً وقال الشعر في آخر خلافة علي بن ابي طالب (رض) ومدح معاوية وعبدالله بن الزبير وقد كان ولاه بعض اعمال اليمن) (٥٧) فهذا الغزل لوكان في اي امرأة بعيدة القرابة من رجال الخلافة والسياسة لما دخل في دائرة الغزل السياسي ولكن تدخل الساسة لمنع استمرار هذه العلاقة وهذا الغزل حرصاً منهم على سمعتهم السياسية – أدخل هذا الشعر بين أنماط الغزل السياسي العاطفي) وهذا النمط الرابع قليل بين الانماط الأخرى واكثر شعر الغزل السياسي من النمط الثاني الذي قيل كيدا وهجاء للخصوم السياسيين .

خامسا : واخيراً فثمة غزل للدعاية السياسية :

وهو الذي يسلك فيه الشاعر مسلك العذريين حين يشبب بنساء قادته السياسيين الذين يدافع عنهم بشعر محفوف بالعفاف والوقار ، وهذا النمط قليل جداً بين أنماط الغزل السياسي ولانجده الا عند شاعر احد وهو عبدالله بن قيس الرقيات الذي شب بعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين زوجتي مصعب بن الزبير وزعيم حزبه السياسي فقد دافع عنه الشاعر بشعره وسيفه ويصف الدكتور نعمان القاضي هذا النمط من شعر ابن قيس (بأنه أزهار ثناء يهديها الى مصعب وكانه تصد بذلك الى ان يقرن الناس الصورتين من الغزل (الصورة الأولى الغزل بنساء الخصوم كغزله بأم البنين) بعضها الى بعض ليظهر ازدراءه على بني أمية وعبثه بهم وظهوراً بينا وليس شك في ان الصورتين مختلفتان الى حد التناقض الذي يكشف عن مدى خبثه ومكره ونجاحه في اتخاذ الغزل أداة لشعره السياسي) (٥٨) فابن قيس يذكر سكينة بنت الحسين (رض) في قصيده له — وكان رسول مصعب اليها بعفاف ووقار مشوب بنزعة عاطفية كالتي نراها عند العذريين (٥٩) وهي قوله : (٦٠)

هل للديار باهلها علم ... أم هل تبين فينطق الرسمُ
قالت سكينُ فيم تصرمنا ... أسكينُ ليس أوجهك الصرم
ياصاح هل ابكاك موقفنا ... أم هل علينا في البكا إثم
أم ما بكاؤك منزلاً خلقاً ... قفراً يلوح كأنه وشمُ

٤ — الفن :

الأسلوب :

لم يكن أسلوب هذا الغزل واحداً عند كل الشعراء الذين نظموا فيه فقد اختلف بأختلاف عصره وشعرائه وانماطه فالقارىء لهذا الغزل يلاحظ الصدق بوضوح في قصائده ومقطوعاته أحياناً ويبحث عن هذا الصدق فلا يجده أحياناً أخرى ، وقد يرجع ذلك الى مقدرة الشاعر في صوغ شعره الذي ينبع من بواعث الأنماط الايجابية الثلاثة — المدحي ، والدعاية والسياسة والعاطفي كغزل بشر بن أبي خازم بسعدى ، وغزل بن قيس الرقيات بكثيرة ، وغزل أبي دهبل الجمحي بعاتكة الاموية ؛ فغزل هؤلاء نابع من عاطفة إيجابية تجاه المرأة والممدوح ، فالشكر لسعدى والامتنان لكثيرة والحب الصادق لعاتكة

هو الذي وفر الصدق في شعرهم وهو واضح من أخبارهم التي ذكرناها ولكن الصدق ينبع من خبرة الشاعر في اصطناع هذه العاطفة التي لاتطابق أخبار الشاعر (فالباحث يعنيه الصدق والكذب ، ويسأل دائماً هل طابق الشعر ماكان يعتقده الشاعر؟ أو ماأحس به ؟ وهو يلتمس هذا الصدق دائماً من سبل عديدة ، من اهمها الاخبار التي تروى عن الشاعر والانطباعات الذوقية التي يتركها الشعر في نفسه ،وهو يتقدم بعد ذلك الى الشعر واثقاً أنه يترجمه ترجمة امينة ويصدق الحكم عليه) (٦١)

ان الصدق في بعض شواهد هذا الشعر ، ينبع من قدرة الشاعر الفنية ومن تمرسه في قول الشعر على الرغم من عدم التطابق الذي نلاحظه بين شعر الشاعر واخباره ومن هنا نجد الصدق في شعر العرجي الذي تغزل فيه بنساء والي مكه من غير ان يكون له علاقة بواحدة منهن إذ (كان العرجي يشبب بجيداء لامحبة كانت بينهما ولكن ليفضح ابنها بها) (٦٢)

(وان الشاعر قد يستعمل كل حيل اللغة من البساطة الكاملة الى البلاغة المعقدة فيذكي حرارة عاطفته آنا من خلال الايجاز وآنا من خلال الإطناب، وطورا من طريق حذف التفصيلات وطوراً من طريق التكرار) (٦٣)

ومن النظرة الفاحصة لأسلوب هذا الشعر يبين بوضوح ان العفاف يغلب على هذا الغزل بأنماطه جميعاً ونستطيع القول بأن الغزل السياسي المدحي ،وطلب الشهرة،والعاطفي يخلص الشاعر فيه لمبدأ العفاف إخلاصاً تاماً أما في النمطين الباقيين أعني الهجائي والدعائي فإن الشاعر يحيد عن العفاف الذي التزمه في الأنماط الثلاثة السابقة. ويمكن القول: أن الاسلوب الصريح لم يظهر في بواكير هذا الغزل قبل الإسلام ولكنه ظهر في العصرين الاسلامي والأموي ،اذ ان نشؤ هذا الفن في يثرب بين الأوس والخزرج أبعده عن الطابع المادي الصريح حتى في النمط الهجائي وذلك بحكم القرابة وصلة الرحم بين الأوس والخزرج فهم أبناء عم يصعب على شعرائهما الطعن في بنات عمومتهم وليس أدل على هذا العفاف من أن النعمان بن بشير الأنصاري ابن عمرة بنت رواحة سمع غناء عزة الميلاء

أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شاننا شأنها
وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك أردانها

فأشير الى عزة الميلاء ان عمرة أمه فأمسكت عن الغناء . فقال : غنيني فوالله ماذكرت الا كرما وطيباً (٦٤) فعدم تحرج النعمان من سماع هذا الشعر يأتي من العفاف الذي

تضمنه ولو كان من الغزل الصريح لما رضي بسماعه . واذا أعدنا النظر في الشواهد التي ذكرناها عند حديثنا عن البواكير والأنماط في شعر كل من حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وقيس بن الخطيم، تبين لنا ماتنطوي عليه تلك الأشعار من عفاف واضح .

وقد بقي هذا العفاف ملازماً لهذا الغزل في العصر الأموي عند محمد بن عبدالله الثقفي والأحوص الأنصاري والعرجي على الرغم من أن في سيرة الأخيرين ما يجعلنا نتوقع الكثير من نماذج الغزل المادي الصريح والحق أن الذين خرجوا على هذا العفاف في شعرهم هم كعب بن الأشراف في هجاء المهاجرين وذكر نساء المسلمين بغزل فاحش وعبد الرحمن بن حسان في القليل من شعره الذي تغزل فيه برملة بنت معاوية ابن أبي سفيان وهو قوله : (٦٥)

ثم خاصرتها الى القبة الخضر اء تمشي في مرمر مسنون

كذلك نلمح الأسلوب المادي في غزله بهند أخت النجاشي الذي سبق ذكره .

ويبقى القدح المعلى في الغزل السياسي المادي لعبيدالله بن قيس الرقيات الذي جمع بين الأسلوبين المادي والعفيف في شعره اذ يعف أسلوبه حين يتغزل بزوجتي مصعب بن الزبير ويميل الى الصراحة بغزله بنساء خصومه الأمويين وهذا ماجعل الدكتور القط يقول عن النزعة العاطفية في شعره : (تشبه ماتراه عند العذريين أحياناً وعند عمر أبن أبي ربيعة أحياناً أخرى) (٦٦)

وقد اثار غير واحد الى هذين الأسلوبين – العفيف والمادي – في شعر ابن قيس الرقيات (٦٧) وخصوصاً تلك القصيدة التي تناول بها أم البنين في غزله الهجائي . وهي قصيدة وقف عندها عدد من الدارسين وقفة تستحق النظر والتأمل لما فيها من مساس بمكانة المرأة العربية الشريفة وموقف ام البنين من القصيدة نفسها . وسوف ندرج القصيدة كاملة ثم نعرض لآراء هؤلاء الدارسين على ضوء القصيدة يقول ابن قيس الرقيات : (٦٨)

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها

رأت بي شيبة في الرأ س مني ماأغيبها

فقالت : أبن قيس ذا؟ وغير الشيب يعجبها

رأتني قد مضى مني وغبضات صواحبها

ومثلك قد لهوت بها تمام الحسن أعيبها

لها بعل غيور قاعد بالباب يحجبها

يـرانــي هـكــذا أمشي	فيـوعـدهـا ويضربها		
ظـللـتُ عـلى نـمـارقها	أفـديـهـا وأخليها		
أحدثُـهـا فـتـؤمـن لي	فاصـدقـهـا واكذبهـا		
فـدع هـذا ولـكـن حا	جـة قـد كنت أطلبها		
الى أم البـنـين متـى	يـقـربـهـا مـقـربها		
أتـتـنـي في الـمـنـام فـقلـ	ـتُ هـذا حين أعـقـبها		
فـلـمـا أن فـرحـتُ بـهـا	ومـال عـلـيَّ أعـذبها		
شربـت بـريـقـهـا حتـى	نـهـلـت وبـت أشـربـهـا		
وبـتُ ضـجيـعـهـا جـذلا	ن تـعـجـبـنـي واعـجبها		
وأضـحـكـهـا وأبـكـيها	والـبـسـهـا وأسـلبـهـا		
فـكـانـت ليلـةً فـي الـنو	م نـسـمـرهـا ونـلعـبـهـا		
فـايـقـظـنـا مـنـاد فـي	صـلاة الصـبـح يرقبها		

يقول الدكتور طه حسين (فليس غريباً ان يطمع ابن قيس الرقيات في ارضاء ام البنين ، وهو يخاصم أباها وعمها وزوجها . وسأروي لك بعد حين قصيدة ذكر فيها أم البنين ذكراً، مفصلا تفصيلا من شأنه ان يؤذي ويسيء ، ولكنه احتاط لنفسه ولأم البنين فزعم أن هذه القصة الطويلة المفصلة إنما وقعت له في المنام . فكرامة ام البنين موفورة ، وهي خليقة ان تتيه بهذا الجمال الذي احدث في نفس الشاعر ما أحدث حتى ملك عليه يومه ونومه . واذن فليس على الشاعر نفسه لوم اذا غرق في الرقاد . ولكنه ارضى ام البنين عن نفسه وبلغ منها مبلغاً حسنا حتى شفعت له وكسبت له أمان عبد الملك)(٦٩) وقد تأثر بهذا الرأي علي النجدي ناصف الذي علق على القصيدة بقوله (ومثل هذا الغزل جدير الا يسخط المرأة في ضميرها اذا هو أسخطها في ظاهر الامر ، بل لعله ان يعجبها ويصادف هوى نفسها لأن فيه ارضاء لطبيعة الأنثى ومجاوبة لنوازع التيه والأدلال فيها حين تغريها بهما الملاحة والفتون ولاندري اكان عبدالله بن جعفر يعرف ذلك ويقصد الى استغلاله والأفادة منه ام لا ؟ ولكن الذي لاشك فيه انه كان في اختيار ام البنين لهذه المهمة موفقاً كل التوفيق ، فما كان ليقدر عليها وينجح فيها غيرها لمكانها من عبدالملك ، وسابقة ابن قيس اليها بما قال فيهـا من غزل معجب رفيق) (٧٠)

ويقول الدكتور ابراهيم عبدالرحمن محمد متأثراً بوجهة نظر الدكتور طه حسين ايضاً (وقد احتاط ابن قيس لنفسه ولأم البنين، فزعم ان هذه القصة الطويلة المفصلة انما وقعت في النوم ومعنى ذلك ان كرامة أم البنين موفورة ، وهي لذلك خليقة ان تتيه بهذا الجمال الذي فتن الشاعر واثار عواطفه ، ودفعه الى التشبيب بها على هذا النحو الذي أغضب عبد الملك ويبدو أنه ارضى ام البنين ومن هنا نستطيع ان نفهم مايقال من ان ام البنين قد شفعت له لدى عمها) (٧١) .

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة : (ولم يقف الأمر بعبد الله بن قيس الرقيات عند مدح عبدالله بن الزبير واخيه مصعب وحسب ولكنه كان يعمد الى طريقة شيطانية يغيظ بها بني أميـة حين يشبب بأم البنين زوجة الخليفة الوليد بن عبدالملك تشبيبا فاضحاً يضمنه قصائده فـي مدح آل الزبير وهو بهذا التشبيب يزنزل وقار الخلافة حينما يشبب بزوجة الخليفة وام البنين مثل قوله في احدى قصائده :

ألا هزئت بنا .... (القصيدة) وكان من نتيجة هذه الوسيلة المغيظة في التعريض بالأمويين في شخص الخليفة والتغزل بزوجته ان اهدر دم الشاعر وابيحت حياته رغم ان ام البنين نفسها كانت قريرة العين بقول الشاعر معجبة بشعره فيها شأن النساء دائما حين يغرهن الثناء، ولم ينقذ حياة الشاعر ويخرجه من ورطته الا عبدالله بن جعفر الهاشمي عامل المدينة الذي استعان بأم البنين نفسها في الصفح عن الشاعر) (٧٢) .

إن المذهب الذي ذهب اليه هؤلاء الأساتذة الأفاضل لايضع في حسبانه ان المرأة الكريمة تتيه بوصف جمالها ومحاسنها ماكان ذلك الوصف عفيفاً كريما غير فاحش ولابذيء ولا يمس كـرامتها ومكانتها من قريب او بعيد ولاندري كـيف تقبل النفس العربية القريبـة العهد بالقبلية والوثيقة الصلة بالإسـلام — أعني نفس المرأة — ان تمس مكانة أبيها وزوجها ويزلزل وقارهما من اجـل ان تسمع ثناء عليها وغزلا بها . بل وكيف تقبل أن يتحدث عنها الشاعر بهذا الاسلوب الفاضح ولاتأبى هـذا الشعر ولاتأنف من سماعه لأن الشاعر احتاط لها ولنفسه فزعم انها حدثت في حـلم لافي حقيقة ومن يقرأ أبيات القصيدة من ١٢ — ١٧ ينكر على أي امرأة حرة ان تقبل بهذا الوصـف فما بالك بان تعجب به وتتيه دلالا ؟ سواء ازعمه الشاعر في يقظة او نوم اما مسألة الشفاعة للشاعر عند زوجها وابيها فهي مسالة سياسية قبلية فحين شفعت أم البنين للشاعر كان حـزب الزبيريين نسيا منسيا ولم يعـد لأ عوانه أي أثر يذكر ، وقد شفعت له فيما نرى لالغزله الذي قاله فيها ولكن لقرابته منهم فهو قرشي

النسب ايضاً وقد طلب عبدالله بن جعفر بن ابي طالب من ام البنين ان تساعد على طلب العفو من عبدالملك وارسل في الوقت نفسه رسالة الى ابيها يطلب منه العون في العفو عن الشاعر فكانت شفاعتها استجابة وامتثالا لرغبة أبيها في التوسط عند زوجها واكراما لعبدالله بن جعفر الذي كان يمثل حمامة السلام آنذاك بين الأمويين والهاشميين وعبدالله بن جعفر نفسه انما طلب منها ومن ابيها المساعدة للحصول على عفو الخليفة بدافع القرابة منهم لا لما ذهب اليه الظن من انه كان يعلم مكانة حسنة لابن قيس في نفس أم البنين . وماموقف هذه المرأة الحرة الكريمة الاتمثيل للسمة العربية الخالصة سمة العفو عند المقدرة ، وقد رأينا من قبل عند جدتها العربية سعدى بنت حصين الطائية أم اوس بن حارثة موقفاً كريما ورأيا سديدا حين طلبت من ابنها اوس ان يطلق سراح بشر بن ابي خازم ليغسل بلسانه ماقاله فيهما من هجاء واختيار عبدالله بن جعفر لأم البنين وابيها شريكان في الوساطة للشاعر ماهو الا تسلسل منطقي لطلب الصفح والعفو لأن الشعر – وهذه القصيدة بالذات – مست اول من مست شخصية ام البنين ثم اباها وعمها فزوجها وليس من المعقول ان يطلب عبدالله بن جعفر العفو من الخليفة قبل ان يتأكد من عفو ام البنين وابيها اذ ماالذي يضمن لابن جعفر الايوغرا صدر الخليفة اذ اعطاه الأمان من غير علمهما وصفحهما بل ومن يضمن لابن جعفر ان يعفو الخليفة عن الشاعر وقد اساء لزوجته وعمه دون ان يعلم بتنازلهما عن حقهما في معاقبة الشاعر وغفران جريرته .

يميل الشعراء في غزلهم السياسي الى التصريح بذكر المرأة وذكر علاقة الحب التي تربطهم بها صادقة كانت تلك العلاقة اومزعومة ويطغى التصريح باسم المرأة على كل انماط هذا الغزل تقريباً ، فيصرح الشاعر بذكر المرأة باسمها احيانا كما فعل حسان بن ثابت بذكره ليلى بنت الخطيم اخت قيس بن الخطيم في قوله (٧٣) .

فإن تلك ليلى قد نأتك ديارها وضَنّتْ بحاجات الفؤادِ المتيم

وكذلك فعل العرجي بذكر الجيداء ام محمد بن هشام المخزومي والي مكة بقوله : (٧٤)

الى جيداء قد بعثوا رسولا ليخبرها فلا صحب الرسول

ويذكر ايضاً جبرة زوجة الوالي المذكور بقوله : (٧٥)

عوجي عليَّ وسلمي جبرُ فيم الصدود ؟ وانتمُ سُفُرُ

وفعل ذلك الاحوص بذكره عاتكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية بقوله : (٧٦) .

١ ــ يابيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل

وقال ابن قيس الرقيات يذكر كثيرة : (٧٧)

١ ــ ظعنت لتحزننا كثيرة ولقد تكون لنا أميرة

وقال ايضاً يذكر سكينة بنت الحسين (ع) (٧٨) .

٢ ــ قالت سكينةُ فيم تصرمنا أسكينُ ليس لوجهكِ الصرمُ

وقد يميل الشاعر عن التسمية الى التكنية ، كما فعل ابن قيس الرقيات بذكره لام البنين بقوله : (٧٩)

٨ ــ لم تدع أم البنين له معه من عقله رمقاً

ويعرض الشاعر عن الأسماء والكنى ويذكر المرأة بقومها وقبيلتها احيانا كما فعل العرجي مشيراً الى ام محمد بن هشام المخزومي والي مكة بقوله : (٨٠)

اني اتيحت لي يمانية احدى بني الحارث من مذحج

وكذلك فعل بذكر ام الاوقص محمد بن عبدالرحمن المخزومي قاضي مكه التميمية فقال : (٨١)

لحيني والبلاء لقيتُ ظهراً بأعلى النقع أخت بني تميم

وفي الغزل السياسي يحاول الشاعر التعريض بأهل المرأة وذويها بالأشارة اليهم من بعيد من غير ان يذكرهم بصورة مباشرة وصريحة وانما يعرض بهم فقط كما يبدو لنا ذلك في شعر ابي دهبل الجمحي عند تغزله بعاتكة بنت معاوية بن ابي سفيان بقوله (٨٢)

إني دعاني الحين فاقتادني حتى رأيت الظبي بالباب

ياحسنه اذ سبني مدبراً مستترا عني بجلباب

سبحان من وقفها حسرة صُبّتْ على القلب بأوصاب

يذودُ عنها ان تطالبتها أبٌ لها ليس بوهاب

أحلها قصراً منيع الذرى يحمى بابواب وحجاب

فالتعريض بالخليفة واضح فهو الأب غير الوهاب الحاجب لابنته في القصر المنيع الذرى

ويعرض الشاعر مرة اخرى بالخليفة بغزله بعاتكة ايضاً : (٨٣) .

لقد كان في حولين حالا ولم ازر ، هواى وان خوفت عن حبها شغل

حمى الملكُ الجبار عني لقاءها فمن دونها تخشى المتالف والقتل

واذا كان تعريض أبي دهبل الجمحي خفيفاً فان تعريض ابن قيس الرقيات بالخليفة عبد

الملك بن مروان كان على جانب كبير من القسوة مقروناً باللعنة يقول ابن قيس في ام البنين معرضاً بالخليفة : (٨٤)

٦ – جنية الاعلى واسفلها — وحل مؤزره من اللحم

٧ – وبوجهها ماءُ الشباب ولم — تقبلْ بملعون ولاجهم

ففي قول الشاعر (بملعون ولاجهم) تعريض صريح بعبد الملك بن مروان الذي تقول الأخبار انه كان دائم العبوس ، ويتدرج ابن قيس الرقيات بقسوته بالتعريض حتى يصل درجة الشتم والسباب فيقول : (٨٥)

١٢ – رجل أنت همّهُ حين يمسي — خامرتهُ من أجلك الأوصاب

١٣ – لأشم الريحان الا بعيني — كرما انما تشم الكلاب

فهو يعرض بعبدالملك الذي كان يشم الريحان دوماً

وهكذا اختلف اسلوب الشعراء في التصريح والتعريض .

اللغة :

يتميز شعر الغزل عموماً برقة نسبية في لغته اذا ما قرن بلغة اي من موضوعات الشعر الأخرى وهذا شأن لغة الغزل السياسي ايضاً ، فاذا رجعنا الى شعر البواكير نجد ان لغته أقرب الى اللغة الحضرية التي تتسم بالوضوح والسهولة قياساً الى الشعر البدوي الذي تبدو لغته غريبةً اذا وضعت بازاء هذا الشعر لأنه نشأ عند شعراء المدن من امثال حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم وعبدالله بن رواحة فإذا تركنا شعر مرحلة البواكير عند هؤلاء الثلاثة فإننا نلقى تطوراً في لغة هذا الغزل تتمثل في رقة لفظه ووضوح لغته وسهولتها وهذه السهولة وهذا الوضوح يأتيان من وضوح الفكرة والعاطفة ذلك الوضوح الذي اضفى على العبارة الشعرية صفاء وبساطة جعلها تقترب من لغة الحياة اليومية عند بعض الشعراء (٨٦) ومن يبحث في معجم هؤلاء الشعراء يجد الفاظاً مشتركة بينهم وهي تلك الألفاظ التي تتحدث عن عاطفة الحب وعلاقاته كالشوق والصبابة والهجر والصرم والصدود والحزن والدمع والوجد والنوى والمنى والسقم والعشق والأرق والداء والقتل والليل والوشاة والكاشحون والهم والبكاء والعقل والفؤاد والطب والزيارة واللبانة والبخل والوعد .)

وليست الالفاظ في بساطتها اوجلالها هي المحك ولكن الطاقة اوالعاطفة اوالحركة التي يسبغها الشاعر عليها وهي التي تحدد قيمتها) (٨٧) .

ويكثر التكرار في شعر هذا الغزل حتى اننا نلاحظه في كل قصيدة ومقطوعة تقريباً ،

فالشاعر يكرر اسم الحبيبة او اسم المكان او زمن اللقاء ويتلذذ بهذا التكرار الذي يؤكد انفعاله بهذه الاسماء ذلك التكرار الذي تعده اليزابيث درو حيلة من حيل اللغة التي يستعملها الشاعر لاذكاء حرارة عاطفته : (٨٨)

يقول ابن قيس الرقيات :

– أعاتك بنت العبشمية عاتكا ... أثيبي امرءً أمسى بحبك هالكاً

– أم البنين سلبتني حلمي ... وقتلتني فتحملي إثمـــي

بالله ياام البنيـن ألـمْ ... تخشي عليك عواقب الإثم

– لججت بحبك أهل العراق ... ولولا كثيرة لم تلجُـج

فليت كثيرة لم ألقها ... كثيرةُ أخت بني الخزرج

تخاف كثيرةُ من حولها ... وتقتلُ بالنظر الأدعج

– قالت سكينة فيم تصرمنا ... أسكينُ ليس لوجهك الصرم

– بَشر الظبيُ والغـرابُ بسعدى ... مرحباً بالذي يقول الغراب

قال لي ان خير سُعدى قريبٌ ... قد أنى ان يكون منه اقترابُ

ويقول العرجي :

يالرجال لوجدك المتجدد ... ولما تؤملُ من عقيلةُ في غد

هل تذكرين عقيل او انساكه ... بعدى تقلب ذا الزمان المفسد

ويقول محمد بن نمير الثقفي :

نظرتُ الى اظعان زينب باللوى ... فأعولتها لو كان اعوالها يغني

فوالله لأنساك زينب مادعت ... مطوقةٌ ورقاء شجواً على غصن

ويردد العرجي ذكر مواسم الحج متلذذاً بذكريات ذلك الموسم الذي كان فيه اللقاء بمن يهوى :

– فكفى به هجراً لنا ولكم ... أنى . وذاك فاعلمي الهجر

لانلتقي إلا ثلاث منى ... حتى يشتت بيننا النفر

بالشهر بعد الحول نتبعُهُ ... مالدهر الا الحولُ والشهور

– الى جيَدْاء قد بعثوا رسولا ... ليخبرها فلا صُحب الرسولُ

كـأن العـام ليس بـعـام حـج تغيرت المواسم والشكـول

– إني أتيحت لي يـمـانـيـة إحدى بني الحارث من مذحج
نلبثُ حـولا كاملاً كـلـه لانلتقـي الا عـلى منهج
في الحج ان حجت وماذا منى وأهلـه ان هي لم تحجج

ويستخدم الشعراء نوعاً من التكرار الذي يمهد للقيافة وهو تكرار (بلذ للقاريء المتمرس ان يتابعه ويتوقع مايوحي به من قافيه وبخاصة اذا اختلفت بنية الكلمة في داخل البيت عنها في القافية او اختلفت حركة الكلمتين فجاءت احداهما مرفوعة والأخرى منصوبة اوغير ذلك (٨٩) وامثلة هذا النوع من التكرار في قول عبدالرحمن بن حسان :

فبكت خشية التفـرق للبـ ـين بكاء الحزين أثر الحزين

وقول العرجي :

– الى جيداء قد بعثوا رسولا ليخبرها فلاصحب الرسول
لو كنت ماكثة عذرتكم لبعادنا واكان لي صبر
عن حبكم ونذرت صرمكم حينا وهل لمتيم نذر ؟

وقول ابن قيس الرقيات :

– أذا غفلت عنا العيون التي ترى سلكن بنا حيث اشتهين المسالكا
شربت بريقها حتى نهلت وبت أشربها
لم أخنها فتطلب الوتر مني عند ذي الذحل تطلب الأوتار
أطلقني اذ ملكتني ثم فكي عن أسير عان برا ه الأسار

وقد يكرر الشاعر صيغة للندبة ترحي بالحزن والكمد ولكنه تكرار قليل لانجده الا عند ابي دهبل الجمحي .

فواكبدي اذ ليس لي منـك مجلس فأشكو الذي بي من هواك وماالقى
فواكبدي اني شهرت بحبها ولم يك فيما بيننا ساعة بـذل
وياعجبا اني اكاتم حبها وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

إن شعـر الغـزل السياسي يـأتـي على شكـل مقطوعات وقصائد ، ومن يقرأ شعر البواكير قبل الأسلام لايجد قصيدة تستقل بهذا الموضوع ، بل انه لايجد مقطوعة غزل سياسي مستقلة ، وكل الذي يراه من هذا الفن يأتي على شكل

مقدمات قصيرة لقصائد الفخر والهجاء والمديح . وأطول مقدمة منه بلغت سبعة عشر بيتاً يقف الشاعر في الأبيات التسعة الأولى منها على الأطلال ثم يتبعها بالغزل بليلى بنت الخطيم أخت غريمه قيس بن الخطيم حتى البيت السابع عشر من القصيدة ثم يدخل الى موضوع الفخر بنفسه وقومه حتى البيت الأخير من القصيدة وهو البيت الثامن والثلاثون(٩١) اما في العصر الأموي فان هذا الغزل تطور عما كان عليه من حيث الكم والكيف فزادت شواهد هذا الشعر وكثر شعراؤه من امثال محمد بن عبدالله بن نمير الثقفي ، وعبدالرحمن بن حسان بن ثابت ، وابي دهبل الجمحي ، والأحوص الأنصاري والعرجي ، وعبيدالله بن قيس الرقيات وظهرت قصائد مستقلة بهذا الفن وطالت مقدماته ، كما كثرت المقطوعات المستقلة به كثرة واضحة قياسا الى مرحلة البواكير فنجد لابن قيس الرقيات قصيدة في مدح مصعب بن الزبير عدد ابياتها خمسة واربعون بيتا بقدم لها بالغزل بزوجة الخليفة عبدالملك بن مروان الخصم السياسي لممدوحه مصعب بمقدمة طولها واحد وعشرون بيتا يتلوها بمدح مصعب بخمسة ابيات ، يختتم القصيدة وهذه هي القصيدة التي يفتتحها بقوله (٩٢) .

الأهزئت بنا قرشيةٌ يهتز موكبها

ويقدم لأخرى بثلاثة عشر بيتا بالغزل بكثيرة يعقبها بالفخر بنفسه باثني عشر بيتاً والقصيدة مطلعها (٩٣)

ظعنت لتحزننا كثيرة ولقد تكون لنا أميرة

ويمدح الأحوص عمر بن عبد العزيز والى المدينة في عهد سليمان بن عبدالملك فيمهد لهذا المدح بتسعة عشر بيتاً بالغزل بعاتكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية ، ثم يتناول المديح حتى البيت الخامس والأربعين في قصيدة مطلعها (٩٤) .

يابيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدى ، وبه الفؤاد موكل

والحق ان طول القصيدة وقصرها ماهو بالمقياس الكمي بقدر ماهو مقياس فني إذ أن القصيدة تطول كلما كان انفعال الشاعر بتجربته قوياً ومسيطراً والانفعال أمر فائق الأهمية في طول القصيدة ويرى الدكتور يوسف حسين بكار أن ، « العلاقة بين القصيدة وانفعال الشاعر في حال النظم من اهم العلاقات في هذا الموضوع . فكما ان طول القصيدة يؤثر في جودتها ، فيما لاحظ القدماء والمحدثون ويؤثر في موسيقاها فيما لاحظ اليوت ، فانه يؤثر في الانفعال ايضاً اذ ان امكان استمراره قوياً على درجة واحدة من اول القصيدة الى اخرها ضئيل ، الا في القليل النادر الذي لايقاس عليه » (٩٥) .

ولم يقتصر التطور على طول المقدمات فنحن نجد لهذا الشعر قصائد مفردة بفردها الشاعر لهذا الغزل ويزيد عدد ابياتها على العشرين كقصيدة العرجي . (٩٦)

عُـوجـي عليَّ فسلمي جَبْرُ فيم الصـدود؟ وانتم سَفْرُ

وقصيدته (٩٧)

عوجـي علينـا ربة الهودج انك إنْ لاتفعلـي تحرجـي

كذلك بلغت ابيات قصيدة عبدالرحمن بن حسان خمسة عشر بيتاً خالصة للغزل مطلعها(٨٩)

صـاح حيـاً الالـه حيـاً ودورا عـنـد أصـل القناة من جيـرون

وأطول هذه القصائد قصيدة محمد بن عبدالله بن نمير الثقفي التي قالها في زينب اخت الحجاج بن يوسف فقد بلغت اربعة وعشرون بيتاً ومطلعها (٩٩) .

تضوّع مسكاً بطنُ نُعمان ان مشت به زينب في نسـوةٍ عَطِـرات

واذا تركنا القصائد المستقلة بالغزل السياسي ومقدمات القصائد ، فاننا نجد كثرة في مقطوعات هذا الشعر فلا يخلو منها شعر اي شاعر من شعرائه وخصوصاً شعر ابن قيس الرقيات فأن المقطوعات كثيرة جدا من شعره ، قياسا بغيره من شعراء هذا الفن ولعل هذه الظاهرة ، كثرة المقطوعات — تعود الى ان الشعر هؤلاء الشعراء عموماً تكثر فيه المقطوعات في غير هذا الموضوع فانسحب مقياس هذه الكثرة من عموم شعرهم الى خصوص هذا الموضوع .

وهناك أمر آخر نجده في بناء هذا الشعر وهو الوحدتان الموضوعية والعضوية اللتان نلحظهما في القصائد التي افردها شعراؤها للغزل السياسي ،طالت هذه القصائد او قصرت ، وينطبق على المقطوعات ماينطبق على القصائد المستقلة ، أما مقدمات قصائد المديح واالفخر والهجاء فتختفي منها الوحدة الموضوعية ويقل تماسك الوحدة الفنية الشعرية .

وتظهر الوحدة العضوية والموضوعية بشكل جلي عندما يبيح الشاعر لنفسه استعمال الأسلوب القصصي في قصيدته لأن (العنصر القصصي وما فيه من حوار يساعد على ترابط القصيدة ووحدتها العضوية كثيراً (١٠٠)

ومن هنا نجد توفر هاتين الوحدتين في عدد من قصائد كل من العرجي وابن قيس الرقيات ومحمد بن نمير الثقفي ، وسوف نعرض لكل منهم قصيدة تقوم على عناصر القصة في السطور القادمة .

عناصر القصة :

في المقدمات الطويلة لقصائد هذا الغزل وفي قصائده المستقلة يتلمس القارىء الكثير من عناصر القصة لكنها لاتكتمل في نص واحد إلا نادراً فنحن نجد الحدث والسرد والحوار والشخوص وقد يكون الحدث قصيراً جداً في نص آخر وقد لانجد اثراً لعنصر المكان أو الزمان في نص ثالث وهكذا يختلف نصيب العناصر القصصية في الشعر وهذه العناصر على اختلاف درجة توفرها في النص الشعري توفر متعة كبيرة للمتلقي تتناسب مع براعة الشاعر في توفير هذه العناصر كاملة أو ناقصة في عمله الشعري . فالعرجي يحاول استخدام هذه العناصر عند غزله بالجيداء أم محمد بن هشام المخزومي والي مكة (١٠١) اذ نرى في البيت الأول الشخصيتين الرئيسيتين — الشاعر وربة الهودج الجيداء — يطلب الشاعر منها زيارته ليقضي حاجته منها ثم يشكو لها شدة الوجد بعد ان غادرت . الحي الذي كانت تسكنه .

١ — عوجي علينا ربة الهودج انك إن لاتفعلي تحرجي
٢ — ايسر مانال محب لدى بين حبيب قوله : عرج
٣ — تقضى إليه حاجة أو يقل هل لي مما بي من مخرج
٤ — من حيكم بنتم ولم ينصرم وجد فؤاد الهائم المنضج

ثم يبدأ الحدث بأستجابة الناقة لمشاعر الشاعر فتتجه الى (جيداء) قبل ان تسمع الأمر بالاتجاه اليها خائفة أن يلوي زمامها بأتجاه حبيبته. ولايخفى مافي هذا البيت من جمال ينطوي على فهم الناقة لمشاعر صاحبها فهي تعوج بالشاعر الى بيت الحبيب من غير أن يلوي زمامها حتى لايفطن الواشون الى مروره ببيت الحبيب .

٥ — فعاجت الدهماء بي خيفة أن تسمع القول ولم تعنج

وتراه جيداء لكنها تخشى العيون والرقباء فتومىء له بعينيها الجميلتين الشبيهتين بعيني شادن أدعج .

٦ — فما استطاعت غير ان أومأت بعيني شادن أدعج

وتنهمر الدموع من عيني جيداء فتسترها ببردها خشية ان يفطن الكاشحون لحبها.

١٠ — تحوذ بالبرد لها عبرة جادت بها العين ولم تنشج .
١١ — مخافة الواشين ان يفطنوا لشأنها والكاشح المزعج

ثم يصف موكبها مع صاحباتها وانطلاقهن على البغلات :

١٤ — وانطلقت تهوى بها بغلـــة   في بغـلات وقـح وســـج
١٥ — يحملـن بيضـاً جـرداً بدناً   مثل غمـام البـرد المثلـج

ويحاول العرجي ان يشرك عنصراً من عناصر الطبيعة لاتمام صورة الناقة الدهماء والشادن الأدعج والبغلات الوقح — بحيث ترتبط هذه الأحياء الطبيعية برابطة عاطفية بين العالم الخارجي وعقل الشاعر ارتباطاً ذاتياً ولاتظهر هذه العناصر الطبيعية اذاتها في الصورة وانما هي جزء من صورة عامة لحقيقة عاطفية (١٠٢)

ويؤثر الرحيل بنفس الشاعر فيرتج عليه ونستشف الحسرة من قوله وموقفة الحزين الاسف على الفراق

١٦ — قمت طويلا بعدما أدبروا   أنظر فعـل المفحـــم المــرتج
١٧ — أقول لمـا فاتنـي منهـــم   ماكنت من وصلهـــم ارتجي

ويحاور الشاعر نفسه متألماً على مافاته من وصلها ويؤمل نفسه بلقاء جديد في موسم الحج ثم ينطلق في نفسه سؤأل محير بائس ماذا يكون اذا لم تذهب الجيداء الى الحج ؟

١٨ — إنـي اتيحـت لي يمانيـة   إحـدى بنـي الحارث مـن مذحج
١٩ — نلبث حـولا كـاملا كلـه   لانلتقـي إلا علـى منهـج
٢٠ — في الحج ان حجت وماذامني   واهله إن هـي لـم تحجـج

لقد استخدم العرجي الحوار القصير مع المرأة بسؤال موجز (عوجي علينا) وتجبيبه بايماءة من عينيها ويحاور نفسه في نهاية القصيدة (الأبيات ١٧—١٨—١٩—٢٠—) وعرض لنا بذلك الحدث مستعيناً بالسرد الى جانب الحوار وأشار الى شخصيات ثانوية غير متطورة بالحدث كالواشين والكاشحين ونساء موكبها .

وقد يطغى الحوار على القصيدة ويطول نسبياً ويشترك فيه الحبيب ممثلا بـــالشـاعـر والحبيبة ممثلة (بسعدى) ورسولتها الى الشاعر (رباب) ويستخدم الشاعر الغراب للـدلالـة على فأل السوء والظبي للدلالة على الفأل الحسن وبسير الحدث الموجز بواسطة الحوار. في قول ابن قيس الرقيات (١٠٣)

١ — بشر الظبي والغراب بسعدى   مرحباً بـالذي يقـــول الغـراب
٢ — قال لي: ان خير سعدى قريب   قد أنـى ان يكـون منه اقتـراب
٣ — قلت: أنى يكون ذاك قريباً   وعليه الحصـون والأبـواب

ثم ينقل الشاعر لنا رسالة سعدى وكانها جزء من الحوار فيقول :

٦ – أرسلت أن فدتك نفس فأحذر شرطة ها هنا عليك غضاب

٧ – اقسموا ان لقوك لاتطعم الما ءوهم حين يقدرون ذئاب

٨ – قلت: قد يغفل الرقيب وتغفي شرطة أو يحين منها انقلاب

٩ – وعسى الله ان يؤتي أمراً ليس فيه على المحب ارتقاب

ثم يرد الشاعر بالحوار أيضاً على رسالة سعدى رداً شفهياً على لسان رسولتها رباب فيقول :

١٠ – ارجعي فأقرأي السلام عليها ثم ردي جوابنا يارباب

١١ – حدثيها بما لقيت وقولي حق للعاشق الكريم ثواب

١٢ – رجل انت همه حين يمسي خامرته من اجلك الأوصاب

وقد يستغني الشاعر عن الحوار فيلجأ الى السرد لعرض الحدث كما فعل محمد بن نمير الثقفي الذي يؤكد على حبه لزينب عن طريق عرض الشخوص الرئيسية والثانوية وسرد الحدث من غير ان يولي الحوار اي نصيب من اهتمامه فيبدأ من اهتمامه فيبدأ القصيدة بذكر موكب حبيبته في طريقه الى الحج ويعين زمان ومكان اللقاء ويجد لذة بذكر الأماكن التي يمر بها الموكب (١٠٤)

١ – تضوع مسكاً بطن نعمان ان مشت به زينب في نسوة عطرات

٢ – فأصبح مابين الهماء فحزوة الى الماء ماء الجزع ذي العشرات

٣ – له أرج من مجمر الهند ساطع تطلع رياه من الكفرات

٤ – تهادين مابين المحصب من منى واقبلن لاشعثا ولاغبرات

ويسأل الشاعر الله العون لهؤلاء النسوة اللائي خرجن ملبيات للرحمن طالبات لثواب الله وأجره .

٥ – أعان الذي فوق السماوات عرشه مواشي بالبطحاء مؤتجرات

٦ – مَرَرن بفخ ثم رُحْن عشية يُلبين للرحمن معتمرات

٧ – يُخبئن أطراف البنان من التقى ويقتلن بالالحاظ مقتدرات

ويلتقي الركبان ، ركب الشاعر وركب النسوة وتتقارب النسوة من بعضهن حتى يقمن ستاراً بانفسهم يحجب زينب عن الشاعر ويصف الشاعر جمالهم وثيابهن

١٤ — ولما رأت ركب النميري أعرضت   وكنّ من ان يلقينهُ حـذرات
١٥ — فأدنين حتى جوز الركب دونها   حجاباً من القسي والحبرات
١٦ — دعت نسوةُ شم العرانين كالدمى   أوانس ملء العين كالظبيات
١٧ — فابدين لما قمن يحجبن زينباً   بطونا لطاف الطيِّ مضطمرات
١٩ — فلم ترعيني مثل ركب رأيته   جن من التنعيم مؤتجرات

ثم يعقب الشاعر على هذا المنظر والموقف المليء بالحركة مشيراً الى حبه ولوعته وشوقه وحسراته :

٢٠ — وكدت اشتياقا نحوها وصبابة   تقطع نفسي أثرها حسرات
٢١ — وغادرت من وجدي بزينب غمرة   من الحب ان الحب ذو غمرات
٢٢ — وظل صحابي يظهرون ملامتي   على لوعة الأشواق والزفرات
٢٣ — فراجعت نفسي والحفيظة انما   بللّت رداء العصب بالعبرات
٢٤ — وقد كان في عصياني النفس زاجر   لذي عبرةٍ لوكنّ معتبرات

وهناك شواهد أخرى تسند هذا القول في شعر عبدالرحمن بن حسان (١٠٥) والأحوص (١٠٦) والعرجي (١٠٧) وابن قيس الرقيات (١٠٨)

الصورة الفنية :

نجد عناية شعراء هذا الفن بالصورة الفنية واضحة وقد حاولوا من خلال الصورة الفنية ابراز المضمون الذي ينسجم مع المواقف التي قالوا فيها قصائدهم ، ونعني بالصورة الفنية انها (تشكيل لغوي ، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها فأغلب الصور مستمدة من الحواس الى جانب مالايمكن اغفاله من الصور النفسية والعقلية وان كانت لاتأتي بكثرة الصور الحسية ، اويقدمها الشاعر احيانا كثيرة في صور حسية (١٠٩) ومن يبحث عن الصورة الفنية في هذا الشعر يرى انها متنوعة وكثيرة وتختلف القدرة على تشكيلها من شاعر الى اخر تبعاً لمهارته وتمكنه من فنه .

إننا نجد مثالا للصورة الرمزية عند بشر بن ابي خازم الأسدي الذي جعل من غزله بأسماء رمزاً للعلاقة بممدوحه أوس بن حارثة بن لأم الطائي في قصيدته الفائية — التي أوردناها عند حديثنا عن البواكير والأنماط والتي يقول عنها الدكتور حسين عطوان بأن الشاعر (ابتدأها بزجر نفسه عن حب اسماء اذ قطعته ومطلته ووصف حسنها واعلن في قوة انه سيجزيها هجراً ووصلا بوصل واكبر الظن انه لم يوجه الحديث لأسماء ، بل

وجهه لأوس بن حارثة ، فإنه اذا ظلمه أو جار عليه فانه سيتحول عنه ويعود الى هجائه (١١٠) ومن الصور الرمزية ايضاً قصيدة ابن قيس الرقيات التي وردت عند الحديث عن الحوار ومطلعها (١١١)

بشر الظبي والغراب بسعدى	مرحباً بالذي يقول الغراب

وهي قصيدة قالها بعد وفاة عبدالعزيز بن مروان الذي كان ابن قيس قد دعا الى مبايعته بالخلافة ضد الوليد بن عبدالملك ويرى الدكتور شوقي ضيف ان سعدى رمز للخلافة وعلاقة الشاعر بعبد الملك بن مروان (فهذه سعدى صاحبة (ابن قيس) التي كان يظن أنها رضيت عنه يبشر بها ظبي وغراب اوفأل نحس وفأل سعد، وهاهو يخاف الأقتراب من قصرها ومايقوم عليه من حراس وحجاب ورقباء ، وانه ليستعطفها ويتوسل اليها ان تمنحه ودها لما يلاقيه من عذاب الاعراض والصد بعد الأقبال وكل ذلك رمز عن عبدالملك وعلاقته به . (١١٢) .

ونجد امثلة كثيرة للصور الذهنية (من حيث هي نتيجة لعمل الذهن الأنساني في تأثره بالعمل الفني وفهمه له) (١١٣) .

ونجد من الصور الذهنية في مرحلة البواكير مثالا واضحاً عند حسان بن ثابت وهو يتغزل بليلى بنت الخطيم الأوسية (١١٤) .

١٠ – فان تك ليلى قد نأتك ديارها	وضنت بحاجات الفؤاد المتيم

١١ – وهمت بصرم الحبل بعد وصله	وأصغت لقول الكاشح المترعم

١٢ – فلاحبلها بالرث عندي ولااللذي	يغيره نأي ولو لم تكلم

١٣ – وماحبها ماوكلتني بوصله	وإن صرم الخلان بالمتجذم

فالشعر هنا يقوم على الحب الباقي في قلب الشاعر (الفؤاد المتيم) الذي يقابله تغير ليلى بالرحيل وبخلها بالوصال ثم تأتي المفارقة الثانية في البيت الحادي عشر اذ تنوي ليلى هجر الشاعر بعد وصاله اصغاء لقول الكاشح . وفي البيت الثاني عشر يؤكد الشاعر ديمومة الحب الذي لايتغير وتستقر العاطفة وتتفرد في البيت الأخير الذي يبقى الشاعر فيه محبا مواصلا على الرغم من هجر الأخرين ، هكذا تتراكم المفارقات بين الرحيل وثبات الحب ثم الهجر بعد الوصل ثم ثبات الحب متفردة بالوصل حين هجر الأخرون .

ان هذا التذبذب بين الوصل والهجر ماهو الا ذلك التذبذب في العلاقة بين الأوس والخزرج حرب فصلح وحرب فصلح ولكن الرغبة الداخلية للشاعر تبقى الى جانب الصلح والسلام مع ابناء عمه من الأوس .

ويمثل هذا النوع من الصور ايضاً شعر عبدالرحمن بن حسان في رملة بنت معاوية (١١٥)

٦ – واذا نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون ..
٧ – تجعل المسك واليلنجوج والنـ ـد صلاء لها على الكانون
٨ – ولقد قلت اذ تطاول ليلي وتقلبت ليلتي في فنون
٩ – ليت شعري أمن هوى طار نومي أم براني ربي قصير الجفون

فالشاعر يرى مكانة رملة العالية في سناء المكارم وعلو النسب ثم يحيط هذه المرأة في البيت السابع بأنواع العطور والبخور الغالية الثمن ليكمل صورة المرأة الارستقراطية ويضع إزاءها صورة الرجل الساهر المؤرق يتقلب ليله متسائلا عن سر هذا الأرق أهو حب وهوى؟ أم ان الله خلقه قصير الجفون وهو تساؤل يكمن فيه جمال واضح .

وتكثر صورة المرأة المترفة الشريفة في هذا الشعر مشبعة بالروح الحضرية ومظاهر الترف خصوصاً عندما يتحدث الشعراء عن قصور حبيباتهم كعبدالرحمن بن حسان والأحوص والعرجي وابو دهبل الجمحي وابن قيس الرقيات وقد وردت شواهد من شعرهم تتضح فيها تلك القصور وما فيها من حلي وعطور وبخور وأعناب ورياحين وشرطة وحراس ويأتي القصر في صورة ذهنية عند الأحوص الأنصاري الذي يذكر قصر عاتكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية الأموية ويقيم مفارقة بين الخارج ممثلا بالقصر ، والتظاهر بالصد عنه والاعراض وبين شوقه الكبير وحبه المتمكن داخل نفسه (١١٦).

١ – ياييت عاتكة الذي أتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل
٢ – اصبحت امنحك الصدود وانني قسماً اليك مع الصدود لأميل
٣ – ولقد نزلت من الفؤاد بمنزل ماكان غيرك والأمانة ينزلُ
٤ – ولقد شكوت اليك بعض صبابتي ولما كتمت من الصبابة أطول
٥ – فصددت عنك وماصددت لبغضة أخشى مقالة كاشح لايعقل

ويؤكد هذه المفارقة بميله الى البيت فيؤكد ويقسم على صحة هذا الميل على الرغم من الصدود الظاهر الذي يمنحه الشاعر لبيتها فتتراكم الصورة الجزئية في البيت الأول والجزئية في البيت الثاني ويعطي خصوصية هذا البيت الذي نزل بفؤاده منزلة متفردة لاينزلها سواه من البيوت مؤكداً ذلك بلام التوكيد والقسم ويضيف صورة جزئية اخرى الى الصورة المتراكمة في البيت الرابع وذلك بالتوكيد على طول الصبابة التي شكا بعضها وكتم الكثير

منها يعود الشاعر الى المفارقة مرة أخرى ليفسر الصدود بأنه لم يكن لبغض وكراهية وانما خوفاً من أقوال السوء .

ونجد في شعر هؤلاء صوراً حسية تدرك بالحواس حسب المادة التي تشكلت منها فهي صور بصرية وسمعية وشمية وذوقية ولمسية واكثر الصور الحسية في هذا الشعر الصور البصرية كقول عبدالرحمن بن حسان (١١٧)

١٠ – ثم خاصرتها الى القبة الخضر اءتمشي في مرمر مسنون

فالمخاصرة والمشية والخضرة والمرمر المسنون كل ذلك يدرك بالبصر .

ومثال الصورة البصرية في شعر العرجي قوله (١١٨) :

٦ – يأوي الى أدماء من حبه تحنو عليه رائم عوهج

فالعرج : طويلة العنق وطول العنق يدرك بالبصر أيضاً .

وفي قول ابن قيس الرقيات (١١٩) :

٢ – رأتْ بي شيبةً في الرأ س مني ما اغيبها

وفي قوله (١٢٠) :

٦ – أبصرن شيباً على الذوابة في الرأس حديثاً كأنه العطب

وقوله : (١٢١) .

٧ – صفراء كالسيراء لم تشمط غدائرها بحورة

فالشيبة والشيب والشمط كله يدرك بالعين

ومن الصور الشمية قول محمد بن عبدالله الثقفي (١٢٢)

١ – تضوع مسكاً بطن نعمان اذ مشت به زينب في نسوة عطرات

وقول الرقيات : (١١٣)

١١ – فوق الجلود يفوح في أردانها عبق الذريرة

فالمسك والذريرة يدركان بالشم

ومن الصور الذوقية قول ابن قيس الرقيات : (١٢٤)

١٤ – شَرِبْتُ برقيها حتى نَهِلتُ وبت اشربها

ومن الصور اللمسية قول ابن قيس الرقيات (١٢٥) .

٤ – وحلا في اللحم مئزره عبقاً بالطيب مختلقاً

ومن الصور الحسية ايضاً الصور الحركية لأنها تدرك بالحواس كقول ابي دهبل الجمحي(١٢٦)

باحسنه اذ سبني مدبراً مستتراً عني بجلباب

وقول العرجي (١٢٧)

٥ – فما استطاعت غير ان أومأت نحوي بعينيَّ شادن أدعج

فالتستر بالجلباب والأيماء بالعين حركتان تدركان بالبصر .

وقد تقوم حاسة مقام حاسة أخرى في ادراك ماليس من وظيفتها كأن تقوم حاسة البصر مقام حاسة الشم في ادراك الرائحة ويسمى ذلك تراسل الحواس (١٢٨) .

كقول ابن قيس الرقيات (١٢٩) :

١٣ – لأشم الريحان الابعيني كرماً انما تشم الكلابُ

وقد تشترك حاستان او اكثر في صورة واحدة فتكون بذلك صورة متكاملة كقول العرجي (١٣٠) الذي يجمع بين حسة اللمس والبصر .

من كل خرعبة مُبتلة صفر الوشاح كأنها بدر

فالخرعبة (المرأة اللينة البيضاء) تجمع بين حاسة اللمس لادراك اللين وحاسة البصر لادراك البياض ، وقول ابن قيس الرقيات الذي يجمع بين حاسة الذوق والحركة في صورة الميل والعذوبة (١٣١) .

١٣ – فلما ان فرحت بها ومال عليَّ أعذبها

١٤ – شربت بريقها حتى نهلت وبتُّ اشربها

وتظهر الصورة التشبيهية في هذا الشعر وتكاد تطغى على صوره واغلبها تقليدي يجري على نمط التشبيه قبل الأسلام فالمرأة كأنها ظبية اوظبي يتبعها وليدها وترنو اليه بحنان وحب وقد يولي الشاعر القديم اهتمامه بهذه الصورة فيحاول استقصاء جوانبها ويرسم مايحيط بهذه الظبية من شجر الأراك وغيره ، اما شاعر الغزل السياسي فلان غزله لم يكن حديثاً عن عاطفة حب تتجه الى المرأة فقد اكتفى بأن يرضي تقاليد التشبيه في شعره فيشير اشارة الى الشبه بين المرأة والظبية من غير استقصاء لجوانب الصورة كما فعل قيس الخطيم(١٣٢)

١ – فما ظبيةٌ من ظباء الحسا ء عيطاء تسمع منها بغاما

٢ – تُرشح طفلاً وتحنو له بحقف قد أنبتت بقلا تؤاما

٣ – بأحسن منها .... (١٣٣)

وقد اطلق القدماء على هذا الفن من التشبيه (ماروضه .. باحسن منها)

تسمية النفي والجحود لأن الشاعر ينفي هذا الجمال ويجحد حقه ليقيم جمال حبيبته مقامه (١٣٤) فأين هذه الروضة من روضة الأعشى الذي يقول (١٣٥)

١٤ — ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراءُ جـاد عليها مسبلٌ هَطِل
١٥ — يضاحك الشمس منها كوكب شرقٌ مؤزر بـعـمـيـم النبت مكتـهـل
١٦ — يوماً باطيب منها نشرَ رائحة ولابأحسن منها اذدنا الأُصُل

ثم آلت هذه التشبيهات الى وضع غدت فيه — عند شعراء هذا الغزل — كأنها حقيقة أو اشارة او مجرد ذكر للتشبيه يقوم مقام اسم المرأة او كنيتها كقول ابن دهبل الجُمحي

— انـي دعاني الحين فاقتادني حـتى رأيت الظبي بالباب

وقول العرجي (اومأت نحوي بعيني شادن ادعج ، وقوله (كأنها ريم بذي مثوب) وكقول ابن قيس الرقيات (غادروا .... جوذرا خرقاً) (١٣٦) وقوله (اسلموهـا فـي دمشق كما اسلمـت وحشية لهقاً) (١٣٧) وقوله (حبذا الريم والوشاحان) وقوله (إن فـي القصر لو دخلنا غزالا) وقوله (حوراء من بقر غريرة) .

واكثر الصور المجازية في هذا الشعر الكناية اذ لاتكاد تخلو منها اي قصيدة اومقطوعة من شعر الغزل السياسي وقد كثرت كثرة واضحة في عصر الأمويين حتى تكاد تضيـق بالأحصاء لكثرتها فالعرجي يكني عن هموم صاحبته واحزانها بـ (بنات الفؤاد) ويكني عبدالرحمن بن حسان عن توقع الشر وتوجس الخوف بـ (مرجمات الظنون) ويكني عن الشوق بقوله (واستطارت نفسه شققاً) ويكني حسان بن ثابت عن الوصال بـ (حاجات الفؤاد) ويكني الأحوص عن الأرق بـ (كانني معلق بالفرقد) واكثر كنايات الشعراء تلك التي تناولت الترف الذي يحيط بالمرأة ومكانتها .

يقول كعب بن الأشرف :

— صفراء رادعـةٌ لو تعصر انعصرت من ذي القـواريـر والحناء والكتم
فرعُ النساء وفرعُ القوم والـدُها أهـل المحـلة والايـفـاء بالذمم

ويقول محمد بن عبدالله الثقفي :

— دعت نسوة شم العرانين بُزّلاً نـواعـم لاشعثـاً ولا غبرات

ويقول العرجي :

— لم يؤذها حَدّ الشـتاء ولـم يـرفـع لها لتـطـلـع سـتـر

ويقول ابن قيس واصفاً ترفهن وبعد هن عن مزاولة اعمال البدويات من ايقاد حطب الغضا والعناية بأمر البهائم:

— لم يصـطلـين غضاً ولـم يضربـنْ للبـهـم الحضيرة

ان الكناية عن تحضر هؤلاء النسوة وترفهن ، مشفوعاً في صور كثيرة بما عليهن من الحلي وفاخر الثياب والزينة والعطور مع الأشارة الى القصور العالية المنيعة الذرى ، تلك القصور المحمية بالحراس والحجاب ، كل ذلك يدل على ارتباط هؤلاء النسوة بالرئاسة والسيادة والخلافة ومن ثم بالسياسة يقوم عليها ذوو هؤلاء النسوة واصحاب تلك القصور ومما يعزز هذا القول تلك الصور التي تشير الى حجب اولئك الساسة لنسائهم عن الشعراء ولايفتأ الشعراء يعرضون بهم كقول ابي دهبل الجمحي معرضا بمعاوية بن ابي سفيان(١٣٨).

— حمى الملكُ الجبارُ عني لقاءها فمن دونها تخشى المتالفُ والقتلُ

ويقول (١٣٩)

— يذود عنها ان تطلبتها أب لها ليس بوهاب
أحلها قصراً منيع الذرى يحمى بأبواب وحجاب

ويقول ابن قيس الرقيات معرضاً بعبد الملك بن مروان زوج أم البنين (١٤٠)

— ويوجهها ماء الشباب ولم تقبل بملعون ولاجهم

ويقول (١٤١)

— لها بعل غيورقا عد بالباب يحجبها
— يراني هكذا أمشي فيوعدها ويضربها

ولما كانت فرص اللقاء بهؤلاء النسوة قليلة والسبيل اليهن عسيراً ، لجأ الشعراء الى استثمار موسم الحج الذي يعد من اكبر المواسم التي تتيح اللقاء والأختلاط خارج الحصون والأسوار حتى لقد غدا هذا الموسم أمنية لأشهر شعراء الغزل في عصره وهوعمر بن ابي ربيعة الذي تمنى ان يكون الدهر كله حجاً وعمرة (١٤٢) .

— ليت ذا الدهر كان حتما علينا كل يومين حجة واعتمارا

وقد اشار شعراء هذا الغزل الى هذا الموسم باسمه وبمناسكه او يذكر الأماكن التي يقام فيها ونحن نرى وجود ذلك في شعر ماقبل الأسلام عند قيس بن الخطيم الذي يشير الى لقائه بعمرة بنت رواحة في منى (١٤٣)

٩ — ولم ارها الاثلاثا على منى وعهدي بها عذراء ذات ذوائب

وهذا اللقاء صحيحٌ اومزعوم يجري في موسم الحج يقول عبدالرحمن بن حسان (١٤٥) يُذَكّرُ هندا بلقائها معه في جو الحرم .

— ياهند يااخت النجاشي اسلمي

ـ هل تذكرين ليلة باضم
ـ وليلة اخرى بجوّ الحرَم

وقد اولع محمد بن عبدالله الثقفي بالحج ومناسكه واماكنه التي كانت ربوع لقائه بزينب (١٤٥)

ـ ماانسَ من شيء فلا أنسى شاديا بمكة مكحولا اسيلاً مدامعه

ويقول :

ـ تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف
ـ أحبب بتلك مواقفاً وبزينب من واقف

ويقول في زينب أخت الحجاج أيضاً مقرنا صورتها في الحج الى صورة امرأة أخرى أرادت ان تفتتن الناس بجمالها وعطرها (١٤٦) .

ـ تهادين مابين المحصب من منى واقبلن لاشعثا ولاغبرات
ـ مررن بفخ ثم رحن عشية يلبين للرحمن معتمرات
يخبئن أطراف البنان من التقى ويقتلن بالألحاظ مقتدرات
ـ وليست كأخرى اوسعت جيب درعها وأبدت بنان الكف للجمرات
ـ وغالت ببان المسك وحفاً مرجلا على مثل بدر لاح بالظلمات
ـ وقامت تراءى بين جمع فافتنت برويتها من راح من عرفات

ويقول العرجي محدداً موعد لقائه بمنى (١٤٧)

ـ لانلتقي الا ثلاث منىً

ويقول (١٤٨)

ـ نلبث حولا كاملا كلّه لانلتقي الا على منهج
ـ في الحج ان حجت وماذا منى واهله ان هي لم تحجج

فعند الشاعر الموسم كل الموسم ومن فيه لاشيء بدونها .

الخاتمة :

رأينا ان موضوع الغزل السياسي لم يلق العناية الكافية من الباحثين ومن تحدث عنه أولى اهتمامه لنمط واحد من انماطه (النمط الهجائي) كما ان يد الدراسة لم تمتد الى بواكير هذا الفن قبل الاسلام الا من قبيل الأشارة وقد اختلف في تسمية هذا اللون من الشعر — الغزل الهجائي — الكيدي — . الغزل الفاضح وسيلة الى الهجاء المقذع . الغزل الهجائي السياسي . واختلف في تعريفه ايضاً من حيث اقترانه بالهجاء واعتماده على عاطفة الحب التي هي اساس الغزل .

وتبين لنا ان هذا الغزل بدأ قبل الأسلام خلافا لكل الآراء باستثناء رأي الدكتور الحوفي الذي أشار الى جذوره قبل الاسلام .

وكشف البحث عن ارتباط هذا الفن ببيئة المدينة (يثرب) قبل الاسلام وبعده وانتماء أغلب شعرائه اليها وتناول البحث من ناحية أخرى البواعث التي أدت الى ظهوره .

وناقشنا ارتباط النمط الهجائي بالتشهير ومساسه بمكانة المرأة العربية وارتباط هذا النمط بالكسب والنصر الرخيصين .

وفي الدراسة الفنية تناولنا اسلوب هذا الشعر وتباين هذا الأسلوب مس شاعر الى اخر كل حسب مقدرته الشعرية وقوة انفعاله وصدق عاطفته وقسمناه الى قسمين : عفيف واخر صريح ، ورفضنا في مناقشة الغزل الصريح منه في النمط الهجائي ان تكون ام البنين راضية بذلك الشعر قريرة العين به وقلنا كلمة دفاع بحقها وحق المرأة العربية التي من ذلك الشعر مكانتها .

ولاحظ البحث ان الشاعر في هذا الغزل يصرح باسم المرأة أحيانا كثيرة ويميل أحيانا الى الكنى والرموز وتسمية أهلها بدلا من التصريح باسمها .

وفي اللغة فقد استخدم الشعراء حسب براعة كل منهم لغة الغزل وماينبغي له من سهولة ورقة ووضوح وانسياب . ومال اكثر شعراء هذا الغزل الى التكرار : تكرار الأسماء والألفاظ والحروف واسماء الأماكن يتلذذون بذلك التكرار ويوظفونه لاحداث النغم الموسيقي .

وكشف هذا البحث عن توزع هذا الغزل السياسي على شكل قصائد مستقلة ومقدمات لقصائد طويلة ومقطوعات تستقل به .

ورأينا ان الوحدة الموضوعية ماثلة في القصائد والمقطوعات التي تستقل بهذا الغزل ، وتتعدد الموضوعات في القصيدة الطويلة التي يأتي هذا الغزل في مقدمتها أما الوحدة العضوية فقد توفرت القصائد المستقلة بالغزل والمقطوعات واختلف نصيب القصيدة الطويلة منها باختلاف القصائد وقدرة الشاعر الفنية واشرنا الى امثلة في هذا الصدد . كما تبين لنا من النظر في هذا البحث ان عددا من القصائد اعتمد عناصر القصة مع تفاوت هذا الأعتماد على عدد من عناصر القصة .
دون البعض الاخر .

ورأينا ان الصورة الفنية لم تخرج عن اطار الصورة الفنية لشعر الغزل ، وهي تعتمد أولا واخراً على قدرة الشاعر في خلق الصور الذهنية والرمزية والحسية بأنواعها والمجازية كلية كانت او جزئية .

ورأينا اهتماما واضحاً باشاعة الترف في هذه الصور والحديث عن القصور ، وهذا نابع من الموضوع إذ أن اغلب هذا الغزل تناول نساء القصور والخلافة .

وقد ختمنا هذا البحث بالحديث عن اهتمام الشاعر بموسم الحج وذكر اماكنه ومواعيده، بصور لاتخلو من جمال ومتعة لعل الله ان يرزقنا زيارة تلك الديار والله الموفق .

الهوامش

(١) الغزل عند جرير : مجلة آداب المستنصرية العدد ١٣ لسنة ١٩٨٦ : ٧٧

(٢) حديث الأربعاء : ٢٥١ ، وابن قيس الرقيات شاعر السياسة والغزل : ١١٥ وابن قيس الرقيات حياته وشعره : ١٥٦ .

(٣) الغزل في العصر الجاهلي: ٢٧٣ وأدب السياسة في العصر الأموي: ٢٥٨ وتاريخ الشعر العربي : ١٩٨ .

(٤) العصر الإسلامي : ٢٩٧

(٥) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي : ٦٩٨ وتاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي : ١٢٧ والغزل السياسي في العصر الأموي : ١

(٦) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي : ١٩٨

(٧) التطور والتجديد في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف : ٦٠

(٨) الرحلة في القصيدة الجاهلية : ١٨٢-١٨٤ وديوان بشر بن أبي خازم الأسدي : ١٤٢ الأبيات ١-١٢ .

(٩) كان بشر بن أبي خازم الأسدي يهجو أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، فنذر أوس إن ظفر به ليحرقه ،فلما تمكن أراد أن يوفي بنذره ، فقالت له أمه سعدى بنت حصين الطائية : قبح الله رأيك ، والله لكأنما أخذت به أما تعلم منزلته في قومه خل سبيله وأكرمه فإنه لايغسل عنك ماصنع غيره ، فعفا عنه أوس وأحسن كسوته وسار معه حتى بلغ أدنى أرض غطفان ، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح . خزانة الأدب للبغدادي ٢/٢٦٢ والشعر والشعراء لابن قتيبة : ١٩١ وينظر ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره لعادل سليمان جمال : ٤٣

(١٠) مقدمة للقصيدة العربية في العصر الأموي – د. حسين عطوان : ١٩٤

(١١) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي : ٦٩٨

(١٢) تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي : ١٢٧

(١٣) الغزل السياسي في العصر الأموي : ١

(١٤) الغزل في العصر الجاهلي : ٢٧٣

(١٥) تاريخ الشعر العربي : ١٩٨ .

(١٦) الغزل السياسي في العصر الأموي : ١٧

(١٧) ديوان قيس بن الخطيم القصيدة : ٤ اطراد المذاهب : المذاهب ، جلود كانت تذهب واحدها : مذهب ، تجعل ، فيها خطوط مذهبة بعضها في إثر بعض واطرادها تتابعها .

(١٨) ديوان قيس بن الخطيم : ١٩٩

(١٩) المصدر نفسه : ٦٦ ، أديانها : عادتها أو داؤها . أي عادة نفسه من الحب ودائه، ينظر مادة دين القاموس المحيط

(٢٠) ديوان حسان بن ثابت : ١٩١ وديوان قيس بن الخطيم : ٦٦ باح : ظهر وباح السر : إذا ظهر .

(٢١) ديوانه القصيدة : ٢٩ وينظر المديح والهجاء عند بشر بن أبي خازم الأسدي ، علي كمال الدين ، مجلة آداب الرافدين ١٤٦-١٤٧ .

(٢٢) الموفقيات للزبير بن بكار نقلا عن شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري : ٩

(٢٣) شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري : ٥٥ إضم : وادي بالمدينة المنورة ، مخدم معظم موضع الخلخال .

(٢٤) طبقات فحول الشعراء : ٥٢

(٢٥) الكامل : ٢٦٤

(٢٦) دراسات في الأدب الاسلامي د. سامي مكي العاني : ٨٧ ، ان ذكر المثالب امر لم تؤيده الفطرة العربية السليمة لأنه يفرق الصف ويبدد الجمع وكان اليهود آنذاك ومنهم كعب بن الأشرف – ميالين إلى التوكيد على مثالب الأسر الكريمة حتى أن أبا عبيدة وضع كتاباً في المثالب أسماه (مثالب العرب) وهو كتاب غير مطبوع .

(٢٧) سورة النور الآية : ٢٣

(٢٨) صحيح مسلم : ١٩٨٦/٤

(٢٩) صحيح البخاري : ١٥/١

(٣٠) الأغاني : ٦٠٤/٢

(٣١) الكامل : ٣٨٧/١

(٣٢) الشاعر الاسلامي تحت سلطة الخلافة : ٦٧

(٣٣) المصدر نفسه : ٧٦

(٣٤) مقدمة ديوانه : ٢٨ حار : رجع

(٣٥)

مقدمة ديوانه : ٢٩

(٣٦)

(٣٧) ديوانه القصيدة : ٢٩

(٣٨) ديوانه القصيدة : ٢٨

(٣٩) السيرة النبوية : ٢٠٠/٢

(٤٠) ديوانه القصيدة : ٦ الدخل : الأمر [illegible] ، والجمع دخول

(٤١) ديوانه القصيدة : ٧٠

(٤٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٣/٣ نقلا عن الغزل في العصر الجاهلي للحوفي : ٢٧٥
(٤٣) ديوانه القصيدة : ١٧ الخرق : الدهش ، منسرقا : خفية ، لهقا : أبيض
(٤٤) أبو الفرج الأصبهاني : ١٤٦٠/٤
(٤٥) زهر الآداب وثمر الألباب : ٢٤٥/١
(٤٦) رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ، مصطفى الشكعة : ١٦٠
(٤٧) ديوانه القصيدة : ٨٤ والعرجي : عبدالله بن عمر بن عثمان بن عفان (رض) وفي نسبه خلاف مثبت في مقدمة ديوانه : ٧ الشكول : تعريض بوالي مكة الذي عين والياً حديثاً.
(٤٨) تاريخ الآداب العربية : ١٥٥
(٤٩) الأغاني : ٥٣٩٦/١٥-٥٣٩٧-
(٥٠) الأغاني : ١٤٧٥/٤
(٥١) شعره القصيدة : ٣٥
(٥٢) الأغاني : ١٦١٩/٤
(٥٣) و (٥٤) زهر الآداب وثمر الألباب : ٢١٥/١-٢١٦ . معتجرات : زي خاص تلبسه المرأة .
(٥٥) الأغاني : ٢٥٦٦/٧
(٥٦) الأغاني : ٢٥٦٦/٧
(٥٧) الأغاني : ٢٥٥٤/٧
(٥٨) الفرق الأسلامية في الشعر الأموي : ٢٩٨
(٥٩) في الشعر الإسلامي والأموي : ٣٦٦
(٦٠) ديوانه القصيدة : ١٩
(٦١) دراسة في الأدب العربي د. مصطفى ناصف : ٣١٢
(٦٢) ديوانه : ١٩٠
(٦٣) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ٨٧
(٦٤) الأغاني : ٥٧٩٦/١٦
(٦٥) الأمالي : ١٨٨/٣
(٦٦) في الشعر الإسلامي والأموي : ٣٦٥
(٦٧) ينظر تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني . أحمد الشايب : ٢١٤ وابن قيس الرقيات شاعر السياسة والغزل . علي النجدي ناصف : ١١٥-١١٧ .
والتطور والتجديد في الشعر الأموي د. شوقي ضيف : ٦٠
وابن قيس الرقيات د. ابراهيم عبد الرحمن محمد : ١٥٥-١٥٩
ورحلة الشعر من الأموية إلى العباسية د. مصطفى الشكعة : ٩٢
والأدب في موكب الحضارة الاسلامية د. مصطفى الشكعة : ١٧٢/١

(٦٨) ديوانه : ١٢١

(٦٩) حديث الأربعاء : ٢٥١-٢٥٢

(٧٠) ابن قيس الرقيات شاعر السياسة والغزل : ٢٨-٢٩

(٧١) ابن قيس الرقيات : ١٥٩

(٧٢) رحلة الشعر : ٩٢ وينظر الأدب في موكب الحضارة الإسلامية : ١٧٢/١

(٧٣) ديوانه القصيدة : ٧٠

(٧٤) ديوانه القصيدة : ٨٤

(٧٥) ديوانه القصيدة : ١٣ صفر : مسافرون

(٧٦) شعره القصيدة : ١١٧

(٧٧) ديوانه القصيدة : ١٤

(٧٨) ديوانه القصيدة : ١٩

(٧٩) ديوانه القصيدة : ١٧

(٨٠) ديوانه القصيدة : ٤

(٨١) حديث الأربعاء : د. طه حسين : ٢٤٦

(٨٢) ديوانه : ٩٠ = ٩١

(٨٣) الأغاني : ٢٥٦٥/٧

(٨٤) ديوانه القصيدة : ٦٠ وحل : طري كالوحل

(٨٥) ديوانه القصيدة : ٣٨ الريحان : النساء

(٨٦) ينظر متن الهوامش : ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٥

(٨٧) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ٨٩

(٨٨) المصدر نفسه : ٨٧

(٨٩) في الشعر الإسلامي والأموي : ١٥١

(٩٠) الذحل : السوء

(٩١) ديوان قيس بن الخطيم : ١٩٩

(٩٢) ديوانه القصيدة : ٤٨ .

(٩٣) ديوانه القصيدة : ١٤

(٩٤) ديوانه القصيدة : ١١٧

(٩٥) بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث : ٢٧٠

(٩٦) ديوانه القصيدة : ١٣٠

(٩٧) ديوانه القصيدة : ٤ تحرجي : تأثمي

(٩٨) شعره القصيدة : ٥٤ جيرون : حصن في الشام سمي باسم بانيه

(٩٩) شعراء أمويون ، القسم الثالث : ١٢٣ نعمان : موضع

(١٠٠) النقد الأدبي الحديث : ٤٦٢
(١٠١) ديوانه القصيدة : ٤ المنضج : المحكم الوجد ، تعتج : يجذب زمامها لئلا تحيد عن الطريق
(١٠٢) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ٢٢٨
(١٠٣) ديوانه القصيدة : ٣٨
(١٠٤) شعراء أمويون القسم الثالث القصيدة : ٣ المحصب : موضع بين عرفات ومنى، معتمرات يؤدين العمرة ، القسي : ضرب من الثياب مخلوط بالحرير ، الحبرات : جمع حبرة كعنبة وهي ضرب من برود اليمن ، موشاة ، مؤتجرات : طالبات للأجر . العصب : ضرب من البرود يصبغ غزلها ثم تنسج
(١٠٥) شعره القصيدة : ٥٤
(١٠٦) شعره القصيدة : ١١٧
(١٠٧) ديوانه القصيدة : ١٣
(١٠٨) ديوانه القصيدة : ٤٨
(١٠٩) الصورة في الشعر العربي . علي البطل : ٣٠
(١١٠) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي : ٢٣٥ وينظر الرحلة في القصيدة الجاهلية: ١٨٢ – ١٨٤
(١١١) ديوانه القصيدة : ٣٨
(١١٢) التطور والتجديد في الشعر الأموي : ٢٩٧
(١١٣) الصورة في الشعر العربي : ٢٧
(١١٤) ديوانه القصيدة : ٧٠
(١١٥) شعره القصيدة : ٥٤
(١١٦) شعره القصيدة : ١١٧
(١١٧) شعره القصيدة : ٥٤
(١١٨) شعره القصيدة : ٤
(١١٩) ديوانه القصيدة : ٤٨
(١٢٠) ديوانه القصيدة : ١
(١٢١) ديوانه القصيدة : ١٤
(١٢٢) شعراء امويون القصيدة : ٣
(١٢٣) ديوانه القصيدة : ١٤ الذريرة : نوع من الطيوب
(١٢٤) ديوانه القصيدة : ٤٨
(١٢٥) ديوانه القصيدة : ١٧

(١٢٦) ديوانه القصيدة : ٩٠
(١٢٧) ديوانه القصيدة : ٤٠
(١٢٨) الصورة الفنية في شعر الأعشى الكبير : ٣٧٢
(١٢٩) ديوانه القصيدة : ٣٨
(١٣٠) ديوانه القصيدة:١٣ المبتلة:دقيقة الخصر . صفر الوشاح :وشاحها خال لنحول خصرها
(١٣١) ديوانه القصيدة : ٤٨
(١٣٢) ديوانه القصيدة : /٢١
(١٣٣) ديوانه القصيدة : ٦٩
(١٣٤) أنوار الربيع لابن معصوم : ١١٢/٦
(١٣٥) ديوان الاعشى الكبير ، ميمون بن قيس القصيدة : ٦
(١٣٦) خرقاً : دهشا
(١٣٧) لهقا : أبيض يعني ولد الظبية
(١٣٨) الأغاني : ٢٥٦٥/٧
(١٣٩) ديوانه : ٩٠ - ٩١
(١٤٠) ديوانه القصيدة : ٦٠
(١٤١) ديوانه القصيدة : ٤٨
(١٤٢) ينظر تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٣٦١
(١٤٣) ديوانه القصيدة : ٣٨
(١٤٤) شعره : ٥٥
(١٤٥) شعراء امويون القسم الثالث : ١٣٠
(١٤٦) شعراء امويون القسم الثالث : ١٢٤
(١٤٧) ديوانه القصيدة : ١٣
(١٤٨) ديوانه القصيدة : ٤١

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم :

١ — الأمالي : ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي — دار الفكر .

٢ — ابن قيس الرقيات حياته وشعره . د. ابراهيم عبدالرحمن محمد ١٩٦٥ دار النهضة القاهرة .

٣ — أنوار الربيع أنواع البديع — علي صدر الدين بن معصوم المدني ت ١١٢٠ هـ تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٦٨ .

٤ — ابن قيس الرقيات : شاعر السياسة والغزل . علي النجدي ناصف ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٤٩ .

٥ — أدب السياسة في العصر الأموي د.أحمد محمد الحوفي.دار القلم،لبنان،بيروت١٩٦٥

٦ — الأدب في موكب الحضارة الاسلامية . — كتاب الشعر — د. مصطفى الشكعة دار الكتاب اللبناني . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٤ .

٧ — الأغاني : ابو الفرج الأصفهاني. تحقيق ابراهيم الابياري، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩ .

٨ — بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث . د. يوسف حسين بكار . دار الأندلس ط٢ ١٩٨٣ .

٩ — تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية . كارلو نالينو . دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٠ .

١٠ — تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني . أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٣ .

١١ — تاريخ الشعر العربي د. محمد عبدالعزيز الكفراوي. مطبعة النهضة العربية، القاهرة

١٢ — التطور والتجديد في الشعر الأموي . د. شوقي ضيف . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . الطبعة الأولى ، ١٩٥١ .

١٣ — تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام د. شكري فيصل . دار العلم للملايين بيروت ط٥ ١٩٥٩ .

١٤ ــ حديث الأربعاء . د. طه حسين . دار المعارف ،القاهرة ،الطبعة الحادية عشرة ١٩٥٢

١٥ ــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبدالقادر البغدادي، المطبعة الميرية ببولاق الطبعة الأولى ١٢٩٩ هـ .

١٦ ــ دراسات في الأدب الإسلامي . د. سامي مكي العاني. المكتب الإسلامي ١٩٧٥.

١٧ ــ دراسة الأدب العربي د. مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١

١٨ ــ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس . شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، مكتبة الأداب بالجماميز ، القاهرة ١٩٥٠ .

١٩ ــ ديوان ابي دهبل الجمحي . رواية ابي عمرو الشيباني . تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن .

٢٠ ــ ديوان بشر بن ابي خازم الأسدي تحقيق د. عزة حسن ؛ وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

٢١ ــ ديوان حسان بن ثابت تحقيق د. سيد حنفي حسنين ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة . ١٩٧٤ .

٢٢ ــ ديوان عبدالله بن قيس الرقيات . تحقيق د محمد يوسف نجم . دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٨ .

٢٣ ــ ديوان العرجي ، رواية ابي الفتح الشيخ عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ شرح وتحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي الشركة الأسلامية للطباعة والنشر المحدودة بغداد ؛ الطبعة الأولى ١٩٥٦ .

٢٤ ــ ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي واخباره . صنعه يحيى بن مدرك الطائي رواية هشام بن محمد الكلبي . دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال ؛ مطبعة المدني ، القاهرة .

٢٥ ــ ديوان قيس بن الخطيم . تحيقق د. ناصر الدين الأسد . دار صادر . الطبعة الثانية ؛ بيروت ١٩٦٧ .

٢٦ ــ ذيل الأمالي والنوادر . ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي . دار الفكر مراجعة وتصحيح محمد عبدالجواد الأصمعي بدار الكتب المصرية ١٩٢٦ .

٢٧ـ رحلة الشعر من الأموية الى العباسية . د. مصطفى الشكعة . عالم الكتب الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧٩

٢٨ ـ الرحلة في القصيدة الجاهلية . وهب رومية اتحاد الكتاب الصحفيين الفلسطينيين الطبعة الأولى ١٩٧٥ .

٢٩ ـ زهر الأداب وثمر الألباب . ابو اسحق ابراهيم بن علي الحصري . شرح د. زكي مبارك دار الجيل الطبعة الرابعة بيروت ١٩٧٢ .

٣٠ ـ السيرة النبوية لابي محمد عبدالملك بن هشام المعافري تقديم عبدالرؤوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية . شركة الطباعة الفنية .

٣١ ـ الشاعر الاسلامي تحت سلطة الخلافة . د. داود سلوم . عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٥

٣٢ ـ شعر الاحوص الأنصاري . جمع وتحقيق عادل سليمان جمال . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة ١٩٧٠ .

٣٣ ـ شعر عبدالرحمن بن حسان الأنصاري . جمع وتحقيق د. سامي مكي العاني . مطبعة المعارف بغداد ١٩٧١ .

٣٤ ـ الشعر والشعراء . ابن قتيبة الدينوري دار الثقافة . الطبعة الرابعة بيروت لبنان . ١٩٨٠ .

٣٥ ـ الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو . ترجمة د. محمد ابراهيم الشوش منيمنة بيروت ١٩٦١

٣٦ ـ العباس بن مرداس السلمي الصحابي الشاعر د. عبدالله عبدالرحيم عسيلان .دار المريخ الطبعة الأولى المملكة العربية السعودية الرياض ١٩٧٨ .

٣٧ ـ الغزل السياسي في العصر الأموي . غانم جواد رضا . مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٣

٣٨ ـ الغزل في العصر الجاهلي . د. أحمد محمد الحوفي . دار النهضة مصر للطبع والنشر الطبعة الثالثة القاهرة ــ الفجالة ١٩٧٣ .

٣٩ ـ صحيح البخاري الإمام ابوعبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي المتوفي ٢٥٦هـ عالم الكتب الطبعة الرابعة بيروت ١٩٨٥.

٤٠ ـ صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق محمد فواد عبد الباقي . دار احياء التراث العربي الطبعة الاولى ١٩٥٦
٤١ ـ الصورة الفنية في شعر الأعشى الكبير د. عبدالاله الصائغ رسالة دكتوراه مخطوطة ١٩٨٤ .
٤٢ ـ الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في اصولها وتطورها د. علي البطل دار الأندلس الطبعة الثانية ١٩٨١ .
٤٣ ـ طبقات فحول الشعراء . محمد بن سلام الجمحي شرح محمود محمد شاكر مطبعة المدني القاهرة .
٤٤ ـ الفرق الأسلامية في الشعر الأموي . د. نعمان القاضي . دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ .
٤٥ ـ في الشعر الإسلامي والاموي د. عبدالقادر القط . دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩ .
٤٦ ـ الكامل . أبو العباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة .
٤٧ ـ مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي . د. حسين عطوان . دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .
٤٨ ـ مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي . د. حسين عطوان دار المعارف القاهرة ١٩٧٤ .
٤٩ ـ النقد الأدبي الحديث .د. محمد غنيمي هلال ط٣ مطابع الشعب القاهرة ١٩٦٤ .
٥٠ ـ مجلة أداب الرافدين العدد ١٦ لسنة ١٩٨٦ .
٥١ ـ مجلة اداب المستنصرية العدد ١٣ لسنة ١٩٨٦

شعر الأطفال في العراق

د. عمر الطالب

المقدمة

يحمل هذا البحث عنوان (شعر الاطفال في العراق) وقد كرس للدراسة الموضوع دراسة تاريخية وصفية وفنية معا لجدة مثل هذه الموضوعات في الدراسة الأدبية. واعتمدت على أمثلة محددة مع طبيعة الدراسة وذكرت عشرات النصوص التي لم تتسع دراسة مثل هذه لها لمحدودية الصفحات التي تستوعبها مجلة آداب الرافدين

وقد بينت في بدايات البحث بعض النصوص التعليمية التي وردت في الشعر العربي القديم لاعلى انها شعر للاطفال بل على انها وسيلة لتعليم الأطفال، وقصيدة الأطفال، لمحة فكرية خيالية او واقعية تعتمد اعتماداً اساسيا على الموسيقى والصورة الشعريتين وتهدف الى خلق استجابة نفسية وذهنية كاملة عند الأطفال لتوسيع مداركهم والتأثير في وجدانهم، وتقويم اخلاقهم وتكوينهم تكوينا جديداً. وتجعلهم يتذوقون الشعر ويشاركون الشاعر تجربته الشعرية بحيث تنتقل اليهم التجربة تامة بصورها الشعرية وموسيقاها وافكارها فتولد لديهم الى جانب المتعة الجمالية منفعة تعليمية وتدفعهم الى التأمل والتفكير وينبغي لشاعر الأطفال ان يستعمل الالفاظ القريبة من مداركهم والابتعاد عن استعمال الالفاظ الغريبة او العامية او التراكيب المعقدة او الصور الشعرية المركبة لانها تكون بعيدة عن مدارك الأطفال

اذا حاولنا تتبع شعر الأطفال (١) في الادب العربي القديم لانجد دلالات ثابتة على وجوده الا في قطع متناثرة هنا وهناك. لانكاد تمثل ظاهرة فنية فهذه أعرابية تهدهد طفلها آملة بغد مشـرق له حيث تقول :

يـاحـبـذا ريـح الـولـد ريـح الخـزامـي في البـلـد
اهـكـذا كـل ولـد أم لم يـلـد مثلي أحد (١)

ولايتعدى الشعر للاطفال هذه المقطوعات التي استخدمت لترقيصهم او لمسات اخرى تزخر بالتعليمية و التوجيه كقول الفارابي في هذا الصدد :

هـذب الـنـفـس بـالـعـلـوم لترقى وترى الكل فهي للكل بيت
انـمـا الـنـفـس كالزجاجة والعلم سـراج وحكمـة الله زيــت
فـاذا اشـرقـت فانـك حـي واذا اظلـمـت فـانـك ميـت (٢)

واذا ما انتقلنا الى العصر الحديث فأننا نجد احمد شوقي من رواد هذا الاتجاه في الأدب العربي، فقد نشر عشر مقطوعات شعرية وثلاثين قصة شعرية على السنة الحـيـوان حاكي فيها الشاعر الفرنسي لافونتين الذي تخصص بهذا الاتجاه (٣). وجاء في مقدمة الشوقيات «جربت خاطري في نظم الحكايات على اسلوب لافونتين الشهيرة : .. وانا استبشر لذلك واتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للاطفال في البلاد المستحدثة منظومات قريبة المتناول، ويأخذون الحكمة والأدب مـن خلالها على قدر عقولهم .. والمأمول أننا نتعاون على ايجاد شعر للاطفال والنـسـاء، وان يساعدنا الأدباء والشعراء على ادراك هذه الأمنية.»، ومن يتفحص قصائد شوقي للاطفال يلمس بأنها لاتناسب مداركهم بقدر ماتستجيب لـنـفـسـية الـشـاعـر، فهي تزخـر بالرمز والالفاظ البعيدة عن مدارك الأطفال والتراكيب التي لاتستساغ من قبلهم.

وقد سبق محمد عثمان جلال احمد شوقي في هذا الأتجاه فـي ديوانه (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ) عند ترجمته لأمثال لافونتين في مئتي قصة شعرية. (٤)

(١) اغاني ترقيص الاطفال عند العرب احمد ابو سعيد ص١٩ والشعر للاطفال التربية والفن فاروق سلوم الكاتب العربي، العدد ١٨، ١٩٨٧

(٢) م.س

(٣) مختارات من شعر شوقي في الحيوان

(٤) العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ محمد عثمان جلال

ونظم ابراهيم العرب تسعا وتسعين قصة شعرية في ديوانه (آداب العرب) ومنـــــها ماهي على لسان الحيوان (١) . وضمن جبران النحاس في ديوانه (تطريب العندليب) سبعاً وتسعين قصة شعرية أخذ اكثرها عـن امثال لافونتين (٢) .

وقد تبنت مدرسة ابولوفي مجلتها الأدبية هذا الاتجاه وكانت تنشره تحت باب شعر الاطفال ومن بين الذين نشرت لهم : الصاوي محمد شعلان ، البركة محمد ، علي عبدالعظيم وكامل الكيلاني (٣) ويعد محمد المراوي اول المنصرفين الى أدب الأطفال من خـلال ، منظوماته الشعرية (سمير الأطفال للبنين . وسمير الأطفال للبـنات ، واغاني الأطفال) .

قد ورد شعره مناسباً لفعلية الاطفال ولكنه يزخر بالتعليمية (٧)

وقد نظم الشعراء العراقيون شعراً تعليميا موجها للأطفال كالرصافي والزهاوي والكاظمي والشبيبي والأثري واحمد حقي الحلي . متأثرين بتصوير واقع المجتمع العراقي موجهين همهم للنهج التربوي التعليمي . كما في قصيدة أحمد حقي الحلي التالية (٥) .

أنـــا عصفـور صـغير	أنـــا عصفـور صـغير
قتـل الصيـاد امـسي	ليـس لي اليـوم نصيـر
أنا في الغصـن مقيم	أنـا عصفـور يتيـم
ليـت لي جنحا قويا	ليتـني الآن أطـير
مـن تـرى يحنـو علـينا	يرسـل الحـب اليـا
ارحـمـوني اطـعـموني	أنـا عصفـور فقيـر

ونظم سليمان العيسى شعراً كثيراً للاطفال . بعد توجهه اليهم ، ولكنه وقع في الأخطاء التي وقع فيها شوقي ذاتها . فجاءت قصائده فوق مستوى ادراك الأطفال . كما استخدم الفاظا يصعب عليهم ادراك معانيها. ويقر سليمان العيسى ذلك حيث يقول : «ربما تعمدت الرمز والصعوبة في الالفاظ والغرابة في بعض الصور ، ربما كانت بعض العبارات فوق سن الطفل ، كل ذلك أتعمده واقصده في كثير من الأناشيد لايماني

---

(١) اداب العرب ابراهيم بك العرب .

(٢) تطريب العندليب جبران النحاس

(٣) ادب الاطفال هادي نعمان الهيتي ص٢١٢ .

(٤) م.س ص٢١٢ .

(٥) الشعر للاطفال التربية والفن ، م.س

بقدرة الطفل على الالتقاط ، والادراك بالفطرة ، صغارنا يفهمون بأحساسهم المحتفز اكثر مما يفهم الكبار أحيانا بعقولهم الصلبة المرهقة ... وهدف آخر .. أريده من هذه الكتابة لعله أهم مايدفعني الى ان يكون نتاجي كله شعر حتى الان.. انه الموسيقى... اريد ان يغني الصغار .. للحفظ والغناء .. اكتب لهم أناشيدي ومسرحياتي الشعرية قبل ان تكتب للقراءة والفهم ، والتفكير.. ولتبقى الصور صعبة غامضة ... لتظل في اعماق الطفل كنزاً صغيراً يشع ويتفتح باستمرار ، ويوحي له على مر الأعوام ... عندما يكبر ستكون له هذه الأسرار الغامضة زادا له ، وذخيرة متواضعة، يضيف اليها مايشاء ويبني فوقها مايشاء(١)

(٢)

لقد ازدهر شعر الأطفال في العراق بعد ثورة تموز ١٩٦٨ ، فقد صدرت مجلة (مجلتي) عام ١٩٦٩ وصدرت جريدة (المزمار) عام ١٩٧٠ . ولوحظ ان نسبة الشعر ، فيهما كانت ضئيلة في باديء الأمر فقد ، شغل الشعر في مجلة مجلتي مساحة ٢,٧٠٨٪ من مساحات صفحاتها وقد تناول أغلبه موضوعات قريبة الى الأطفال وانطوى البعض الأخر على تأملات رقيقة ومتفائلة وشغل الشعر في المزمار نسبة واطئة هي ٠.٨ من مساحات صفحاتها وكان بعضه من شعر الكبار ، وقد خلت المسيرة من الشعر » (٢)

ان ارتفاع نسبة شعر الاطفال في مجلة مجلتي يعود الى طبيعة الاطفال فيما بين سن السادسة والتاسعة حيث يؤثر فيهم التنغيم والايقاع والحركة . اما انخفاض نسبة الشعر في جريدة المزمار فيعود الى ان قراءها وهم عادة مابين العاشرة والخامسة عشرة من اعمارهم تؤثر فيهم القضايا العاطفية والشعر الحماسي اكثر من تأثرهم بالشعر الكشفي الذي يثير انتباه من هم دونهم في السن (٣) . وبعد ان تمرست صحافة الاطفال في العراق بعملها تقدم الشعر وازدهر فيها في الفترة مابين عامي ١٩٧٥ — ١٩٧٩ فهي ، فترة غنية بشعر الأطفال ليس فقط في مجلتي والمزمار بل في المطبوعات الأخرى التي صدرت للاطفال في العراق وهي : جريدة المسيرة . ملحق تموز . ، صفحة الجيل الجديد . المجموعات الشعرية التي صدرت من سلسلة مكتبة الطفل (٤) فضلا عن دور المؤسسة العامة للاذاعة

---

(١) الموقف الأدبي ، العدد ١١ ، ١٩٧٤ .
(٢) صحافة الاطفا في العراق هادي نعمان الهيتي ص٢١٦ .
(٣) الشعر للاطفال التربية والفن ، م.س
(٤) م.س

والتلفزيون في انتاج اغاني الأطفال . الذي أثرى بدوره تجربة الشعر وفتح آفاقا جديدة لجيل مقتدر من الشعراء .. وقد اتسمت هذه المرحلة بوضوح الرؤيا وبالمام مقتضيات الكتابة الشعرية للأطفال (١) » لقد اطلعت على ثلاثة وعشرين ديوانا شعرياً للاطفال ، صدرت عن السلسلة الشعرية لدائرة ثقافة الاطفال فوجدت في جلها المقدرة الشعرية المتميزة في الجمع بين اختيار الأوزان الخفيفة مع وضوح اللغة وبساطتها ، والاهتمام بالصور الشعرية المناسبة لمدارك الأطفال . واستخدام تعدد الأصوات الانسانية والحيوانية باسلوب مشوق ، ومراعاة القيم الوطنية والقومية بشكل مؤثر أخاذ واللجوء إلى تعدد الالوان واهميتها في تشكيل الصورة الشعرية وتكرار الايقاع والالفاظ كعملية تربوية وجمالية ، والاهتمام بخلق الدهشة من اجل التعلم لدى الأطفال بعرض تجارب انسانية متعددة وحيوانية لبست لبوسا انسانيا . لتوسيع مداركهم وتعليمهم وتكوين المعارف لديهم واخيراً بدا الاهتمام واضحاً بعرض الشعر الجمالي المناسب لمدارك الأطفال لخلق حاسة التذوق لديهم وتحبيب الشعر اليهم من اجل تكوين البذور الجمالية في نفوسهم من جهة وتقديم المعارف لهم وما يوسع مداركهم من جهة اخرى .

وقد اسهم في مجال شعر الأطفال في العراق شعراء معروفون في مجال الشعر للكبار مثل عبدالرزاق عبدالواحد ، ونبيل ياسين وفاروق سلوم، واسهم في هذا المجال عدد من الشعراء الذين مارسوا كتابة الشعر للاطفال واجادوا فيه مثل محمد جبار حسن في قطعته الشعرية (قطرة مطر تكلم العصفور) من مجموعته الشعرية الموسومة (الفراشات الهاربة) وعبدالرزاق الربيعي في قطعته (يانجمة الليالي) من مجموعته (نجمة الليالي) ونلمس من النشاط المتزايد الذي تمارسه دائرة ثقافة الاطفال في هذا المجال ان شعر الأطفال سيزدهر بصورة اكبر من ازدهاره الآ ن وسيجتذب اصواتا جديدة . تشارك في هذه المسيرة القيمة والمفيدة لتنشئة الأطفال في العراق وفي الوطن العربي بأسره .

(٣)

١ — اذا حاولنا ان نحدد الموضوعات التي تناولها شعر الأطفال في العراق فإننا نجد الاهتمام بالطبيعة يحتل المكان الأول. لما للطبيعة وتقلبات فصول السنة وتعدد أنوائها من تأثير مباشر في نفسية الأطفال وسلوكهم، يتراوح بين الاستيناس والرهبة . فبقدر ما يحب الطفل الحدائق والبساتين . والنهار والشمس ، والنجوم والقمر ، والربيع والصيف يكره الليل والظلام . العواصف والرياح ، الشتاء والخريف ، فهو يستأنس بما يثير في نفسه الدفء والانسجام والمودة ويكره مايثير في نفسه الرعشة والخوف والبرد والوحشة

فهي الانفعالات الانسانية الأولى الممثلة في العواطف البدائية للانسان منذ اقدم عصوره فالروابط متينة وحميمة بين الطفولة والبدائية .

وبعد استقرائي للنماذج الشعرية التي بين يدي وجدت بان الفصول تحتل المكانة الأولى بين موضوعات الطبيعة ،ولا عجب في الأمر ، مادامت الفصول بتقلباتها الشديدة وماتخلفه من آثار متباينة في حياة الطفل بين الحر والبرد والاعتدال ، المطر والصحو . الخضرة والجدب . طول النهار وقصره ، كثرة النور وقلته ، الى آخر ذلك من الظواهر التي تؤثر في مشاعر الطفل واحاسيسه . وقد قدم فاروق سلوم في هذا العدد ديوانا مفردا للفصول حمل اسم (فصول) قدم فيه الفصول باسلوب سلس جميل وبتعاقب مغن الشتاء فالربيع فالصيف ثم الخريف. وقدم حسن دكسن في ديوانه (اغاني سندباد) قصيدة(غيمة الصيف) وقدم نبيل ياسين في ديوانه (الوردة قالت للقمر) وقصة (الشتاء) ومثله حميد حسن جعفر في ديوانه (قطرة ماء). وحسن عبدالحميد في قصيدته (الزائر الأبيض) من ديوانه (الفرح يطرق الأبواب) يؤكد نبيل ياسين في قصيدته (الشتاء) – عل سبيل المثال لا الحصر– على القيم الانسانية العالية من اجل الكفاح الدؤوب والعمل المستمر ، من دون ان يقف البرد والمطر والرياح في سبيل الأصرار على الوصول الى الهدف المنشود . يقول نبيل ياسين :

قال الشتاء : ماذا في حقيبتي ؟

قلت له : البرد . والمطر .

فقال : ماذا تفعل في البرد والمطر ؟

قلت له : : أواصل الحياة والنظر لهدفي يملؤني الحاضر والمستقبل

فقال : هل تقبع في البيت من الرياح

قلت له : اواصل السير على الطريق حتى الاقي الشمس في الشروق

يملؤني الأمل فكل من سار على الدرب وصل .

قد حقق أسلوب الحوار بين (قال وقلت له) التصاعد الدارمي بين التخاذل في الخوف من الشتاء ومن برده ومطره ورياحه. وبين التصميم الذي يملا المتحدث في تجاوز الخوف من الشتاء الى تحقيق الهدف المنشود في قوله : يملؤني الحاضر والمستقبل ، اواصل السير على الطريق / حتى الاقي الشمس في الشروق / ثم يصل الى بيت القصيد في نهاية القصيدة بقوله (فكل من سار على الدرب الوصل) فهي تمثل التزام الشاعر بماكان يطرحه الشاعر العربي في عصوره المختلفة من ختام قصيدته بيت حكمة ذهب مثلا بين الأنام .

نبع من موضوعة الفصول موضوعات أخرى تمثل ظاهرة من ظواهر تلك الفصول، كالمطر في قصائد مثل (مطر مطر) و (اغنية المطر) و(الغيمة المنشدة) من ديوان عبد الرزاق عبدالواحد الذي يحمل الأسم ذاته ، و(القوس قزح) لمحمد جبار حسن من ديوانه (الفراشات الهاربة) ، وتشعب عن المطر الحديث عن قطرة الماء وتكون الأنهار والبحار في شعر هؤلاء الشعراء مثل (قطرة ماء ، والأطفال والنهر ، والبحر) من ديوان (قطرةماء) لحميد حسن جعفر وقصيدة (شش شش شاء) من ديوان (تك تك تاك) لخالد يوسف.

وارتبط موضوع الحقول والبساتين والأزهار والالوان بالمياه واثرها في حياة النبات كما في قصيدتي (يابستان والالوان) لحميد قاسم من ديوانه (نسمة الصباح) و (مطر اخضر ، ومهرجان ، والنرجسة) من ديوان (مهرجان) لباسم المرعبي و (الحديقة) من ديوان خمائل) لصلاح حسن و (بستان ابي) من ديوان (الفراشات الهاربة) .

وترتبط الأجرام السماوية بظاهرتي الليل والنهار فيتغنى الشعراء بالشمس . كما في قصيدتي (الشمس) من ديوان (قطرة ماء) و(سؤال) من ديوان (فراشات ونجوم) ، لفاروق سلوم حيث تمتاز هذه القصيدة الأخيرة بالدقة والجمالية وسمو الخيال . يقول سلوم باسلوب حواري يولد التشويق لحب المعرفة لدى الأطفال : هل لدى الشمس بيت ؟

ربما قلعة او مغارة ربما فوق رأس المنارة
غيمة فوقها تستريح أو بساط وفير مريح
أترى الشمس عارفة بالعمارة ؟

يا له من سؤال عجيب عجيب عجيب
في الصباح استفقت واعدت السؤال العجيب
فماذا سمعت ؟
طرقة فوق شباكنا وشعاعا كأحلامنا
وصباحا جميلا يجيب :
هذه الشمس قرص يدور في السماء وللارض نور
وهي لاتستقر ولاتتعب وليس لها مركب
انها قرص نور في السماء تدور

لقد صعدت الاسئلة الذكية الأخاذة: هل لدى الشمس بيت؟/أترى الشمس عارفة بالعمارة؟/ فماذا سمعت ؟. الأجابة العلمية الدقيقة بأن الشمس مجمر وقرص نور في السماء

تدور - فبعد تنامي الحدث والترقب المستمر لمعرفة الجواب . اكتمل الحدث بهذا الجواب المقنع والعلمي والمناسب لمدارك الأطفال وقدراتهم العقلية .

ولم تحظ الشمس وحدها من الأجرام السماوية باهتمام الشعراء لكونها الأكثر ظهورا في سماء الأطفال ، بل احتلت النجوم مكانة مهمة في قطعهم الشعرية ، بما تحمله من جمال واسرار في لمعانها البراق ووميضها المستمر الذي يورد احلام الأطفال ويخلق لهم عوالم مسحورة مليئة بالغموض والاسرار في هدأة الليل اذا ماسرقوا النظر عبر النافذة في ليالي الشتاء الصباحية ، اواذا ماراقبوها على اسطح منازلهم وهم يأوون الى فراشهم في ليالي الصيف الجميلة . كما في قصيدة (نجوم) لفاروق سلوم و (النجوم) من ديوان (قطرة ماء) ويانجمة الليالي (من ديوان نجمة الليالي (لعبد الرزاق الربيعي ، ولم يحظ القمر بنفس الأهتمام لأنه أقل اثارة بالنسبة للاطفال واكثر أهمية بالنسبة للمراهقين . فقد وجدنا قطعة شعرية واحدة تحمل عنوان (القمر الملون) من ديوان (خمائل) . من بين النماذج التي توفرت لنا .

وحظي الفجر والصباح بقصيدتين شعريتين هما (اغنية الفجر) من ديوان اغاني السندباد و (نسمة الصباح) من الديوان الذي يحمل الأسم ذاته .

وتحتل الحيوانات مكانة مهمة في شعر الأطفال . لانها مكملة للطبيعة من جهة . ومثيرة للأطفال في خلقها وتكوينها من جهة اخرى ، ولأنها تمثل الألفة والمودة والبراءة فينسجم معها الأطفال ويأنسون بها من جهة ثالثة ، ولأنها مثيرة للدهشة والتساؤل والغرابة من جهة رابعة ، وهكذا ارتبطت هذه الحيوانات بالطبيعة في شعر هؤلاء الشعراء مثل (الشمس وهكذا ارتبطت هذه الحيوانات بالطبيعة في شعر هؤلاء الشعراء مثل (الشمس والقطة ، وسرب العصافير) من ديوان الفرح يطرق الأبواب ، (السنجاب والشجرة) من ديوان (حكايات من زمن الحرب) ، (القنفذ والشتاء) من ديوان (اغاني حصان) لفاروق سلوم و (الديك في السماء طار) من ديوان (حالتان تحت المطر) لعبدالرزاق عبد الواحد . كما احتلت الفراشات والعصافير مكانة بارزة في شعر شعراء الأطفال كما في القصائد التالية (الفراشات الهاربة) من الديوان للذي يحمل الأسم ذاته و (فراشة (من ديوان (فراشات ونجوم (و عصافير) من ديوان (الغيمة المنشدة) و (هذا العصفور ، ولو اني اطير) من ديوان (نسمة الصباح) يقول حميد قاسم واصفا مرح العصفور وتفاؤله بالحياة ، مازجا بينه وبين الطبيعة ، ومابين الطبيعة ومعارف الأطفال بالرسم ، ومابين أيام العمل والجد في المدرسة وايام العطل قائلا :

هذا العصفور المسحور سيحي شرفات الدور
وانـا كالألوان أدور أرقص في طرب — وسرور
في بيتي زهـر رمـــان تـمـنحنا أحلى الألوان
كي .. نرسم زهراً وطيـور
حين يجيء اوان العطلة أرسم في اوراقي نخلة
أوبرجا تعلوه الشعـلة وارفرف مثل العصفور

ويبقى اثر الحمام كبيرا في نفوس الأطفال حيث يحسون معهم بالالفة والمودة كما في قصيدة (حمامة) من ديوان (اغاني السندباد)

ولايعدم الشعر من حيوانات غريبة بعيدة عن مدارك الأطفال فقد استعار حميد حسن جعفر (الكناغر) وطائر (البطريق) في ديوانه من استراليا والقطب الجنوبي في ديوانه (قطرة ماء) وفي ظني ان مثل هذه الأستعارة وان بدت بعيدة عن مدارك الأطفال . فهي مشوقة ومدهشة ومفيدة معا للاطفال واتساع مداركهم لما يحمله هذان الحيوانان من مظاهر الغرابة والدهشة بالنسبة للاطفال خاصة .

فالكنغر يحمل أطفاله معه كالأنسان وكذلك البطريق الذي يمشي على رجليه منتصباً كالانسان تماما ، مثل هذين النموذجين يقربان الصلة والعلاقة بين الانسان والحيوان بالنسبة لفهم الأطفال .

(٢) تحتل القصائد الشعرية الوطنية والقومية . المكانة الثانية في شعر الأطفال في العراق وتأتي هذه المكانة الكبيرة للشعر الوطني منسجمة تماما مع الطابع الحماسي والانفعالي للاطفال ومساوقاً للتربية الوطنية والقومية لهم بالاضافة الى غرس فضائل حب الوطن والأمة في نفوس الصغار يتعرض هذا الوطن وهذه الأمة الى اخطار كبيرة تهدده من قبل جيرانه الطامعين في خيراته ومن قبل الأستعمار الذي يخلق له المشاكل والعراقيل ، الواحدة تلو الأخرى ، وقد تشابكت الأفكار الوطنية في هذه القصائد مع الافكار القومية وقصائد الحرب ،لأن هذه الأقاليم الثلاثة تمثل السيادة الوطنية والحفاظ على البلاد . ومكتبات الثورة ، من امثلة هذه القصائد الوطنية : (عراقنا) من ديوان (نسمة الصباح) لحميد قاسم (صورة للوطن) من ديوان (مهرجان) لباسم المرعبي (الوطن الجميل) من ديوان (خمائل) لصلاح حسن (الوطن) من ديوان (حكايات من زمن الحرب) لعيسى اسماعيل ، (بيت الشمس) من ديوان (التراشات الهاربة) لمحمد جبار حسن (يحيا الوطن) من ديوان (نجمة الليالي) لعبد الرزاق الربيعي ؛ (بلادي . ودقت ساعات المستقبل) من ديوان (لوحات لبيان ، الصفدي ، (وطنـي ، يحيا بلدي ، يانجمة السماء ، ولغة

العرب) من ديوان (يحيا بلدي) لخالد يوسف ، (الاجراس) من ديوان (الفرح يطرق الابواب) ، لحسن عبدالحميد و(اغنية الترلبلا ، دار دوري ، همسة عصفور وكتبت في دفتري) من ديوان (تك تك تاك) لخالد يوسف وينفرد ديوان (حكاية تموز) لفاروق سلوم بسرد وقائع الثورة باسلوب شاعري جيد ، وهو يمثل إنعطافة جيدة نحو الديوان الذي يضم قصيدة واحدة في موضوع واحد ، وتمتاز قصيدة (الغيمة المنشدة) من الديوان الذي يحمل الاسم ذاته لعبدالرزاق عبدالواحد بجمالية خاصة في هذا المجال . حيث ربط بين الضيعة والوطن من الناحية . وبين الوطن والشعب من ناحية أخرى مستفيداً من ايقاع نشيد (موطني موطني) الذي ردده الأطفال عبر اجيال كثيرة في العراق والوطن العربي كافة ، فكما رددته وانا طفل في العراق في فترات الثلاثينات من هذا القرن سمعته يتردد على افواه الطلبة في المغرب العربي في اواخر الثمانيات من هذا القرن . يقول عبد الرزاق عبدالواحد بايقاع جذاب :

ذات يوم غيمة كانت تطير من مدينة لمدينة
سمعت صوتاً حنون كان أطفال صغار ينشدون
موطني موطني
وقفت ترنو اليهم كانت الأصوات تعلو وتطير الكلمات زاهيات
موطني موطني
حملتها الغيمة البيضاء في احضانها في حنان وإباء ثم طارت في السماء
ذات يوم في مدينة بينما كان المطر هاميا فوق الشجر
والشوارع والمدارس والبيوت
كان كل الناس في تلك المدينة يسمعون جرساً في كل قطرة
نازلا من شفة الغيم يغني في مسره موطني موطني

ان عذوبة الأيقاع المطرب . والألوان الزاهية التي جسد بها الشاعر صوره الشعرية ، وارتباط الأرض والسماء والبشر ، بالوطن والكبار والصغار به وارتباط كل هذه العناصر مع نشيد موطني موطني الواسع الأنتشار بين الكبار والصغار ، حقق هدف القصيدة المنشود بالانجذاب نحو الوطن بارضه وسمائه وشعبه ، بالآ باء والأبناء ،الكبار والصغار

ولاتنفصل قصائد الحرب العراقية الأيرانية عن القصائد الوطنية والقومية بل تتداخل معها . وقد زخرت القصائد الشعرية من هذا النوع بمفهوم الفداء والأصرار والتمسك بالارض والذود عن الحرمات كما في القصائد الشعرية التالية : (عروس مندلي . الشاطر حسن) من ديوان اغاني السندباد . (نزهة) من ديوان خمائل ، (اغنية الشهيد ، مقاتل مجابهة ، وبطولة طيار) من ديوان حكايات من زمن الحرب (البيان العسكري) من ديوان نجمة الليالي ، وقد افرد الشاعر عبدالرزاق جبار الربيعي ديوانه كله والموسوم (وطن جميل) لقصائد الحرب (المقاتل ، الشهيد ، ياحادي ، رأيت ، شمس تموز ، وردة العراق ، حكاية الزيتونة ، وطن جميل ، يوميات زائر للجبهة . جمل مفيدة . احلى خبر) واذا كانت قصائد الربيعي الشعرية قد اتسمت بالمباشرة وكذلك قصيدة (ياسائق القطار) لخالد يوسف من ديوانه (يحيا بلدي) فان قصيدته (هات النصر) من الديوان ذاته تخلو من مثل هذه المباشرة حيث يقول :

هـات النصر لنا يـابابا ... انّا زينـا الأبـواب
وصنعنـا من سقف النـخل ... وهواك واشواق الأهل
قوس النصر ، هلا يـابـابـا
في الخندق او فوق الربوة ... أضرب أعداءك في قـوة
فـانا باهيت بأن أبي ... صقر في الجبهة كالغضب
أثنـاء الليل وفي الـفجر ... يأتيـنـي صوتـك فـي السرّ
حـلوا فياضـاً بالحب ... فاقـول وادعو من قلبي
منصـور الراية يـابـابـا

(٣) يبرز الوجه التعليمي في شعر الأطفال في العراق ، ويمثل ظاهرة بارزة في هذا المجال ، وهو ضرورة ملحة بالنسبة لتعليم الأطفال وتوسيع مداركهم ، والشعر لانه سريع الحفظ . وسريع التأثير بايقاعه المنسجم وغنائيته المحببة وصوره الجميلة ، والفاظه التي سرعان ماتعلق في الذهن كان وسيلة للتعلم منذ اقدم الأزمان . وقد أدرك شعراء الأطفال عندنا اهمية الوظيفة التعليمية فتناولوها في قصائدهم الشعرية ، وجاءت الفضائل الأخلاقية والنفسية في مقدمة هذا اللون من المعارف لمالها من اهمية في تكوين الفرد وبالتالي بناء جيل جديد سليم من الناحية العلمية والأخلاقية والجسدية .وقد تجمعت هذه الفضائل في شعر هؤلاء الشعراء بما نطلق عليه اسم المروءة .حيث تضم الفضائل كلهـا وتنبذ الرذائل وبما يتناسب ومدارك الأطفال الذين يتوجه اليهم مثل هـذا الشعر ، وعند استقراء هذا الشعر نجد ان الأمل والحياة والنظر الى المستقبل بسعادة وتطلع . هو الميسم

الأساس الذي يسم هذا الشعر . كما تحتل محبة الأسرة وحب الأم والأب والجد والأسرة مكانة بارزة . ولاتقل الصداقة عن هذه المكانة المرموقة . ونجد كل ذلك في قصائد مثل أنا صديقكم . امنية (من ديوان خمائل . و(الى امي ، العصفور الحكيم) من ديوان (حالتان تحت المطر) اغنية الصباح ، جدي جدي (من ديوان اغاني الحصان ، (ياداري ذات نهار ، تبسمي يانور ، وردتان من ديوان نجمة (الليالي) . (أغنية النهار الجديد) من ديوان تك تك تك تاك ، (الرجوع) من ديوان الفراشات الهاربة . (الباب) من ديوان فراشات ونجوم ، (الشتاء ، ماذا تقول الوردة ، النهار لنا ، الصديق الحياة ، قصة الجرس في الأجازة الصيفية (من ديوان الوردة قالت للقمر ، (الجمال) من ديوان حكايات من زمن الحرب .

ونلمس في قصيدة نبيل ياسين ، قصة الجرس في الأجازة الصيفية عمق العلاقة بين المادة والأنسان متمثلة بالعلاقة بين الجرس والطلاب ، وبالحزن عند الأنقطاع عن العمل متمثلا بحزن الجرس في عطلات الصيف وانقطاع التلاميذ عن الدراسة . وبالاهتمام بالدرس واعطائه مكان السبق على العطل ، وقد اعطى الأيقاع المتوازن مع الصور الشعرية الموحية جمالية خاصة لهذه القطعة .

رأيناه حزيناً آخر الساحة
يحدق في الطريق ، ويسأل الجيران احبائي متى تأتون ؟
قضيت الصيف في النسيان لي
فكم هزت رياح الشوق اوتاري ولم اقرع
وكنت – اذا يجيء الليل – اطفيء كل انواري ولا أقرع
وعندي من هواهم الف تذكار
كتمت الشوق في صدري ولم اقرع
ويوما حين جئناه رأيناه رأيناه
حزينا تملأ الآه بليل الصمت مأواه
ولكن حينماجئناه في ركض وجدنا قلبه من دوننا نبض
قرعناه قرعناه
ومن فرح بكيناه
فلما فتح العينين وشاهدنا جميعا نملأ الساحة
هنالك دق في فرح وشعت بالندى والحب عيناه

ودق ودق ظل يدق لم يتعب
ان رنينه عرس — وظل يدق حتى ضمنا الدرس

بقي التعلم يمثل سمة اساسية في شعر الأطفال سواء اكان هذا التعلم متمثلا بدروس المدرسة ام دروس الحياة ام مايتعلمه الطفل من الأسرة وحب البيت . مثل (ماهو ، أغنية المدرسة ، درس الأولاد ، ماذا نرسم؟) من ديوان (مهرجان) لباسم المرعبي (تعال نرسم) من ديوان خمائل لصلاح حسن (حيرة اللوحة ، الشقيقان) من ديوان حكايات من زمن الحرب لعيسى اسماعيل (غيلان يرسم . اسئلة ، لوحات) من ديوان (لوحات ، بيان الصفدي (رسوم،البيت احلى) من ديوان قطرة ماء لحميد حسن جعفر (قطرة مطر تكلم العصفور ، حقيبتي ، احلى الصور (من ديوان الفراشات الهاربة) لمحمد جبار حسن ، (الرافعات ، الجرس) من ديوان الوردة قالت للقمر لنبيل ياسين (القنفذ والحصان ، الطبق الطائر ، دوري مي) من ديوان اغاني الحصان) لفاروق سلوم (الصفر . التاريخ) من ديوان فراشات ونجوم لفاروق سلوم . وخير مثال يجسد هذه التعليمة مقطوعة (الصفر) لفاروق سلوم ، لايقاعها الجميل ومزجها بين الحروف والارقام في تعليم الصفر للاطفال

هـذا سر ، هـذا سر — فانا اسمي : اسمي صفر
انا في الدنيا منذ زمان — موجود في كل مكان
في الأحرف ، او في الأسماء — وارافق كل الأشياء
في الفاء اكون الفارس — في الجيم . اذا كنت جالس
في العشرة . او في العشرين — في مئة اصبح اثنين
في الألف ثلاثة أصفار — فتعلم هذي الأسرار
وأحسب بأصابع كفيك — وتلفظ حرك شفتيك
نبدأ عدا حتى الألف — ثم نغني وسط الصف
هـذا صفر ، هـذا صفر — رقم حلو يدعى صفر

ويرتبط العلم والتعلم بالمهن والحرف المختلفة : ولم ترد في شعر هؤلاء الشعراء ورودا تعليماً بل بعضها بشكل فني في قصائد شعرية مثل : (الصياد) من ديوان اغاني السندباد (الراعي) في ديوان خمائل (ياحطاب) في ديوان لوحات ، (سائق القطار) في ديوان اغاني الحصان(المعمل) في ديوان الوردة قالت للقمر ، (اغنية للعمال . ايار الصغير) من ديوان الفرح يطرق الأبواب

وارتبط التعلم باللعب عند الأطفال من الناحية التربوية ارتباطا وثيقاً . وقد وردت قصائد شعرية تمثل هذا الاتجاه ولكنها قليلة جداً بالنسبة الى ماتحتله من مكانة في التوجيه والتعليم مثل (طيارة الورق) من ديوان حالتان تحت المطار ، و(ارجوحة الهواء) من ديوان فراشات ونجوم ، و(يادميتي) من ديوان الفراشات الهاربة .

وتمتاز (ياسائق القطار) بايقاعها الجميل وعذوبتها وخفتها وسهولة حفظها من قبل الأطفال ، يقول فاروق سلوم .

خذني معك خذني معك ياسائق القطار
خذني الى حقولنا ومر حول بيتنا
فكل بيت بيتنا ياسائق القطار
خذني الى سهولنا ندور حول اهلنا
فكل مافي ارضنا خير لنا ... ياسائق القطار
خذني معك خذني معك ياسائق القطار

هذا بالاضافة الى ماتولده معانيها من حب الناس والأرض والسعي من اجل الأنتاج الوفير .

ان هذه الموضوعات الثلاث : الطبيعة ، الوطن ، والتعلم ، هي الموضوعات الأساسية التي التزم بها شعراء الأطفال في العراق والتي شملت كل دواوينهم ، وعلى اقل تقدير هذا مالمسناه من خلال الدواوين التي توفرت لدينا وهي تمثل في الأساس اهم الموضوعات الشعرية بالنسبة للاطفال في الشعر العربي كله ان لم نقل في شعر الأطفال العالمي ايضاً .

(٤)

اذا استقرأنا شعر الأطفال الذي بين أيدينا نجده يعني عناية فائقة بالموسيقى والأيقاع ولاسيما الأوزان الخفيفة لانها اشد تأثيراً وتقبلا من قبل الأطفال ، وكثيراً ماتوحي الموسيقى بمعان تتجاوز المعنى الذي تدل عليه الألفاظ ، ولاتنصب العناية على الموسيقى الخارجية فقط بل تتجاوزها الى الموسيقى الداخلية ، والأصوات التي تضفي على القصيدة ايقاعا خاصاً وتأثيراً مباشراً وخير من يمثل التأثير الموسيقي

شعر الاطفال ، عبدالرزاق عبدالواحد لممارسته الطويلة للشعر ، وفاروق سلوم لتخصصه في هذا المجال حيث يعن بفنية القصيدة عناية تامة ، ويتأنى في إخراجها متكاملة منسجمة مع مشاعر الأطفال ومدركاتهم العقلية وهو لايقع في الأخطاء والزحافات التي يقع فيها شعراء الأطفال : « فالقصيدة .

اعند فاروق سلوم تحمل عذوبة الحلم الطفولي وقادرة على التوصيل بايقاعات ناجحة واستخدامات جيدة للغة والأصوات » (١) ويحدد فاروق سلوم مفهومه لشعر الأطفال قائلا : « في كتاباتي كنت احاول دائماً ان اصل الى صيغة مقنعة في اطار الكتابة للاطفال كنت مقتنعا منذ البداية ان الأطفال الذين فوق التاسعة تستدعي مخاطبتهم شروطا فنية غير تلك الشروط التي تستدعيها مخاطبة الأطفال دون هذا السن . لذلك اشعر بتوافق مع الأطفال الذين تقع اعمارهم بين الثالثة والسابعة ، وهكذا اجدني حرا طليقاً في الكتابة لهم :« استخدمت الأصوات التي توحي بالمعاني ، وهو حقل طبع ، لايستدعي الكشف عنه اي جهد استثنائي ، الا ان هناك الأصوات التي تسمى اصطلاحا (ننسنس) صحيح انها متداولة شعبيا مثل (حادي بادي) و (تاتي تواتي) الاان ظروف انتشارها تتسم بنوع من المواجهات مع الجهات الوسيطة بين الشاعر والأطفال ... ، ان قصيدة الطفل هي احتراق بمعنى حقيقي ، البحث عن المفردة الملائمة ، الخوف من السقطة ، النحت في جسد القصيدة بحيث تكون مقبولة وسيالة » (٢) ، ولعل خير قصيدة تمثل الموسيقى الخفيفة والأيقاع المنسجم واستخدام الأصوات المتجانسة مع الموسيقى الخفيفة للقصيدة قصيدة (القنفذ والشتاء) من ديوان اغاني الحصان ، لفاروق سلوم ، والتي يقول فيها :

عطس القنفذ هتشوو

والبطة قالت : امشوا

البرد أتى البرد اتى

وطريق الدرس طويل

وينهي القصيدة كما بدأ الموسيقى الخفيفة نفسها والايقاع الجميل والأصوات المغنية للوزن وللمعاني :

قالت : من يتعد الحد

سيصاب بضربة البرد

وسيعطس : هتشووو هتشووو

لاتقل قصيدة (اغنية الصباح) جمالية عن القصيدة السابقة ، حيث يقول :

الساعة دقت : دن دن دان والشمس أطلت : واحد اثنان

البلبل يفرك عينيه والصبح ينظف كفيه

(١) قصيدة الطفل ، بيان الصفدي ، مجلة الاقلام ، العدد٣ ، ١٩٧٩ ، بغداد

(٢) فاروق سلوم ، قصتي مع شعر الاطفال ، مقابلة طلال حسن ، مجلة الجامعة ، العدد ٣ ، ١٩٧٩ .

وانـا وابي يـده بيدي
بـابـا يـذهب نحو العمـل وانا اذهب نحـو ألامل
مثل هذه الأصوات الجميلة المنسجمة مع الأيقاع في قصة (دوري مي)

دوري مي فاصولا سي حلـو منـظـر كراسي
كراسي معرض ألوان وطيـور مـن كل مكان
وزهور حول النـاس دوري مي فاصولا سي

دوري مي دوري مي أرسـم وجـهـك يـالمي
ارسـمـه قـمـراً أحلى أوبسـتـانـا او حقلا
وأردد ترليلا لا
دوري مي فاصولا سي حـلـو منظر كراسي

وقد سار عدد من الشعراء في هذا الأتجاه واستعانوا بالاصوات لاضفاء ايقاع مؤثر على موسيقى القصيدة، فقد استعان خالد يوسف بالاصوات لخلق جمالية خاصة لشعر الاطفال كما في قصائده الشعرية (داو دوري، تك تك تاك، شش شش شاء، اغنية النهار الجديد)

ولعل افضلها قصيدة تك تك تاك، التي أطلق اسم ديوانه باسمها لأنه فضلها على بقية قصائد الديوان كما يبدو:

تـك تـك تـاك تـك تـك تـاك
حط الطير على الشباك
وانـا عـنـدي ثـوب وردي
تـك تـك تاك وطني العربي ماأحلاك

ولجأ صلاح حسن الى استخدام الأصوات في قصائده الشعرية (الوطن الجميل، الراعي، لعبة القطار، حنجيلة كاف) واستخدم خالد يوسف في ديوانه الثاني (يحيا بلدي) الأصوات للاغناء الموسيقي كما في قصيدة (لغة العرب).

ولجأ حميد حسن جعفر الى الاسلوب ذاته في قصيدته الشعرية (البيت الأحلى) وحذا حذوه محمد جبار حسن في (بيت الشمس) وكذلك باسم المرعبي في (اغنية المدرسة)، ومثلها قصيدة (الدرس الأول) من ديوان لوحات، واهتم عبدالرزاق عبدالواحد، بالاصوات لاضفاء قوة التأثير الموسيقي كما في (الديك في السماء طار)، وقد وفق حميد قاسم في استخدامه للاصوات في (عراقنا، وتم تم تاك). التي امتازت بجمالية خاصه

يقول حميد قاسم في قصيدته الشعرية الأخيرة : تم تم تاك   تم تم تاك

الساعة فوق الشباك
وتثاءب عقربها الأول
سأنام قليلا لن اعمل
قال الثاني : لالا تفعل
لاتفعل ذلك اياك
قال الأول : سادور اذن بالمقلوب
واسير شمالا وجنوب
قال الثاني : مافائدة السير هناك
ماأحلى ان نبقى نمشي
ماأحلى ان ننشد دوما
تم تم تاك   الساعة فوق الشباك

ان تأثير الأصوات والايقاع الجميلين لايخفيان على احد ، وقد وفق الشاعر في المزج بين الموسيقى واخفاء الايقاع والاصوات على المعاني بعدا عميقا وكبيراً ، لها مغزاهما الكبير بالنسبة للاطفال وتشيع الزحافات في شعر الأطفال ، وقد نلمس مثل هذه الزحافات حتى بالنسبة لشعراء متمرسين مثل نبيل ياسين ، وليس عند الشعراء الجدد فقط والذين يمارسون كتابة الشعر للاطفال لأول مرة « بعد فاروق سلوم يمكن ان نذكر الشاعر نبيل ياسين فقد قدم قصائد كثيرة للاطفال ، فيها جهد طيب .. انه يضع افكاره الجميلة ولغته السلسة التي نجدها في شعره وتلك القوافي القلقة التي تتردد في قصائده ، ثم ذلك الأستخدام الضعيف للحروف ، مع انني ارى ان نبيل ياسين من اقدر الشعراء على تقديم شعر جميل للأطفال » (١) .

وقد حاول شعراء الأطفال كتابة قصائد حديثة للاطفال ، وتمتاز هذه القصائد بتلون إيقاعها المؤثر بالنسبة للاطفال ، كما في قصيدة المعمل ، التي يقول فيها نبيل ياسين .

في معمل النسيج
تبادل العمال
تحية الصباح

---

(١) المصدر السابق .

ودارت المكائن
دورتها، وابتدأ الضجيج
خيطا فخيطا ،صارت الخيوط
ملابسا زاهية الألوان والأشكال
للطفل للعامل للفلاح
للطالب المجد ، للمرأة ، للافراح
خيطا فخيطاً ، يصنع العمال
عالمنا البهيج

وقد اختاروا القوافي المتنوعة في القصيدة الواحدة لخلق التنوع بالنسبة للاطفال لأنهم يميلون الى مثل هذا التلون والتنوع ، والرجوع الى القصائد التي استشهدنا بها في هذا البحث يدل دلالة واضحة على ذلك ، دون حاجة الى ضرب المزيد من الأمثلة .

٢ — يلجأ شعراء الأطفال الى استخدام قاموس لغوي يناسب مدارك الأطفال ، والأهتمام بانسجام الكلمات في تجانس مهم بين اللفظ والمعنى ، ويحاولون ان يأتي اللفظ رقيقاً في المواقف الرقيقة،وان يكون قويا في المواقف الشديدة . بعيداً عن الحشو المخل ، او القصور الذي لا ينبغي بالمعنى ، بحيث يحمل المعنى افكاراً تمد الأطفال بالتجارب والخبرات وتجعلهم اكثر احساسا بالحياة مع وضوح الأفكار وتمكن الطفل من ادراكها كاشفة عن فكرة حياتية اواخلاقية مهذبة ،اومعرفة جديدة ، اوجانب من جوانب الطبيعة كما مر بناسابقاً وينصب الأهتمام على ان تكون لغة شعر الأطفال لغة عربية فصيحة بسيطة ، واذا وجدنا ان هذه الشروط متوفرة في شعر الأطفال في العراق ، فلا تعدم : بعض القصائد من الفاظ غريبة عن مدارك الأطفال « سيحبها بلبلاب واقفلها بنواره »(١) فاللبلاب والنوارة من الكلمات الغريبة على الأطفال والبعيدة عن مداركهم ، ونصبت ، للخيل شراكا » (٢) فالشراك كلمة غريبة على الأطفال وقليلة الأستعمال على الرغم مـن فصاحتها وايقاعها اللفظي الجميل.« وسار في الأنواء» (٣) فالانواء كلمة نادرة الأستعمال «وافرغ العبين» (٤) العب . كلمة ثقيلة ليس فيها ايقاع موسيقي جميل ، فكيف اذا ثنيت فإنها تزداد

(١) اغاني السندباد ص٧
(٢) حكايات من زمن الحرب ص؟٢
(٣) الفرح يطرق الا بواب
(٤) لوحات .

ثقلا ولاشك .

ويستعمل الشعراء الفاظا عامية على قلة ورودها في شعرهم مثل: « فتكثر المشاوير » (١) فالمشاوير ، كلمة عامية ، وغير عراقية بالأضافة الى ذلك ، ومثلها « يحمل في طريقه زوادة» (٢) فالزوادة ، هي كلمة عامية وغير عراقية ايضاً ، وقد يأتي التركيب كلــه عاميا مثل «خذنا ودينا جئناكم جينا »(٣) فهو على الرغم من ايقاعه الموسيقي السريع والأخاذ الا أن العامية أفسدته وهذا مايقرره بيان الصفدي بالنسبة لشعر فاروق سلوم على تميزه الواضح في شعر الأطفال « ملاحظتي على اشعاره تنحصر في ضيق القدرة اللغوية ، فالشاعر لايعنى بامتلاك أساس لغوي متين. يل يكتفي بما هو عليه. على عكس عبدالرزاق عبدالواحد اوالعيسى مثلا ولكنه مع ذلك يمتلك حسا شفافاً اكثر من غالبية من يكتبون للاطفال » (٤) وعلى الرغم مما في هذا الكلام من مبالغة ، الا اننّا وجدنا الحس الموسيقي والفني عند فاروق سلوم أقوى من الحس اللغوي ، وان الثروة اللغوية التي يستخدمها في شعر الأطفال محدودة . ولو تمكن من هذا الجانب لبقي أحد الشعراء المبرزين للاطفال في الوطن العربي .

وقد نجد بعض التراكيب القليلة الضعيفة التي استوجبتها الضرورة الشعرية ، حتى بالنسبة لشعراء مبرزين مثل . عبدالرزاق عبدالواحد في قوله « اركبي مظهري) (٥) . ونبيل ياسين في قوله من قصيدة الرافعات « صندوق مصابيح تشع الق» (٦) فالمفروض ، تشع القاً والألق لايشع ، وكقوله في قصيدة الجرس « ولكم عندي قمر اروع » (٧) ، فقد وردت حشوا زائداً لاضرورة لها وقد استوجبتها الضرورة الشعرية .

وقد يؤثر ضعف التراكيب على موسيقى القطعة الشعرية وايقاعها ، كما في (قطرة ماء) (٨) .

سقطت قطرة ماء فوق صخرة
انها تبحث عن نافذة يعبرها الماء
وضوء الشمس والريح

---

(١) الغيمة المنشدة

(٢) لوحات (٣) فراشات ونجوم (٤) بيان الصفدي ، م. س (٥) حالتان تحت المطر

(٦،٧) الوردة قالت للقمر (٧) قطرة ماء

لكن لم تجدها
انها تبحث عن جذر وعن قشرة بذره
لم لم أسقط على حبة رمل او تراب ؟
لم لم أسقط على حبة تلك الزهور
كانت القطرة تبكي وتدور وتفتش
فجأة اقبل طفل
قال للقطرة : هيا اقفزي
قفزت ، ثم استقرت في التراب
وهي تضحك ، وتصفق ، وتغني في مسرّة
ومضت تبحث عن جذر وعن قشرة بذرة .

ان المعنى الذي تحتويه القطعة جميل ، ومناسب لمدارك الأطفال ولاشك ولكن الألفاظ خانته مثل (يعبرها) فهي ثقيلة على السمع ، ولاتعطي معناها الدقيق ، ومع ذلك احتفظت الأبيات بموسيقاها الجميلة ، واذا بالأذن تصطدم بلفظه (لم يجدها) فيتوقف الأنسياب الموسيقي وتصدم الأذن ، ثم تأتي (قشرة) بذرة غير مناسبة تماما ، فالماء يبحث عن البذرة وليس عن قشرتها ويأتي الاستفهام (لم لم) وبعد الأمر مباشرة مع تشابه الرسم . فيزداد الثقل الموسيقي خاصة في البيت التالي عندما اصطدم بلفظة (حبة) التي ولدت زحافا فيه وفي الوقت الذي بدأ فيه الشاعر المقطع الثاني بداية جميلة وموحية بلفظة (فجأة) ، أثقل مقول القول بلفظة (اقفزي) التي كونت ثقلا جديداً ، واوقفت الأنسيابية الشعرية ولكنه تمكن بعد ذلك من تجاوز هذا الثقل في ابيات الختام .

ان اية لفظة لاتختار بدقة في مسار القصيدة تؤثر على جماليتها تأثيراً مباشراً وتضعف من وقعها وتأثيرها على الأطفال ، كما تؤثر بالتالي على وقعها الموسيقي وتسبب الزحافات الشعرية ، فالعلاقة بين اللفظة وايقاعها الداخلي ، وبين التركيب والموسيقى ، وثيقة جداً ينبغي ان ينتبه اليها شعراء الأطفال ، وان يراعوها مراعاة تامة .

٣ ــ اهتم شعراء الأطفال بالخيال المنشيء للمتلقين من الأطفال ، لأن الخيال ينقل الاطفال الى آفاق رحيبة ، واهتموا بان يكون هذا الخيال مرتبطاً بحواس الطفل وخياله المستند على تلك الحواس وان يرتبط الخيال بخبراتهم ومداركهم والصور الذهنية العامة مع توفر الجاذبية التي تدعو الأطفال الى التعاطف مع الأيقاعات والأفكار والأ نفعال ، من

خلال الحيوية التي يضيفها الشاعر والصور الحسية والذهنية التي يرسمها والصيغ الطلبيـة كالاستفهام والنداء التي يدخلها ، فتجعل الطفل منشدا الى القصيدة الشعرية .

يرتبط الخيال ارتباطاً وثيقا بالعاطفة ، والعواطف الحادة كالحزن والقلق واليأس والحب العنيف ، مضرة بالطفل ، والخيال المنبثق عنها لايفيده بشيء ، ومن هنا تجنب شعراء الأطفال مثل هذه العواطف ومايتنج عنها من خيالات ،لاتخدم الطفل في شيء، بل تضره ايما ضرر .

ولعبت الصورة الشعرية دورا مهماً في تجسيد الأخيلة الجميلة ، واضفاء رونـق جميل على القصيدة ولنورد مثلا من ديوان (نجمة الليالي) لعبد الرزاق الربيعي يتمثل فيه جمال الصورة الأدبية من خلال قصيدته (يانجمة الليالي) حيث يقول بشاعرية فياضـة وصور أدبية معبرة :

يانجمـة . تسكـن في الأعالي ترقـص في دلال

تـلـعـب فوق سطحنا وتـنـشـر اللآلي

يانجمة . ملأت من ضياءها سلالي

يانجمة الليالي

حـيـن تمريـن بنا تـمـهـلـي

فـبـابـنـا فتحته وبيتنا فرشته

والسلـم الطويل منـذ سـاعـة نظفته

لتنزلي ، وتشربي ، وتأكلي

ثم تعودين الى الأعالي

لتشرق الليالي .

قد ارتبطت الصورة الشعرية بالفلكلور ، والتراث الشعبي العربي ارتباطا وثيقاً ، وقد لمسنا استخداما جيداً للتراث الشعبي العربي في شعر الأطفال ، فقد استخدم حسن دكسن قصة الشاطر حسن في القصيدة الشعرية التي تحمل الأسم ذاته ، واستخدم اسطورة الحورية في قصيدة اخرى تحمل الاسم ذاته ، وكذلك رمز (عيشة) في القصيدة التي تحمل الأسم ذاته ، واستخدم صلاح حسن صورة شعبية في قصيدة « اطفال الحارة» واستخدم لعبة الحنجيلة في قصيدة (حنجيلة كاف) . واستخدم من حكاية السندباد في قصيدة (جدنا السندباد) من ديوان (أوحات) . وتمثل قصيدة سندباد نمطا جميلا في استخدام الفلكلور يقول حسن دكسن مستخدما رمز السندباد لاعطاء الصور الشعرية المناسبة ولتقديم صور شعرية معبرة

اليوم عاد سندباد
سفينة من الحكايات التي يحلم ان يسمعها الأولاد

لكن سندباد حين عاد حين رأى بغداد
تجمع كل زهوها لتدفع الأشرار
خبأ ماجاء به من قصص البحار
وقال : يا اولاد لست من الأبطال
مالم تكن لي قصة بجبهة القتال

فقد استخدم حكاية السندباد استخداما مناسبا لربط جبهة القتال بالحكاية وتقريبها من الأطفال

٤ — ان الشعر الغنائي هوالشعر السائد في شعر الأطفال في العراق ، الى جانب مسرحيات شعرية قليلة سنأتي على دراستها في الفصلين الخاصين بمسرحية الطفل والمسرحية التعليمية ، وقد لمسنا تعدد الأصوات في بعض القصائد الغنائية التي اخذت شكلا قصصياً مثل (تم تم تاك) من ديوان نسمة الصباح والتي اوردناها كاملة في دراستنا هذه ؛ و (وردتان) من ديوان نجمة الليالي ، (والشتاء ، النهار لنا ، الصديق ، الحياة) من ديوان الوردة قالت للقمر لنبيل ياسين ، ومن يمعن النظر في قصيدة (النهار لنا) على سبيل المثال لاالحصر ، يجد الحوار الجميل بين الليل والمتكلم بشكل متنام ، يصاعد حدثا حتى نهايته فالليل يقف على الباب ويهدد بالقدوم ، وهو هنا يرمز الى الظلام اوقوى الشر ولكن المتحدث لايخافه لأ نه يؤمن بالخير وبالعمل الجاد الذي يسابق فيه الزمن .

وقف الليل على الباب وقال :
انتهى الان النهار ، وانا الآ ن اجيء
قلت : لن تبقى طويلا ، سوف تمضي
ثم يأتي الفجر ، والصبح المضيء
قال : اني مظلم
قلت : اني لاأخافك
انت وقت ، فيه نوم هاديء ، اوحلم
قال : ... (لم يكمل فقد اسكته)
قلت : قد جاء النهار
سوف نمضي للحقول ، سوف نمضي للمدارس

سوف نمضي للمعامل ، ان انسان بلادي متفائل
انـه يعمل كي يبني الوطن
انه يعمل كي يسبق ساعات الزمن .

وقد وجدنا الى جانب هذا الشعر الحواري شعرا قصصيا ، حيث يشمل الديوان قصيدة واحدة ذات سمة قصصية ، واذا جاءت قصة : (البيت) الشعرية بسيطة مناسبة لمن هم في عمر البراعم ، و (حكاية تموز) لفاروق سلوم ايضاً بطيئة الحركة . جامدة الحدث ، أقرب الى السرد منها الى تفاعل الحدث . فان قصيدة (فصول) كانت أكثر تفاعلا باصواتها الأربعة التي شاركت في عرض الحدث في تباهي كل فصل من الفصول بتقديم خصائصه ومميزاته ، ولعل قصيدة (الذئب والحملان الثلاثة) القصصية لحاتم الصكر تعد افضل هذه القصائد . حيث تداخل الحدث وتشابكت العقدة حتى انتهت الى الأنفراج ، فبينما الراعي غائب اقتنص الذئب الفرصة للايقاع بالحملان الثلاثة واعدا اياهم بأنه سينقلهم الى ارض كثيرة العشب ، واذ استجاب احدهم الى وعود الذئب . خشي الثاني المصير بعد ان رأى انياب الذئب ، وتردد كثيرا وحذر صديقيه ومالبث الراعي ان عاد ، وعاد الحملان الثلاثة الى اهلهم وجماعتهم واسقط بيد الذئب وتبدأ القصة الشعرية بداية جميلة ، حيث يدخلنا الشاعر مباشرة الى عمق الحدث دون مقدمات طويلة : وجاءت كلمة الافتتاح مناسبة جداً مرحبا

هذا هو الصيد الثمين
سوف امضي به نحو البيت حالا
حيث لايزعجني راع ولاأخشى الكلاب

ويأتي تكرار لفظة (اتبعوني) مناسبة تماما لنفسية الذئب ونواياه السيئة تجاه الحملان الثلاثة

فاتبعوني
اتبعوني ايها الحملان : مااحلى السفر
للحقول الخضر في حضن النهر

ويأتي الاستفهام الاستنكاري مناسبا تماما لحالة الحملان النفسية الدافعة الى الشك من الذئب :

من يكون ؟
ذلك السيد ذو الأنياب

كي يأخذنا للحقل ، والماء الغزير ؟
والى اين سنمضي ؟

ويأتي استفهام الذئب معادلا موضوعيا لقضيته باسرها ، وموازيا لاستفهام الحملان واستنكارهم هل تسمي هذه الأحجار والشوك وطن ؟

ياصغيري انت واهم ؟

ويعيد تكرار ، فاتبعوني اتبعوني ، وعندما يعتذر حمل بعدم قدرته على المشي الطويل ، وبأنه ليس لديه جناحان يطير بهما ، يزين لهما الذئب جمال الحقل الذي سيأخذهم اليه وحفرة العشب فيه ، ولكن حملا آخر يفكر بطريقة ايجابية ويستنكر الرحيل على صديقيه : هكذا ؟

نرحل عن ارض رعتنا ، مع مخلوق غريب ؟
ذلك امر مزعج حقاً ، عجيب ، كيف لاتبصر أنيابا مخيفة
بين فكيه وراء الأبتسامة ،
فتريث كي ترى صدق نواياه
ولاتتعجل ، فتؤذيك الندامة
اوتنسى ماتوصي الأم دوماً ، عن نوايا الغرباء ؟
نحن لن نرحل – ياسيد للارض البعيدة
سوف نبقى

وقريباً يجلب الخير لنا فصل الشتاء .

لا تفيد محاولات الذئب في اقناع الحمل الذكي . لأنه سرعان مايرد عليه بقناعة تامة وحجة صادقة :

قالت الأم الحبيبة :
إن بعض العشب يغدو سيئا
حين يدعونا إليه الغرباء .

ولا يفيد ادعاء الذئب الصداقة للحملان ، إذ يجابهه الحملان بحجة أقوى بعد أن وعوا موقفهم .

ومتى كان الذئاب ، أصدقاء طيبين ؟
ولمن هذي المخالب ؟

أهي للتصفيق أم طرد الذباب ؟

وبعد نقاش ذكي وأخاذ ومتنام بين الحملان والذئب ، يعود الراعي ومعه كلبه الذي يخافه الذئب ، فيهرب ناجياً بنفسه ، بينما يناديه الحمل الذكي ساخراً في استفهامه منه :

أين تمضي ايها الذئب الغريب ؟

من سيرعى العشب في الحقل البعيد

وينهي الشاعر القصة ، بحديث واع للحمل الذكي يوجهه الى صديقيه الى كافة الصغار الذين لا يفرقون بين الخير والشر ، ويستهويهم الاشرار بما يزينونه لهم من كلام معسول ، وجاء تقرير الحمل بمثابة الحكمة التي تنتهي بها القصيدة الغنائية ولكنها اكثر تأثير لما فيها من تنامي الحدث وتصارع قوى الخير والشر حتى يتم النصر للأول على الثاني :

أعرفتم ياصغار

ماراد الذئب منا ؟

انه أوشك أن يأكلنا

ثم تبقى أمنا من بعدنا دون صغار

ومراعينا يطول العشب فيها ، ثم يذبل .

حسرة في الانتظار

وهكذا تنتهي هذه القصة الجميلة ، المفيدة والمؤثرة والتي راعى فيها الشاعر الجمالية الفنية الى جانب التعليمية الموحية ، وحسناً فعل في إعادة قصة الحمل والذئب الشائعة الانتشار في مجال الحكايات الشعبية للاطفال ، والتي رسخت في ضمير الشعب لكثرة تداولها عرضها بثوب جديد اكثر ايماءاً واجمل حواراً واشد نفعاً بالنسبة للمتلقين .

(٥)

إن الهدف من شعر الاطفال هو أن يخلف لدى المتلقين من الاطفال استجابة نفسية وذهنية كاملة . توسع مداركهم وتؤثر في وجدانهم وتقوّم من اخلاقهم وتكونهم تكويناً جديداً ، وتجعلهم يتذوقون الشعر ويشاركون الشاعر تجربته الشعرية بحيث تنتقل إليهم التجربة تامة بصورها الشعرية وموسيقاها وافكارها فتولد لديهم الى جانب المتعة الجمالية منفعة تعليمية وتدفعهم الى التأمل والتفكير .

يحدد ستانلي جاكسون التذوق بانه «إدراك قيمته إدراكاً يجعلنا نشعر به شعوراً شخصياً مباشراً ، وفي نفس الوقت نشعر حياله براحة وجدانية . تدفعنا الى تقديره وحبه والاندماج فيه بحرارة ، واذا كان التذوق امراً يغلب عليه الوجدان أو الانفعال ، فانه الى جانب ذلك ايضاً يتصل بالتفكير ويحتاج الى قدر من الفهم ، ولهذا تكون اكثر استعداداً لتذوق

الشيء اذا فهمنا معناه (١) . ومن هذا المنطلق ينبغي لشاعر الاطفال ان يستعمل الألفاظ القريبة من مداركهم وأن يبتعد عن استعمال الالفاظ الغريبة أو العامية ، أو التراكيب المعقدة أو الصور الشعرية المركبة لأ نها تكون بعيدة عن مدارك الاطفال .

وخير مثال نورده لشعر الاطفال قصيدة (القنفذ والشتاء) لفاروق سلوم والتي تمثل شعر الاطفال خير تمثيل : عطس القنفذ : هتشووو

والبطة قالت : أمشو ، البرد أتى . البرد أتى .

وطريق الدرس طويل .

ومشينا مثل الجند للدرس فيا للسعد

ولبسنا ضد البرد أصوافاً وسراويل

والقنفذ يلهو يلهو بالبرد وبالأمطار

فتعجبت الأطيار ، قالت :

من يتعدّ الحد سيصاب بضربة برد .

وسيعطس : هتشوو هتشوو .

لقد استعان فاروق سلوم بالبحور الخفيفة والقافية المنوعة لخلق التشويق لدى الاطفال ، واعتمد اساساً على الحيوانات المؤنسة (القنفذ ، البطة ، الطيور) لخلق الجو الكامل للأطفال وتوفير التشويق اللازم لهم من أجل المتابعة ، وجعل المتلقي الصغير ، الطرف الآخر من الحدث ليتفاعل مع الحيوانات المؤنسة من أجل ان يتلقى الفكرة بشكل كامل ، وأن يعتدل في اللعب اثناء البرد ، دون أن يخشى البرد او يؤخره عن عمله أو أداء واجبه .

وقد أعتمد الشاعر على أربعة انساق : القنفذ ، المصاب بالبرد والذي يعطس دائماً لانه لها في البرد والمطر . والبطة التي حذرت الاطفال من البرد ودعتهم الى السير في طريقهم الى الدرس ، والطيور التي تعجبت من لعب القنفذ في البرد والمطر واطلقت حكمتها ، وهي الهدف من القصة : إن من يكثر اللعب ويزيد عن الحد يصاب بالبرد والعطاس . والنسق الرابع ، هم الاطفال ، متلقو النصيحة ، الذين لم يتعدوا حدود المعقول في اللعب وما أن حان وقت الدرس حتى أسرعوا اليه فرحين بعد أن ارتدوا ملابس صوفية تقيهم البرد .

---

(١) ادب الاطفال ص ٢١٤

وتتداخل الانساق الأربعة فيما بينها لتعطي الحدث تصاعده ، ثم انفراجه على شكل المعنى الاجمالي المراد من القصيدة .

ولو نظرنا الى القصيدة باحثين عن البؤرة فيها لوجدناها في كلمة (هتشووو) الدالة على عطاس القنفذ والتي بدأت بها القصيدة ، كما انتهت بها ، والعطاس من علامات البرد والقصيدة تحذر من التمادي في اللعب في الجو البارد الممطر ، خشية الاصابة بالزكام .

وقد أجاد الشاعر باستعماله الأصوات كدلالة على الزكام ، فجاءت لفظة (هتشوو) مناسبة جداً وموحية : فهي في الأول ممتدة طويلة عندما عطس القنفذ دلالة على اصابته بزكام حاد لتماديه في اللعب في الجو البارد الممطر . وهي خفيفة وغير حادة في الأخير عندما وردت على السنة الطيور وانما تكررت مرتين علامة على بدء الاصابة بالزكام والتحذير من البرد خشية من الزكام اذا ما تمادي الاطفال في اللعب في مثل هذه الاجواء.

كما جاءت لفظة (أتشوا) مناسبة تماما لكلمة (هتشووو) فكلاهما اعطى دلالة الاستمرار الثانية دلالة على حالة الزكام المستمرة ، والأولى تحذير آمر للاطفال من قبل البطة كي لايصابون بالزكام لمجيء البرد . كما انسجمت جملة (البردأتي) المكررة مرتين لتأكيد التحذير منه ، وارتبط المشي بالطريق الطويل الذي يقود الى الدرس ، ثم يصف لنا الشاعر حالة مشي الأولاد الى الدرس ، وفرحتهم به ، ووقايتهم من البرد بارتداء الملابس الصوفية لقد اعطانا الشاعر في المقطع الثاني صورة للاعتدال والمثابرة والجد ، اجابة على تحذير البطة من البرد بعد ان سمعت عطاس القنفذ ، وجسّد الشاعر في المقطع الثالث حالة مناقضة لحالة الأطفال الجادة : حالة القنفذ الذي يلهو في الجو البارد الممطر ؛ وقد احسن الشاعر في وضع صورة الاطفال وهم في طريقهم الى الدرس بين حالتي القنفذ ، عطاسه وتحذير البطة من البرد . ولهوه في البرد والأمطار ، فقد جسدت هذه المقابلة عمق الصورتين .اللهو في البرد ، والالتزام بالدرس والاتقاء من البرد كما ولد هذا التسلسل انسجاما في بناء القصيدة بايجاد العلاقة السببية : بين السبب والنتيجة ؛ ليأتي التحذير بعد ذلك على لسان الطيور ، وهو الهدف النهائي من القصيدة وهكذا تمكن الشاعر من توظيف الأصوات الألفاظ والرموز توظيفاً جيداً للوصول الى الأنطباع النهائي في قصيدته ، عن طريق التشويق،وخلق التذوق لدى الأطفال باستخدام الحيوانات المحببة لديهم: وتجسيده للمعنى في لوحات اربع جميلة مؤثرة في نفسية الطفل، مع ايجاد علاقة سببية بين هذه اللوحات من جهة وبناء القصيدة بناء محكما من ناحية اخرى، واستخدام الكلمات والاصوات القريبة

من الطفل والمتداولة في الاستعمال من جهة ثالثة،واستخدام الموسيقى الخفيفة والايقاع المتنوع من جهة رابعة ، كل ذلك يخلق التذوق للاطفال اذ ماقرأ وامثل هذه القصيدة الجميلة والمفيدة ، كما ان اختياره للحيوانات الثلاثة جاء مناسبا لطبيعتها التي وضعت فيه في داخل حدث القصيدة ، فالقنفذ شديد العبث وكثير الحركة . والبطة ثرثارة تتحدث كثيراً ، والطيور علمها التحليق في الأعالي المحكمة . هذا بالاضافة الى استخدامه للمواد بين الشخصيات الاربع التي تحاورت فيما بينها لتنمي الحدث وتوصله الى النهاية المرجوة له ، وهكذا ساعد الحوار واللوحات الأربع على اعطاء القصيدة سمة حكائية قربتها من القصيدة القصصية ، فساعدت الحكائية على تشويق الأطفال لخلق الاثر النهائي .

واذا ماحاولنا ان نحصي الافعال والاسماء للاستدلال منها على الحركة والسكون : الفعل ، والثبوت ، نجد تقرير الحالة هو السائد في المقطع الأول في عطاس القنفذ : وحديث البطة عن البرد الاتي فالافعال خمسة والاسماء ثمانية ، وبقيت الحالة تقريرية في المقطع الثاني عندما تحدث الاطفال عن جدهم في المدرسة فقد اصبحت الافعال ثلاثة والاسماء سبعة. امافي المقطع الرابع فقد تغلبت الحركة على التقرير لخلق التشويق والتذوق والأنفعال لدى الاطفال،لتقبل الأنطباع النهائي من قبل الأطفال للقصيدة فجاءت الافعال خمسة والاسماء اربعة ، وزاد عدد الحروف الى ستة لخلق الترابط بين الأفكار بينما لم تتعد الحروف اربعة في المقطعين الثالث والثاني ، ولم تتجاوز الحرفين في المقطع الأول.

ولماكانت المحسنات اللفظية والمعنوية بعيدة عن مدارك الأطفال فلم نجد غير تشبيه واحد قريب من مدارك الأطفال : (ومشينا مثل الجند) وحقق التكرار للتوكد جناسا في (البرد أتى البرد أتى) ، (يلهو يلهو) وتكرر الجناس في لفظه (برد) اربع مرات وفي (هتشو) ثلاث مرات لانهما بؤرة القصيدة ، واوجد الشاعر جناسا ناقصا جميلا بين لفظتي (هتشو وامشوا) وبين (الامطار والأطيار) فالمشي في البرد يسبب الزكام في الجناس الأول ، والأطيار اسبق من الانسان في الشعور بسقوط المطر . وهذا الربط في الجناسين الناقصين حقق الترابط في ذهن الطفل بين حالات متشابهة في الألفاظ يساعده على اثراء ملكاته اللغوية ومثل ذلك الجناس بين (عطس) الأولى و(يعطس) الإخيرة فقد ولدت لديه معرفة بالفرق بين الفعل الماضي والفعل المضارع ، من دون معرفة بالقواعد النحوية العامة ، وانما بمجرد المقارنة .

وجاءت الجمل كلها خبرية فيما عدا جملتين انشائيتين (امشوا) الامرية ، والتعجب في جملة (فيا للسعد) مناسباً تماما للحالة التي كان عليها الاطفال من السعادة في جدهم واجتهادهم .

الخاتمة :

لانجد في الشعر العربي القديم دلالة واضحة تشير الى وجود شعر الأطفال ، ويعد احمد شوقي في العصر الحديث من رواد شعر الأطفال فقد نظم ثلاثين قصة شعرية على ألسنة الحيوان حاكى فيها الشاعر الفرنسي لافونتين الذي تخصص في هذا الأتجاه .

وازدهر شعر الاطفال في العراق بعد ثورة ١٧ تموز مع صدور مجلتي والمزمار وازدهر في الفترة مابين عامي ١٩٧٥ — ١٩٧٩ ، واسهم شعراء معروفون في شعر الأطفال في العراق مثل عبدالرزاق عبدالواحد ونبيل ياسين وفاروق سلوم وغيرهم .

واذا حاولنا ان نعدد الموضوعات التي تناولها شعر الأطفال في العراق فاننا نجد الاهتمام بالطبيعة يحتل المكان الأول ، وتحتل الحيوانات مكانة مهمة في شعر الأطفال لانها مكملة للطبيعة ومثيرة لهم في خلقها وتكوينها ، كما تمثل الالفة والبراءة فينسجم معها الاطفال ويأنسون بها .

وتحتل القصائد الشعرية الوطنية والقومية مكانة مهمة في شعر الأطفال وتأتي منسجمة مع الطابع الأنفعالي والحماسي للاطفال ، ويبرز الوجه التعليمي في شعر الأطفال في العراق ويمثل ظاهرة بارزة ، وهو ضرورة ملحة بالنسبة لتعليم الأطفال ، وتوسيع مداركهم لأنه سريع الحفظ وسريع التأثير بايقاعه المنسجم وغنائئته المحببة ، وصوره الجميلة ، والفاظه التي سرعان ماتعلق في الذهن .

ويعنى شعر الأطفال في العراق عناية فائقة بالموسيقى والايقاع ولاسيما الأوزان الخفيفة لأ نها اشد تأثيراً وتقبلا من قبل الأطفال ، وكثيراً ماتوحي الموسيقى بمعان تتجاوز المعنى الذي تدل عليه الفاظ ، ولاتنصب الغاية على الموسيقى الخارجية فقط بل تتجاوزها الى الموسيقى الداخلية : ويلجأ شعراء الأطفال الى استخدام قاموس لغوي يناسب مدارك الاطفال مع اهتمام بانسجام الكلمات في تجانس مهم بين اللفظ والمعنى ، ويحاولون ان يأتي اللفظ رقيقاً في المواقف الرقيقة . وان يكون قوياً في المواقف الشديدة ، بعيداً عن الحشو المخل اوالقصور الذي لايفي بالمعنى ، بحيث يحمل المعنى افكارا ، تمد الأطفال بالتجارب والخبرات وتجعلهم اكثر احساسا بالحياة مع وضوح الأفكار وتمكن الطفل من ادراكها ، كاشفة عن فكرة حياتية واخلاقية مهذبة ، اومعرفة جديدة ، وينصب الاهتمام على ان تكون لغة شعر الأطفال لغة عربية فصيحة بسيطة . واهتم شعراء الأطفال بالخيال المنشيء للمتلقين من الاطفال . لان الخيال ينقل الأطفال الى آفاق رحيبة ، واهتموا بان يكون الخيال مرتبطاً بالحواس والمدارك والصور الذهنية العامة هذا فضلا عن التعاطف مع الايقاعات والصيغ الطلبية كالاستفهام والنداء التي يدخلها فتجعل الطفل منشداً الى القصيدة الشعرية وقد ارتبطت الصورة الشعرية بالتراث الشعبي والفلكلور ، ومن القصائد مااتخذ شكلا قصصيا حيث يضم الديوان قصة شعرية واحدة.

فهرست المصادر والمراجع

المصادر :

- اغاني للحصان ، فاروق سلوم ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال ، بغداد ، ١٩٨٢ .
- اغاني السندباد ، حسن دكسن ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال ،بغداد
- البيت ، فاروق سلوم ، سلسلة البراعم الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- تك تك تاك ، خالد يوسف ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائر ثقافة الأطفال ، ١٩٨٣ .
- حالتان تحت المطر ، عبدالرزاق عبدالواحد ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل دائرة ثقافة الاطفال ، بغداد ،بلا .
- حكايات من زمن الحرب ، عيسى اسماعيل ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال ، بغداد ١٩٨١ .
- حكاية تموز ، فاروق سلوم ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الاطفال ، بغداد ١٩٨٠ .
- خمائل ، صلاح حسن ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الاطفال بغداد ، ١٩٧٨ .
- الذئب والحملان الثلاثة . حاتم الصكر السلسلة الشعرية ، مكتبة الاطفال ، دائرة ثقافة الاطفال ، بغداد . ١٩٨٤ .
- فراشات ونجوم ، فاروق سلوم . السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال ، بغداد ١٩٨٣ .
- الغيمة المنشدة ، عبدالرزاق عبدالواحد ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الطفل ، بغداد ، بلا
- الفراشات الهاربة ، محمد جبار حسن،السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال ، بغداد بلا

- الفرح يطرق الأبواب ، حسن عبدالحميد ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال ، بغداد ،
- فصول : فاروق سلوم ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الاطفال ، بغداد ١٩٨٠
- قطرة ، ماء ، حميد حسن جعفر ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائره ثقافة الاطفال ، بغداد ١٩٨٥ ، .
- اوحات ، بيان الصفدي ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال بغداد ، ١٩٨٤
- ملون مثل قوز قزح ، منى سعيد ، ترجمة ، السلسلة الشعرية مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الاطفال ، بغداد
- مهرجان ، باسم المرعبي . السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- نجمة الليالي ، عبدالرزاق الربيعي السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال ، بغداد ١٩٨٦ .
- نسمة الصباح ، حميد قاسم ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائر ثقافة الأطفال بغداد ، ١٩٨٢
- الوردة قالت للقمر ، نبيل ياسين ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الاطفال ، بغداد ، ١٩٨٢ .
- وطن جميل ، عبدالرزاق ، جبار الربيعي ، السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الاطفال ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- يحيا بلدي ، خالد يوسف . السلسلة الشعرية ، مكتبة الطفل ، دائرة ثقافة الأطفال بغداد ، ١٩٨٤ .

المراجع :

- أداب العرب ، ابراهيم بك العرب . مكتبة بولاق ، القاهرة ، ١٩١١ .
- أداب الاطفال ، فلسفته وفنونه ووسائطه . هادي نعمان الهيتي ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٧٨
- اغاني ترقيص الاطفال عند العرب ، احمد ابو سعيد ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٤ .
- تطريب العندليب ، جبران النحاس ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- الشعر للاطفال التربية ، والفن ، فاروق سلوم ، مجلة الكاتب العربي ، العدد ١٨ ، ١٩٨٧ ، بغداد .
- صحافة الاطفال في نشأتها وتطورها ، هادي نعمان الهيتي ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد .
- العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ ، محمد عثمان جلال ، بلا ، القاهرة ، ١٣١٣هـ
- فاروق سلوم ، قصتي مع شعر الأطفال ، طلال حسن ، مجلة الجامعة ، العدد ٣ ١٩٧٩ .

قصيدة الطفل ، بيان الصفدي ، مجلة الاقلام ، العدد ٣ ، ١٩٧٩ ، بغداد لقاءمع سليمان العيسى ، الموقف الأدبي ، العدد ١١ ، ١٩٧٤ ، سوريا ، مختارات من شعر شوقي في الحيوان ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة . ١٩٤٩ .

الصوفية والجدل في قصائد الموت لديلان توماس

ازهر سليمان صالح
كلية الآداب – جامعة الموصل

تعرض كثير من نقاد الادب وكاتبوه لشعر ديلان توماس بالنقد والتمحيص حتى ليخاله المرء انه صار لغزاً يصعب ايجاد حل اوطريق واضح لفهمه .فمنهم من عده الشاعر الاسطورة ورائداً ابداعيا في استنباط اسلوب متميز في الشعر الأنكليزي الحديث . (١) ومنهم من يهاجمه بعنف متهما اياه بعدم الالمام بصنعته الشعرية وانه شاعر مهووس بمواضيع مكرورة كالولادة والجنس والموت ووهو شاعر – كما يقول جفري كريكسون – استحوذت عليه الصور الشعرية المشوشة والتراكيب المهزوزة والأيقاعات التي تتداعى الى نثر متنافر ومفكك (٢). ويبقى اسوأ من هاجم ديلان توماس وعنفه على غموضه واسلوبه في كتابة الشعر هو مجلة scrutiny

ان غموض شعر ديلان توماس يتأتى في الواقع من مصدرين اساسيين هما اولا : استخداماته المعقدة للرموز الشعرية ذات الايحاءات العالية مماقد يشتت ذهن القارىء واحيانا يتعبه حتى وان كان هذا القارىء من المتمرسين بقراءة الشعر الحديث . ثانيا : ، التكثيف في بناء الصور الشعرية مستخدما لغة قد توصف احيانا بانها لغة صوفية ملغزة واتباعه سياقا جدليا في عرض تلك الصور كما سيجري بحثه .

ولاأعتقد بأن النقطتين الانفتي الذكر تمثلان عيباً مشينا في اسلوب الشاعر يستحق بسببه التأنيب والتعنيف – اللهم الا اذا استثنينا المفاهيم النقدية التقليدية والمتزمتة – بقدر ما تعبران عن اصالة تجذرت في نفس الشاعر فانطبعت في صنعته الشعرية ولاسيما في تراكيبه اللغوية والمجازية . ولذا فمن العسير فهم واستيعاب الصورة الشعرية اوالرمزية

عند ديلان توماس بمعزل عن لغته فاللغة الشعرية والصورة الشعرية والرمز جميعاً في الواقع تركيب واحد لايمكن فصل اجزاؤه . فهو يختار التجربة الشعرية ليعبر عنها بلغة مجازية تحتشد فيها الصور الشعرية ايما احتشاد حتى تصل ذروتها الشعرية بشكل رمزي

ان مواضيع الولادة والموت ليست بالمواضيع البكر في الأدب الأنجليزي . فقد تطرق اليهما كثير من الشعراء معتمدين استخدامات رمزية واسطورية مختلفة. ولم يخالف شاعرنا ديلان توماس اسلافه في تبني هذا النهج . فالنشؤ والموت لديه عنصران مهمان للتوحد مع الانسان الطبيعة لكنه خالفهم في اتباع اسلوب شعري متميز للتعبير عن احاسيسه الذاتية باستخدامه تركيبات وصوراً رمزية معقدة حد الأفراط كما اسلفنا فلأرض اليباب لاليوت؛ مثلا ، وبرغم حشدها الكثيف من رمز واسطورة تبقى القصيدة في مدى استيعاب القاريء المثقف بالرجوع الى اصل الأسطورة لحل طلسم الرمز . اما قصائد ديلان توماس الأثنتان والتسعون فتبقى موضوعاً للذهنية التحليلية النقدية وللعين المتبصرة وللاذن التي ارهفها الشعر وموسيقاه ، فهي قصائد مركبة من الجو السريالي ومايضمه من عوالم اللاوعي والحلم والمسحة والرومانسية يشدها الحنين الى الطبيعة والى العودة الدائمة والمتلهفة الى الام والى الأصل .

ان موضوع قصيدة توماس (رفض للبكاء) هو احتفال الشاعر بموت طفلة من اطفال لندن حرقا في احدى الغارات الجوية ، وليس احتفاله بالطبع تشفياً ساديا بل هو احتفال كبير بالعودة الى الطبيعة :

روعة ذاك الموت
حين يشد اليه الطفلة حرقاً
لن اغتال رحيلك

او اجدف عبر مراحل النفس
بمرثاه اخرى
كي اندب فيك ملاكا وشبابا غضاً
في الدرك الاسفل ترقد طفلة لندن
مسربلة بالصحب الطوال
وبحبات لاتمسها شيخوخة
بعروق امها الداكنة ،

كسر ملقى جنب ضفاف التميز
مياه تعدو
لاتعرف طعم الحزن
لاموت يعقب ذاك الموت الأول (٣)

ان احتضان الموت للطفلة الحبيبة برغم عذابات الحرق هو روعه الموت عند ديلان توماس فهي المسيح الذي يتعذب في الأرض عبر مراحل الصلب لكنه من خلال عذابه يفدى البشر . كذلك فان دورة الكون تكتمل حينما يتسربل جسد الفتاة بالدود (الأصدقاء) في لحدها .والدود ليس بالمتقزز عند توماس بل هو عامل اساسي لتوحيد الأنسان مع الطبيعة فهي تعمل بكل دأب واخلاص لتوحيد الجسد مع عروق الأم الرؤوم ، فتتوهج هذه الأمنية لدى الشاعر لتصير حلماً وليس موضوعاً للرثاء ، حلماً ابديا ينسل في شرايينه وهنا يكمن الغموض .تلتحم الصورة الشعرية في استقبال الموت بروعته وصلب المسيح مع رمز (الصحب الطوال) حيث يصل التعقيد ذروته حين يقترن (الدرك الأسفل) ، بالصحب الطوال ليوحي بعالم لاتمسه شيخوخة ، العالم الأبدي الذي لايعرف الحزن ولا للموت معنى ،وفي الواقع ان الربط الجدلي بين عمل الدود في جسد الأنسان هو صراع لمتناقضين اثنين يقود الروح الى التوحد مع الطبيعة كما اسلفنا فتكتمل الدورة من جديد: الطفولة الموت والولادة أوربما اسميها بالبعث Resurrection

ان الرمز عند ديلان توماس ليس احادياً اومحدودا . فهو يرتبط ارتباطا معقداً جدا بسلسلة من الصور الشعرية المجازية والرموز المتعاقبة التي لاتتيح للقاريء محطة استراحة للتأمل والتفكير . ان هذا النمط من الاسلوب ليس عفوياً بل هـو اسلوب فني متعمد . يقول الناقد كارل شيباروان ديلان توماس يمتلكه الرعب من البساطة في الأسلوب وقد حاول دائماً جعل قصائده مستغلقة الفهم عن القارىء (٤) واذا ما اخذنا بنظر الأعتبار الصراع الجدلي في قصيدة (رفض للبكاء) فبامكاننا اعادة التركيب الرمزي للقصيدة بالشكل المبسط الاتي : « لامبرر للحزن والبكاء فالصلب والحرق يمنحان حياة جديدة بالعودة الى الأصل عن طريق الموت ، فالموت ووسائله ليس عملا يشمئز منه الشاعر ونهر التيمز هو رمز لاستمرارية المياه وتدفقها . فهو لن يتوقف بموت الطفلة ولن يمزق ضفافه حزناً وقهراً بل سيظل كما كان منساباً ليحط رحاله في المحيط اللامحدود » ان هذا الصراع الجدلي يحمل تجربة صوفية تعبر عنها لغة ايحائية مثل « اجدف عبر مراحل النفس » او « لاموت يعقب ذاك الموت الأول»كايحاء للحياة الأزلية مابعد الموت

ان التجربة الصوفية التي تسود قصائد ديلان توماس تتطلب لزاما برقعاً من الغموض ، ولتحقيق هذا الهدف يمزج الشاعر بين صوته والوضع المأساوي للطفلة المحترقة الى الحد الذي يرحي للقاريء بان القصيدة تعالج مأساة توماس ذاته وليس تلك الطفلة . ويناقش الناقد اولسن هذه المسألة مقارنا اياها بقصيدة ليسداس للشاعر الانكليزي جون ملتون فيقول : ان قصيدة (رفض البكاء) تعبر تحديداً عن مأساة توماس وليس عن طفلة لندنية كما هي الحال في قصيدة الليسداس التي هي تعبير عن معاناة الشاب جون ملتون اساسا وان موضوعها الذي يدور حول ادوارد كنك الغريق ليس الا أمراً مزعوماً وظاهرياً لمأساة حقيقية في اغوار الشاعر(٥) ان تقمص للشاعر اواستعارته لمأساة ما لغرض التعبير عن مكنوناته ليس خطلا شعرياً اواخلاقياً بقدر ماهو اصالة بحق اذا ماستطاع الشاعر ان يوظفها لهذا الغرض . غير انها تبقى وسيلة من الوسائل التي تساعد في خلق اجواء من الغموض الذي يسعى اليه ديلان توماس .فحينما يبحث القاريء عن صوت الشاعر ومأساته من خلال الطفلة يكون هو ذاته قد ابتلعته متاهات المجازات الشعرية ورموزها بحثاً عن بصيص النور في نهاية الأمر . ان هذا الألتحام والتفاعل الرائع بين الشاعر والمأساة والقاريء هو قمة اعادة تركيب التجربة الشعورية في ذات القاريء . ان ولوج عوالم الموت واعطاؤها بعداً فلسفياً وامتداحها كاسمى مافي المعرفة الشعرية من صفات الرمزيين والبوهيميين على حد سواء فالبوهيميون والرمزيون ليسوا ابدا بعيدين عن بعضهم البعض (٦) وتتبين لنا نضوج فكرة ديلان توماس عن الموت من خلا ل القصيدة في عيد ميلاد الشاعر حينما بلغ الخامسة والثلاثين اذ يقول :

كلما اقتربت من الموت
رجلا واحداً من خلال هياكله الممزقة
ازداد تفتح الشمس صخباً
وصاح البحر من فرح بأنيابه وهوجائه
وكل موجة على الطريق
وكل زوبعة اداريها ، والدنيا جميعاً
بايمان يزيد انتصارا
عما قيل عنها منذ الأبد
تغزل صباحات الحمد والتسبيح

ان مفهوم الشاعر للموت في هذه القصيدة مختلف ايضاً عن كل المفاهيم التقليدية المعروفة . فهو برغم حياته البوهيمية الصاخبة واللامبالية أنه يؤمن وبشكل غريب بعالم الخلود حيث ترقد (صباحات الحمد والتسبيح) ، وان الموت هو انتصار على الحياة الدينوية المؤقتة . ومن خلال هياكل الموت الممزقة يلوح للمرء تفتح الشمس الصاخب كايحاء للحقيقة العنفوان . انه الصراع الأبدي والجدلي بين الرغبة في الحياة وقدوم الموت الحتمي وكل مافي الطبيعة يسير الى حتفه لكن الله يحول الموت الى لذة منشودة في العالم العلوي حيث يصبح الشاعر واحدة من تلك المخلوقات الشفافة . ومما يزيد في ابهام الصورة الشعرية عند توماس هو التناقض الصارخ بين تفاصيل حياته العادية وبين تجربته الشعرية . ان طرح مفهوم الموت بهذه الصيغة لايعني ان شاعرنا رجل متدين اذا مافهمنا حياة الويلزي الحقيقية . يقول روبرت لويل ، معلقاً على هذه النقطة الحيوية في شعر ديلان توماس ، ان زيارة الكنيسة ايام الآحاد هو امر اعتيادي وتقليدي كالذهاب الى النادي تماما لدى ابناء ويلز ، وتوماس واحد منهم . وذخيرته من الرموز المسيحية مستمدة من الأنجيل بشكل تلقائي ومتراكم . (٧) فهو ربط جدلي بين واقع يعيش للشاعر وبين رؤية شعرية تجسدت في خياله . وعودة الى البدء فتوماس يتعامل مع التجربة الذاتية والتي تتمثل في صورة شعرية اورمز ككيان عام وليس نمطا من الصور المجازية المتناغمة المترابطة مما يزيد في الأبهام الشعري في قصائده . فالصور الشعرية لديه تتدفق كما يقول الناقد جون اكرمان ، وتتغير باستمرار بتغير نقائضها (٨) . وهذا هو محصلة معتقدات الشاعر في الحياة والطبيعة والتي انعكست في تقنياته الفنيه والشعرية . ويؤكد ديلان توماس نفسه هذه الحقيقية بقوله : ان القصيدة تحتاج الى حشد من الصور الشعرية وإن كل صورة شعرية تحمل بذرة دمارها وان بناء النظرية الجدلية لديه يعتمد على البذرة الاساسية والتي تحمل عنصري الهدم والبناء في وقت واحد .

فالصورة الشعرية تولد لتموت عند بدء صورة أخرى وهكذا تستمر السلسلة بشكل : خلق — اعادة خلق — تناقض (٩) ولو تأملنا في قصيدته الموسومة ب(اشحذ الخطو حثيثاً مادام الأبد) .

"I Advance for as long as Forever Is"

لوجدناها مثالا عملياً لما اسلفنا .

اربعة وعشرون عاما تذكر دموع عيني

ادفنوا الموتى لئلا يمشوا الى اللحد متعبين

وفي حنية الباب الطبيعية انحنيت مثل خياط
يخيط كفناً لرحلته في ضوء الشمس أكله الجسد
وارتديت لباس الموت وابتدا اختيال الشبق

وعروقي الحمراء مترعة بالنقود
في الوجهة الاخيرة من المدينة الاولى
واني اشحذ الخطو حثيثاً مادام الابد

يستهل ديلان توماس البيت الاول من القصيدة بنبرة رومانسية تبدو حزينة الى حد ما أربعة وعشرون عاماً تموج في القلب لتثير مافيه من خزين الالم. لكن الحقيقة لاتكمن في هذه الخدعة الرومانسية الصغيرة كما ان الشاعر لايقف عندها ليبدأ تداعيات رومانسية تثير الشجن كما يفعل شعراء هذه المدرسة عادة. يبدأ البيت الثاني بقفزة لمعالجة مسألة الموت والموتى .فالموتى هنا هم من نمط معين، هم يسيرون الى لحودهم حثيثاً . وتضيف صيغة الامر (ادفنوا) الزاماً لعملية الدفن. فأن لم يتم الدفن لصار الموتى متعبين ،وان تعبوا استلت منهم نكهة الموت. والموت عند ديلان توماس هو الالتحام بالاصل لتبدأ الدورة من جديد وروعة الصورة الشعرية هنا تكمن إمكانية احساس الموتى بالتعب .هم يشعرون فهم اذن موجودون، متلهفون للعودة الى الاصل كما المسح وكما الطفلة اللندنية تحن للام الرؤوم (الارض) برغم كل العذابات . وينتقل الشاعر الى الصورة الثالثة والرائعة (حنية الباب الطبيعية) .ويتكور الجنين في رحم امه شهوراً ليخرج الى العالم الذي تغرقه الشمس ويملؤه الضوء. لكن الصورة هنا معكوسة تماماً . فهي عودة الى رحم الارض من خلال الباب حنية الطبيعية وهي (القبر). ويصور الشاعر الشمس هنا كما صور الدود في قصيدة (رفض البكاء) .فهي عامل مساعد مهم لتفسيخ اجساد الموتى ولتعجيل توحدها مع الطبيعة. فهي ليست شمساً لاهبة وقاتلة، كما انها لاتثير عند الانسان الاحساس بالعطش والجفاف بل هي جزء اساسي لتحقيق الوجود الثاني. ويستمر الشاعر في تجسيد فكرته حثيثاً ليقول إن الانسان يولد وهو يخيط كفنه في الحياة (في ضوء الشمس) رغم ان شرايينه مترعة بالدم وبالحياة. وسيحل هذا الكائن الدنيوي نزيلا في خندق الموت لكنه لن ينتهي ابداً، فهو يشحذ الخطو حثيثاً مادام هنالك وجود أيدي لايفنى ولايشيخ .

ان الصور الشعرية الانفة الذكر وقد صور الشاعر بها سيرة الانسان منذ مغادرته رحم امه الى ولوجه رحم الارض تمثل تدفقاً شعرياً مثيراً . وتعتمد هذه التقنية على

المعادلة الجدلية التي تطرقنا اليها سابقاً .فالصورة الرومانسية في البيت الاول تنتهي تماماً بأخر كلمة لتبدأ صورة فلسفية مختلفة وقد تدخل في صراع جدلي معها.فقد يتمثل اسف الشاعر في عيد ميلاده الرابع والعشرين بدموعه التي يذرفها على عمر انقضى . ويبدأ البيت الثاني بفكرة مغايرة– رغم ان البيت الاول قد مهد لها– هي فكرة دفن الموتى ووضعهم في مكانهم الطبيعي.ان التناقض الجدلي واضح تماماً بين فكرة الاسف والموقف الاحتفالي بالموت للقصيدة ككل .ومن خلال هذا التناقض بين الفكرتين تولد الفكرة الاساسية الا وهي التوحد مع الطبيعة .وقد صاغ ديلان توماس هذه الفكرة بشكل صوفي رائع في البيت الاخير من القصيدة .

ان لشعر ديلان توماس تأجج فطري في اعماق الشاعر الانسان الذي تحيطه هاله من العوالم الصوفية النقية المترعة بتسابيح الحمد الالهية. ان ايمان توماس الشاعر بالموت كحاله محتومة للبشر تقوده الى الانصياع لناموس الطبيعة الذي شكله لنفسه ، قانون التوحد المحتوم. فالموتى لابد لهم من عودة الى الاصل المظلم في رحم الطبيعة (١٠). ان من واجب هذه الفلسفة المعقدة ان تتقمص لغة مجازية بالغة التعقيد في صورها الشعرية لكي تكتمل فالاستعارة والتشبيه لدى الشاعر ، على سبيل المثال ، لاتعتمدان على تلك التقنية المباشرة التي نجدها عند الشعراء الاخرين ،اي ان توماس لايتعامل معها على انها اساليب وصيغ فنية بحتة بل هي وسائل فنية لتحقيق هدف أو فكرة فلسفية عن طريق خلق صراع وتناقض بين الاضداد. ولكي نكون أكثر دقة فأن هذه التقنية قد تجدها في اغلب قصائد الموت لديلان توماس ولكن ليس فيها جميعاً .ولكن هذا لاينفي اطلاقاً اعتبار الظاهرة الصوفية الجدلية ميزة أساسية في شعره

NOTES

1. T.H. Jones, *Dylan Thomas* (Edinburgh: Oliver & Boyed, 1963), p. 1.
2. E.W. Tedlock, *Dylan Thomas: The Legend and the Poet* (London: Heinemann, 1963), p. 160.
3. The English title of this poem is "Refusal to Mourn the Death, by Fire, of a child in London." The translation is my own.
4. See Tedlock, p. 274.
5. See Jones, p. 61.
6. Tedlock, p. 271.
7. See Louis Simpson, *Studies of Dylan Thomas, Allen Ginsberg and Sylvia Plath* (London: The Macmillan Press, 1978) p. 24.
8. Jone Ackerman, *Dylan Thomas: His Life & work* (London: Oxford University Press, 1964), pp. 53-54.
9. Ibid.
10. William Tindal, *Dylan Thomas*(New York: The Noonaday Press, 1973), p. 182.

مدخل مزاركف (بنجة) الامام علي في الموصل
(دراسة وتحقيق)

د. احمد قاسم الجمعة
كلية الاداب — جامعة الموصل

تعد الموصل من المدن والمواقع المهمة التي رفدت الحضارة الأنسانية منذ القدم ، وازدادت أهميتها وعطاؤها الحضاري خلال العصور العربية الأسلامية ، لاسيما في مجال العمارة والفنون .

فقد امتازت الموصل بتصاميم وعناصر عمارية مميزة كانت نتيجة تراكمات حضارية لبّت متطلبات الأنسان السكنية والخدمية عبر الأجيال، وكان لها تأثير كبير على ماينا ظرها من التصاميم والعناصر المماثلة من محلية وعربية واجنبية .

ويتضمن البحث دراسة عنصر من عناصرها المعمارية الأثرية المتبقي من احد مباني المدينة التي طواها النسيان وهو مدخل مزار كف (بنجة)(١) الامام علي في الموصل المعروض حاليا في متحفها الحضاري تحت رقم ٢٠٠ آ—ع .

وتتجلى أهمية دراسة هذا المدخل في كونه يطرق لاول مرة حيث لم يدرس في السابق ماعدا اشارة الى نصوصه الكتابية (٢) . كما ان المدخل قد فقد بعض أجزائه (رسم١)،او (صورة١)مما يستدعي عدم الأقتصار على دراسة هيئته الحالية وانما احداث دراسة تحليلية وتحقيقية لتصميمة وعناصره المعمارية والفنية لرسم الهيئة الأصلية التي كان عليها في عهد بنائه الأول ، كما تتضح اهمية هذه الدراسة في التعرف على اثر من اثارنا المائلة بمتاحفنا التي يجب عدم اقتصار الأمر على جمعها وعرضها في المتاحف او خزنها وانما استنطاقها باعتبارها تمثل جهداً حضارياً في مجال العمارة والفنون لامتنا عبر مسيرتها الحضارية الطويلة .

ولابد من التنويه ولو بايجاز عن مبنى المزار الذي كان يضم المدخل لعلاقة ذلك بطبيعة الدراسة .

فالمبنى كان يقع خارج اسوار الموصل القديمة الى الشمال الغربي منها قبالة الباب العمادي (رسم٣)ويظهر انه كان يمثل مشهداً(٣)او رباطا بالاصل(٤)ومر بأدوار معمارية متعددة، خلال فتراته التاريخية حتى تقوض قبل ثلاثة عقود وشيدت في موضعه مدرسة حديثة بعد نقل مخلفاته الأثرية ومنها المحراب الى المتحف الحضاري ببغداد « رسم ٤ ». وجزء من افريزه الجداري والمدخل الذي نحن بصدد دراسته الى المتحف الحضاري بالموصل(رسم ١،٤،صورة ١)

وتشير المخلفات الاثرية والمصادر التاريخية إلى قدم المبنى ومنها افريزه الجداري الذي يرجع إلى القرن الخامس الهجري او ما قبله بدلالة طبيعة عناصره الزخرفية وطريقة الحفر المشطوف المنفذة بواسطتها(٥) والمتأثرة بأسلوب سامراء(رسم٥)، كما اورد الهروي المتوفى سنة (٦١١هـ)اقدم ذكر للمبنى الذي رجح انه كان يمثل مشهداً في حينها (٦) .

ويظهر ان المبنى جدد عام (٦٨٦هـ) بدلالة النص التذكاري الذي كان يتضمنه المحراب(٧).ولا يوجد ما يدلل على هيئته الاولى غير إن الديوهجي ذكر انه أدرك القبة التي كانت تغطي غرفة المحراب وحولها بقايا الرباط الذي كان يمثل المبنى ، هذا وقد اورد هرزفيلد تخطيطاً لتلك الغرفة (٨) (رسم ٦) .

وعلى كل حال فمدخل المبنى يتكون بوضعه الحالي من اربعة عشرة قطعة من حجر الحلان (٩) فضلا عن وجود قطعتين مستحدثتين في اسفله وقطعة اخرى في اعلاه تعويضاً عن قطعه الاصلية المفقودة .

والجدير بالذكر ان المعمار الموصلي اكثر من استخدام مادتي الحلان والرخام الموصلي (١٠) في تشكيل العناصر المعمارية ولا سيما تأطير فتحات المداخل والشبابيك والطاقات وتحلية المباني ، ذلك لكثرة تواجدهما في منطقة الموصل ومطاوعتهما للعمل وصلاحيتهما للبناء اذا ما احسن استخدامهما ووضعهما في الأماكن المناسبة .

فالمعمار اكثر من استخدام حجر الحلان في الأجزاء الخارجية من المباني في حين تركز استعمال الرخام الموصلي على الأقسام الداخلية لأن تأثر حجر الحلان بالاحوال الجوية المباشرة وخاصة الامطار اقل نسبياً مما هو بالنسبة للرخام الموصلي على الرغم من دخول عنصر الكالسيوم في تركيب كلا المادتين . فتأثير الامطار على الحلان كيمياوياً لان المياه تذيب كمية من غاز ثاني اوكسيد الكاربون الكائن في الجو فيتحول إلى محلول مخفف من

حامض الكاربونيك الذي يعمل بدوره على اذابة مقادير من التكوينات الجيرية في الحلان على المدى البعيد (١١) . على حين يكون تأثير الامطار على الرخام الموصلي فيزياوياً اكثر من كونه كيمياوياً .

وعلى الرغم من محدودية التأثير الكيمياوي على الرخام الموصلي ، وذلك لكون مادة الجبس الداخلة في تركيبه لا تتأثر بالحوامض الا في حالة تسخينها (١٢) إلا أن رخاوتها وقلة صلادتها اذا ما قورنت بصلادة حجر الحلان جعلت تأثير الرطوبة ومختلف أنواع المياه عليه كبيراً بحيث يفوق ذلك التأثير الذي يتعرض له الحلان (١٣) .

ومن حاصل ماتقدم نرجح ان المدخل كان يمثل المدخل الخارجي الرئيس للمزار الذي لم يحدد موضعه حين نقله من المبنى الذي عفا عليه الزمن وتحول الى اطلال دارسة قبل ثلاثة عقود .

وبما اننا في مجال التعرض لموضعه لابد من التحري عن الحائط الذي كان مثبتاً في عهد بنائه الأول ومن كونه في مستوى ذلك الحائط ، أم بارزا عنه، ام غائراً فيه ، وفيما اذا كانت تتقدمه سقيفة للحد من تأثير الظروف المناخية أم لا .

والراجح ان المدخل كان مثبتاً في منتصف الحائط الشمالي للمبنى في بداية الأمر ذلك لكون معظم المداخل الخارجية للمباني الأثرية في الموصل ، لاسيما اضرحة المزارات او المباني التي تحولت الى مزارات فيما بعد تتجه صوب الشمال لتتلقف الرياح الشمالية الغربية في الموصل التي تعمل على تلطيف الجو صيفاً ، ولتكون قبالة المحراب . فضلا عن توسط معظمها لتلك الحيطان ، كما هو الحال في مزاري الأمام يحي بن القاسم (١٤) (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) ، والأمام عون الدين (١٥) (٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) .

ومن المعتقد ان المدخل كان بمستوى الحائط الذي كان مثبتاً فيه ، ولم يكن بارزا عنه ذلك لانعدام ظاهرة المداخل البارزة في الموصل ليكون في منأى عن الأمطار التي تؤثر على المواد المبنية منها على المدى البعيد ، كما نستبعد كون المدخل كان غائراً في ذلك الجدار لعدم وجود هذه الظاهرة في مداخل الموصل بصورة عامة لكي لاتؤثر على حيز الفراغ المحدود للغرف المثبتة فيها .

وعلى الرغم من تقدم السقائف لبعض مداخل الموصل لحفظها من الظروف المناخية ولاسيما الأمطار كما هوالحال في مدخل مزار الأمام يحي بن القاسم (١٦) ومدخل مزار الأمام عون الدين (١٧) السالفي الذكر غير اننا نستبعد وجودها في مدخل مزار بنجة علي

بدلالة التلف الذي دب إلى الأجزاء العليا من المدخل من جراء الامطار التي ما زالت آثارها شاخصة للعيان ومنها تلف كافة كلمات النص التذكاري في الأعلى إلا من بعض حروف الكلمات الثالثة (رسم ١) فضلا عن كون السقائف في الموصل لا تتقدم الا المداخل الخارجية المبنية من الرخام الموصلي وليس الحلان .

ومن الامور الاحترازية الاخرى التي عمد اليها المعمار الموصلي للحد من تأثير الظروف المناخية على العناصر المعمارية الخارجية للمباني ولا سيما المداخل التي لا تتقدمها السقائف هي تصغير حجمها قدر الامكان ، وبناؤها من حجر الحلان الذي يقاوم تأثير الظروف المناخية اكثر من الاخرى المواد المتوفرة في منطقة الموصل .

ومن نافلة القول ان الامثلة الأولى لظاهرة المداخل البارزة عن مستوى الجدران المثبتة فيها في العصور العربية الاسلامية قد وجدت في مداخل الواجهة الشمالية لخان عطشان في العراق (١٦١هـ/ ٧٧٧م) ، ثم ظهرت بعض امثلتها النادرة فيما بعد في المغرب العربي ومصر كما هو الحال في مدخل مسجد المهدية في تونس(٣٠٣ – ٣٠٨هـ/ ٩١٥– ٩٢٠م)(١٨)، ومسجد تينملل في المغرب (٥٥٨ هـ/ ١١٥٣ م) (١٩) ، والمدخل الرئيس في جامع الحاكم بالقاهرة (٣٨٠ – ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ – ١٠١٢م) (٢٠) . اما عن السقائف التي تتقدم المداخل فقد وجدت هي الاخرى في العراق قبل غيرها من المناطق العربية الاسلامية ومن أوائل أمثلتها السقيفة التي تتقدم الدرج الصاعد إلى الغرفة الواقعة في كل برج من الأبراج نصف الدائرية المحيطة بسور قصر الاخيضر (٢١) ، ثم انتقل تأثيرها إلى المغرب العربي كما هو الحال في سقيفة مدخل جامع ابي فتاتة في مدينة سوس (٣١٣ – ٣٢٦هـ/ ٩٣٤ – ٩٣٧م) ، وطالعتنا أمثلتها الاولى بعد ذلك في مصر كما يلاحظ في سقيفة مسجد الصالح طلائع بالقاهرة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) (٢٢) .

ومما يجدر التنويه به ان ظاهرتي المداخل البارزة والسقائف وجدت في الطرز المعمارية السابقة للاسلام فالظاهرة الاولى تمثلت في مداخل العراق القديم (٢٣) ، في حين وجدت الظاهرة الثانية في العمارة الهلنستية (٢٤) والرومانية (٢٥) .

ويتكون المدخل بتصميمه الحالي ونظام بنائه من اطار مستطيل عرضه (٢,٤٤م) وطوله (٢,٩٠م) بما في ذلك القطعة المستحدثة في كل جانب من الأسفل و البالغ ارتفاعها (٢٣سم). كما يحف الأطار بفتحة يتمركز في كل ركن من ركنيها العلويين كابل ، ويبلغ ارتفاعها حتى اعلى الكابل (١,٨٨م) وعرضها (٠,٩٩م) (صورة ١ ، رسم ١ ، ٧) .

وعلى الرغم من وجود الكوابيل في الطرز السابقة للاسلام الا انها كانت ذات هيئة بسيطة ولم تستخدم الا للاغراض المعمارية (رسم ٨) وقد تمكن المعمار خلال العصور، العربية الأسلامية من تطويرها سواءاً في مشرق العالم العربي الأسلامي كما في كوابيل جامع عمرو بن العاص بمصر (٢٦) وبعض الكوابيل الأندلسية في مغربه (٢٧) غير انها بلغت اقصى درجات تعقيدها الفني وتطورها بالموصل خلال القرن (٧هـ — ١٣م) بفعل كثرة التقعرات والمنحنيات والزوايا الحادة والقائمة في واجهاتها الداخلية وزخارف الأرابسك التي شغلت سطوحها (٢٨) (رسم ٩ ، ١٠) .

ويبدو ان فتحة المدخل كانت تعلوها عتبة ذات صنوج معشقة ذلك لوجود بقايا قطعتين تعلو كل منهما أحد الكابلين وتتصلان بالاطار من الداخل ولهما حافات ذات تعاريج محدبة ومقعرة ومائلة لتسهيل عملية تعشيق القطع ببعضها ، ويظهر ان تلك الصنجات كانت خالية من المعالم الزخرفية والكتابية وذلك لخلو القطعتين المذكورتين للعتبة من معالمهما (رسم ١ ، صورة ١) .

والصنج المعشق له اهمية انشائية حيث يزيد من ترابط الصنجات مع بعضها وزيادة ، المتانة والحد من ارتفاع فتحة المدخل لانه يؤدي الى الأستعاضة عن العقود المدببة والمقوسة(٢٩) وعلى الرغم من ظهور الصنوج المعشقة في الطرز السابقة للاسلام الا ان المعمار في العصور العربية الأسلامية لم ينقل الشكل على علاته بل جعله من حيث الجوهر اقوى تماسكاً ومن حيث المظهر ابدع شكلا ، وتنوعت هيئاتها وتعقدت بحيث غدت الغازا يصعب حلها ومعرفة سبل تنفيذها (٣٠)

ويعلو كل قطعة من قطعتي العتبة العليا للمدخل قطعة اخرى تبدأ بصورة منحنية ويقل سمكها تدريجيا نحو الداخل والأعلى مما يؤكد كونهما يمثلان بقايا عقد منبطح كان يتوج العتبة .

والعقد المنبطح حقق فائدة انشائية كبيرة حيث ساعد على الحد من ارتفاع المدخل وبالتالي احداث الموازنة بين أبعاده من جهة وتخفيف الثقل عن العتبة عندما وزعه على جانبي الأطار من جهة اخرى .

وبهذا اصبح تصميم هذا المدخل مشابها بصورة عامة لتصاميم المداخل التي شاعت بالموصل خلال العهدين الأتابكي (٥٢١هـ — ٦٦٠هـ / ١١٢٧ — ١٢٦١ م) والايلخاني (٦٦٠ — ٧٣٦هـ/ ١٢٦١م — ١٣٣٦م . (رسم ١١ ، ١٢)

والتصميم المذكور للمداخل لم يقتصر على الموصل وانما ظهرت امثلته في مناطق اخرى من مشرق العالم العربي والأسلامي خلال القرن (٦هـ/ ١٢م) ومابعده ومن امثلة ذلك مداخل احدى الكنائس في جزيرة ابن عمر (٣٢) ، ومدخل التربة العمادية (٥٦٥هـ / ١١٦٩م) (٣٣) والتربة الفرنثية (٦٢١هـ — ١٢٢٤م) (٣٤) بدمشق ، ومدخل تربة الثعالبة (٦١٣هـ — ١٢١٦م) بالقاهرة (٣٥) .

وقد نحت على اطار المدخل عدة افاريز مختلفة القياسات والقطاعات والهيئات منها المستوية والغائرة والمقعرة والمحدبة والمائلة والمشطوفة لتضفي على الأطار نوعاً من الجمالية والتجسيم ، وتقضي على ظاهرة الملل التي تصيب العين لدى النظر الى السطوح الصماء ، او المنفذة بلون واحد من الألوان الفنية ، هذا فضلا عن وجود شريطين من النصوص الكتابية .

فالاطار يبدأ من الخارج بتسطح يلازمه اخدود رشيق على هيئة الزاوية الحادة يجاوره افريز محدب على شاكلة العمود الأسطواني الرشيق يبدأ بقاعدة قمعية ؛ ويلي ذلك افريز آخر مسطح مرتفع محاط بتقعر من كل جانب (رسم ١) ويوازيه من الداخل شريطان كتابيان بخط الثلث على طريقة ابن البواب (٣٦) احدهما ذو نص قرآني والأ خر ذو نص تذكاري ، واخيراً يصادفنا افريز مقعر يحف بفتحة المدخل يبدأ بما يشبه المقرنص الصغير وينتهي بالجهة المقابلة على نفس الشاكلة (الرسم السابق)

وتضمن الشريط القرآني النص الأتي : « .. الرحمن الرحيم وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣٧) هذا ماتوعدون (لك) (٣٨) اواب حفيظ (٣٩) من خش . . . . ا (٤٠) بقلب منيب (٤١) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٤٢) لهم مايشاؤون فيها ولد... » (٣٤) (الرسوم ١٣ — ١٧) .

والنص الذي اوردناه لايمثل النص الكامل الأصلي ذلك لفقدان بعض كلماته التي ، كانت مدونة على القسم الأعلى من المدخل واجزائه السفلية المفقودة كما ان الطول الذي اوردناه للمدخل لايمثل طوله الحقيقي ولكن بدلالة طول المسافة التي أخذها النص المتبقي في الشريط والنقصان الحاصل في بداية النص القرآني المتضمن بداية البسملة في الجهة اليمنى ونهاية الاية القرآنية في الجهة اليسرى تمكننا من التحقق من الطول التقريبي للمدخل ومعرفة مضمون الاجزاء المفقودة من النص رسم (٢٠ ؛ ٢١) .

فطول المسافة على الطبيعة التي يشغلها النص المتبقي من الكتابة هو (٥٦٠سم) ، بينما طول المسافة التي يشغلها ذات النص على الورق بالالة الكاتبة تبلغ (٢٥،٥سم) اي بنسبة (١/٢٢) تقريباً واذا أخذنا بنظر الاعتبار ان النص القرآني لايمكن ان يكون ناقصاً فضلا عن وجود البسملة التي تتصدره لاتضح لنا ان المفقود من النص في الجهة اليمنى في بدايته كلمتي (بسم الله) البالغ بالالة الكاتبة (١/٦سم) فإذا ضربنا هذا الطول بالنسبة الرياضية السابقة لاتضح لنا مقدار الطول المفقود من النص هو (٣٥سم) (تقريباً) (رسم٢) اما الجانب الايسر فينتهي النص بحرفي (لد) من كلمة (لدينا) ، وبما أن الاية القرآنية يجب ان تكون كاملة لتؤدي الغاية المطلوبة فمعنى ذلك أن الجزء الناقص من الاية (٣٥) من سورة (ق) يمثل الحروف (ينا) وكلمة (مزيد) التي يكون مقدار طوله بخط الاله الكاتبه (١،٦سم) اي بمقدار (٣٥سم) على الطبيعة (الرسم السابق) فإذا اضفنا الى كل ماتقدم كون الشريط لايمكن ان يبدأ من الارضية مباشرة وانما على ارتفاع معين لايقل معدله عن (٣٠سم) قياساً بالنصوص القرآنية المنفذة على الفتحات المماثلة في الموصل وذلك للحفاظ على قدسية النص القرآني من جهة وحفظه من التلف الذي قد يتعرض اليه من جراء رطوبة الارضية والاملاح التي تصيب الاجزاء السفلى من العناصر المعمارية (٤٤) من جهة اخرى فيصبح عندنا (٦٥سم) فاذا اضفنا ذلك الى الطول الحالي للمدخل وهو (٢،٩٠م) بعد طرح مقدار (٢٣سم) الذي يمثل طول القطعة المستخدمة في اسفله لاتضح لنا ان ارتفاعه الاصلي كان (٣،٣٢م) وان ارتفاع فتحته كانت بحدود(٢،٣٠م)(الرسم السابق)

وقد يتبادر تساؤل فيما اذا كان النص يبدأ بصورة أفقية ثم يستقيم رأسياً ام انه كان يبدأ بصورة عمودية منذ البداية لان الصورتين وردتا في نصوص الاشرطة الكتابية التي نفذت على المداخل والشبابيك والمحاريب ذات الاطر المماثلة في الموصل التي كانت تعود إلى القرنين السابع والثامن الهجريين (٤٥) والتي من المحتمل عودة المدخل في حدودهما كما سنرى . والذي نرجحه ان النص كان يبدأ بصورة افقية ثم يرتد رأسياً إلى الاعلى (رسم ٢) لأنه في حالة تنفيذه بصورة رأسية فان الافريز المنتهي بقاعدة قمعية سيبقى طليقاً بدون جزء يرتكز عليه وهذا يسبب خللا فنياً لم نعهده في أفاريز الأطر المماثلة .

ومما يجدر التنويه به ان ارتفاع القطعة المفقودة التي كان يشغلها الجزء المفقود في كل من بداية النص ونهايته يبلغ (٣٥سم) في حالة التنفيذ بالوضعية الرأسية ، كما يبلغ نفس الارتفاع بالوضعية الافقية لانه يمثل عرض الجزء المفقود من النص مع عرض الافاريز المرتدة معه أفقياً والمجاورة له من الخارج (الرسم السابق) .

وعلى اي حال فان البداية والنهاية للشريط الكتابي ستكون على هيئة القوس المفصّص على شاكلة الشريط التذكاري المجاور له والاشرطة المماثلة في مخلفات الموصل المعمارية والفنية .

وبالنسبة لعرض فتحة المدخل الذي بدوره يحدد عرضه التقريبي فيمكن الاستعانة بالمسافة التي كان يشغلها الجزء الناقص من النص القرآني في اعلى المدخل البالغة (٣,٦سم) بالآلة الكاتبة والمتضمنة حرف (الياء) من كلمة (خشي) في البداية ثم كلمتي (الرحمن بالغيب) علاوة على حرفي (الواو والجيم) من كلمة (وجاء) (رسم ١٩) وبضرب المسافة المذكورة بالنسبة الرياضية السابقة يتضح لنا ان طول المسافة الحقيقية التي كان يشغلها النص المفقود على الطبيعة هي (٧٩سم) تقريباً في حين يبلغ طول القطعة المستحدثة في محله الاصلي من المدخل (٧١سم) أي بفارق (٨سم) فاذا اضفناه إلى عرض الفتحة الحالي (٩٩سم) لبلغ (١٠٧سم).

وارتفاع الفتحة البالغ (٢,٣٠م) يجعله لا يتناسب مع مقدار عرضها البالغ (١,٠٧م) لانه اكثر من النسب المعتادة في مداخل الموصل خلال الفترة الاتابكية والايلخانيـة (٤٦)

ومثل هذا الارتفاع البين لا يتمثل الا في بعض المداخل التي تتميز عتباتها العليا بخروج دلايات تنحصر بين كوابيلها ومساوية لاطوالها وتتخذ هيئة الكابل المزدوج فيها بصورة متدابرة ، كما هو الحال في مدخل مدفن مزار الامام عون الدين (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) (٤٧) ومدخل كنيسة المارحوديني المعاصر له (٤٨) (رسم ١١) .

واستناداً إلى ما تقدم نرجح وجود دلايات في العتبة العليا للمدخل مزار بنجة علي مساوية لطول الكابل البالغ (٣٢سم) فاذا طرحنا ذلك من طول فتحته البالغ (٢,٣٠م) فيمثل الباقي منه البالغ (١,٩٨م) وهو الطول المناسب للعرض (رسم ٢) ، ومما يعزو وجود الدلايات فيه هو رشاقة كابلا المدخل (رسم ٨) حيث ان كوابيل المداخل التي تخلو من الدلايات تكون عريضة او صغيرة بصورة عامة (رسم ١٠ ، ١١) .

وربما كان للمدخل عتبة سفلى تقع بين طرفي الاطار من الاسفل لتحول دون اندفاعهما نحو الداخل بفعل ضغط الجدران من ناحية ، ولكي تمنع تسرب مياه الامطار إلى داخـل المبنى من جهة اخرى بفعل انخفاض ارضية معظم المزارات في الموصل عن مستوى المناطق الخارجية المجاورة (رسم ٢) .

وقد حاولنا استعادة رسم الكلمات والحروف الناقصة من النص القرآني بصورة مقاربة لما كانت عليه في الطبيعة قبل فقدانها وذلك بالاستناد الى رسم الحروف المماثلة وطريقة تنفيذها والمساحة المخصصة لها في النص ، وان كان هناك بعض الأختلاف فلا يتعدى

حركات الشكل والزينة الخطية لان الخطاط لم يتبع قاعدة واحدة في ذلك وانما مثلت ملء الفراغ المتخلف بين الحروف ليس إلا . (الرسوم ١٣–١٧)

ولم تجابهنا مشكلة في ذلك سوى رسم حرف الياء الناقص في كلمة (خشي) لعدم وجود مايماثله في النص الماثل حاليا ، علاوة على تنوع الياء الأخيرة في نصوص العناصر المعمارية المعاصرة كمحراب المبنى الذي يعود اليه مدخلنا ومنها الياء المحققة والياء الراجعة ولكن الذي نرجحه انها كانت محققة ونستبعد كونها ياءً راجعة لان هذه الياء يستقر ارتدادها تحت حرف الشين وبالتالي ترفعه الى الأعلى وهذا مالا نلاحظه في ذلك الحرف كما انها ستكون في تماس مع حرف النون في كملة (من) وبالتالي يتعذر تنفيذها (رسم ١٩) .

ومن الملاحظات العامة على كتابة النص القرآني الانف الذكر ان الفنان لم يكن موفقاً كل التوفيق في توزيع كلماته على المساحة المخصصة فجاءت متقاربة في بداية النص ثم تباعدت فيما بعد وعلى العموم فان كلمات الجانب الايمن اكثر تباعداً واقل رشاقة مماهي عليه الحال في الجانب الأيسر . (رسم ١)

واهم المميزات الفنية لحروف النص هي :

وجود خاصية الترويس في هامات بعض الحروف الأولية كالألف واللام والباء ، والتشعير في نهاية البعض الآخر ولاسيما الالف ، والترابط بين بعض الحروف كما هو الحال بترابط حرف الراء مع حرف الحاء في كلمة الرحمن ، علاوة على وجود الشكل في الحركات كالفتحة والشدة ، والتزيين الخطي والهيئة الهلالية ، والحروف التوضحية والزخارف النباتية (الرسوم ١٣– ٢٢) .

اما الشريط الثاني الذي يتضمن النص التذكاري فهو الأخر فقد بعض كلماته في القسم العلوي للمدخل وذلك لفقدان بعض قطعه من ناحية وتلف بعض كلماته بفعل المياه وتقادم الزمن من جهة اخرى ، ومابقى من الشريط تضمن النص الاتي : — (تطوعت بعمارة هذه التربة المباركة الفقيرة الراجية رحمة الله تعالى .... الله روحه ونور ضريحه بمحمد وآله) (الرسوم ٢٣ — ٢٥) .

والملاحظ على بداية النص ونهايته وجود عنصر متعرج كونته الأقواس المتقابلة على هيئة رقم ثمانية (اللاتيني) يحتضن قوساً ثلاثياً ، مع وجود عنصر آخر بارز يماثل الوردة المفصصة التي تنتهي نصوصها من الاعلى بمركز واحد (رسم ٢) .

والذي يسترعي الأنتباه طول العنصر المتعرج البالغ (٣١سم) وربما كان هذا الطول البين لمعالجة المساحة الواسعة التي خصصت للنص وليس مجرد التأكيد على بدايته ونهايته ومما يؤكد ذلك تباعد الكلمات تباعداً ملحوظاً ولاسيما في النصف الثاني من النص . ومن المرجح ان القسم الأصم الواقع تحته على القطعة المفقودة كان مشغولا بمعالم زخرفية ، استناداً الى خاصية ملء الفراغ التي امتاز بها الفن الأسلامي على الرغم من عدم وجود مايأخذ بايدينا لمعرفة ماهية تلك المعالم .

ولابد من الوقوف عند بعض عبارات النص وكلماته لبيان مدلولاتها :

١ – عبارة (تطوعت بعمارة هذه التربة) : من المؤكد انها تدل على الشخص الذي امر بانشاء او تجديد المبنى الذي ثبت فيه المدخل وليس المعمار او البناء وذلك لورود نصوص تذكارية مشابهة في الموصل لها ذات المدلول (٤٩) في حين وردت كلمات اخرى في نصوص مباني الموصل الأثرية وعناصرها المعمارية تدلل صراحة على البناء والعمل منها : عمل وعمله (٥٠) وصنع وصنعة (٥١) وعلاوة على ماتقدم فان تاء التأنيث في كلمة (تطوعت) تشير الى كون المتطوع امرأة وليس من اليسير او المتعارف عليه ان تنهض امرأة باعمال البناء وانما يدل ذلك على كونها المنفقة على اقامة هذه المأثرة ، على غرار غيرها من المحسنات اللاتي نهضن باعمال عمرانية مماثلة في الموصل وما يؤسف له ان التلف والفقدان بالنص ذهب باسم تلك المحسنة الا من بقايا بعض الحروف التي لايمكن بواسطتها التعرف عليه .

وفي كل الحالات فالمقصود بالتطوع هنا تجديد المبنى اوترميمه اوعمل المدخل وليس بناءه الاول لان الهروي المتوفي سنة (٦١١هـ) تعرض الى ذكر المبنى (٥٣) ، على حين يعود المدخل الى النصف الثاني من القر ن (٧هـ) على اكثر تقدير كما سيرى .

٢ – عبارة (الفقيرة الراجية رحمه الله تعالى) : تعد مثل هذه العبارة اومايماثلها من القاب التواضع والتذلل لله تعالى (٥٤) .

٣ – التربة يقصد بالتربة ظاهر الأرض اوالشيء الذي يوضع عليه التراب (٥٥) . ثم اصبحت تدل على القبر ، وتطور مدلولها فاخذت تدل على قبر يقترن بقبة تغطى البناء الذي يضمه ، غير انه في معظم الأحيان كانت التربة تتكون من مرافق متعددة (٥٦) . وهذا يتفق مع ماذكره الديوهجي من أنّه ادرك القبة وحولها آثار الرباط الذي كان يتكون من مرافق متعددة (٥٧) .

٣ — الضريح : يعني في اللغة الشق الذي يتوسط القبر ومن اللغويين من يقول ان الضريح هو القبر كله(٥٨)،ثم تطور مدلوله فاصبح يدل على الغلاف الذي يغلف به القبر (٥٩) ، وفعلا نجد ان المباني الدينية في الموصل التي تضم قبوراً حقيقية كالمراقد اورمزية كالمزارات قد ضمت صناديق قبور من الرخام اوخشب الساج كما هو الحال في مزار علي الهادي ، (٦٠) ومزار الأمام محمد بن الحنفية (٦١) (رسم ٢٦) .

اما المميزات الفنية بالنسبة لحروف النص التذكاري فهي مماثلة لذات المميزات التي وجدناها في النص القرآني السابق كالترويس والتشعير في بعض الحروف الأولية والترابط بين البعض الأخر والحركات والزينة والزخرفة الخطية ، فضلا عن ميزة اخرى وهي تنوع رسم بعض الحروف ومثال ذلك حرف الراء في كلمتي (بعمارة) و(المباركة) (الرسوم ٢٣ — ٢٥) .

هذا والملاحظ على الشريط المتضمن النص القرآني اكثر عرضاً من الشريط الثاني المتضمن النص التذكاري وذلك لتأكيد قدسية النصوص القرآنية .

وبعد فالمدخل لايحمل تأريخاً مدونا ، كما ان الشخص المنشيء قد ذهبت الظروف الطبيعية باسمة وبالتالي لايمكن التعويل على كتب التراجم والوفيات لمعرفة تاريخه ، كما لايمكن الركون الى تاريخ محراب المبنى (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) المعروض حاليا في المتحف الحضاري ببغداد على انه يمثل تاريخ المبنى اوتجديده بما في ذلك المدخل الا اذا كانت المميزات المعمارية والفنية تؤيد ذلك ولهذا توجب علينا اعتماد الدراسة المقارنة لتصميمه وعناصره المعمارية وخصائصه الفنية لمعرفة تاريخه التقريبي .

فالتصميم المعماري للمدخل يماثل تصاميم مداخل العهدين الاتابكي والايلخاني (٦٣) كما اتضح لنا من قبل (رسم ١١ ، ١٢) ولهذا يمكن رده إلى احد هذين العهدين الاان خلو صنجاته وكابليه من المعالم الزخرفية يخرجه من نطاق العهد الاتابكي الذي تميزت صنجات وكوابيل مداخله بزخارفها (رسم ٩ ، ١١) ويدخله ضمن العهد الايلخاني التي خلت صنجات مداخله وكوابيلها من تلك التزيينات الفنية (٦٤) (رسم ١٠، ١٢) .

وبالنسبة للمميزات الخطية فالضعف الذي لاحظناه في خط الثلث ، وعدم التوفيق بين الكلمات والمساحات المخصصة لها ، وقلة التزيينات الخطية كل ذلك كان مألوفاً في العهد الايلخاني بخلاف العهد الاتابكي الذي كان قد بلغ فيه خط الثلث اوج رقية (٦٥)(رسم٢٧).

واستناداً إلى ما تقدم نرجح عودة المدخل إلى العهد الايلخاني (٦٦٠ — ٧٣٦هـ/ ١٢٦١ — ١٣٣٥م) . ولما كان خط الثلث على طريقة ابن البواب الماثل بالمدخل قد استخدم خلال ذلك العهد حتى نهاية القرن السابع الهجري ثم حل محله خط الثلث على طريقة ياقوت المستعصمي في النصف الاول من القرن الثامن الهجري (٦٦) (رسم٢٨، ٢٩) عندها يمكن وضع تاريخ المدخل بين النصف الثاني من القرن السابع الهجري وبداية القرن الذي يليه وربما كان ذلك معاصراً او مقارباً للمحراب الذي كان بداخل المزار نفسه المؤرخ في سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) على الرغم من كون ذلك المحراب قد صنعه وتولى الاشراف عليه وتطوع بعمله اشخاص آخرون غير المحسنة التي تطوعت بعمل المدخل وتجديد المبنى كما مر بنا .

ومن نافلة القول انه على الرغم من رد المدخل الى فترة التسلط الايلخاني الا ان ذلك لايمثل عنصراً معمارياً ايلخانيا وانما يدخل ضمن الطراز المعماري الموصلي ويدلل على محاولة التواصل الحضاري للمعمار في الموصل وهذا ينطبق على بقية المباني والمنجزات الحضارية في ذلك العصر .

ولابد ونحن في مجال التعرض لهذا المدخل ان نتأكد من هويته وذلك لكون بعض شبابيك العهد الايلخاني تماثل المداخل من حيث الحجم والتصميم والمميزات الفنية ومن امثلة ذلك جامع الأمام الباهر حيث يبلغ طول مدخله ٣,٦٦م وعرضه ٢,٦٧ في حين يبلغ طول شباكه ٣,٧م وعرضه ٢,١٧، كما ان تصميم كل منهما يتكون من اطار مستطيل يحف بفتحة تتوجها عتبة مصنجة ترتكز على كابل في كل جانب ويعلو كل ذلك عقد منبطح (٦٧) . والذي ميز الشباك عن المدخل هو النص التذكاري الذي يتضمنه والثقوب الموجودة في الجوانب الداخلية لاطاره والسطح السفلي لعتبته العليا التي كانت تستخدم لوضع القضبان الحديدية فيها « رسم٣٠ » والشيء ذاته ينطبق على شباك الغرفة الغربية لمزار محمد بن الحنيفة (٦٨) ، يضاف الى ذلك كون الشبابيك تشكل من مادة الرخام الموصلي لانها تقع في الفراغات الداخلية للمباني وليس الحلان — كما بينا —

وخلو العنصر المعماري قيد البحث من تلك الثقوب ، وبنائه من حجر الحلان الذي يستخدم في الفتحات الخارجية لمباني الموصل كما مر بنا يؤكد كونه مدخل لمبنى المزار ولايتعداه باي حال من الأحوال .

وهكذا استطعنا بواسطة الدراسة التحليلية والمقارنة من تدقيق اسم المبنى ، وموضع المدخل منه ، ومدى صلاحية مواده الأنشائية ، وتحقيق هيئته الأصلية وابعاده التقريبية والتعرض لعناصره المعمارية وتتبع اصولها ، ومدى نجاحها في تأدية وظائفها ، واكمال بعض نصوصه التالفة وتحليلها وبيان مميزاتها الفنية والتعرض لعبارات ومصطلحات النص التذكاري ، ورده الى تاريخه التقريبي ، والتعرف على هويته .

الهوامش :

(١) بنجه : كلمة غيرعربية وتعني هنا الاصابع الخمسة ، وقد اطلقت مجازاً على الكف فأصبحت تعني كف الامام علي (رض) . وقد اشار الهروي (المتوفي سنة ٦١١هـ) الى المزار بقوله (وبالموصل .. مشهد الطرح وبها كف الامام علي بن ابي طالب رضه) : الاشارات الى معرفة الزيارات ، نشر وتحقيق جانين سورديل-طومين ، دمشق ١٩٥٣م ، ص٧٠ . كما تضمن محراب المبنى المنقول الى بغداد النص التالي : (هذا اثر كف مولانا امير المؤمنين علي عليه السلام واثر حافر فرسه) (د. احمد قاسم الجمعة : الآثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الآتابكي والايلخاني ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م ، جـ٢ ، ص٥٩٣) (رسم ١٨) .

(٢) نقولا سيوفي : مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل ، تحقيق سعيد الديوهجي ، بغداد ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ، ص١٤٨ ، ٩ ، ١٤٩ .

(٣) الهروي : المصدر السابق ، ص٧٠ .

(٤) الديوهجي : المرجع السابق ، ص١٤٨ ، هامش ٢ .

(5) Herzfeld (E). and Sarra (F). , Archelogish Reise im Euphrat' und Tigris Gebiet, Berlin 1911–1920, Vol. 11, P. 277, Abb 267.

(٦) الهروي : المصدر السابق ، ص٧٠ .

(٧) الجمعة : المرجع السابق ، ص ٥٩٧

(8) Herzfeld Op. Cit., Vol. 11, P. 271, Abb. 266.

(٩) الحلان : نوع من الصخور الجيرية (كاربونات الكالسيوم) وربما اشتقت تسميته من مصدر التحلية وذلك لاستخدامه في تحلية العمائر ، بالاضافة الى بعض العناصر المعمارية.

(١٠) الرخام الموصلي : يتكون من مادة الجبس اي كبريتات الكالسيوم المائية ، ولهذا لا يعد رخاماً بالمعنى الجيولوجي لكون الرخام الحقيقي يتكون من مادة الكالسايت (كاربونات الكالسيوم) ومادة الدولومايث (كاربونات الكالسيوم والمغنيسيوم المزدوجة .

Branson (E.B), Introduction to Geology, London 1952, 224; Toil (A.L.), The Geology of South Africa, 3rd. Ed., London 1954J P. 529.

الجمعة : المرجع السابق ، ص٢٢ .

(١١) د. حسن صادق : الجيولوجيا ، ط٣ ، القاهرة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م ، ص٧٣ .

(١٢) البستاني : دائرة المعارف ، بيروت ١٨٨٤م ، م٨ ، ص٥٧٤ .

(١٣) الجمعة : المرجع السابق ، ص٢٦ .

(14) Krunio (J)., Mashhad Yahiya Abu Qasim Mosul, Iraq Protection of Cuitural Herileges Seorial No. 1101, Paris, March 1969, Fig. 1.

(١٥) الجمعة : المرجع السابق ، ج٢، رسم ٣٥ .

(16) Krunio, Op. Cit., Fig 1.

(١٧) المرجع نفسه ، رسم ٣٥ .

(١٨) د. كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية في مصر ، القاهرة ، ص٨٢ .

(١٩) صبحي اعشى : نماذج من الفن المعماري الموحدي بالمغرب ، المحمدية ١٩٧٧م ، ص١٨.

(٢٠) د. عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر الصقلي الى الجبرتي المؤرخ ، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، ص٥٤

(٢١) سامح : المرجع السابق ، ص٩٨ .

(٢٢) المرجع نفسه ، ص٨٢ ؛ حسن عبد الوهاب : من روائع العمارة الاسلامية في مصر ،المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، تونس ١٨–٢٩ مايو (أيار) ١٩٦٣م ، القاهرة ١٩٦٥م ص٣٧٨ .

(٢٣) سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب ابو بكر ومراجعة الدكتور محمد القصاص ، القاهرة ، ص١٠٩ .

Scranton (R.L.), Aesthetic of Ancient Art, Chicago 1964, PL. 42.

(24) Fletcher (B)., Ahistory of Architecture on the Comparative Method 7th. Ed. London 1961 -1963, P. 141G.

(25) Ibid., P. 195H

(٢٦) مانويل جو ميث : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور محمد عبد العزيز سالم ومراجعة الدكتور جمال محمد محرز ، مصر ١٩٦٨م ،ص٢٤٢ ش ٢٤٠ .

(٢٧) المرجع نفسه ، ص٢٦٠ ، ش٢٧٦ .

(٢٨) د. احمد قاسم الجمعة : العناصر المعمارية والفنية لقبة الصخرة والمسجد الاقصى ، آداب الرافدين ، العدد ١٥ لسنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٢٢٩ .

(٢٩) الجمعة : الآثار الرخامية ، ص٨٦ .

(٣٠) المرجع نفسه ، ص٨٩ .

(٣١) المرجع نفسه ، ص٥٥ .

(32) Hartner (W.), The Preudoplanelary Nodes of the Moons Orbit in Hindu and Islamic I concgraphies Ars Islmica., Vol., New York 1968, P. 144, Fig. 28.

(33) Abbu (A,N.), The Ayyubid Domed Buildings of Syria, Vol. 2, Fig. 19.

(34) Ibid., Fig. 90.

(35) Creswell (K.A.C.), The Muslim Architecture of Egypt, Oxford, Vol. II, PL. 27a. C.

(٣٦) يتميز خط الثلث على طريقة ابن البواب بالليونة والاستدارات في نهايات الحروف الآخرية ووجود الترويس في الحروف المنتصبة وغلظها في القسم العلوي وتشعيرها ودقتها في قسمها السفلي مع ميلها الى القصر وتضخم بقية الحروف بصورة عامة ، وله خاصية ملء المساحات المخصصة للكتابة بواسطة حركات الشكل والزخرفة ، كما يميل الى التسلسل المتتالي للكلمات وندرة تداخلها بالاضافة الى وجود ميزة الترابط بين الحروف (الجمعة : المرجع السابق ، ص١٤٥) .

(٣٧) سورة ق : الآية ٣١ .

(٣٨) كذا بالاصل والصحيح (لكل) .

(٣٩) سورة ق : الآية ٣٢ .

(٤٠) كذا بالاصل بدون همزة والصحيح جـ(ـاء) .

(٤١) سورة ق : الآية ٣٣ .

(٤٢) سورة ق : الآية ٣٤ .

(٤٣) سورة ق : الآية ٣٥ .

(٤٤) تعد الرطوبة نتيجة لتأثير قوى فيزياوية محددة وغير متوازنة في بناء ما وتتواجد عادة في الطابق الأرضي فقط وفي الاجزاء السفلى من البناء غير ان ارتفاعها لا يتعدى ابداً اربعة أمتار من مستوى سطح الطريق (جيوفاني مزاري : الرطوبة في المباني التاريخية ، ترجمة ناصر عبد الواحد ، بغداد ١٩٨٤م ، ص٥ ، ٨ .

(٤٥) الجمعة : المرجع السابق ، الرسوم ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٨٧ ، ١٠٠ .

(٤٦) المرجع نفسه ، ص ٤٢٧ ، ٤٣٨ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ .

(٤٧) المرجع نفسه ، رسم ٤٤ .

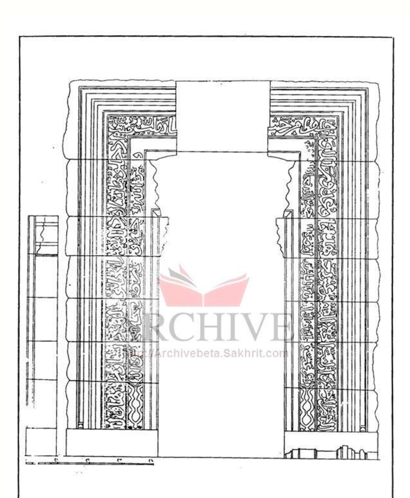
(٤٨) المرجع نفسه ، رسم ٤٦ .

(٤٩) سيوفي : المرجع السابق ، ص٧٠ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١٤٩ .

(٥٠) سعيد الديوه‌جي : اعلام الصناع المواصلة ، الموصل ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ص١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٦ .
(٥١) المرجع نفسه ، ص١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٧٠ .
(٥٢) سيوفي : المرجع السابق ، ص١١٤ ؛ احمد قاسم الجمعة : محاريب مساجد الموصل الى نهاية حكم الاتابكة ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة القاهرة ١٩٧١م ، ص١٠٨ .
(٥٣) الهروي : المرجع السابق ، ص٧ .
(٥٤) د. حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص٣٩٣ .
(٥٥) ابن منظور : لسان العرب ، بولاق ، مادة ترب ، ج١ ؛ ص ٥٢ .
(٥٦) علاء الدين احمد العاني : المشاهد ذات القباب المخروطة ، بغداد ١٩٨٢م ، ص ٢٠،١٩
(٥٧) سيوفي : المرجع السابق ، ص١٤٩ ، حاشية ٢ .
(٥٨) ابن منظور : المصدر السابق ، مادة ضرح ، ج٣ ، ص٣٥٨ .
(٥٩) العاني : المرجع السابق ، ص١٨ .
(٦٠) الجمعة : الآثار الرخامية ، ج٢ ، ص٩٠٢ .
(٦١) الجمعة : محاريب مساجد الموصل ، ص ١٨٤ .
(٦٢) الجمعة : الآثار الرخامية ، ص٥٩٦ .
(٦٣) المرجع نفسه ، ص٥٥ .
(٦٤) المرجع نفسه ، ص٧١ ، ٨٣ .
(٦٥) المرجع نفسه ، ص٦٢٧ ، ٦٢٨ .
(٦٦) المرجع نفسه ، ص١٥٤ ، ١٥٥ ، ٦٢٩ .
(٦٧) المرجع نفسه ، ص٤٨٠ ، ٦٢٣ .
(٦٨) المرجع نفسه ، ص٦٢٩ ، رسم ١٠١ .

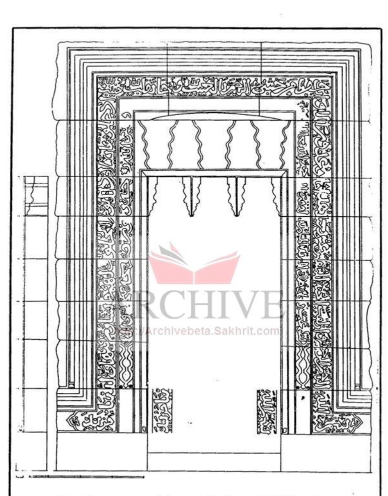


صورة (١) مدخل كف (بنجة) الامام علي في الموصل بوضعه الحالي. (بحدود النصف الثاني من القرن ٧ هـ / ١٣ م).



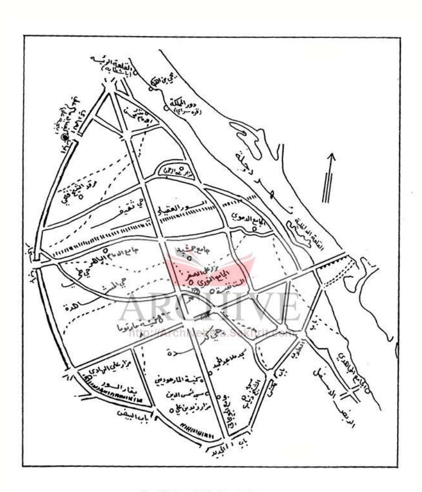
رسم (١) تخطيط مدخل مزار كف (بنجة) الامام علي في الموصل بوضعه الحالي (بحدود النصف الثاني من القرن ٧ هـ / ١٣ م) .

(تخطيط د . احمد قاسم الجمعة) .



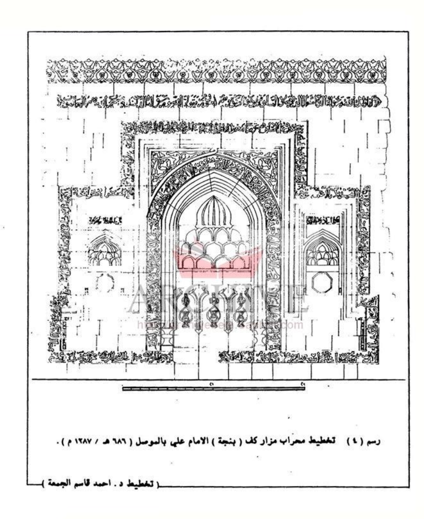
رسم (٢) تخطيط مدخل مزار كف (بنجة) الامام علي في الموصل بوضعيته الاصلية المحققة.
(بحدودُ النصف الثاني من القرن ٧ هـ / ١٣ م).

(تخطيط د. احمد قاسم الجمعة).



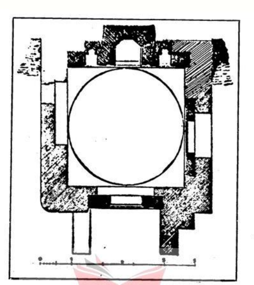
رسم (٢) خارطة الموصل القديمة .

(تخطيط د . احمد قاسم الجمعة) .

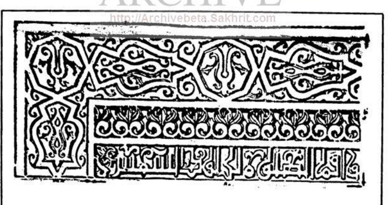


رسم (٤) تخطيط محراب مزار كف (بنجة) الامام علي بالموصل (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م) .

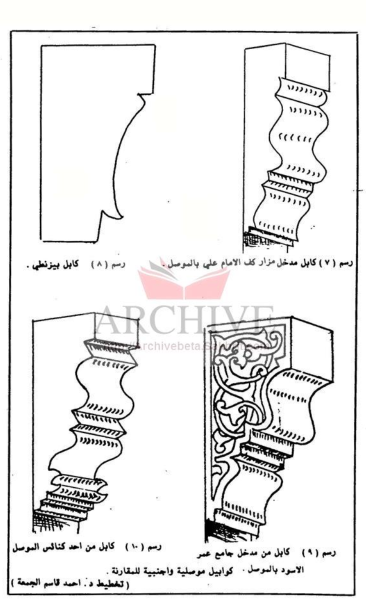
(تخطيط د . احمد قاسم الجمعة)



رسم (٥) تخطيط مزار كف (بنجة) الامام علي بالموصل .
عن : (هرزفيلد) .



رسم (٦) الفريز من مزار كف (بنجة) الامام علي بالموصل (بحدود القرن ٥ هـ / ١١ م) .
عن : (هرزفيلد)



رسم (٧) كابل مدخل مزار كف الامام علي بالموصل .

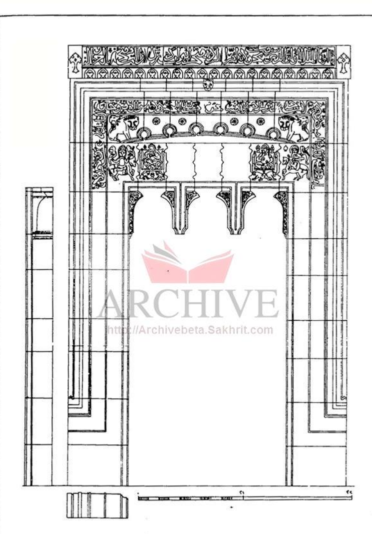
رسم (٨) كابل بيزنطي .

رسم (٩) كابل من مدخل جامع عمر الاسود بالموصل .

رسم (١٠) كابل من احد كنائس الموصل

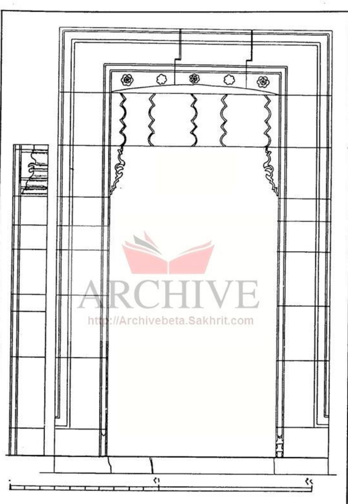
كوابيل موصلية واجنبية للمقارنة .

(تخطيط د . احمد قاسم الجمعة)



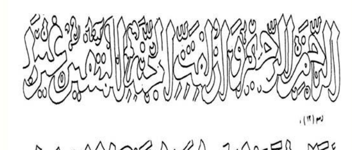
رسم (١١) تخطيط مدخل كنيسة المارحوديني بالموصل . (بحدود النصف الاول من القرن ٧ هـ / ١٣ م) .

(تخطيط د . احمد قاسم الجمعة)



رسم (١٢) تخطيط احد مداخل جامع جمشيد بالموصل . (بحدود نهاية القرن ٧ هـ / ١٣ م او بداية القرن ٨ هـ / ١٤ م) .

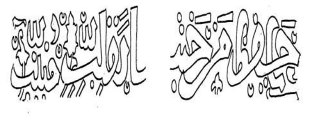
(تخطيط د . احمد قاسم الجمعة)



رسم (١٣) ،



رسم (١٤) ،



رسم (١٥) ، النص القرآني المنفذ على الشريط الخارجي لمدخل مزار كف الامام علي بالموصل .

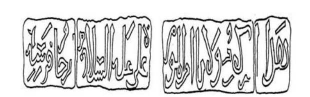
(رسم د. احمد قاسم الجمعة)



رسم (١٦)

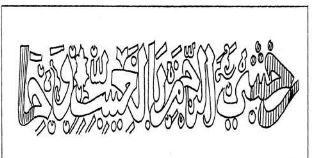


رسم (١٧) النص القرآني المنفذ على الشريط الخارجي لمدخل كف مزار الامام علي بالموصل.



رسم (١٨) النص التذكاري الكائن على محراب مزار كف الامام علي والمتضمن التسمية الحقيقية للمزار (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م).

(رسم د. احمد قاسم الجمعة)



رسم (١٩)

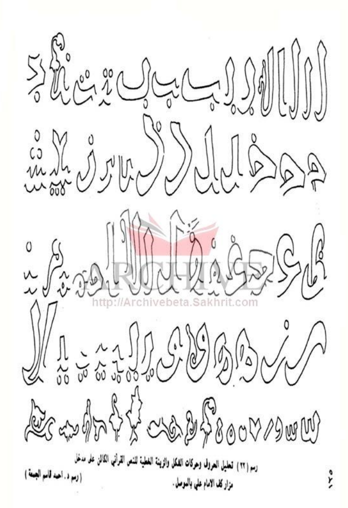


رسم (٢٠)

رسم (٢١)

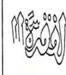
الرسم التقريبي للنص القرآني المفقود من الشريط الخارجي لمزار كف الامام علي.

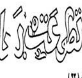
(رسم د. احمد قاسم الجمعة)



رسم (٢٢) تحليل الحروف وحركات الشكل والزينة الخطية للنص القرآني الكائن على مدخل مزار كف الامام علي بالموصل.

(رسم د. احمد قاسم الجمعة)







رسم (٢٣)





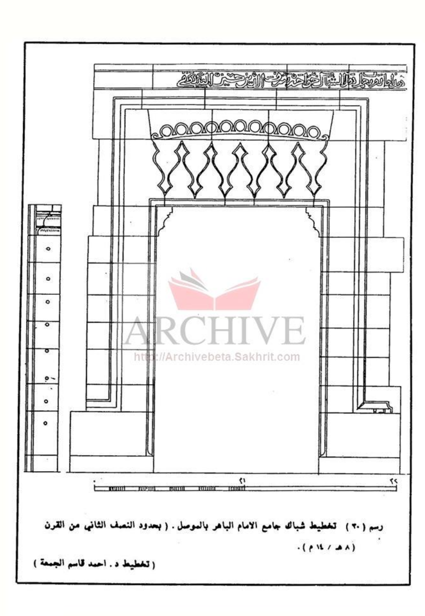

رسم (٢٤)




رسم (٢٥).

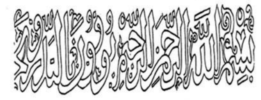
النص التذكاري المنفذ على الشريط الداخلي لمزار كف الامام علي بالموصل
(بحدود النصف الثاني من القرن ٧ هـ / ١٣ م).

(رسم د. احمد قاسم الجمعة)



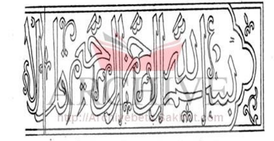
رسم (٣٠) تخطيط شباك جامع الامام الباهر بالموصل . (بحدود النصف الثاني من القرن (٨ هـ / ١٤ م) .

(تخطيط د . احمد قاسم الجمعة)



رسم (٢٧) نص كتابي بخط الثلث على طريقة ابن البواب من محراب الامام يحيى بن القاسم بالموصل (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م).

(رسم د. احمد قاسم الجمعة)



رسم (٢٨) نص كتابي بخط الثلث على طريقة ياقوت المستعصمي من شباك مزار الامام محمد بن الحنيفة بالموصل (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م).

(رسم د. احمد قاسم الجمعة)



رسم (٢٩) نص كتابي بخط الثلث على طريقة المستعصمي من شباك مسجد الامام ابراهيم بالموصل (النصف الاول من القرن ٨ هـ / ١٤ م).

(رسم د. احمد قاسم الجمعة)

محددات التنمية الاجتماعية لمجتمع ربيعة في العراق

د. سطام حمد الجبوري
كلية التربية / جامعة القادسية

د. محمد حربي حسن
كلية الادارة والاقتصاد / جامعة الموصل

المقدمة : —

تعد تنمية مجتمع البادية في ربيعة (*) من الاهداف الرئيسة لمشروع ري الجزيرة الشمالي والذي سيحقق تحولا اساسياً في النشاط الزراعي عبر توفير مياه الري لمساحة تزيد على ستين الف هكتار من الاراضي الزراعية ومن ثم توفير بيئة زراعية ايجابية متميزه بأنخفاض درجة عدم التأكد والمخاطرة وهذا يعني توفير الاستقرار والتنمية الاقتصادية للمنطقة كشرط اساسي ووجه اخر للتنمية الاجتماعية والثقافية حيث تتكاثف وتتلائم جوانب تنمية المجتمع الاساسية (الاقتصادي ، والاجتماعي والثقافي) بشكل متكامل

وهذا البحث محاولة لكشف اهم المحددات التي يمكن ان تعيق الفعاليات التنموية في مجتمع ربيعة ومن ثم تحديد اهم الاساليب التي يمكن اعتمادها لتحفيز التنمية فيه ودفعها الى الامام مفترضين ان تلك المحددات ترتبط بالخصائص الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تعرقل عمليات التكيف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لمستلزمات التنمية .

(*) يقصد بمجتمع البادية في ربيعة القبائل والعوائل التي تقطن منطقة ربيعة في البادية الشمالية الواقعة شمال غرب العراق والمحصورة بين نهر دجلة شرقاً وتركيا شمالا وسوريا غربــاً وحوض الثرثار جنوباً ، ويقع مجتمع ربيعة في الجزء الشمالي من البادية ومن المؤمل تحول اراضي البادية في هذا الموقع من ديمية الى اروائية بعد تنفيذ مشروع ري الجزيرة الشمالي اعتماداً على سد صدام المنجز على نهر دجلة في منطقة (اسكي موصل) .

لقد اعتمد البحث منهج المسح الاجتماعي لتحليل خصائص المجتمع المتصلة بمحددات ومحفزات التنمية حيث تم جمع البيانات عن مجتمع البحث بأسلوب العينة الشاملة وبأعتماد استمارة خاصة بالمقابلات الميدانية لاغراض المسح الاجتماعي الخاص بمشروع سد صدام (*)(مشروع ري الجزيرة الشمالي) وكذلك بأعتماد تحليل مضمون السجلات والوثائق الرسمية المتوفرة عن السكان وتوزيعهم السكاني وتركيبهم القبلي والنوعي والتعليمي والاقتصادي .

وتضمن البحث ثلاثة مباحث فرعية اختص الاول بتعريف مفهوم التنمية والمدخل النظمي كأداة لتحليل عملية التنمية وتحديد متغيراتها الاساسية، واختص الثاني بتحليل خصائص مجتمع ربيعة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لكشف محددات التنمية فيه اما المبحث الثالث فقد قدم النتائج ضمن فقرة محفزات تنمية مجتمع ربيعة كمعالجات لمواجهة المحددات وقدم المقترحات ضمن فقرة سبل تنمية مجتمع ربيعة كبدائل عملية لتنفيذ تلك المعالجات ويمكن اعتبارها نموذجاً تنموياً ينسجم مع واقع المجتمع وبيئته.



(*) اجرى المسح الاجتماعي في منطقة ربيعة في البادية بالحصر الشامل لكافة القاطنين فيها .

المبحث الاول: مفهوم التنمية الريفية :

يعد مفهوم التنمية من المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع وبشكل خاص في حقل التغير الاجتماعي، حيث تعرف التنمية بأنها مجموعة العمليات المخططة بشكل سليم لاحداث اي تغيير اجتماعي واقتصادي وثقافي ايجابي في المجتمع وصولا لتحقيق اهداف افراده (١)، او انها العمليات المقصودة لاحداث تطوير اجتماعي واقتصادي وسياسي اعتماداً على الجهود الحكومية والاهلية بشكل متناسق ومتكامل (٢).

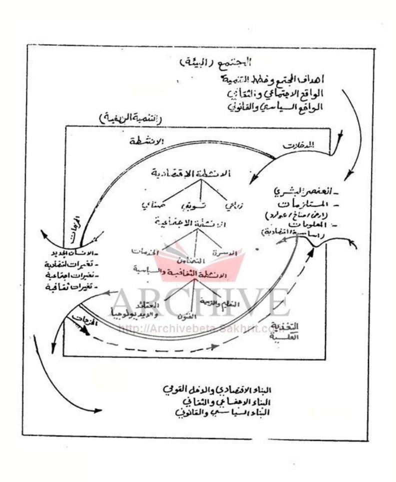
ولكون التنمية جهوداً مشتركة قائمة على التنسيق والتكامل بين الادارات الحكومية وبين المواطنين (مؤسسات او افراداً) فهي لابد ان تنتفع من مفاهيم ونظريات العلوم السلوكية في محاولتها لفهم سلوك الافراد والجماعات في اثناء مشاركتها في الجهود، المبذولة لتحقيق عمليات التغيير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي تستلزمها الفعاليات التنموية. لذا اختار هذا البحث مفهوم النظم المفتوحة (Open Systems) كأطار نظري لتقديم تصور عملي متكامل لمفهوم التنمية الريفية وذلك بأعتبار هذا المفهوم من المداخل النظرية الواسعة الانتشار والاستخدام في تحليل الظواهر السلوكية في المجتمع

ويرتكز الاطار العام لمفهوم النظم في العلوم السلوكية على النظر الى الانسان والجماعة والبشرية كنظم سلوكية متكاملة مع النظم الفرعية الاخرى وان كل نظام فرعي يضم ثلاثة اجزاء رئيسية هي المدخلات ، الانشطة ، المخرجات اما تكامل النظام مع النظم الفرعية الاخرى فيكون عن طريق :

١ – المدخلات(علاقته بالنظم الفرعية التي توفر له مدخلاته).
٢ – المخرجات(علاقته بالنظم الفرعية التي تنتفع من مخرجاته).

وبذلك ترتكز الانشطة فيه على استخدام المدخلات عبر عمليات تحويلية لتحقيق المخرجات كنتائج مطلوبة من البيئة المحيطية وان جزءاً من هذه النتائج ومردوداتها تستخدم كمدخلات للنظام نفسه كتغذية مرتدة (٣).

وعند النظر للتنمية الريفية كعمليات مقصودة او موجهة لتحويل واقع المجتمع المحلي من حالة الى حالة افضل يصبح من السهل فهم التنمية الريفية وفق المنظور النظمي بأعتبارها نظاماً فرعياً للتنمية الشاملة في المجتمع تتضمن مدخلات وتعتمد انشطة وصولا الى مخرجات بتغير المجتمع من حالة الى حالة افضل. ويوضح لنا الشكل (١) مخططاً تصويرياً للتنمية الريفية كنظام فرعي مفتوح يخضع لعدد كبير من العلاقات التبادلية مع



شكل رقم (١)
ابعاد التنمية الريفية وفق المنظور النظمي

النظم الفرعية الاخرى في المجتمع وبشكل خاص مايتصل منها بخطط التنمية والدخل القومي أو بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي والقانوني. وهذه العلاقات تتضح بشكل ادق عبر مفهوم المدخلات والمخرجات حيث نجد ان التنمية ترتبط بـ:
أولا: – الموارد البشرية كأداة ووسيلة رئيسية في تنفيذ الانشطة التنموية. فكم تستطيع مؤسسات المجتمع من توفير العنصر البشري المؤهل والملائم (كما ونوعاً) لتنفيذ الانشطة التنموية ؟، اي ان الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والقانوني والثقافي هو الذي يقرر مدى امكانية نجاح التنمية الريفية عبر مايستطيع تهيئته وتقديمه من مستلزمات سليمة لها بدءا بالعنصر البشري ومروراً بالارض والمناخ وانتهاءاً بالموارد الاخرى ، وتتضح هذه المسألة بشكل كبير في مجتمع البحث (مجتمع البادية في ربيعة) حيث أن احد اهداف سد صدام هو تحقيق التنمية الريفية في منطقة الجزيرة عن طريق توسيع النشاط الاقتصادي ورفع كفاءته (زراعياً وتجارياً وسياحياً) الى جانب الانشطة الاخرى لاسيما التعليمية والثقافية ومن ثم فأن النظم الفرعية الاخرى ستسهم في توفير المدخلات المطلوبة للتنمية. وبذلك يمكن القول إن الفعاليات التنموية تتأثر بشكل كبير بالبيئة عبر المدخلات فالانشطة الاقتصادية ضمن التنمية الريفية (زراعياً، وتجارياً، وصناعياً) تعتمد على المدخلات الواردة مع المجتمع لاسيما العنصر البشري، وبقدر ما يكون الواقع الاجتماعي والثقافي والتربوي والسياسي ثراً وقادراً على توفير الخبرات والمؤهلات المطلوبة للاسهام في التنمية وبالذات في ادارة فعالياتها الاقتصادية زادت فرص النجاح والعكس صحيح ايضاً (٤)، فعندما لاتستطيع ادارة التنمية الريفية من تحقيق تـوازن تتكامل فيه الانشطة المختلفة كالنشاط التجاري والزراعي (توفير المستلزمات الاساسية للنشاط الزراعي كالبذور المحسنة والمكننة الزراعية والاسمدة أو تسويق المنتجات الزراعية) وكذلك التنسيق بين النشاط الزراعي والنشاط الصناعي (تطوير صناعة ريفية تعتمد على المنتجات الزراعية) فأن عدم التوازن ذلك يخلق بلاشك خللا مؤثراً على مجمل الانشطة التنموية .

وهذا يلاحظ ايضاً في الجانب الاجتماعي من الانشطة التنموية حيث ان المدخلات الجديدة من العنصر البشري للمناطق التنموية ستؤدي الى تغيير البناء القبلي والأسري فيها وهذا التغيير لايقف عند السكان الاصليين فحسب بل يشمل القادمين ايضاً عبر تكيفهم للبيئة الجديدة ومن ثم فأن ادارة التنمية ملزمة بأعداد أطر عملية موضوعية وسليمة

للتوزيع السكاني تضمن تكيفاً ايجابياً متناسقاً ومتكاملا لكل الاطراف وصولا لخلق ودعم الشعور بالامن والاحساس بالاستقرار والضمان الاجتماعي .

ومن الجانب الاخر يكون توفير الخدمات الاساسية (مؤسسات الحكم المحلي والادارة المحلية،الشرطة ،القضاء، البنوك وكذلك الخدمات العامة كالصحية والاسواق والطاقة والطرق.........) (٥) عوامل مهمة في دعم حالة الاستقرار المطلوبة كقاعدة اساسية في العملية التنموية ومما لاشك فيه ان النشاط الثقافي بفعاليته الرئيسة كالتعليم والتوجيه والعقائد والايديولوجيا ثم الفنون الشعبية) تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر بالمدخلات الجديدة سواء أكانت عنصراً بشرياً بما يحمله من مستويات تعليمية أوتربوية أو أفكار وعقائد او بما اعتاده من انماط سلوكية وحضارية أو كانت فعاليات وخدمات تحسن وتعدل من المستويات التعليمية أو التربوية أو الانماط السلوكية للسكان الموجودين في المجتمع. وكل ذلك يفرض اهتماماً خاصاً بأرساء اطر عملية مرنة للمزاوجة والتكيف بين السكان الاصليين والقادمين الجدد .

ولما تقدم نقول بأن العنصر البشري يتصدر غيره من المدخلات في التأثير الفاعل والحاسم على الانشطة التنموية بكل فعالياتها وابعادها وهو من ثم في مقدمة العوامل ذات العلاقة بالتنمية الريفية (٦) .

ثانياً:- وكذلك الامر للمخرجات ذلك ان العلاقات التبادلية العديدة والمتنوعة تظهر بشكل واضح بين النظم الفرعية في البيئة والتنمية الريفية خاصة عبر الانسان كمخرج رئيسي للتنمية. فالانسان الجديد والبناء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمجتمع الجديد (أنظر شكل/١) كهدف للتنمية أمر لاينفك عن العنصر البشري، فهو العامل الجوهري والمؤشر الموضوعي لنجاح المشاريع التنموية في تحقيق اهدافها وذلك عبر ثلاثة شروط أساسية لمواقف الانسان والجماعة من التنمية وهي :

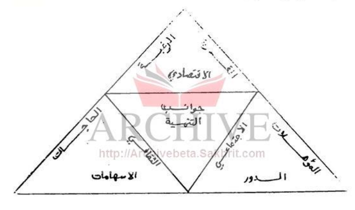
أ - القدرة على الاسهام في الفعاليات التنموية عبر مهارات التكيف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي .

ب - الرغبة في الاسهام في الفعاليات التنموية عبر الاستعداد للتكيف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي .

جـ - الانضواء في عمليات التغييرات التي تتطلبها التنمية ومن ثم تحقيق التنمية الشاملة بشكل كفء وفعال .

وكل ذلك يعني ان الانسان هو المحور الاساسي لعملية التنمية فهو هدفها وهو اداتها وان ادراكه لهذه الحقيقة وقدرته على المزاوجة بين (دوره- كأداة للتنمية) وبين (حاجاته كهدف للتنمية) تزيد من فاعلية انضوائه واندفاعه في الاسهام ومن ثم في خلق فرص افضل للتنمية .

لذا يمثل الادراك والانضواء حلقة الوصل او حبل الحياة بين وجهي التنمية الاجتماعي الاقتصادي) وبذلك يكون الوجه الثالث للتنمية (الثقافي) ركناً متمماً ومتكاملا لها وعلى النحو المفصل في الشكل (٢) .



شكل (٢) مخطط العلاقات المتبادلة بين جوانب التنمية

فالتنمية الاقتصادية تعتمد على الاستعداد للعمل عبر الربط بين القدرة والرغبة ، والتنمية الاجتماعية تعتمد على التأهيل للعمل عبر الربط بين الدور والمؤهلات والتنمية الثقافية تعتمد على الانضواء في العمل عبر الربط بين الاسهامات والحاجات وتبدو العلاقة واضحة بين الجوانب الثلاثة للتنمية في الشكل (٢) حيث يرتبط النشاط الاقتصادي بالاجتماعي ضمن علاقة التأهيل للعمل والقدرة على ادائه كما يرتبط النشاط الاجتماعي بالثقافي ضمن علاقة الدور الوظيفي بدرجة الاسهام في العمل واخيراً يرتبط النشاط الثقافي بالاقتصادي ضمن علاقة حاجات الانسان برغبته في العمل :

وهذه العلاقات المتداخلة والمتكاملة بين العناصر الستة للتنمية، (الرغبة والقـــدرة، المؤهلات والدور، الاسهامات والحاجات) تمثل اقساماً فرعية مترابطة ضمن الانشطة الاساسية للتنمية(الاقتصادي ،الاجتماعي، الثقافي) وفق المنظور النظمي الذي طرحناه قبل قليل. كما أنها ترتبط بمدخلات العملية التنموية وبمخرجاتها عبر العنصر البشـــري كأفراد او كجماعات تسهم في التنمية او تتغير كحصيلة لها. كل ذلك يدفعنا للقول بأن الاطار العملي لدراسة وتحليل التنمية الريفية سواء في التخطيط لها أو متابعة تنفيذها لابد وان يرتكز على فهم دور العنصر البشري ضمنها ,كمدخل اساسي وكأداة رئيسة وكهدف جوهري لها .

وهذا هو ما اشار اليه محبوب الحق في حديثه عن الخطايا السبع لمخططي التنميـة فالمثير هو اغفال الموارد البشرية بوصفها احد هذه الخطايا ووجد ان عدم اهتمام مخططي التنمية بالعنصر البشري كمورد في انجاز الفعاليات التنموية سبب رئيس في فشلهم (٧).

وتأسيساً على ماتقدم فأن معالجتنا لابعاد التنمية الريفية في مجتمع ربيعة تقوم على اساس التعرض لمحدداتها المتصلة بالعنصر البشري في علاقته بالمدخلات والانشطة والمخرجات ضمن الفعاليات الاساسية للتنمية كمبحث اساسي من مباحث هذه الدراسة.

المبحث الثاني: محددات التنمية في مجتمع ربيعة

ينطلق البحث في معالجته لمحددات التنمية في مجتمع ربيعة من العنصر البشري كواحد من اهم عوامل التنمية وذلك عبر تحليل الشروط الأساسية لاسهام العنصر المذكور في التنمية والتي اشرنا لها في المبحث الأول :

(القدرة على الأسهام ، الرغبة في الأسهام ، الأنضواء في عمليات التغيير) والتي ترتبط بثلاث مستويات اساسية للتكيف هي (مهارات التكيف الأجتماعي ، مهارات التكيف الأقتصادي ، مهارات التكيف الثقافي) .

١ — مهارات التكيف الاجتماعي :

تتمثل بالقدرة على تقبل القيم والعادات والتقاليد الجديدة التي تستلزمها عملية التغيير التنموي . وسوف نركز في تحليل هذه المهارات على ثلاثة جوانب اساسية في البنية الأجتماعية لمجتمع ربيعة هي :

١/١ البناء القبلي :

عكست الدراسة الميدانية (*) لمجتمع البادية في منطقة ربيعة ان سكان المنطقة في الغالب هم من عشيرة شمر وبنسبة تتجاوز (٧٥٪) ثم عشيرتي الجحيش والصايح بنسبة تصل (١٠٪) من السكان ثم الجبور والأكراد والعبيد . ولهذا يعد مجتمع ربيعة في نمطه العام بدوياً فما يزال للانتماء القبلي دوره في حياة المجتمع هناك فالولاء للاسرة والعشيرة هو المحور الأساسي في الحياة الأجتماعية والأقتصادية والثقافية وذلك بوصفها الشكل السائد للتنظيم الاجتماعي في المنطقة ، فهو مايزال خاضعاً لتأثير نظام القبيلة (السواني) رغم التغيرات العديدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فالالتزام بالعادات والتقاليد هو القانون المطاع غير المكتوب لانه قانون القبيلة الذي تفرضه على ابنائها . وبشكل عام يعد استمرار تأثير نظام السواني من محددات ومعوقات عملية التنمية حيث تمثل القبيلة او العشيرة جماعة مرجعية اساسية في حياة الأفراد قادرة على تحديد طبيعة استجاباتهم ، للتغيرات التنموية المطلوبة إلا اذا كان في ذلك خروجاً اوتعارضاً مع القيم والتقاليد والأعراف السائدة في القبيلة .

(*) سبق أن أنجز الباحثان دراسة ميدانية عن التنمية الأجتماعية في البادية تضمنت عرضاً للبناء القبلي في مجتمع ربيعة وخصائصه البدوية (٨) .

ان اهم مايمكن الدعوة له في هذا المجال هو السعي المتواصل لتخفيف الآثار السلبية لنظام القبيلة والعمل على تقليص دور العشيرة كجماعة مرجعية في حياة الأفراد وذلك بدعم عملية التعليم وتطوير نظام تربوي ملائم وقادر على تحقيق مثل هذا التغيير ..لاسيما فيما يتصل بالزواج من خارج العشيرة وتوفير الفرص لتزايد نسبة العوائل النووية وتقليص **نمط** العائلة الممتدة (*) بما يضمن تقليل ضغوط اهم الجماعات المرجعية وهما الأبوان في نظام القبيلة .

١ ـ ٢ البناء السلطوي :

يقصد به مراكز القوة واتخاذ القرارات حيث تعد المكانة الأجتماعية للقيادات الرسمية وغير الرسمية مؤشراً للسلطات التي يملكها بعض الأفراد اوالجماعات سواءاً كانت هذه السلطات مقررة ضمن السياق الأجتماعي (بشكل غير رسمي) او ضمن السياق الأداري او ـ السياسي (بشكل رسمي) ويمكن القول بان البناء القبلي لمجتمع ربيعة القائم على نمط البداوة قد جعل القبيلة اوالعشيرة اساس حياته الأجتماعية والأقتصادية والسياسية فقد كانت السلطة لوقت قريب محددة بايدي شيوخ العشائر الذين يمثلون حلقة الوصل بين ابناء العشيرة والأجهزة الأدارية كما انهم يسيطرون على التنظيمات الأجتماعية والسياسية والنشاطات الأقتصادية وقد رسخت هذه الحالة مظاهر عدم الثقة بمعظم الأجهزة الأدارية وعدم الرغبة بالتعامل معها (وهي مظاهر طبيعة التعامل والممارسات في العهد العثماني ثم عهد الأحتلال البريطاني وحتى العهد الملكي) (**)

وقد استطاعت ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز المجيدة اعادة بناء جسور الثقة بين المواطنين والأجهزة الرسمية عبر انهائها لسلطة الشيوخ ورؤساء العشائر كمراكز مؤثرة في بناء القوة من خلال قوانين الأصلاح الزراعي وتمليك الأراضي للفلاحين وكذلك التوعية الجماهيرية التي تولتها المنظمات الحزبية والشعبية والدعم المادي الذي وفرته الجمعيات الفلاحية والمؤسسات التعاونية اوالحكومية وبشكل خاص في مجال التقنية الزراعية والتثقيف والأرشاد والتعليم الألزامي والمجاني (٩) .

(*) العائلة النووية هي الصغيرة المكونة من الزوجين واطفالها فقط اما العائلة الممتدة فتضم اكثر من جيل ، كالزوجين وابنائهم المتزوجين والاحفاد .

(**) وفر الغاء نظام الاقطاع عام ١٩٥٨ فرصاً ايجابية لبناء علاقات مباشرة بين السكان واجهزة الدولة

ومما لاشك فيه ان اجمالي تلك الأنشطة والفعاليات استطاع احداث تغييرات في بناء المكانة ومراكز اتخاذ القرارات فقد ظهرت قيادات رسمية في المجتمع تمثل مؤشرات لانتقال مظاهر التماسك الاجتماعي من مستوى الأسرة والعشيرة الى مستوى الوطن والمجتمع ، الا أن ذلك لاينسينا القول بوجود حاجة لترسيخ عمليات التغيير ودعمها وتطويرها بما يقلص الفجوة بين الأجهزة الأدارية والسكان ويوفر مداخل ايجابية وبيئة مناسبة لتكيف افراد المجتمع وجماعاته بشكل افضل لمتطلبات التنمية .

٣/١ البناء القيمي :

كلما كان من السهل تغيير الجوانب المادية في حياة المجتمعات كان تغيير الجوانب الاجتماعية اصعب ، واصعب منه تغيير البناء القيمي ، فالقيم الأجتماعية التي تحكم سلوك الجماعة البشرية وتؤطر اعرافهم وتقاليدهم وتحدد عاداتهم وقواعدهم السلوكية هي القاعدة الجوهرية لحالة التوازن والتماسك الأجتماعي ، ومن ثم فان التجاوز على تلك القيم يعد من مظاهر التمرد الذي تقابله الجماعة بالرفض واحيانا بالزجر ان لم يكن بالعقاب المادي او الاجتماعي (*) .

ومعلوم ان حياة البداوة ومستلزماتها فرضت على المجتمع بناءاً خاصا للقيم من اهم سماته :

(آ) العصبية : وتتمثل بمقولات مشهورة منها (أنصر اخاك ظالما اومظلوماً) ، (انا واخي على ابن عمي، وانا وابن عمي على الغريب)،(١١) هذه القيمة الأجتماعية تنسحب على كثير من العادات والتقاليد الأجتماعية لاسيما في حياة الدخيل ومايمكن ان تعنيه في امتدادها حتى لحماية العدو نفسه احيانا فالعصبية والأهتمام بذوي الرحم والأقارب قيم فرضتها حياة البداوة القاسية وهي الوعاء الذي لابد منه لتحقيق التضامن والتماسك الاجتماعي حتى مع العدو عندما يلجأ البدوي ويطلب حمايته ... ومن ثم فان استمرار تأثير هذه القيم يمكن ان يرسخ عادات سلوكية لاتتفق مع الفعاليات التنموية الجديدة لاسيما الوساطة والمحسوبية .

(*) يشير عاطف غيث ان نسق القيم الثقافية قد يكون مقدساً وقد يكون غير مقدس وفي الحالة الاولى تكون الثقافة محافظة على التقاليد اي ان تجاوز التقاليد يستوجب العقاب الصارم اما في الحالة الثانية (وهو حين تكون القيم غير مقدسة) فان الافكار والاشياء تقوم على اساس نفعي وهنا يستقبل الناس التغيير بشكل حسن حيث يكون نسق القيم متحرراً (١٠)

(ب) الغلبة والفروسية : تعد الشجاعة والأقدام والقوة والأنتصار من اهم سمات البداوة التي تستلزمها حياة الصحراء ، فالغلبة في العطاء والكرم والضيافة من مظاهر الشجاعة والفروسية ، ومن ثم فان البدوي يريد القوة والسلطة ليستطيع حماية الأخر فهو لا يفكر بذاته بقدر مايفكر باهله وعشيرته وجيرانه ، ان الرغبة بالتغلب والتقدم على الاخرين عن طريق القوة ، ماتزال من القيم المؤثرة في مواقف وسلوك الأفراد وبشكل يقلق من اسهامهم في الأنشطة التنموية .

(ج) الثأر والدية : فرضت سيادة العصبية والغلبة في مجتمع البداوة وجود قيمة الثار لتتكامل جوانب البناء القيمي بشكل متوازن فالغلبة وماتستتبعه من غزو وحروب في ظل قساوة الصحراء لابد من اقترانها بالثأر كقيمة مضادة اوضابطة تخفف من غلواء الأندفاع في الأعتداء والسلب والنهب ، ذلك ان الثأر يعبر عن مفهوم المسؤولية الجماعية في التضامن والدفاع الأجتماعي ومن ثم اصبحت (الدية) ودفعها من قبل ابناء العشيرة جماعيا اسلوبا لتأطير قيمة الثأر وما تستتبعه من التزامات وخسائر وتحويلها الى قيمة اقل سلبية عن طريق دفع الدية .

(د) احتقار المهن والحرف. ذلك ان حياة التنقل وعدم الاستقرار في الصحراء بحثا عن المرعى والغنائم جعلت القوة والغزو اساس الحياة السياسية والاقتصاديـة فأن العشيرة بحاجـة لمن يحميها ويكسب لها الغنائم لا من يعمل ولا يستطيع حماية نتاجه ، فالمهن والحرف لاسيما التي تتطلب الاستقرار والاستيطان كالزراعة تعد مظاهر مفسدة لحياة البدوي ومتعارضة مع قيمـه واعرافه ، لذا فهي محتقرة بنظره .

وهذه القيم على سبيل المثال لاالحصر قيم فرضتها البيئة البدوية القاسية (١٢) فلا يمكن للمجتمع البدوي الغاؤها بسهولة فهي قيم مقدسة وموروثة ، الاأنها حتما تعرضت عبر السنوات الأخيرة للتغيير بسبب ماتحقق من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية لاسيما في بناء السلطة والبناء القبلي ..... الا أن ذلك كله لم يستطع الغاء تلك القيـــم الموروثة فما تزال جذورها كامنة في شخصية الفرد تظهر كلما دعت الحاجة لذلك باقية تحت السطح الى ان تنتفي اسباب ودواعي نشأتها واستمرارها .

مما تقدم يمكن القول بان مهارات التكيف الاجتماعي في مجتمع ربيعة ماتزال محدودة وتعاني من رواسب سلبية موروثة في البنية الأجتماعية الا أن من المؤكد حدوث عمليات

تغيير في السنوات الأخيرة تعكس صورة ايجابية ومتفائلة لامكانية تحسين مهارات التكيف الاجتماعي بما يضمن نشأة بيئة اجتماعية لتحقيق الفعاليات التنموية التي يهد ف لها مشروع ري الجزيرة .

٢ـ مهارات التكيف الأقتصادي :

تعني مهارات التكيف الأقتصادي السمات والخصائص الفنية للجماعة البشرية التي تعد شرطا اساسياً لانجاز الأنشطة الأقتصادية بفاعلية وكفاءة لاسيما الانتاجية منها ، بوصفها القاعدة الجوهرية لاحداث القيمة المضافة في المجتمع وزيادة الدخل القومي ورفع المستوى المعاشي .. ويمكن دراسة وتحليل مهارات التكيف الأقتصادي للجماعات البشرية عبر ثلاثة جوانب اساسية في البنية الأجتماعية هي : البناء العمري والنوعي ، البناء المهني ، البناءا لمهاري ، وفيما يلي عرض موجز لواقع مجتمع ربيعة في هذه الجوانب :ـ

٢ / ١ البناء العمري والنوعي : لايختلف البناء النوعي والعمري لسكان منطقة الجزيرة كثيراً عما هو عليه سكان العراق حيث تمثل الاناث مايقارب النصف وان غالبية السكان تنحصر في الفئات العمرية دون الستين عاما مما يجعل الهرم السكاني ، عريض القاعدة فتياً .. ويتميز الهرم السكاني في منطقة الجزيرة باحتمالات استمرار صفة الفتوة فيه بسبب ظاهرة الزواج المبكر وهي تحقق فترة انجاب اطول ومن ثم زيادة سكانية اعلى .

ويعد البناء النوعي والعمري لسكان المنطقة عاملا ايجابيا في توفير الأيدي العاملة للمشاريع القومية ، حيث تتميز المرأة البدوية بقدرتها على مشاركة الرجل في العمل، وان ماتحقق من تغير في مواقف الافراد من العمل اليدوي لاسيما الزراعي منه لم يقتصر على الذكور بل شمل الأناث ايضاً فقد استطاعت المرأة في منطقة ربيعة خلال السنوات الأخيرة ان تكون بديلا للملتحقين باعمال ومهام بعيدة عن سكنهم .

وفي الجانب الاخر يعد ارتفاع حجم الشريحة العمرية القادرة على العمل (مايقارب النصف) واحتمالات استمرار تزايدها للسنوات القادمة مؤشراً ايجابيا لاحتمالات توافر القوى العامة التي تحتاجها المشاريع التنموية في المنطقة ومن ثم يعبر ذلك عن كفاءة محتملة في مهارات التكيف الأقتصادي ، وبحد أدنى في المستوى الكمي لتوفر الموارد البشرية .

٢/ ٢ البناء المهني : تطغى مهنة الفلاحة على سكان المنطقة فقد اظهرت الدراسة الميدانية بأن جميع العوائل في منطقة ربيعة تمتهن الزراعة بشكل رئيس ، وفي الوقت نفسه يوجد بين ابنائها من اتجه الى مهن جديدة ، وبشكل خاص العسكرية منها حيث لوحظ ان حوالي (٧٠٪) من العوائل ينتمي عدد من ابنائها الى القوات المسلحة ، كما ان) حولي (١٥٪) من هذه العوائل انخرط بعض ابنائها في وظائف ادارية او فنية.

وهذا التوزيع المهني لسكان منطقة ربيعة يعد توزيعاً ايجابيا يتفق مع الواقع الأقتصادي والاجتماعي لاصول السكان حيث كان لسنوات قريبة بدويا وبدأ الأستقرار وامتهان الزراعة في الستينات ، ومن الملاحظ ان الجيل الجديد من الأبناء يبحث عن مهن جديدة توفر له فرصاً أفضل من الفرص التي تحققها له مهن الاباء ، لذا فان الغالبية اتجهت الى الأنخراط في صفوف الجيش ، وقد يعني ذلك مؤشراً في توفير الموارد البشرية التي تحتاجها المشاريع التنموية ، الا أنه يعطي احتمالات افضل لانتقال الأيدي العاملة الراغبة بالعمل في المشاريع التنموية للمنطقة مما يرفع من مستوى البناء المهني للسكان .

ويعد البناء المهني بسماته الحالية غير قادر على الأستجابة السريعة لمتطلبات المشاريع التنموية المحتملة مستقبلا في المنطقة، وذلك بسبب ارتفاع نسبة المهاجرين او المنخرطين في وظائف ومهن لاتؤهلهم للعمل في المنطقة مستقبلا وهذا يعني ان البناء المهني الحالي واحتمالاته المستقبلية غير مؤهل للتكيف لاحتياجات الأنشطة الأقتصادية التي تتطلبها الفعاليات التنموية المخطط لها .

٢/ ٣ البناء المهاري : لقد استطاعت فعاليات محو الأمية التي نفذتها الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية من تغيير واقع البناء المهاري بشكل متميز فبعد أن كانت الأمية سائدة في المناطق الريفية في بداية الستينات إنخفضت نسبتها بشكل ملحوظ بل يمكن القول بأنها إنحصرت في جيوب محدودة خاصة بالنسبة للفئات العمرية القادرة على العمل ... وقد أتاح هذ التغيير في المستوى التعليمي للسكان فرصاً إيجابية عالية لنجاح التوجيهات الأخيرة في اعتماد المكننة الزراعية وإعمام استخدام الأساليب الزراعية الحديثة فقد سهلت معرفة القراءة والكتابة عمل مراكز الارشاد الزراعي والجمعيات الفلاحية ومراكز البحوث الزراعية التطبيقية في توعية الفلاحين وتدريبهم وتحسين مهاراتهم الفنية ليس

(*) النسب مأخوذة من الدراسة الميدانية المعدة لاغراض مشروع ري الجزيرة .

في مجال الزراعة فحسب بل في استخدام وتشغيل المكننة الزراعية وادامتها ايضاً . وقد سهل ذلك اعمام تعامل الفلاح مع التقنيات الزراعية الجديدة (المكننة والأساليب الجديدة في الزراعة) بشكل مباشر او غير مباشر الا أن ذلك كله مايزال دون الطموح في رفع مستوى البناء المهاري سواء للفلاحين او العمال الزراعيين كقاعدة اساسية يمكن الأعتماد عليها في التطور الزراعي المرتقب للمنطقة ناهيك عن القصور الواضح في البناء المهاري بما يتصل بالاحتياجات المستقبلية المحتملة للخبرات المهنية المتنوعة في مجال الصناعات الريفية ولأنشطة الأنتاجية والخدمية التي ستفرضها المشاريع التنموية ...

وبذلك يمكن القول بان البناء المهاري ليس اوفرحظاً من البناء المهني في كونه يعاني من مصاعب ومعوقات في مهارات التكيف الأقتصادي .

ونستنتج من ذلك كله ان مهارات التكيف الأقتصادي رغم ماوجدنا من ايجابيات في البناء العمري والنوعي وتغير نسبي في البناء المهني والمهاري ما تزال دون المستوى المطلوب لتحقيق قاعدة جيدة من القوى العاملة القادرة على سد الأحتياجات من المهارات الفنية والخبرات المهنية التي تستلزمها الفعاليات الأقتصادية في المنطقة . وان هذا النقص اكثر وضوحاً في الجانب النوعي منه في الجانب الكمي .

٣ – مهارات التكيف الثقافي : يرتكز نجاح التكيف الأجتماعي والتكيف الأقتصادي على نجاح التكيف الثقافي بوصفه الاطار العملي لتقبل الأنماط السلوكية التي تستلزمها عملية التغيير التنموي ذلك ان التكيف الثقافي يعني تنميط السلوك الأجتماعي والأقتصادي لافراد المجتمع بشكل يتلاءم مع متطلبات الفعاليات والأنشطة التنموية فاكتساب العادات السلوكية الجديدة يعني الأنضواء في عمليات التغيير اي تمثل القيم الجديدة وماتفرضه من مواقف وعادات سلوكية توفر فرصاً افضل للاسهام في التنمية . لذا فان مهارات التكيف الثقافي تعتمد على شرطين أساسيين مترابطين : –

(آ) القدرة على التخلص من تأثير القيم الأجتماعية السائدة وتجاوز التقاليد والعادات والأنماط السلوكية المتعارضة مع متطلبات التغيير التنموي ، وهذا الأمر يتصل بطبيعة البناء التربوي والثقافي للمجتمع .

(ب) القدرة على تقبل قيم جديدة بديلة تمثل الأطار العام للانماط السلوكية المطلوبة في المجتمع الجديد ، وهذا الأمر يتصل بالتصور الأدراكي عن الثقافة الجديدة .

وتأسيسا على ماتقدم يمكن توضيح مهارات التكيف الثقافي في مجتمع الجزيرة على ضوء خصائص البناء التربوي للمجتمع ثم مايتضمنه التصور الأدراكي لافراده تجاه المؤسسات التنموية وعلى النحو التالي : ـ

٣ / ١ البناء التربوي : مايزال البناء التربوي لمجتمع ربيعة يخضع لتأثير كثير من سمات المجتمع البدوي ، التي تعد من معوقات التغيير الأجتماعي والتنموي ، حيث نجد رواسب كثيرة لتقاليد البداوة قائمة حتى الان ، ومنها : ـ

(آ) الأعتقاد بالقضاء والقدر والاستسلام له ، فهناك نسبة عالية من غير المبادرين لتجاوز المصاعب التي تواجههم في حياتهم الأقتصادية والأجتماعية تعد مؤشراً سلبيا في الموقف من التغيير ، حيث ان هذا الاستسلام الطوعي يؤشر عدم الرغبة في بذل الجهد لتغيير الواقع . ومواجهة المشكلات ومن ثم ترك الأمور للأقدار .

(ب) اعتماد العرف العشائري في حل المنازعات والخلافات ، فتولي السلطة المحلية والقضاء معالجة تلك المنازعات ومعاقبة المخالفين او المجرمين يعد امراً ماسا بكرامة العشيرة وكبريائها ذلك انها يجب ان تأخذ حقها بنفسها وان على عشيرة الجاني الأعتذار وتقديم الدية بل وتقديم زوجة لأحد ابناء المجني عليهم . ان استمرار التمسك بهذه الأعراف يعد من معوقات التغيير التنموي لما يتطلبه هذا التغيير من اعتراف بالسلطة الرسمية والتزام بالقوانين .

(جـ) التعصب الثقافي القائم على تمثل الاساليب الحياتية المعتادة والموروثة كعادات سلوكية لايمكن تغييرها ، ومن امثلة ذلك ماأشرنا له من قيم واعراف اجتماعية ماتزال قائمة حتى الان كالثأر والدية ، وزواج الكَصة بكَصة (أي المرأة بالمرأة على وجه التبادل) واحتقار بعض المهن .... وهذه الأعراف الأجتماعية تعد مصاعب امام التغيير الثقافي المطلوب ، ذلك ان عملية التغيير التنموي تفرض هجرة عدد كبير من مناطق مختلفة الى منطقة المشروع وسيحملون معهم قيمهم وأعرافهم ايضاً ومن ثم لابد وان يتنازل كل فريق (السكان الأصليون والقادمون الجدد) عن جزء من ثقافتهم بما يضمن بناء ثقافة مشتركة جديدة تتفق مع احتياجات وفعاليات وانشطة التنمية ، وتسهل عمل المؤسسات التنموية .

وتعد السمات الحالية للبناء التربوي في بعض جوانبها مؤشرات سلبية عن مهارات ، التكيف الثقافي وهي تتساند بشكل متكامل مع سلبيات البناء القيمي الذي ناقشناه في الفقرات السابقة (مهارات التكيف الأجتماعي) .

ورغم كون السلبيات في البناء التربوي محدودة حاليا مقارنة بالفترات السابقة ، الا أنها ماتزال قائمة و لابد من تحجيمها وتقليص اثارها الى الحد الأدنى ضمانا لتوفير شروط اكثر ايجابية وموضوعية لتنفيذ المشاريع التنموية .

٣ – ٢ التصور الأدراكي للثقافة الجديدة : تتطلب عملية التغيير توازناً عضوياً بين القدرة على التغيير والرغبة فيه وحيث ان سمات البناء الثقافي اظهرت مصاعب في القدرة على التغيير فان التصور الأدراكي للثقافة الجديدة تؤشر مصاعب اكبر في تقبل التغيير التنموي . ويمكن ان نحلل سباب عدم تقبل التغيير ضمن المستويات التالية عن التصورات الأدراكية للسكان في منطقة ربيعة .

١ – تصور دور الحكومة – تؤشر رواسب العلاقة بين اهالي المنطقة والمؤسسات الحكومية خبرات سلبية عن هذا الدور (*) تمثل حاجزاً نفسياً ماتزال آثاره فاعلة في تعويق اعادة بناء علاقات الثقة بينهم وبين المؤسسات التنموية في عهد الثورة والحزب. ومن ثم فان هذا التصور قد انعكس على كثير من التصورات الأدراكية الإخرى للأنماط الثقافية الجديدة .

٢ – الأختلاف في فهم أهداف الخطط التنموية ، حيث ان الأهداف الخاصة (الفردية والجماعية) للاهالي لايمكن ان تتطابق بشكل كامل مع اهداف الخطط التنموية كما انها غير متطابقة على مستوى الأفراد والجماعات سواء أكان ذلك في التوزيع الأفقي للامتيازات والحقوق والمسؤوليات (الأراضي أو المهام والأدوار الوظيفة) ام في التوزيع العمودي لها (المشكلات الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على التوزيع الأفقي) : ولهذا يكون من الصعب خلق لغة مشتركة للتفاهم وتقبل مصالح الغير بنفس مستوى المصالح الذاتية لاسيما في مجتمع ربيعة حيث ماتزال مهارات التكيف الأقتصادي والاجتماعي منخفضة في كثير من جوانبها

(٣) الاختلاف في المفردات والمفاهيم اللغوية، حيث نجد في منطقة ربيعة كما ذكرنا في البناء القبلي عدداً كبيراً من القبائل المختلفة في اللغة (اللهجة)والدين والطوائف وفي البناء الثقافي ،ومن ثم تواجه القيادات الادارية والشعبية مصاعب كبيرة في خلق اللغة المشتركة للفهم المتبادل بين هذه الفئات وستكون هذه المصاعب أكبر عندما يتوافد الاخرون الى

(*) تتمثل الخبرات السلبية على سبيل المثال لا الحصر بعدم تنفيذ مشروع سنجار (تطوير الزراعة الديمية والاعتماد على الينابيع والآبار الارتوازية الموعودة منذ عام ١٩٥٣) وكذلك تأخر تنفيذ مشروع سد اسكي موصل (سد صدام حالياً) حوالي ربع قرن .

المنطقة لمشاركة السكان الاصليين فيما يعدونه ملكاً لهم. ولاتقف اثار التباين اللغوي عند حدود خلق اللغة المشتركة بين الثقافات بل تتجاوزها الى مستوى الاداء حيث تواجه الانشطة والفعاليات التنموية مصاعب في تغيير البناء المهني والمهاري سواء اكان ذلك عبر الارشاد الزراعي او التوجيه السياسي أو التوعية المهنية .

(٤)مصاعب في عملية التعليم بسبب الصعوبات في بناء الاتصال وهي ناجمة عن المصاعب المشار لها في المستويات الثلاثة السابقة الى جانب الصعوبة في تقديم نماذج قيادية مؤثرة بديلة لرب الاسرة او لرئيس العائلة او لشيخ العشيرة ذلك ان المرشد الزراعي او المعلم او الاداري وحتى الطبيب والفني هم من خارج العشيرة وليس من السهل قبولهم والثقة بهم فهم يمثلون السلطة واهدافها ولهم لغة ومفاهيم ثقافية مختلفة، ومن هنا فمن الصعب الثقة بكل ما يقولونه وليس من السهل الاخذ بكل مايقترحونه . فمشكلة التعليم وصولا الى تكيف الاهالي للقيم والاعراف والتقاليد والانماط السلوكية الثقافية الجديدة أمر له محدداته ومعوقاته التي تستلزم الحذر والاهتمام الشديدين في اختيار القيادات التنموية الرسمية وفي دعم القيادات الشعبية بما يضمن تحقيق فهم مشترك بين تلك القيادات وبين الاهالي وصولا الى القناعة وبناء جسور الثقة القوية ومن ثم قبول وتمثل الثقافة الجديدة والانضواء في الفعاليات التنموية .

المبحث الثالث :النتائج والتوصيات

(محفزات التنمية وسبلها في مجتمع ربيعة)

اذا كانت هذه الدراسة محاولة لتحديد مشكلة التنمية ومعوقاتها في مجتمع ربيعة عبر تحليل ماأسميناه «محددات التنمية في مجتمع ربيعة»فلابد من اعطاء هذه المحاولة هدفاً تطبيقياً عبر تأشير :

أولا :- نتائج الدراسة تحت عنوان «محفزات التنمية».

ثانياً :- البدائل المقترحة تحت عنوان «سبل التنمية» .

أولا :- محفزات التنمية في مجتمع ربيعة :

يمكن رسم الهيكل العملي لتقرير محفزات التنمية الريفية للمجتمع وفق اطار المحددات التي تواجه تنميته كمعالجات لها وبذلك سنتعرض للمحفزات في ثلاثة مستويات هي :

١ – محفزات التكيف الاجتماعي: أظهر تحليل مهارات التكيف الاجتماعي لمجتمع ربيعة مجموعة محددات تقود الى خفض هذه المهارات يمكن ايجازها كالاتي :–

١/١. استمرار تأثير الولاء للاسرة والعائلة والعشيرة كأمتداد للانتماء القبلي في المجتمع البدوي ومن ثم وجود مصاعب في التخلص من ضغوط الجماعات المرجعية وعدم القدرة على التخلص من القيم والمعايير السلوكية السائدة أو كحد ادنى عدم القدرة على التكيف للقيم الجديدة او التكيف للانماط السلوكية التي تفرضها الفعاليات التنموية .

٢/١. استطاعت الثورة خلال السنوات الاخيرة اعادة تنظيم بناء السلطة ومراكز اتخاذ القرارات في الريف عبر مجموعة كبيرة من الاجراءات بدأ بقوانين الاصلاح الزراعي ومروراً بدعم التنظيمات الجماهيرية الفلاحية وانتهاءاً بالتعليم الالزامي ،الا ان ذلك لم يستطع تحقيق نقل مظاهر التماسك الاجتماعي من مستوى الاسرة والعشيرة الى مستوى الوطن والمجتمع بالصيغة التي تطمح الى تحقيقها الاهداف التنموية ضمن ستراتيجية الحزب والدولة .

١/ ٣. ما تزال أثار العديد من القيم البدوية قائمة في مجتمع ربيعة ومنها العصبية والغلبة والثأر واحتقار بعض المهن والحرف فما تزال رواسبها في البناء القيمي، فهي قد تختفي احياناً الا انها تطفح على السطح في الغالب لتعيق انشطة التغيير التنموي. ان المؤشرات المذكورة تعكس لنا انخفاضاً واضحاً في مهارات

التكيف الاجتماعي أي وجود معوقات ومصاعب في قدرات الافراد والجماعات على تحقيق بيئة اجتماعية ايجابية تحتضن الفعاليات التنموية بشكل كفء وترعاها بما يضمن الوصول الى الاهداف بفاعلية ... وبذلك تكون بحاجة ماسة لتقليل او ازالة مانستطيع من تلك المعوقات عن طريق تحفيز افراد المجتمع لممارسة الانشطة والفعاليات المساعدة على تغيير طبيعة البناء القبلي واعادة تنظيم بناء السلطة وتنقيح البناء القيمي لمجتمع ربيعة وذلك بالوسائل الاتية :

أ ـ ترسيخ الدافع لدى الافراد بأتجاه تحقيق المكانة الاجتماعية القادرة على تخطي ضغوط الجماعات المرجعية والتفتح على الصيغ الاجتماعية الجديدة التي تتطلبها التنمية وبشكل خاص العيش في اسر نووية والتوجه للتعليم التخصصي والمهني واستخدام التقنية كشروط اساسية لبيئة اجتماعية ايجابية ومناسبة للتنمية .

ب ـ توفير النشاطات وخلق المواقف والظروف المشجعة على ظهور الشخصية الايجابية المتمتعة بصفات القيادة والميالة للمشاركة في العمل الجماهيري بما يسهل الانتقال بمظاهر التماسك الاجتماعي من مستوى الاسرة والعشيرة الى مستوى الوطن والمجتمع .

جـ ـ السعي لدعم الموقف القانوني والتنظيمي للمؤسسات الرسمية المختصة في بناء العلاقات الاجتماعية والتجارية والقانونية بما يقلص تأثير القيم البدوية في بناء الاتصالات والعلاقات داخل المجتمع .

٢ ـ محفزات التكيف الاقتصادي : اشارت نتائج الدراسة الميدانية الى انخفاض واضح في مهارات التكيف الاقتصادي ، فالسمات النوعية والعمرية للسكان والخصائص الفنية والتأهيلية جميعاً عكست مؤشرات متدنية للموارد البشرية المتاحة حالياً والمحتملة مستقبلا بناء على الواقع السكاني الحاضر وعلى النحو الاتي:

٢/١. البناء العمري والنوعي: يمكن القول إن البناء العمري والنوعي يمثل افضل المؤشرات لاحتمالات وجود مهارات للتكيف الاقتصادي حيث الطبيعة الفتية للهرم السكاني ووجود نسبة جيدة من الاناث تعطي فرصاً افضل في احتمالات الحصول على الموارد البشرية التي ستحتاجها الانشطة والفعاليات التنموية من

الجانب الكمي فقط. ومع ذلك فان انخراط نسبة كبيرة من الفئات العمرية الشابة في القوات المسلحة يقلص من احتمالات الافادة منها مستقبلا حيث يتم تدريبها وتأهيلها في اعمال ومهن تندر الافادة منها في المشاريع التنموية الابعد اعادة تأهيلها ....

٢/٢. البناء المهني، ان تسلط مهنة الزراعة على الرغم من كونه مؤشراً ايجابياً لتنفيذ المشاريع التنموية في المنطقة الان التوجه الحالي في ابتعاد الجيل الجديد عن مهنة الزراعة يقلل من تلك الايجابية، حيث ستزداد الحاجة المستقبلية لتطوير البناء المهني ليس في مهنة الزراعة فحسب وانما في الصناعات الريفية والعمل الزراعي والانشطة الاقتصادية المساعدة الاخرى ......وكل ذلك يعني انخفاضاً في مهارات التكيف الاقتصادي الان وغداً

٣/٢. البناء المهاري : على الرغم مما حققته الحملة الوطنية لمحو الامية من تغيير في المستوى التعليمي لابناء المنطقة، فأن القدرة على توظيف هذا التطور لصالح رفع مستوى المهارات في العمل الزراعي بقي دون الطموح في التعامل مع التقنيات الزراعية الجديدة، كما ان هناك غياباً شديداً في بناء قاعدة للمهارات التي يحتمل تزايد الحاجة لها لاسيما في مجالات الصناعة والتسويق والخدمات الريفية الاخرى.

وبناء على ماتقدم نلاحظ ان مهارات التكيف الاقتصادي تعاني من مصاعب ومعوقات آنية ومستقبلية تفرض توجهاً سريعاً لتحفيز السكان نحو العمل الزراعي عن طريق دعم المنتوجات الزراعية وبشكل يحقق الاحساس بالضمان والاستقرار في مهنة الزراعة وكذلك المهن الاخرى التي يحتمل تزايد الحاجة اليها في المنطقة وبذلك يمكن تقليل توجه أبناء الجيل الجديد الى مهن بعيدة عن احتياجات الفعاليات التنموية المستقبلية في المنطقة. ان مشروع ري الجزيرة بحد ذاته عامل جوهري في رفع كفاءة العمل الزراعي بما يحققه من خفض لمخاطر الزراعة الديمية وبما يوفره من رقعة زراعية اوسع، الا انه ليس العامل الحاسم فهناك حاجة ايضاً لتقليل مخاطر الامراض والاوبئة الزراعية وكذلك مخاطر التنافس وانخفاض اسعار المنتجات الزراعية ... وغير ذلك من عوامل عديدة يجب العمل على تقليصها الى الحد الادنى بما يسهل رفع كفاءة العمل الزراعي ومردوداته الاقتصادية للسكان، ويحقق لهم مكانة اقتصادية جيدة توفر لهم فرصاً افضل ليس لتجاوز

مصاعب المعيشة فقط وانما لرفع مستواهم المعاشي ايضاً وتحسينه بما يقلص الفوارق بين ابناء الريف والمدينة .

٣ — محفزات التكيف الثقافي : اظهر تحليل مهارات التكيف الثقافي نقصاً واضحاً في شرطيها الرئيسين :

(١) القدرة على التخلص من تأثير القيم السائدة وتجاوز التقاليد والانماط السلوكية المتعارضة مع متطلبات التغيير التنموي .

(٢) القدرة على تقبل القيم الجديدة كأطار للانماط السلوكية المطلوبة في العمل التنموي

فقد اظهر البناء التربوي لمنطقة ربيعة استمرار تأثير بعض سمات المجتمع البدوي كالاعتقاد بالقضاء والقدر والاستسلام له، وكذلك اعتماد العرف العشائري في حل المنازعات والخلافات،والتعصب الثقافي المعوق للتكيف الاجتماعي بين فئات السكان المتزايدة مع دخول الجماعات البشرية التي تستقطبها الانشطة التنموية في المنطقة .

كما اظهر التصور الادراكي للثقافة الجديدة مؤشرات سلبية لدى افراد المجتمع فما تزال نسبة غير قليلة تعاني من رواسب عدم الثقة بالاجهزة والمؤسسات الحكومية وكذلك من مصاعب في التقريب او المطابقة بين الاهداف الشخصية والاهداف العامة للخطط التنموية ،الى جانب عدم توحد المفردات والمفاهيم اللغوية كشرط لخلق لغة مشتركة وكل ذلك ادى الى معوقات لعملية التعلم المطلوبة لتحقيق التكيف الثقافي لاسيما مايتصل منها بقبول القيادات الجديدة وصولا لبناء جسور الثقة بين الاهالي والادارات التنموية بما يساعد على الأنضواء في العمل التنموي .

ان تجاوز السلبيات المشار اليها في مهارات التكيف الثقافي تستوجب خلق حوافز للتكيف الثقافي تتصل بالبنائين التربوي والسياسي اي تتصل ببناء المكانة الثقافية بجانبيها التربوي والسياسي حيث يتصل الجانب التربوي بتحفيز الافراد على التخلص من القيم القديمة المتعارضة مع العمل التنموي اما الجانب السياسي فيتصل بدفع الافراد إلى تقبل القيم الجديدة وتعلم الانماط السلوكية .ويمكن القول إن عملية التحفيز تتطلب الاتي :

١ — اثارة الموقف التنافسي بين الافراد في الاستفادة من نتائج التنمية وما تحققه من مكاسب تتصل بشكل خاص بتحقيق الراحة والمتعة ومن ثم ترجح لديهم الميل لترك الانماط السلوكية القديمة المتعارضة مع الواقع الجديد .

٢- تقديم نماذج ايجابية للقيادات الرسمية وغير الرسمية من ابناء المنطقة تستطيع كسب ثقة الغالبية وتكون القدوة في تقبل القيم والانماط السلوكية الجديدة المطلوبة لانجاح التنمية .

٣- تنشيط وتجديد الدوافع لتقبل التقنيات الجديدة في العمل لاسيما الزراعي! منه أو تقبل المهن الجديدة بما يحفز الاهالي ويثير اهتمامهم ورغبتهم بتبني الانماط السلوكية الجديدة .

٤ - الحذر لدى تقديم النماذج الجديدة للسلوك والتقنيات بما يضمن عدم رفضها وتقبلها بسهولة ويكون ذلك الحذر على اساس جملة قواعد او شروط اهمها : التوافق مع التصورات الادراكية، أي سهولة الاستخدام او التطبيق للغالبية ،مع عدم التعارض مع العقائد والمشاعر الدينية .

ثانياً:- سبل تنمية مجتمع ربيعة :

تأسيساً على ماتقدم من نتائج في (أولا) يمكن تحديد مجموعة من التوصيات أو المقترحات التي تمثل لنا البدائل الممكنة التطبيق في السعي لتوفير بيئة ايجابية وموضوعية نجاح التنمية الريفية في مجتمع ربيعة .وفيما يلي محاولة لعرض اهم المقترحات (*) :

١ - تحقيق المكانة الاقتصادية للافراد : يعد هذا الهدف من المهام الاساسية الرئيسة لمشروع ري الجزيرة حيث يسعى لتوفير اراضي زراعية اروائية يمكن ان توفر فرصاً جيدة في العمل الزراعي وما يستلزمه من اعمال تكميلية ، الا ان هذه الفرص رغم كونها شرطاً اساسياً للتوطن في منطقة المشروع فان هناك العديد من المستلزمات أو الشروط الاساسية المساعدة والضرورية لتحقيق الضمان والاستقرار في العمل ، حيث لايكفي ان يملك الافراد أرضاً اروائية صالحة للزراعة وانما يبقى هؤلاء بحاجة ماسة الى الاحساس بالضمان والاستقرار عبر المكانة الاقتصادية التي توفرها لهم فرص العمل الجديدة اي بما تحققه لهم هذه الفرص من تقليل لمخاطر انخفاض الانتاجية او مخاطر التنافس. وبهذا الصدد نقترح مايأتي :-

(*) ستأتي المقترحات المطروحة في هذه الدراسة بصيغة بدائل عامة تخص التنمية الشاملة في المجتمع وذلك انسجاماً مع الاطار النظري للبحث القائم على اعتبار التنمية الريفية نظاماً اجتماعياً مفتوحاً (فرعياً) ضمن التنمية الشاملة التي هي نظام فرعي في المجتمع أيضاً لذا فان اية مقترحات لتغيير واقع مجتمع ربيعة ستكون متصلة بمدخلاته ومخرجاته وهي في الحقيقة الصلة الحركية بين التنمية الريفية والمجتمع .

١/١. رفع كفاءة العمل الزراعي بما يضمن تحقيق اعلى انتاجية ممكنة وذلك عن طريق

أ ــ تشجيع استخدام التقنيات الزراعية ويعتمد ذلك على التنسيق بين العديد من الاجهزة التنموية (*) . وبشكل خاص :ــ

ــ التنظيمات التعاونية (الجمعيات الفلاحية مثلا) لتنسيق استخدام المكائن الزراعية الكبيرة بشكل جماعي وكذلك توفير البذور المحسنة والتوعية الزراعية .... الخ.

ــ الجمعيات العلمية والمهنية ومراكز البحوث العلمية والزراعية لتنظيم . دورات التعليم المستمر للفلاحين والعمال الزراعيين بخصوص استخدام التقنيات الجديدة وذلك بالتعاون مع مراكز الارشاد الزراعي والجمعيات الفلاحية .

ب ــ توفير شروط ومستلزمات استخدام القدرات الزراعية وبشكل خاص المكائن والمعدات الزراعية والاروائية ومراكز ادامتها وصيانتها، ثم الاسمدة والبذور ومخازنها ويعتمد ذلك على المؤسسات والمنظمات الفنية التابعة لوزارات الزراعة والاصلاح الزراعي والصناعة والتجارة .

٢/١. حماية المنتجات الزراعية والعمل على تسويقها بشكل يضمن للفلاح عدم تلف محاصيله وبيعها بالاسعار التي تحقق له ولعائلته مستوى معاشياً يخلق عنده الاحساس بالضمان والاستقرار في عمله ويعتمد ذلك على التنسيق بين عدد من الاجهزة التنموية : اهمها :

ــ التنظيمات التعاونية
ــ مؤسسات التسويق الزراعي/ وزارة الزراعة
ــ مراكز الارشاد الزراعي

٣/١ تقديم نماذج رائدة ومتميزة في تطبيق واستخدام التقنيات الزراعية بما يشجع الفلاحين على الاقتداء بها وتقليدها ويتحقق ذلك بعدة صيغ اهمها :

ــ المزارع النموذجية التي تديرها مراكز البحوث الزراعية العلمية .
ــ مزارع الدولة التي تديرها وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي .
ــ المزارع الخاصة التي تحصل على دعم من الدولة .

(*) يجد القاريء شرحاً لادوات التنمية (الأساليب والاجهزة) في بحث محمد حربي حسن : طرق واساليب العمل في تنمية المجتمع المحلي (١٣) .

ويمكن القول بأن توفير الشروط المتقدمة المذكورة ستكون عاملا ايجابياً في استقطاب العنصر البشري المتمتع بمهارات التكيف الاقتصادي واستقراره في المنطقة بما يضمن لنا افضل بيئة موضوعية لتطوير هذه المهارات بشكل يتوا كب من متطلبات الفعاليات التنموية بشكل عام وفي جانبها الاقتصادي والمادي بشكل خاص .

٢ – تحقيق المكانة الاجتماعية للافراد : تعد المكانة الاجتماعية للفرد الجانب الاخر للتنمية الاجتماعية ، بل انها البناء الفوقي للتنمية وهو الذي تتمثل اسسه بالمكانة الاقتصادية ، لانها السبيل الامثل لتطوير مهارات التكيف الاجتماعي الذي يهدف في جوهره الى نقل وتطوير مفهوم الولاء والتماسك الاجتماعي من مستوى الاسرة والعائلة الى مستوى الوطن والمجتمع حيث تعني المكانة الاجتماعية هنا القدرة على التخلص من ضغوط الجماعات المرجعية وكذلك القدرة على تجاوز القيم والتقاليد التي لاتتفق مع مستلزمات الفعاليات التنموية والقدرة على تمثل الانماط السلوكية الجديدة .

ان تحقيق المكانة الاجتماعية للافراد يستلزم توفير بيئة مناسبة لهذه المكانات يمكن تحقيقها ضمن الشروط الاتية :

٢/ ١ توسيع النشاطات الجماهيرية في المجتمع والاهتمام بالعمل الجماهيري (كماً ونوعاً) وذلك بما يضمن خلق أكبر عدد من الانتماءات للفرد، فكلما زاد عدد المنظمات التي ينتمي لها الفرد وتنوعت اهدافها زادت فرص الحصول على المكانة الاجتماعية لافراد المجتمع ، فالذي لايستطيع تحقيق مكانة مرموقة في البيت يستطيع تحقيقها في المدرسة او في النادي الرياضي او في المركز الثقافي او في العمل اوفي الجمعية التعاونية أو في المنظمة الحزبية او في العمل الشعبي او في غير ذلك من المنظمات العديدة .

ويعد تعدد وتنوع هذه المنظمات في المجتمع مؤشراً على حيويته وقدرته على توفير البيئة الموضوعية لبناء الشخصية الأيجابية المؤهلة للقيادة في المجال الذي تمتلك فيه خصائص القيادة ومن ثم يتحقق فيه نمو متميز لمهارات التكيف الأجتماعي بشكل ينسجم مع مستلزمات نمو المجتمع وتطوره .

وفيما يلي اهم نماذج توسيع قاعدة النشاطات الجماهيرية في المجتمع (١٤) :

(آ) – منظمات حكومية .

- المجلس الأعلى للتخطيط .
- مجالس المحافظات .
- المراكز القومية للبحوث .
- مراكز الخدمة الأجتماعية .
- مراكز التثقيف الصحي والعيادات الشعبية .
- مراكز الأرشاد (مراكز التنمية الأجتماعية) .

(ب)- تنظيمات مهنية .

- تنظيمات تعاونية (الجمعيات الفلاحية والأتحادات المهنية) .
- تنظيمات ثقافية (الجمعيات الأجتماعية والنوادي ... الخ) .
- تنظيمات مهنية علمية (الجمعيات العلمية المتخصصة) .

(ج)- هيئات شعبية .

- احزاب سياسية .
- مراكز شباب .
- لجان العمل الشعبي .
- لجان محو الأمية .

٢ / ٢ دعم الموقف التنظيمي والقانوني للمؤسسات والأنشطة التنموية الواردة في الفقرة السابقة وذلك عن طريق تطوير وزيادة كفاءة الأساليب التنموية (٨) ومنها :

(آ) تمويل المنظمات والتنظيمات والهيئات بشكل يحفز العاملين فيها .

(ب) تشجيع العمل الأجتماعي والتنسيق بين النشاط الحكومي والأهلي .

(ج) التوعية والتثقيف الجماهيري عن طريق اجهزة الاعلام ووسائله وكذلك المؤتمرات العلمية والمهنية والتنظيمية .

(د) أصدار التشريعات والقوانين بشكل يتواكب مع مستلزمات تطوير وتنمية الأنشطة التنموية في المجتمع وبما يكفل سلامة الموقف القانوني والأجتماعي للانماط السلوكية التي ماتزال خاضعة للقيم والتقاليد البدوية .

ان ذلك يمكن ان يرفع من مستوى مهارات التكيف الأجتماعي للمجتمع ومن ثم يساند الفعاليات التنموية لاسيما في جانبها الأجتماعي .

٣ — تحقيق المكانة الثقافية للافراد : اذا كانت مهارات التكيف الأقتصادي تعكس القدرة على الأسهام في العمل التنموي ومهارات التكيف الأجتماعي تعبر عن الرغبة في الأسهام فيه فان مهارات التكيف الثقافي تعكس مدى الأستعداد للاسهام في العمل التنموي ومن هذا المنطلق تمثل المكانة الثقافية المؤشر الفعال لكفاءة الأنشطة التنموية وفاعليتها في المجتمع .....

ويعتمد تحقيق المكانة الثقافية للافراد في المجتمع على جملة عوامل وشروط تبدأ بنجاح ادارة التنمية في تحقيق المكانتين الأقتصادية والأجتماعية اولا ثم استثمار تطور مهارات التكيف الأقتصادي والأجتماعي وتوظيفها لتحقيق مهارات التكيف الثقافي ثانيا ، ويكون ذلك على النحو الأتي : —

٣/ ١ تشجيع التعليم والأستمرار في انهاء جيوب الأمية تتويجاً لاهداف الحملة الوطنية لمحو الأمية وفي الوقت نفسه التوجه الى تطوير انشطة التعليم المستمر التي تضمن تأهيل المجتمع مهنيا واجتماعياً وثقافيا ، ويكون ذلك عبر انشطة التدريب الذي تنظمه الأجهزة التنموية (منظمات وتنظيمات وهيئات) بالتعاون والتنسيق فيما بينها وباشراف مراكز التنمية الأجتماعية .

٣/ ٢ اكمال المشاريع الخدمية في المجتمع على مختلف انواعها لاسيما الماء والكهرباء والخدمات التعليمية والصحية ومراكز الخدمات الأجتماعية والثقافية وكذلك خدمات النقل والأتصالات بما يضمن ديمومة الأحتكاك والتواصل بين الريف والمدينة اولا ثم تقليص الفوارق الحضارية بينهما ثانيا ، وبذلك يمكن خلق المناخ الملائم والمشجع على استقرار العناصر الشابة في المجتمع .

٣/ ٣ اعمام استخدام التقنيات والتقنية الجديدة والمتطورة حسب الأمكان ليس في مجال الزراعة فحسب وانما في كافة المجالات الأخرى بما يسهل تعامل المجتمع مع كل جديد وتقبله للقيم وللانماط السلوكية المطلوبة في الواقع الجديد .

٣/ ٤ تشجيع ودعم النماذج القيادية الرسمية عبر تطوير النظم الأدارية وتغيير واقع البناء التنظيمي للمؤسسات الرسمية في المجتمع بما يخلق تنظيمات ذات طبيعة ديمقراطية فعالة تسهم في انجاح العمل التنموي .

٣/ ٥ تشجيع ودعم النماذج القيادية غير الرسمية عبر تطوير وتنمية النشاطات الجماهيرية ومنظماتها بما يضمن التساند والتكامل بين النشاط الأهلي والحكومي في انجاح العمل التنموي .

المراجع

١ - يتفق هذا التعريف للتنمية مع المدخل التكاملي وكما حددت عناصره الأتجاهات العامة لندوة التنمية الريفية في بعض الأقطار العربية انظر :

(آ) المعهد العربي للتخطيط في الكويت :

ندوة التنمية الريفية في بعض الأقطار العربية — الخرطوم ٢٣ — ٢٧ . نيسان ١٩٧٨ ص٢١ — ٢٢ .

(ب) عبدالمنعم محمد بدر : مقدمة عن التغيير الأجتماعي : من كتاب دراسات في المجتمع العربي ، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية ، الطبعة الأولى : الأردن ١٩٨٥ ص٤٨٠ — ٤٩٢ .

٢ — عبدالمنعم محمد بدر : (دراسات في التنمية الريفية) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٩ ص٧) .

ويمكن الرجوع بهذا الصدد الى العديد من المراجع اهمها :

— عبدالمنعم شوقي (تنمية المجتمع) مكتبة القاهرة الحديثة — ١٩٦٩ ص ٢١ .

— محمد عاطف غيث (علم الأجتماع وقضايا التنمية) حلقة علم الأجتماع والتنمية المركز القومي للبحوث الأجتماعية والجنائية ، القاهرة ١٩٧٣ (غير منشورة).

The United Nations, 1955 (Soical progress Through Community Development) The U.N. Pulication office, N.Y.P.6.

Badr, Abdel-Moneim, 1978, (Rual devopment & Rural Income The cases of Egypt & Kenya, & New Rural development plan for Egypt.)

The Pennsylvania state Univ. (PP. 136-139).

٣ يعتمد معظم الباحثين مفهوم النظم (System) اوكما يسميه عدد كبير من اساتذة علم الأجتماع (النسق) في دراسة وتحليل الظواهر لأجتماعية والأقتصادية والأدارية ومن اهم المراجع بهذا الصدد : —

Etzioni, A., (Modern Organizations) Printice Hall, Inc, Englwood Cliffs, New Jersey, 1964.

— علي السلمي ، (تحليل النظم السلوكية) مكتبة غريب ، ١٩٧٥ ص ٣٦ ص ٣٧ .

— محمد الحناوي (السلوك التنظيمي) دار الجامعات المصرية . الاسكندرية ١٩٧٤ ، ص ١٠٥ .

— النجار ، فريد راغب (النظم والعمليات الأدارية والتنظيمية ، مدخل نظرية النظم مع تطبيقات عربية (وكالة المطبوعات ، الكويت ط — ٢ ، ١٩٧٧ ص ٤٨ ص٤٩ .

٤ — يشير سعدنصار في تحديده لمعوقات التنمية الريفية المتكاملة في الأقطار العربية الى مجموعة عوامل منها نمط الأنتاج والتقنية ونقص العاملين ونقص البيانات وشحة الموارد الطبيعية وقسوة المناخ ونقص الموارد المائية « معوقات التنمية الريفية المتكاملة في الأقطار العربية » المعهد العربي للتخطيط في الكويت : ندوة التنمية الريفية في بعض الأقطار العربية ٢٣ — ٢٧ نيسان ١٩٨٧ الخرطوم ص٣٤ .

٥ — نفس المصدر السابق .

٦ — وهذا ماأكدته مجموعة من الدراسات المقدمة الى ندوة التنمية الريفية في بعض الأقطار العربية : انظر مثلا :

(آ) محمد محمود عبدالرؤوف : التنمية الريفية في جمهورية الصومال الديمقراطية ص١٨٢ — ١٨٣ .

(ب) محمد ابومندور الديب : التنمية الريفية في جمهورية اليمن الشعبية ص ١٣٦ .

(ج) احمد المرشدي : التنمية الريفية في سلطنة عمان ص ٢٥٥ — ٢٥٦ عن المعهد العربي للتخطيط في الكويت المشار اليه سابقا .

٧ — محبوب الحق (ستار الفقر) ترجمة احمد فؤاد بلبع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٣٧ — ٥٢ .

٨ — محمد حربي حسن : سطام حمد خلف الجبوري ، (التنمية الأجتماعية في البادية) بحث مقدم للندوة العلمية لكلية الزراعة والغابات — جامعة الموصل — آذار — ١٩٨٦ .

٩ — ملك ابراهيم صالح ، محمد جاسم العبيدي ، (دور الحزب والقائد في توطين البدو وتنمية الريف العراقي) بحث مطبوع بالرونيو .
١٠ — محمد عاطف غيث ، (دراسات في علم الأجتماع القروي) دار المعارف بمصر ١٩٦٧ — ص٣١٩ — ٣٢٠ .
١١ — علي الوردي (منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢ — ص٢٩٢
١٢ — علي الوردي.(محاضرات في طبيعة المجتمع العراقي — قسم الأجتماع — كلية الآداب — بجامعة بغداد ، القيت على طلبة الدراسات العليا من العام الدراسي ٧٠ — ١٩٧١) (غير مطبوعة) .
١٣ — محمد حربي حسن (طرق واساليب العمل في تنمية المجتمع المحلي) مجلة العلوم الأجتماعية ، العدد ٣ — ١٩٧٩ .
١٤ — نفس المصدر السابق .



الأسباب الدافعة الى الغش في الامتحان

دراسة ميدانية على طلبة كلية الآداب بجامعة الموصل .

فهيمة كريم المشهداني
كلية الآداب – جامعة الموصل

١ – المقدمة : –

ان الأنسان كائن حي موجود في المجتمع وله حاجاته كأي كائن آخر .. والطالب هو فرد في هذا المجتمع له هو الاخر حاجاته التي ينزع باستمرار الى اشباعها ، وهو يشبعها في اثناء تعامله مع البيئة التي يعيش فيها. ففي حياته الأولى قد يكون متمتعاً ببيئة تشبع له حاجاته وقد يكون في بيئة تعطل هذا الاشباع . وازاء هذه العقبات تحدث اساليب عدة للتكيف ويغلب ان تكون اساليب السلوك الشاذة سواء كان ذلك كسلا او عصبية او سرقة او كذباً اوغشاً اوغير ذلك من اساليب تعويضية ودفاعية تشتق فكرتها مـن البيئة الكابتة (١).

ولكي لايسلك الطالب مثل هذه الأساليب الشاذة لاسيما الغش ، ونظراً لما لهذا الأسلوب من تأثير على المستوى العلمي للطلبة ، ومن اجل الحيلولة دون ظهور هذه الظاهرة بين اوساط الطلبة ونظراً لقرب الباحثة من المجتمع المبحوث الذي تنوي دراسته لذلك ارتأت ان تبحث عن الاسباب التي تدفع بعض الطلبة الى الغش في الأمتحان ، وتبحث عن هذه الأسباب في البيئة الكابتة سواء كانت هذه البيئة البيت او الكلية للتوصل بعد ذلك الى وضع المقترحات والتوصيات التي تفيد التربويين والتدريسيين والطلبة وعوائلهم من اجل عدم السماح لظاهرة الغش بالظهور بين صفوف الطلبة .

(١) القوصي ، عبد العزيز – اسس الصحة النفسية– الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٨٢ – ص٢١٧ .

ويمكن للباحثين والتربويين الأستفادة من هذه الدراسة من خلال تطبيق التوصيات وتنفيذها في البيئة التي يعيش فيها الطالب سواء أ كانت البيت وذلك بالتعاون بين عائلة الطالب والهيئة التدريسية ام في الكلية ام المعهد الذي يدرس فيه الطالب ، ويمكن للطالب ان يستفيد من هذا البحث وذلك من خلال اطلاعه على مايحتويه من اسباب تدفع ببعض الطلبة الى الغش في الأمتحان وان يتخطى بعض هذه الأسباب التي يرى انها قد تعمل على دفعه للغش .

وقد واجهت الباحثة العديد من المشاكل في اثناء بحث هذه المشكلة من اهم هذه المشاكل هي قلة المصادر والمراجع التي يمكن الأستفادة منها حول ظاهرة الغش ، وقد قامت بالأطلاع على العديد من المصادر الأجتماعية والنفسية والتربوية من اجل الحصول على معلومات تفيدها في هذا البحث ولكنها لم تحصل على بيانات مباشرة عن الموضوع ، اذ ان اغلب الدراسات والبحوث لم تتطرق الى موضوع الغش ، واذا تطرقت لهذا الموضوع فأن كتاباتها تتحدث عن الكذب او السرقة ثم تشير الى موضوع الغش بصورة عرضية .

وتطرق بعض الباحثين لموضوع الغش عند الطلبة منهم (مصطفى عمر عطير) (٢) ، استاذ علم الأجتماع في الجامعة الليبية : —

وفي دراسته تحليل لعدة بحوث اجنبية يهدف التوصل الى استنتاج فرضية لدراسته التجريبية التي هو بصدد القيام بها .

اما بالنسبة للبحوث والدراسات القطرية ، فهي لاتشير الى ظاهرة الغش بصورة مباشرة بل تأتي عرضاً الى جانب الظواهر التربوية والأجتماعية التي يدرسها الباحثون فلذلك يعد هذا البحث المتواضع من البحوث التي قد تضيف معلومات جديدة بالنسبة لظاهرة الغش عند الطلبة في الأمتحان .

وطبقت الدراسة على طلبة كلية الاداب في جامعة الموصل ، ووزعت الباحثة استمارة استطلاعية على حوالي (٣٠) طالبا وطالبة بينوا فيها الأسباب التي يعتقدون بأنها قد تدفع ببعض الطلبة للغش في الأمتحان ، ومن خلال (اجابات تمت صياغة اسئلة الأستمارة الأستبيانية التي تحوي (٢١) سؤالا يجيب عليها الطلبة حسب اهميتها .وقد وزعت الأستمارة الأستبيانية على عينة من طلبة كلية الأداب من المرحلتين الثالثة والرابعة باعتبارهم قد قضوا

---

(٢) عطير ، مصطفى عمر —جرائم الطلبة ضمن المنظور الاجتماعي للانحراف — المجلة القومية الجنائية —بحث باللغة الانكليزية— العدد ١-٢ ، مجلد ١٦ — سنة ١٩٧٣ ، ص ١١٧ — ١٣٢ .

شوطاً كبيراً من الدراسة الجامعية وهم على اطلاع بالعديد من اساليب الغش .
وقد تطرق البحث الى العديد من المحاور ، فهو يبدأ بالمقدمة وينتهي بالمقترحات والتوصيات متضمناً في داخله طريقة البحث المستخدمة في البحوث الأجتماعية ، وتتناول مفهوم الغش ، وفرضيات البحث ، ومجالاته ، واختيار العينة ، وطريقة جمع البيانات ، واهم الوسائل الأحصائية التي عولجت فيها البيانات ، وكذلك يتناول هذا البحث بالدراسة ، العوامل السببية للغش في الأمتحان وطبيعتها ، ومن ثم يتطرق البحث الى النتائج التي توصلت اليها الدراسة الميدانية وبعد ذلك وضعت الباحثة بعض المقترحات والتوصيات التي يمكن ان يفيد منها الأجتماعيون والتربويون للحد من ظاهرة الغش .

٢ – منهجية البحث :

يمكن التطرق في بداية منهجية البحث الى تناول مفهوم الغش وتعريفه من خلال اراء بعض العلماء في هذا المفهوم .
ان اغلب الدراسات التي تناولت المواضيع النفسية والتربوية والأجتماعية لم تضع تعريفاً للغش . وليس هنالك اتفاق بين الباحثين حول تعريف عام للغش فهنالك من يعرفه بانه سلوك غير مهذب ينتهجه بعض الطلبة بغية ضمان النجاح في الأمتحانات او احراز الدرجات الأمتحانية العالية التي تبرهن بأنهم تعلموا المادة الدراسية واستوعبوا كافة جوانبها ، لذا فهم يستحقون الترحيل من صف الى صف اخر او التخرج فيما اذا كانوا في الصف المنتهي حسب اعتقادهم ، غير ان سرقتهم للمادة العلمية من خلال غشهم في الأمتحانات يحول دون نجاحهم ويعرضهم الى العقوبات القانونية التي تتفق على صيغها الهيئة العلمية المسؤولة عن الطالب في المدرسة اوالمعهد اوالجامعة (٣) .
والبعض الأخر عرف الغش بانه (لم يكن من علائم الأنحراف غير المعتاد بل على العكس » (٤) . اي انه سلوك منحرف ومعتاد عليه .
كما عرفه بعض الباحثين بانه « احد اشكال السلوك المنحرف ، وهو يتناقض مع القيم الأساسية التي تحدد العملية التربوية » (٥) .

(٣) اشتق هذا التعريف من خلال المقابلة الشخصية التي أجرتها الباحثة مع الدكتور احسان محمد الحسن ، استاذ علم الاجتماع المساعد في كلية الآداب . جامعة بغداد .
(٤) فالنتاين ، تشارلس ولفريد –الطفل السوي وبعض انحرافاته– ترجمة الدكتور عبد علي الجسماني–كلية التربية– جامعة الامارات العربية المتحدة –١٩٨٣– ص٢٣٩.
(٥) عطير ، مصطفى عمر –المصدر السابق– ص١١٧ .

ان الغش في الأمتحان مشكلة تواجه عدداً كبيراً من المدرسين ولكن من الصحيح كذلك ان الطلاب يغشون في دروس قسم من المدرسين ولايغشون في دروس القسم الأخر منهم . والطلاب يغشون لاسباب شتى . فقد يكون العمل الدرسي امرا في غاية الصعوبة اوالحصول على الدرجات اوالتقديرات ، اوبان الطالب قد يشعر بأنه غير كفء او بأنه غير آمن ولا مطمئن في موقفه بالصف (٦) .

ومن خلال التعاريف السابقة لمفهوم الغش واسبابه ، تمكنت الباحثة من الوصول الى تعريف اجرائي للغش على انه « نوع من السلوك المنحرف ، يسلكه الطالب للحصول على درجة النجاح في الأمتحان . »

وتأسيسا على التعاريف السابقة استطاعت الباحثة ان تضع فرضية للبحث . والفرضية تشير الى التعميمات التي لم تثبت صحتها بعد ، او انها عبارة عن فكرة مبدئية تربط بين الظاهرة التي هي موضوع الدراسة وبين احد العوامل المرتبطة بها (٧) . ومايتعلق بالاسباب التي تدفع ببعض الطلبة للغش في الأمتحان وقد صيغت فرضية البحث بالسؤال الأتي : —

١ — هناك اسباب قد تدفع ببعض الطلبة لارتكاب الغش في الأمتحان .

٢ — لاتوجد اية اسباب تدفع ببعض الطلبة لارتكاب الغش في الأمتحان .

وقد تم تحديد كلية الآداب بجامعة الموصل مجالا للبحث المكاني . وطلبتها هم المجال البشري للبحث ، اما المجال الزمني فقد بدأ في ١/٩/ ١٩٨٥ وانتهى في ١٥/ ٨/ ١٩٨٦ .

ونظراً للصعوبة المترتبة في دراسة جميع وحدات المجتمع المبحوث لما تتطلبه من وقت وجهد وتكاليف ، يلجأ الباحثون الى دراسة جزء من المجتمع المصطلح على تسميته بالعينة.

وقد تم سحب عينة طبقية عشوائية من طلبة كلية الآداب لتوفر قوائم باسماء الطلبة في المرحلتين الثالثة والرابعة في مختلف اقسام الكلية . وتم اختيار (١٠٠) طالب وطالبة من عدد طلاب الكلية للمرحلتين البالغ عددهم (٥١٢) طالبا ، وتم توزيع العينة على (٥٠) طالبا و (٥٠) طالبة ، وان نسبة تمثيل هذه العينة لمجموع الطلبة (١٩،٥٪) .

---

(٦) بليز ، جلن مايرز — سيكولوجية المراهقة للمربين— تعريف الدكتور ضياء أبو الحب— الطبعة الاولى —مطبعة دار السلام — بغداد —١٩٦٨— ص١٢٨ .

(٧) حسن ، عبد الباسط محمد —اصول البحث الاجتماعي— الطبعة السادسة —مكتبة وهبة مصر— ١٩٧٧— ص١٦٩ .

وقامت الباحثة باستخدام طريقة المقابلة والأستبيان في جمع البيانات من المبحوثين وقد كانت طريقة المقابلة مهمة جدا للباحثة لانها مـن خلال هذه المقابلة استطاعت التعرف على اراء الطلبة واتجاهاتهم حول الغش . وطريقة المقابلة تتضمن طرح اسئلة معينة عـلى المبحوثين وتدوين اجاباتهم على ورقة الأستبيان .

وتم تصميم الأستمارة وفقاً لاستمارة مفتوحة قدمت الى مجموعة من الطلبة مبين فيها سؤال عام : ماهي برأيك اهم الأسباب التي تدفع ببعض الطلبة للغش في الأمتحان . (انظر ملحق رقم (١) ، وبعد ان حصلنا على هذه الأستمارة متضمنة بنوداً عديدة قمنا بتصميم استمارة على ضوئها .

وبعد تصميم الأستمارة الأستبيانية وزعت عينة استطلاعية تتكون من (٣٠) استمارة لغرض التجربة الأولية للاستمارة (Pretest) وتبيان مدى صلاحية الأستمارة للبحث المذكور وبهذه الطريقة حصلنا على صدق الأستمارة وتم بعد ذلك عرضها على مجموعة من الأساتذة للتأكد عن صدقها (*) .

وتحوي الأستمارة النهائية على (٢١) سؤالا موزعة على عدد من الأختيارات وهي (سبب مهم جداً) (سبب مهم) (سبب غير مهم) ، (انظر ملحق رقم (٢)) .

وتم تطبيق بعض الوسائل الاحصائية على البيانات التي حصلت عليها الباحثة من الدراسة الميدانية ومن هذه الوسائل :

١ — النسبة المئوية . وقد استخدمت في جميع جداول البحث الميداني لمعرفـة التوزيع النسبي للمبحوثين ، وتستخدم النسبة المئوية في البحوث الأجتماعية .

٢ — $كاي^2 = مج \frac{(التكرار الملاحظ - التكرار المتوقع)^2}{التكرار المتوقع}$

(*) تألفت لجنة الخبراء من السادة الآتية اسماؤهم :-

١ — الدكتور سطام حمد خلف الجبوري / رئيس قسم الخدمة الاجتماعية /كلية الآداب / جامعة الموصل .

٢ — خليل ابراهيم كبيسي / قسم العلوم النفسية والتربوية / كلية التربية .

٣ — عاصم محمود ندا / قسم العلوم النفسية والتربوية / كلية التربية

٤ — كامل عبد الحميد عباس / قسم العلوم النفسية والتربوية / كلية التربية

٥ — عبد المجيد احمد خليل / قسم العلوم النفسية والتربوية / كلية التربية

لمعرفة الفرق بين اجابات الطلاب عن اجابات الطالبات ، وقد طبقت الباحثة الطريقة المكتبية للحصول على المعلومات والطريقة التجريبية في تطبيقها على العينة .

٣ – العوامل السببية للغش في الأمتحان : –

تلعب بعض العوامل دورا كبيراً في دفع بعض الطلبة للغش في الأمتحان، وقد تعزى بعض هذه العوامل للبيئة المحيطة بالطالب وهي المحيط العائلي او المحيط الدراسي للطالب فقد يؤثر المحيط العائلي في الطالب من خلال مايعانيه من عدم تفاهم وعدم انسجام بين والديه. او ان الطالب يعيش في وضع اقتصادي منخفض مما يجعله يشعر بالنقص اسوة باقرانه من الطلبة ، اوتعزى معاناته الى انه يعيش. مع احد والديه نتيجة الفراق بين الوالدين وهذا مايعرضه لتداعيات نفسية تربكه وتجعله عديم الثقة بنفسه .

والمحيط الدراسي له تأثير على الطالب : فبعض المدرسين يكون لهم اسلوب صعب في التدريس والشرح قد لايفهمه بعض الطلبة مما يؤثر فيهم ويجعلهم لايميلون الى درسه. اماالبعض الاخر فقد لايستطيع ان يوصل مادته الى طلبته حتى لو كرر شرحه للموضوع مرات عديدة وهذا ايضاً يجعل الطالب لايميل لهذه المادة مما يدفعه الى الغش في الأمتحان وتلعب الدرجة دوراً مهما في حياة الطالب ، فهي مقياس نجاحه فلذلك يغش الطالب من اجل الحصول على درجة النجاح .

إذن هنالك العديد من العوامل التي تلعب دوراً في حياة الطالب الدراسية ، مما يدفعه الى ان يسد النقص الذي يعانيه بارتكاب الغش في الأمتحان، يمكن اجمالها بما يلي : –

(آ) رغبة الطالب في الحصول على الدرجات العالية في الأمتحان : –

تعد الدرجة مقياس نجاح الطالب ، فالطالب لا يستطيع مواصلة دراسته اذا لم تكن له درجة نجاح تؤهله للعبور من صف إلى صف آخر ، وكذلك لا يستطيع ان يكمل دراسته الجامعية اذا لم يحرز مجموعاً عالياً يؤهله لهذه الدراسة ، والطالب يفشل في الحصول على مقعد دراسي في البعثات والزمالات وحتى الدراسات العليا داخل القطر اذا لم يكن لديه مجموع عالي يؤهله لهذه الدراسة ، والطالب لا يستطيع الحصول على عمل جيد لدى فشله في ان يخرج بمجموع عال من الامتحانات النهائية. اذن فالدرجة قيمة اجتماعية يحدد المجتمع على اساسها مستوى الطالب فيما اذا كان ناجحاً في حياته الدراسية ام فاشلا فيها .

ومن خلال الجدول رقم (١) المبين في ادناه تتضح وجهة نظر الطلبة بأعتبار الدرجة مقياساً النجاح ولذلك تدفع ببعض الطلبة للغش.

الجدول رقم (١)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢٨	٥٦	١٤	٢٨	٨	١٦	٥٠
الطالبات	٣٨	٧٦	٧	١٤	٥	١٠	٥٠
المجموع	٦٦		٢١		١٣		١٠٠

ومن الجدول رقم (١) يتضح لنا أن اعتبار الدرجة مقياساً للنجاح سبب يدفع ببعض الطلبة للغش في الامتحان ، فقد اجابت بعض الطالبات بلغت نسبتهن ٧٦٪ على اعتبار الدرجة سبباً مهماً جداً للغش في الامتحان ،وان (٥٦٪) من الطلاب ممن أجاب على اعتبار الدرجة سبباً مهماً جداً للغش في الامتحان ، وبين (٢٨٪) من الطلاب أن الدرجة سبب مهم يدفع الطالب للغش في الامتحان، واظهرت (١٤٪) من الطالبات بأن الدرجة سبب مهم للغش في الامتحان ، في حين ان (١٦٪) من الطلاب و(١٠٪) من الطالبات عدوا الدرجة سبباً غير مهم للغش في الامتحان .

وتعد الدرجة كذلك في نظر بعض الطلبة ميداناً للمنافسة فيما بينهم ، فقد يتنافس الطلبة فيما بينهم للحصول على درجات عالية من اجل الحصول على المراكز الاولية في النتيجة الصفية. ويبين الجدول رقم (٢) كيف ان المنافسة على الدرجات بين الطلبة تدفع البعض منهم للغش في الامتحان .

الجدول رقم (٢)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	المجموع
الطلاب	١٣	٢٦	١٢	٢٤	٢٥	٥٠	٥٠
الطالبات	١٤	٢٨	١١	٢٢	٢٥	٥٠	٥٠
المجموع	٢٧		٢٣		٥٠		١٠٠

ومن الجدول رقم (٢) يتضح بأن بعض الطلبة يندفعون في ارتكاب الغش وذلك للمنافسة فيما بينهم للحصول على درجة أكثر ، وقد وضح (٥٠٪) من الطلاب و(٥٠٪) من الطالبات أن هذا السبب غير مهم لدفع بعض الطلبة للغش في الامتحان ، في حين أن (٢٨٪) من الطالبات و(٢٦٪) من الطلاب أجابوا بأن منافسة الطلبة فيما بينهم على الدرجات سبب مهم جداً يدفعهم للغش في الامتحان ، وأكد (٢٤٪) من الطلاب الى جانب (٢٢٪) من الطالبات على ان منافسة بعض الطلبة فيما بينهم على الدرجات سبب مهم يدفعهم للغش في الامتحان .

ونظراً للقيمة التي يضعها المجتمع للدرجة، فأن بعض الطلبة قد يسلكون سلوكاً غير صحيح من اجل الحصول على درجة النجاح ، فالمكانة الاجتماعية للطالب تحدد من خلال حصوله على درجة اعلى في الامتحان، فلذلك يسعى الطالب بشتى الوسائل للحصول على هذه الدرجة التي تبوؤه المكانة الارقى، فلذلك نرى بعض الطلبة يندفعون لارتكاب الغش في الامتحان .

والجدول رقم (٣) يبين لنا وجهة نظر الطلبة حول اعتبار الحصول على درجة أكثر سبباً يدفع ببعض الطلبة للغش في الامتحان .

الجدول رقم (٣)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	١٣	٢٦	١٤	٢٨	٢٣	٤٦	٥٠
الطالبات	١٨	٣٦	١٨	٣٦	١٤	٢٨	٥٠
المجموع	٣١		٣٢		٣٧		١٠٠

الجدول رقم (٣) يوضح لنا أن حصول الطالب على درجة أكثر سبب يدفعه للغش في الامتحان ، وقد بين (٤٦٪) من الطلاب بالاضافة الى (٢٨٪) من الطالبات على أن حصول الطالب على درجة أكثر سبب غير مهم لكي يدفع الطالب للغش في الامتحان في حين ان (٣٦٪) من الطالبات الى جانب (٢٨٪) من الطلاب أكدوا على ان حصول الطالب على درجة عالية سبب مهم يدفعه للغش في الامتحان، واوضحت (٣٦٪) من الطالبات و(٢٦٪) من الطلاب على ان حصول الطالب على درجة أعلى سبب مهم جداً يدفعه للغش في الامتحان .

وتأسيساً على ماتقدم نرى بأن بعض الاسباب غير مهمة من وجهة نظر الطالب لكـي تدفع بعض الطلبة للغش في الامتحان ،ومن ثم تترتب عليه العقوبات الانضباطية التـي تضعها الهيئة الادارية في الجامعة أو المعهد .

وهناك بعض الطلبة يشعرون بالفخر والتباهي نتيجة قيامهم بهذا العمل غير الاخلاقي فبعض الطلاب يتباهى امام زملائه الطلبة بأنه تمكن من خداع المدرس واستطاع ان يغش في الامتحان، وهذا الشعور يسد حاجة ما في نفس الطالب ، فشعوره بأنه اقل من اقرانه من الطلبة منحيث المستوى العلمي او عدم ثقته بنفسه تدفعه للغش في الامتحان ومن ثم التباهي بهذا العمل .

والجدول رقم (٤) يبين لنا أن شعور الطالب بالفخر والتباهي امام زملائه سبب يدفعه للغش في الامتحان .

الجدول رقم (٤)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	١٣	٢٦	١٩	٣٨	١٨	٣٦	٥٠
الطالبات	١١	٢٢	١٩	١٨	٣٠	٦٠	٥٠
المجموع	٢٤		٢٨		٤٨		١٠٠

ومن الجدول رقم (٤) يتضح لنا بأن بعض الطلبة اجابوا بأن شعور الطالب بالفخر والتباهي امام اقرانه من الطلبة يشكل سبباً غير مهم لايدفع الطالب للغش في الامتحان وهذا مابينه (٦٠٪) من الطالبات الى جانب (٣٦٪) من الطلاب، في حين ان (٣٨٪) من الطلاب بالاضافة الى (١٨٪) من الطالبات أكدوا على انه سبب مهم يدفع ببعض الطلبة للغش في الامتحان ،واوضح (٢٦٪) من الطلاب الى جانب (٢٢٪) من الطالبات على انه سبب مهم جداً لكي يدفع ببعض الطلبة للغش في الامتحان .

٧ - سوء صحة الطالب وعدم رغبته في الدراسة : -

ان للنمو الجسمي اثراً بطريق غير مباشر في حياة الفرد المتعلقه بشخصيته. فاذا كان مستوى الشخص في النمو اقل او أكثر مما هو متوقع له بشكل واضح ربما يؤثر هذا في معاملة الناس له ونظرتهم نحوه ، وكثير من انواع الشذوذ كالانحراف والشعور بالحقد وعدم الثقة بالنفس سببها الاصلي الشذوذ في النمو الجسمي العام (٨).

فالطالب الذي يشعر بمرض دائم وخمول مستمر ولا يتمتع بصحة جيدة كالتي يتمتع بها اقرانه من الطلبة ، هذا الطالب سوف يكون شعوره دائماً مقترناً بالنقص الذي يلازمه بصحته او بنموه الجسمي ؛ فلذلك نرى ان مثل هذا الطالب تسيطر عليه عقدة النقص ونراه متأخراً في حياته المدرسية ، ويتخذ موقفاً غير صحيحاً يشعر به رداً على حالة النقص التي يعاني منها ومن الاساليب التي يسلكها الطالب في الغش في الامتحان ، كأسلوب يشبع حاجته من الشعور بالتأخر الدراسي أسوة بزملائه الطلبة .

والجدول رقم (٥) يبين فيه المبحوثون من الطلبة ان سوء صحة الطالب قد تكون سبباً يدفعه للغش في الامتحان .

جدول رقم (٥)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	١١	٢٢	١٢	٢٤	٢٧	٥٤	٥٠
الطالبات	٢٠	٤٠	١٦	٣٢	١٤	٢٨	٥٠
المجموع	٣١		٢٨		٤١		١٠٠

ومن الجدول رقم (٥) يبين لنا أن سوء صحة الطالب قد تكون سبباً من الاسباب الدافعة للغش في الامتحان . وقد اجاب (٥٤٪) من الطلاب الى جانب (٢٨٪) . من الطالبات بأن سوء صحة الطالب سبب غير مهم كي تدفع بالطالب للغش في الامتحان وبينت نسبة من الطالبات بلغت (٤٠٪) بالاضافة الى نسبة من الطلاب بلغت (٢٢٪) بأن سوء صحة الطالب سبب مهم جداً يدفعه للغش في الامتحان . فيما اوضح (٣٢٪) من الطالبات و(٢٤٪) من الطلاب بأن سوء صحة الطالب قد تكون سبباً مهماً يدفعه للغش في الامتحان.

(٨) القوصي ،عبدالعزيز - المصدر السابق - ص ٣٥

وقد يكون القصور في النمو الجسمي واعتلال صحة الطالب السبب الذي يدفعه للغش في الامتحان، فبالاضافة لهذا السبب قد يكون تعود الطالب على الغش منذ بداية حياته الدراسية، أي من المرحلة الابتدائية والثانوية ويكون الغش بالنسبة له في الجامعة قيمة اجتماعية يتمسك بها ولايستطيع تركها، فلذلك نراه يسلك نفس السلوك في الجامعة.

والجدول رقم (٦) يبين أن تعود الطالب على الغش منذ بداية حياته الدراسية سبب يدفعه للغش في الامتحان في الجامعة أيضاً .

جدول رقم (٦)

الاجابات / العينة	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	١٥	٣٠	٢١	٤٢	١٤	٢٨	٥٠
الطالبات	١٥	٣٠	١٧	٣٤	١٨	٣٦	٥٠
المجموع	٣٠		٣٨		٣٢		١٠٠

الجدول رقم (٦) يوضح لنا أن تعود الطالب على الغش من الاسباب التي تدفعه للغش بأستمرار حياته الجامعية أيضاً ، وقد أجاب (٤٢٪) من الطلاب الى جانب (٣٤٪) من الطالبات بأن تعود الطالب على الغش سبب مهم يدفعه للغش في الكلية ايضاً . واظهرت (٣٦٪) من الطالبات وكذلك (٢٨٪) من الطلاب على ان تعود الطالب على الغش منذ بداية حياته الدراسية سبب غير مهم لكي يدفعه للغش في الامتحان في الكلية ، في حين ان (٣٠٪) من الطلاب و(٣٠٪) من الطالبات أكدوا ان تعود الطالب على الغش منذ بداية حياته الدراسية الاولى حتى الان سبب مهم جداً يدفعه للغش في الامتحان في الكلية.

والى جانب ذلك فأن خمول الطالب وكسله يدفعه الى عدم دراسة المواد المدرسية التي يكلف بها من قبل المدرسين ،فلذلك تتراكم المادة عليه ، وفي الامتحان يجد نفسه لايستطيع استيعاب كل مايقرأه حتى ولوسهر الليالي الطوال ، فالوقت يكون قد فاته والمادة تراكمت عليه ، وبما ان الدرجة هي مقياس النجاح، ولكي لايفشل في الامتحان ولايكون اقل من اقرانه ، فهو يلجأ لاسلوب الخداع والغش فيحاول ان يغش في الامتحان من اجل الحصول على درجة النجاح .

ومن خلال الجدول رقم (٧) يبين الطلبة المبحوثون أن عدم سيطرة الطالب على مادة الامتحان من الاسباب الدافعة للغش .

الجدول رقم (٧)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢٦	٥٢	١٤	٢٨	١٠	٢٠	٥٠
الطالبات	٢٦	٥٢	١٤	٢٨	١٠	٢٠	٥٠
المجموع	٥٢		٢٨		٢٠		١٠٠

يوضح الجدول رقم (٧) أن عدم سيطرة الطالب على مادة الامتحان من الاسباب المهمة الدافعة للغش ،فقد بين (٥٢٪) من الطلاب و(٥٢٪) من الطالبات على ان عدم سيطرة الطالب على مادة الامتحان سبب مهم جداً يدفعه للغش في الامتحان ؛ وكذلك اجابت بعض الطالبات اللواتي بلغت نسبتهن (٢٨٪) ،وبعض الطلاب الذين بلغت نسبتهم (٢٨٪) ايضاً بأن عدم سيطرة الطالب على مادة الامتحان سبب مهم يدفعه للغش في الامتحان، في حين ان (٢٠٪) من الطلاب و(٢٠٪) من الطالبات اجابوا على ان عدم سيطرة الطالب على مادة الامتحان سبب غير مهم ولايعد من العوامل الدافعة للغش في الامتحان .

وتأتي عدم سيطرة الطالب على مادة الامتحان من خلال عدم دراسته طوال العام الدراسي ؛ وهذا يرجع الى ان الطالب غير كفء وغير قادر على القيام بالاعمال المدرسية التي يكلف بها من قبل المدرسين ،ومن الطلبة من يعتقد بأن الحياة الجامعية عبارة عن لهو وقضاء وقت الفراغ وعلى الطالب ان لايجهد نفسه ويتعبها بالدراسة والبحث عن المصادر المختلفة وانه ليلة الامتحان فقط يستطيع ان يقرأ ماتقع عليه يده من معلومات ؛ ومن ثم يستطيع الحصول على درجة النجاح بشتى الوسائل والسبل التي اعتاد عليها ،فتراه يلجأ للغش الذي هو اسهل السبل من وجهة نظر بعض الطلبة للحصول على درجة النجاح .

والجدول رقم (٨) يبين أن عدم دراسة الطالب طوال السنة سبب يدفعه للغش في الامتحان .

الجدول رقم (٨)

الاجابات / العينة	سبب مهم جداً العدد	سبب مهم جداً ٪	سبب مهم العدد	سبب مهم ٪	سبب غير مهم العدد	سبب غير مهم ٪	المجموع
الطلاب	١٩	٣٨	٢٤	٤٨	٧	١٤	٥٠
الطالبات	٢٣	٤٦	٢١	٤٢	٦	١٢	٥٠
المجموع	٤٢		٤٥		١٣		١٠٠

يوضح الجدول رقم (٨) أن الطالب المهمل الخامل الذي لايطالع طوال السنة ،نراه أول من يندفع للغش في الامتحان من اجل النجاح ،وقد اتفق (٤٨٪) من الطلاب، و٤٢٪ من الطالبات من المبحوثين على ان عدم دراسة الطالب طوال السنة سبب مهم يدفعه للغش في الامتحان، في حين اجابت (٤٦٪) من الطالبات بالاضافة الى (٣٨٪) من الطلاب بأن عدم دراسة الطالب طوال العام الدراسي سبب مهم جداً يدفعه للغش في الامتحان ، وبين (١٤٪) من الطلاب و(١٢٪) من الطالبات ان عدم دراسة الطالب خلال السنة سبب غير مهم لكي يدفعه للغش في الامتحان .

من خلال ماتقدم نستنتج أن الطالب ذا المستوى العلمي المنخفض والذي يترك المواد الدراسية تتراكم عليه هو اول الطلاب المندفعين للغش في الامتحان .

ج ـ فقدان الطالب الثقة بالنفس : ـ

ان فقدان ثقة الشخص بنفسه متأتية من مراحل حياته الاولى، وان هذه الخصلة الهدامة للرقي المفككة الشخصية، انما تتكون عادة في السنوات الاولى من حياة الشخص ، ويغرسها في نفسه اعز الناس اليه واقربهم الى قلبه وهما الوالدن، فالشخص في سني حياته الاولى عندما كان طفلا يعيش عادة في جو كله أمن واطمئنان فحاجات الطفل كلها مشبعة ورغباته مجابة (٩) ، والجو الذي يعيش فيه يجعله يعتمد اعتماداً كلياً على المحيطين به من والدين واخوة ، فلذلك ينشأ الطفل وهو غير قادر على الاعتماد على نفسه في النجاح في اي عمل يقوم به ، وفي مراحل حياته الدراسية يجد ان مثل هذا الطالب يحاول النجاح بشتى الوسائل لكي يثبت لوالديه بأنه قادر على النجاح ويستطيع ان يلبي رغبتهم في الحصول على درجة النجاح ومن مظاهر عدم ثقة الطالب بنفسه المبالغة والرغبة في

(٩) القوصي ، عبدالعزيز – المصدر السابق – ص٣٢٨ .

الاتقان للوصول الى درجة الكمال، وهذا الاندفاع للكمال يدل عادة على ماتحته من خوف من نقد الاخرين ،فلذلك يسلك الطالب سلوكاً غير سوي كي يتخلص من الشعور بالنقص، وعدم الثقة بالنفس وان يشبع حاجته الى الثقة بالنفس بان يغش في الامتحان وان يحصل على درجة عالية يظهر فيها بأنه متفوق على اقرانه من الطلبة وان مستواه العلمي اعلى من مستوى البقية من الطلبة .

ومن خلال الدراسة الميدانية، اتضح أن عدم ثقة الطالب بنفسه من الاسباب التي تدفع بعض الطلبة للغش في الامتحان .

الجدول رقم (٩)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢٢	٤٤	٨	١٦	٢٠	٤٠	٥٠
الطالبات	٢٧	٥٤	٨	١٦	١٥	٣٠	٥٠
المجموع	٤٩	١٦			٣٥		١٠٠

يوضح الجدول رقم (٩) أن المبحوثين متقاربون في اجاباتهم حول اعتبار عدم ثقة الطالب بنفسه من الاسباب التي تدفعه للغش في الامتحان ، فقد اجابت بعض الطالبات وبلغت نسبتهن (٥٤٪) واجاب (٤٤٪) من الطلاب على اعتبار فقدان ثقة الطالب بنفسه سبب مهم جداً يدفعه للغش في الامتحان ،وبين (٤٠٪) من الطلاب الى جانب (٣٠٪) من الطالبات من المبحوثين بأن عدم ثقة الطالب بنفسه سبب غير مهم لكي يدفعه للغش في الامتحان ،واوضح (١٦٪) من الطلاب بالاضافة الى (١٦٪) من الطالبات على أن فقدان الثقة بالنفس من الاسباب المهمة التي تدفع الطالب للغش في الامتحان .

ويلعب المستوى الثقافي الذي ينحدر منه الطلبة دوراً بارزاً في اتجاهاتهم وفي وجهة نظرهم حول الاسباب الرئيسة الدافعة للغش في الامتحان، فالطالب الذي ينحدر من مستوى ثقافي عالي يستطيع ان يحدد وجهة نظره بكل سهولة ووضوح ويتطرق الى

الاسباب المهمة، اما الطالب الذي ينحدر من عائلة ذات مستوى ثقافي منخفض فإنه يصعب عليه اختيار الاهم من المهم .

والجدول رقم (١٠) يبين لنا انحدار المبحوثين من الطلبة من مستويات ثقافية مختلفة تؤثر في وجهة نظرهم وفي اختيار العوامل الدافعة للغش .

والجدول رقم (١٠) يوضح لنا العلاقة بين المستوى الثقافي لوالد الطالب وبين اعتبار فقدان الثقة بالنفس سبباً يدفع الطالب للغش في الامتحان .

الجدول رقم (١٠)

الاجابات / المستوى الثقافي للاب	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
أمية	١٠	٤٨	٤	١٩	٧	٣٣	٢١
ابتدائية	١٩	٤٦	٧	١٧	١٥	٣٧	٤١
ثانوية	١٢	٤٦	٤	١٥	١٠	٣٩	٢٦
معهد	٥	١٠٠	صفر	صفر	صفر	صفر	٥
جامعية	٣	٤٣	١	١٤	٣	٤٣	٧
المجموع	٤٩		١٦		٣٥		١٠٠

ومن خلال الجدول رقم (١٠) يتضح لنا أن هناك علاقة وثيقة بين المستوى الثقافي للاب وبين اتجاه الطالب لاختيار السبب المهم واعتبار فقدان الطالب ثقته بنفسه سبباً يدفعه للغش في الامتحان، فقد أكد (١٠٠٪) من الطلبة ممن ينحدرون من اباء خريجي معاهد على اعتبار فقدان الثقة بالنفس سبباً مهماً جداً يدفع بعض الطلبة للغش في الامتحان وبين (٤٨٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء اميين، و(٤٦٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الثانوية، (٤٣٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الجامعية، اعتبار عدم ثقة الطالب بنفسه سبباً مهماً جداً يدفعه للغش في الامتحان في حين ان (٤٣٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الجامعية، (٣٩٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الثانوية، (٣٧٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الابتدائية، و(٣٣٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء اميين، يعتقدون أن انعدام الثقة بالنفس سبب غير مهم لدفع بعض الطلبة للغش في

الامتحان، وبين (١٩٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء اميين، و(١٧٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الابتدائية ، و(١٥ ٪) من الطلبة الـذيـن ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الثانوية، و(١٤٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الجامعية أن فقدان الطالب ثقته بنفسه سبب مهم يدفعه للغش في الامتحان.

فلذلك يلعب المستوى الثقافي للعائلة دوراً كبيراً في تنشئة الفرد وفي توجيه الشخص وفي ارائه ووجهة نظره في المواقف الحياتية المختلفة .

(د) المشكلات والظروف الأجتماعية والأقتصادية والنفسية الصعبة عند الطالب : ـ

تلعب الروابط بين الوالدين اهمية خاصة في تكوين الابناء ، فتعاون الوالدين واتفاقهما والاحتفاظ بكيان الاسرة ، يخلق جواً هادئاً ينشأ فيه الفرد نشوءاً متزناً وهذا الاتزان العائلي يترتب عليه غالباً اعطاء الفرد ثقة بنفسه بالعالم الذي يتعامل معه بعد ذلك (١٠) .

وقد تواجه الاسرة مشاكل معينة تهدد كيانها وتجعلها عرضة للتفكك . ومن دواعي تفكك روابط الاسرة مشاجرات الوالدين ، واختلافهما ، وقد يحدث التفكك عن طريق الطلاق ، وما يعانيه الطالب من قبيل هذه المشاكل تعرضه لكثير من المتاعب ومن اهمها التأخير في دراسته وانخفاض مستواه التعليمي لعدم وجود الجو العائلي الآمن والجو الدراسي المريح ، فلذلك يلجأ الطالب الى سلوك السبل غير السليمة من اجل الحصول على درجة النجاح .

والجدول رقم «١١» يبين لنا بأن معاناة الطالب من المشاكل الاجتماعية في محيط الاسرة سبب يدفعه للغش في الامتحان .

الجدول رقم (١١)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	١٥	٣٠	١٦	٣٢	١٩	٣٨	٥٠
الطالبات	٢٦	٥٢	١٢	٢٤	١٢	٢٤	٥٠
المجموع	٤١		٢٨		٣١		١٠٠

(١٠) القوصي ، عبدالعزيز – المصدر السابق – ص ١٧٦ .

ويتضح من الجدول رقم (١١) ان تفكك الروابط الاسرية ، وانعدام التفاهم والانسجام بين الوالدين ، يؤثر على الحياة الدراسية للطالب ، ويجعل مستواه العلمي منخفضاً

ومن اجل الحصول على درجة النجاح ، فأنه يندفع لارتكاب الغش في الامتحان ، وقد اكدت بعض الطالبات اللواتي بلغت نسبتهن (٥٢٪) وبعض الطلاب الذين بلغت نسبتهم (٣٠٪) على ان المعاناة من المشاكل الاجتماعية سبب مهم جداً يدفع بعض الطلبة للغش في الامتحان واجاب (٣٢٪) من الطلاب و (٢٤٪) من الطالبات بأن المعاناة من المشاكل الاجتماعية سبب مهم يدفع ببعض الطلبة للغش في الامتحان ، وبين (٣٨٪) من الطلاب الى جانب (٢٤٪) من الطالبات ان معاناة الطالب من المشاكل الاجتماعية سبب غير مهم لكي يدفعه للغش في الامتحان .

والعائلة ذات المستوى الثقافي العالي تتميز عن العوائل الباقية بقلة المشاكل في محيطها وقلة المشاجرات والمنازعات بين الوالدين ، ويسود العائلة جو من التفاهم فلذلك يتوفر للطالب جو دراسي مريح ، ومحيط اسري خال من المشاكل ، مما يؤثر على مستوى الطالب الدراسي .

والجدول رقم (١٢) يوضح لنا العلاقة بين المستوى الدراسي للاب وبين اعتبار معاناة الطالب من المشاكل الاجتماعية عاملاً يدفعه للغش في الامتحان .

والجدول رقم (١٢) يوضح لنا العلاقة بين المستوى الثقافي لوالد الطالب وبين اعتبار المعاناة من المشاكل الاجتماعية سبباً يدفع الطالب لارتكاب الغش في الامتحان ، فقد اكد (٨٠٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء خريجي معاهد ، و (٤٦٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الثانوية ، و(٣٩٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الابتدائية ، و(٢٩٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الجامعية ، و(٢٩٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء اميين ، أن معاناة الطالب من المشاكل الاجتماعية سبب مهم جداً يدفعه للغش في الامتحان ، وأجاب (٤٢٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الجامعية ، و(٣٩٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الابتدائية ، و (٢٩٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء اميين ،

جدول رقم (١٢)

الاجابات المستوى الدراسي للأب	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
امية	٦	٢٩	٦	٢٩	٩	٤٢	٢١
ابتدائية	١٦	٣٩	١٦	٣٩	٩	٢٢	٤١
ثانوية	١٢	٤٦	٥	١٩	٩	٣٥	٢٦
معهد	٤	٨٠	١	٢٠	صفر	صفر	٥
جامعية	٢	٢٩	٣	٤٢	٢	٢٩	٧
المجموع	٤٠		٣١		٢٩		١٠٠

و(٢٠٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء من خريجي المعاهد المختلفة (المعلمين والفنية) و (١٩٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الثانوية ، بأن معاناة الطالب من المشاكل الاجتماعية سبب مهم يدفعه للغش في الامتحان ، وبين (٤٢٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء اميين و(٣٥٪) من الطلبة ينحدرون من اباء خريجي المدارس الثانوية ، و(٢٩٪) من الطلبة الذين ينحدرون من اباء يحملون الشهادة الجامعية ، و(٢٢٪) من الطلبة الذين ينحدرون من ابناء يحملون الشهادة الابتدائية ، ان معاناة الطالب من المشاكل الاجتماعية سبب غير مهم لدفع الطالب للغش في الامتحان .

بالاضافة الى معاناة الطالب من المشاكل الاجتماعية فأن الطالب قد يتعرض لمشاكل اقتصادية تؤثر على حياته الدراسية ، منها فقدان الاب واضطرار الابن الى اعالة اسرته عن طريق العمل بعد دوامه في الكلية ، وقد يكون الطالب متزوجاً فيلجأ في هذه الحالة الى البحث عن عمل ليعيل عائلته .

وتؤثر الحالة المعاشية لعائلة الطالب على مستواه الدراسي ، فانخفاض المستوى المعاشي للطالب يربك حياته ، ويؤثر على استمراره في الدراسة ، كما ان انخفاض المستوى المعاشي يصاحبه سوء السكن وعدم توفر السكن الجيد للدراسة وغير ذلك من الاسباب المصاحبة لانخفاض المستوى المعاشي للعائلة ، فقد تسكن الاسرة مع العديد من الاسر في بيت واحد

او تسكن في مسكن لاتتوفر فيه ابسط الشروط الصحية ، وقد تسكن الاسرة في حي مختلف ، فهذه الامور مجتمعة تؤثر على حياة الطالب الدراسية ، وتدفعه من ثم لسلوك شتى الوسائل الشاذة لكي لايفشل في حياته الدراسية ، ومن هذه الوسائل الغش .
والجدول رقم (١٣) يبين بأن ظروف السكن غير الجيدة تدفع بالطالب الى الغش في الامتحان .

الجدول رقم (١٣)

الاجابات / العينة	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢٠	٤٠	١٢	٢٤	١٨	٣٦	٥٠
الطالبات	٢٣	٤٦	١٣	٢٦	١٤	٢٨	٥٠
المجموع	٤٣		٢٥		٣٢		١٠٠

والجدول رقم (١٣) يوضح لنا بأن ظروف السكن غير الجيدة من الاسباب التي تدفع ببعض الطلبة للغش في الامتحان ، فقد بينت بعض الطالبات اللواتي بلغت نسبتهن (٤٦٪) وبعض الطلاب الذين بلغت نسبتهم (٤٠٪) على ان ظروف السكن غير الجيدة سبب مهم جداً يدفع ببعض الطلبة لارتكاب الغش في الامتحان ، واوضح (٣٦٪) من الطلاب و(٢٨٪) من الطالبات على ان معاناة الطالب من ظروف السكن غير الجيدة سبب مهم يدفعه للغش في الامتحان ، في حين اجابت (٢٦٪) من الطالبات و(٢٤٪) من الطلاب على ان معاناة الطالب من ظروف السكن غير الجيدة سبب مهم من اسباب الغش في الامتحان .
وقد يتعرض بعض الطلبة ومنهم طلبة الاقسام الداخلية الى ظروف سكن غير جيدة منها تكدس الطلاب في غرفة واحدة ، وعدم توفر الراحة ، وكثرة الضوضاء داخل الاقسام بسبب كثرة الطلبة ، وقلة توفير الخدمات ، وكل هذه العوامل تؤثر على المستوى الدراسي للطلبة ، مما يدفع البعض منهم من اجل النجاح الى ارتكاب الغش في الامتحان.
وعملية الغش قد لا تكون ناتجة من معاناة الطالب من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ، فقد تكون ميول الطالب الفطرية ، واضطراباته النفسية وقلقه من الامتحان ذاته سبباً يدفعه

للغش في الامتحان . فالغش مثل السرقة ، يعتاد السارق على سرقة اشياء قد تكون غير ذات قيمة وهو في غير حاجة لها ، وعلى الرغم من ذلك نجده يسرق ، فالطالب قد يستخدم الغش نتيجة لحالة نفسية تعترضه ، او لميول فطرية تدفعه للغش .

والجدول رقم (١٤) يبين لنا بأن هناك اسباباً نفسية طبيعية تدفع الطالب للغش .

الجدول رقم (١٤)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢٤	٤٨	١٧	٣٤	٩	١٨	٥٠
الطالبات	٢٠	٤٠	١٧	٣٤	١٣	٢٦	٥٠
المجموع	٤٤		٣٤		٢٢		١٠٠

من خلال الجدول رقم (١٤) يتضح لنا بأن بعض الطلبة بينوا بأن هناك أسباباً نفسية طبيعية ذات ميول فطرية تدفع بالطالب لارتكاب الغش في الامتحان ، فقد اجاب بعض الطلبة الذين بلغت نسبتهم (٤٨٪) وبعض الطالبات اللواتي بلغت نسبتهن (٤٠٪) بأن هناك اسباباً نفسية مهمة جداً تدفع ببعض الطلبة للغش في الامتحان ، وبين (٣٤٪) من الطلاب بالاضافة إلى (٣٤٪) من الطالبات بوجود اسباب نفسية مهمة تدفع الطالب للغش ، وبين (٢٦٪) من الطالبات ، و(١٨٪) من الطلاب على ان الدوافع النفسية لا تعد سبباً مهماً تدفع بالطالب للغش في الامتحان .

وقد يعترض الطالب خوف وقلق وارتباك من الامتحان ذاته ، وهذا الاضطراب النفسي كثيراً ما يصاب به بعض الطلبة لا سيما خلال فترة الامتحانات ، مما يؤثر على نفسيتهم تأثيراً سيئاً ، ومن ثم يؤثر على مدى استيعابهم للمادة الامتحانية ، فيلجأ البعض منهم لتحاشي هذا الخوف والأرتباك الى الأندفاع للغش في الأمتحان .

والجدول رقم (١٥) يبين بأن خوف الطالب من الأمتحان يدفعه للغش فيه

والجدول رقم (١٥) يوضح بأن ارتباك الطالب وخوفه من الأمتحان من العوامل الدافعة للغش في الأمتحان ، فقد اجاب بعض الطلاب الذين بلغت نسبتهم (٤٢)٪ وبعض الطالبات

الجدول رقم (١٥)

الأجابات / العينة	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢١	٤٢	١٥	٣٠	١٤	٢٨	٥٠
الطالبات	٢٠	٤٠	١٨	٣٦	١٢	٢٤	٥٠
المجموع	٤١		٣٣		٢٦		١٠٠

اللواتي بلغت نسبتهن (٤٠٪) على انار تباك الطالب وخوفه من الأمتحان سبب مهم جداً يدفعه للغش في الأمتحان ، وبين (٣٦٪) من الطالبات و(٣٠٪) من الطلاب على ان خوف الطالب من الأمتحان سبب مهم يدفعه للغش في حين ان (٢٨٪) من الطلاب الى جانب (٢٤٪) من الطالبات بينوا أن الخوف من الأمتحان سبب غير مهم لكي يدفع ببعض الطلبة الى الغش .

فالمشاكل الاجتماعية والأقتصادية والنفسية التي يتعرض لها الطالب والتي تشكل محوراً اساسياً في حياة الطالب الدراسية ، تؤثر عليه وعلى مستواه الدراسي تأثيراً ايجابيا او سلبياً.

(هـ) الوضع المدرسي والأمتحاني المعقد الذي يواجهه الطالب : —

المدرسة او الكلية ، ليست مجرد اداة لتدريب العقل ولا مجرد جهاز للتعليم . بل قد تزايد الوعي بأنها منظمة تعكس المجتمع الذي نعيش فيه وبذلك تسهم في استمراره وفي تشكيله .

والمدرسة او الكلية هي اداة المجتمع الرسمية في تشكيل النشيء وفي نقل التراث الحضاري وفي غرس القيم والمثل وانماط السلوك ، تلك الأمور التي يتوقف عليها استمرار الأنسانية وتطورها معاً (١١) .

وبما ان الكلية هي منظمة تعكس المجتمع الذي نعيش فيه ، فلذلك يجب ان يسود الجو العام لهذه المنظمة العدالة الأجتماعية في المعاملة مع الطلبة ، فبعض المدرسين يستخدمون

(١١) اليونسكو — التربية والصحة النفسية — خلاصة اعمال مؤتمر التربية والصحة النفسية الذي عقدته منظمة اليونسكو في باريس عام ١٩٥٢ — ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ دار الهلال بمصر — ص١٦ . —

اسلوبا يختلف من طالب الى طالب اخر ،وهذا مما يؤثر على الطلبة ويدفعهم للسلوك الشاذ كالغش والحقد وإثارة المشاغبات ، وبعض المدرسين يستخدمون الأسلوب الضاغط في معاملتهم مع الطلبة .

لذلك يلعب اسلوب المدرس دوراً كبيراً في دفع بعض الطلبة للسلوك الشاذ ، والجدول رقم (١٦) يبين بأن اسلوب المدرس مع الطلبة من العوامل السببية الدافعة للغش .

جدول رقم (١٦)

الأجابات العينة	سبب مهم جدا		سبب مهـــم		سبب غير مهم		المجموع
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢٦	٥٢	١٥	٣٠	٩	١٨	٥٠
الطالبات	٤٠	٨٠	٥	١٠	٥	١٠	٥٠
المجموع	٦٦		٢٠		١٤		١٠٠

ومن خلال الجدول رقم (١٦) يتضح لنا ان اسلوب المدرس مع الطلبة له تأثير بارز في حياة الطالب ونوع سلوكه ، فقد اجاب (٨٠٪) من الطالبات و (٥٢٪) من الطلاب على اعتبار اسلوب المدرس مهماً جداً يدفع الطالب للغش في الأمتحان ،واجاب (٣٠٪) من الطلاب و (١٠٪) من الطالبات على اعتبار اسلوب المدرس سبباً مهماً يدفع ببعض الطلبة للغش ، في حين بين (١٨٪) من الطلاب و (١٠٪) من الطالبات بأن اسلوب المدرس سبب غير مهم لكي يدفع بالطالب للغش في الأمتحان ، فالمدرس الذي يجعل عملية التدريس تتناسب وقدرات طلبته ورغباتهم : يجد ان الغش قد تناقص بشكل كبير بين طلابه (١٢) .

وباستخدام الأختبار الأحصائي ظهر هناك فرق معنوي ذو دلالة احصائية بين اجابات الطالبات عن اجابات الطلاب (++)

وهناك بعض المدرسين يضعون أسئلة صعبة لاتتناسب مع اسلوبهم في التدريس وكذلك تكون هذه الأسئلة غير متناسبة مع قدرات الطلبة ومستوياتهم المختلفة ، فاسئلتهم تكون

(١٢) بليز ، جلن مايرز – المصدر السابق – ص١٢٨ .
(++) كاي٢ =٨,٢ مستوى المعنوية =٠,٠٥ درجة الحرية =٢ قيمة الجدول =٥,٢ .

بعيدة كل البعد عن الطريقة التي يشرحون بها مادتهم الدراسية على الطلاب فلذلك يعمد بعض الطلبة الى السلوك الشاذ للتعويض عن عدم الفهم الذي يشعرون به .

والجدول رقم (١٧) يوضح لنا بان صعوبة الأسئلة تدفع بعض الطلبة للغش .

الجدول رقم (١٧)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العينة	٪	العينة	٪	العينة	٪	
الطلاب	٢٢	٤٤	٢٠	٤٠	٨	١٦	٥٠
الطالبات	٣٠	٦٠	١٣	٢٦	٧	١٤	٥٠
المجموع	٥٢		٣٣		١٥		١٠٠

ويوضح جلول (١٧) أن صعوبة الاسئلة تلعب دوراً مهماً في دفع بعض الطلبة للغش في الامتحان ، وقد بينت (٦٠٪) من الطالبات و (٤٤٪) من الطلاب على ان صعوبة الاسئلة سبب مهم جداً يدفع ببعض الطلبة للغش في الامتحان ، واجاب (٤٠٪) من الطلاب و(٢٦٪) من الطالبات بأن صعوبة الاسئلة سبب مهم يدفع الطالب للغش في الامتحان ، في حين ان (١٦٪) من الطلاب و (١٤٪) من الطالبات اجابوا بأن صعوبة الاسئلة سبب غير مهم لكي يدفعهم للغش في الامتحان . وقد يعمد بعض المدرسين إلى تكليف الطلبة بالواجبات الكثيرة ، فالمدرس يرهق طلبته باعطائهم واجبات قد لا يتحملها الوقت المتاح للطالب خلال يومه الدراسي ، وبالنتيجة تتراكم المادة المدرسية على الطالب ، وتصعب عليه دراستها مما يدفع بالبعض منهم للغش لكي يسد حاجته إلى النجاح .

والجدول رقم (١٨) يوضح بأن كثرة الواجبات الملقاة على عاتق الطالب تدفعه للغش.

الجدول رقم (١٨)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة /	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢٧	٥٤	١٢	٢٤	١١	٢٢	٥٠
الطالبات	٣٥	٧٠	١٠	٢٠	٥	١٠	٥٠
المجموع	٦٢		٢٢		١٦		١٠٠

يوضح الجدول رقم (١٨) بأن تكليف الطالب بكثرة الواجبات تدفع بالبعض منهم للغش في الامتحان ، وقد اجابت بعض الطالبات اللواتي بلغت نسبتهن (٧٠٪) وبعض الطلاب الذين بلغت نسبتهم (٥٤٪) بأن كثرة الواجبات الملقاة على عاتق الطلبة سبب مهم جداً يدفع البعض منهم للغش في الامتحان ، وبين (٢٤٪) من الطلاب بالاضافة إلى (٢٠٪) من الطالبات ان تكليف الطلبة بكثرة الواجبات تدفع البعض منهم للغش في الامتحان ، واجاب (٢٢٪) من الطلاب و (١٠٪) من الطالبات بأن كثرة الواجبات التي يكلف بها الطلبة سبب غير مهم لكي يدفعهم للغش . وقد تلعب عوامل اخرى غير التي ذكرت سابقاً في دفع الطلبة للغش ، منها عدم منح الطالب فرصة ثانية لاداء الامتحان ، فالطالب الذي قد يتعرض لظروف تمنعه من الدراسة ، ويلجأ إلى المدرس لكي يؤجل له الامتحان فيمتنع المدرس عن تأجيل الامتحان ، ففي هذه الحالة قد يكون الطالب من الراسبين يخاف الفصل او الرسوب فلذلك لا يجد امامه غير أحد الاختيارين ، الرسوب ، أوالغش ، فيلجأ إلى الغش كوسيلة سهلة للنجاح .

والجدول رقم (١٩) يبين أن عدم منح الطالب فرصة ثانية لاداء الامتحان سبب يدفعه للغش .

جدول رقم (١٩)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	٪
الطلاب	١٧	٣٤	٢٣	٤٦	١٠	٢٠	٥٠
الطالبات	٣٢	٦٤	١٣	٢٦	٥	١٠	٥٠
المجموع	٤٩		٣٦		١٥		١٠٠

ويوضح الجدول رقم (١٩) أن عدم منح الطالب فرصة ثانية لاداء الامتحان تدفعه للغش في الامتحان ، فقد اجابت بعض الطالبات اللواتي بلغت نسبتهن (٦٤٪) وبعض الطلاب الذين بلغت نسبتهم (٣٤٪) بأن عدم منح الطالب فرصة ثانية لاداء الامتحان سبب مهم جداً يدفعه للغش في الامتحان ، وبين (٤٦٪) من الطلاب إلى جانب (٢٦٪) من الطالبات بأن عدم منح الطالب هذه الفرصة سبب مهم يدفعه للغش ، واجاب (٢٠٪) من

الطلاب بالاضافة إلى (١٠٪) من الطالبات بأن عدم منح الطالب فرصة ثانية لاداء الامتحان سبب غير مهم كي يدفعه للغش في الامتحان .

وعند تطبيق الاختبار الاحصائي اتضح فرق معنوي ذو دلالة احصائية بين اجابات الطالبات عن الطلاب (**)

وقد يكون للامتحانات الفجائية التي يطالب بها المدرس في وقت المحاضرة اثر في دفع البعض من الطلبة للغش في الامتحان ، وخصوصاً الطلبة ممن لا يحضرون دروسهم يومياً ، فهؤلاء تربكهم الامتحانات الفجائية وتدفعهم من أجل الحصول على درجة النجاح إلى ارتكاب هذا السلوك الشاذ .

والجدول رقم (٢٠) يبين بأن الامتحانات الفجائية عامل دافع للغش في نظر الطلبة .

الجدول رقم (٢٠)

الاجابات / العينة	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢١	٤٢	٢٢	٤٤	٧	١٤	٥٠
الطالبات	٣٦	٧٢	١٠	٢٠	٤	٨	٥٠
المجموع	٥٧		٣٢		١١		١٠٠

ويوضح الجدول رقم (٢٠) أن الامتحانات الفجائية تربك الطالب وتدفعه للغش ، فقد اجابت (٧٢٪) من الطالبات بالاضافة إلى (٤٢٪) من الطلاب بأن الامتحان الفجائي سبب مهم جداً يدفع الطلبة للغش . وبين (٤٤٪) من الطلاب و (٢٠٪) من الطالبات بأن الامتحان الفجائي سبب مهم يدفع بعض الطلبة للغش ، في حين ان (١٤٪) من الطلاب و (٨٪) من الطالبات اجابوا بأن الامتحان الفجائي سبب غير مهم لكي يدفع ببعض الطلبة للغش في الامتحان . ومن خلال تطبيق الاختبار الاحصائي ظهر فرق معنوي ذو دلالة احصائية بين اجابات الطالبات عن الطلاب (**) .

وإلى جانب الامتحانات المفاجئة . يأتي غموض الاسئلة ليلعب دوراً اضافياً في دفع بعض الطلبة للغش في الامتحان ، فبعض المدرسين يضعون اسئلة غامضة على الطلبة ، ولا

(**) كاي٢ = ٧,٣٩ مستوى المعنوية = ٠,٠٥ درجة الحرية =٢ قيمة الجدول =٥,٢

يستطيع الطلبة الاجابة عليها بسهولة . ويأخذ بالالتفاف يميناً وشمالا للحصول على اجابة للاسئلة التي بين يديه .

والجدول رقم (٢١) يبين ان غموض الأسئلة سبب دافع للغش في الأمتحان

الجدول رقم (٢١)

الاجابات / العينة	سبب مهم جدا العدد	سبب مهم جدا ٪	سبب مهم العدد	سبب مهم ٪	سبب غير مهم العدد	سبب غير مهم ٪	المجموع
الطلاب	٢٠	٤٠	١٨	٣٦	١٢	٢٤	٥٠
الطالبات	٢٤	٤٨	١٧	٣٤	٩	١٨	٥٠
المجموع	٤٤		٣٥		٢١		١٠٠

يوضح الجدول رقم (٢١) بأن غموض الأسئلة من العوامل المسببة التي تدفع ببعض الطلبة للغش في الأمتحان ، وقد اجاب (٤٨٪) من الطالبات الى جانب (٤٠٪) من الطلاب ، علماً بأن غموض الاسئلة سبب مهم جدا يدفع ببعض الطلبة للغش وبين (٣٦٪) من الطلاب و (٣٤٪) من الطالبات بأن غموض الاسئلة سبب مهم يدفع ببعض الطلبة للغش ، في حين أجاب (٢٤٪) من الطلاب و (١٨٪) من الطالبات بأن غموض الأسئلة سبب غير مهم لكي يدفع الطالب للغش .

وقد يلعب شرح المدرس للمادة وعدم استطاعته توصيلها للطلبة بصورة مباشرة دوراً في عدم استطاعة الطالب فهم المادة الا بصعوبة وبالشرح المتكرر ، وبعض المدرسين يلقون المحاضرة فقط ولايهتمون بمدى فهم واستيعاب الطلبة للمادة والمدرس من هذا النوع ينظر الى عمله بأنه ينحصر في القاء المحاضرة ويتجاهل التنوع في الكم البشري الذي يتعامل معه ، فلذلك يعمد بعض طلبة هذا المدرس لسلوك غير طبيعي كالغش ، وكذلك فان صعوبة العمل الدراسي (١٣) ، تدفع الطالب للغش في دروس معينة ولاتدفعهم للغش في دروس اخرى .

والجدول رقم (٢٢) يبين ان صعوبة فهم المادة من قبل الطلبة سبب يدفع بعضهم للغش

(١٣) بليز ، جلن مايرز – المصدر السابق – ص١٢٨ .

الجدول رقم (٢٢)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
للطلاب	٢٠	٤٠	١٨	٣٦	١٢	٢٤	٥٠
للطالبات	٢٤	٤٨	١٧	٣٤	٩	١٨	٥٠
المجموع	٤٤		٣٥		٢١		١٠٠

والجدول رقم (٢٢) يوضح بأن صعوبة فهم المادة من قبل بعض الطلبة سبب دافع للغش ، وأوضح (٤٨٪) من الطالبات و (٤٠٪) من الطلاب ان صعوبة فهم المادة سبب مهم جداً يدفع ببعض الطلبة للغش في الأمتحان ، واجاب (٣٦٪) من الطلاب و(٣٤٪) من الطالبات ان صعوبة فهم المادة من قبل بعض الطلبة سبب مهم يدفعهم للغش ، في حين ان (٢٤٪) من الطلاب ، و(١٨٪) من الطالبات قد بينوا ان صعوبة فهم المادة من قبل بعض الطلبة سبب غير مهم وهو لا يدفعهم للغش في الأمتحان ، وبالاضافة الى العوامل التي ذكرت سابقاً فأن المراقبة في قاعة الامتحان تلعب دورا في الحد من ظاهرة الغش بين صفوف الطلبة ،فبعض الطلبة يتحينون الفرص التي تسنح لهم عندما يتجاهل مراقب القاعة الطلبة ، او يتركهم وينشغل اما بحديث مع زميل له ، او بقراءة كتاب بين يديه ، فهذه الأمور تشجع بعض الطلبة وتدفعهم للغش في الأمتحان .

والجدول رقم (٢٣) يبين بأن تسامح المراقبين في قاعة الأمتحان يدفع بعض الطلبة للغش .

الجدول رقم (٢٣)

الاجابات	سبب مهم جداً		سبب مهم		سبب غير مهم		المجموع
العينة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
الطلاب	٢٢	٤٤	٩	١٨	١٩	٣٨	٥٠
الطالبات	١٦	٣٢	١٦	٣٢	١٨	٣٦	٥٠
المجموع	٣٨		٢٥		٣٧		١٠٠

ويوضح الجدول رقم (٢٣) بان تسامح المراقبين في قاعة الأمتحان من العوامل المسببة الدافعة لبعض الطلبة لارتكاب الغش في الأمتحان، فقد اجاب (٤٤٪) من الطلاب و(٣٢٪) من الطالبات بان تسامح المراقبين. في قاعة الامتحان سبب مهم جداً يدفع الطالب للغش وبين (٣٨٪) من الطلاب و (٣٦٪) من الطالبات بان تسامح المراقبين في قاعة الأمتحان سبب غير مهم وهو لايدفع الطالب للغش ، بينما اكد (٣٢٪) من الطالبات و (١٨٪) من الطلاب ان تسامح المراقبين في قاعة الأمتحان سبب مهم يدفع ببعض الطلبة للغش في الأمتحان .

ان العوامل المذكورة سابقاً مجتمعة تكون عوامل سببية تدفع ببعض الطلبة للغش في الأمتحان .

٤ ـ الخلاصة والأستنتاجات : ـ

تناول هذا البحث بالدراسة الاسباب الدافعة للغش في الأمتحان ، **وتعد ظاهرة الغش من الظواهر التي يعاقب عليها ولها ضوابطها القانونية : ولم يتفق الباحثون على تعريف عام لمفهوم الغش ، فمنهم** من عده انحرافاً في السلوك والبعض الاخر عده غير مهذب ، **وهنالك من عدّه** سلوكاً غير منحرف .

ولهذه الدراسة ابعادها التربوية والعلمية ، فهي تعالج العوامل السببية الدافعة للغش في الأمتحان ، للوقوف على اهم الاسباب التي تفيد الباحثين والتربويين والمدرسين بالاضافة الى الطلبة وذويهم لمعالجة هذه الظاهرة والحيلولة دون ظهورها بين اوساط الطلبة . وقد تمت صياغة فرضية للبحث على اساس ان هناك اسبابا تدفع بعض الطلبة للغش في الامتحان ، وتم اختيار عينة طبقية عشوائية من طلبة كلية الآداب في جامعة الموصل ،من المرحلتين الثالثة والرابعة . وتكونت العينة من (١٠٠) وحدة توزعت على (٥٠) طالبــاً و(٥٠) طالبة . وان نسبة تمثيل العينة لمجتمع البحث بلغت (١٩,٥٪) . واستخدمت الباحثة الطريقة المكتبية في جمع المعلومات النظرية والطريقة التجريبية في تطبيق استمارة الأستبيان على المبحوثين وبعد ملء استمارة الأستبيان من قبل الطلبة . تم تفريغ البيانات في جداول احصائية ، وطبقت على الجداول الوسائل الاحصائية ومنها النسبة المئوية لمعرفة التوزيع النسبي للمبحوثين ، ومقياس (كاي٢) لمعرفة مدى الفرق المعنوي بين اجابات الطلبة

وتوصلت الدراسة الميدانية الى فرز العوامل السببية الدافعة للغش في الأمتحان وظهر أن هناك العديد من الأسباب التي تدفع بعض الطلبة للغش في الأمتحان ومن هذه الأسباب إعتبار الدرجة مقياسا للنجاح ، كثرة واجبات الطالب الدراسية ، اسلوب المدرس. الامتحانات الفجائية ،صعوبة فهم المادة من قبل الطلبة ، عدم السيطرة على مادة الأمتحان واستيعابها ، صعوبة الأسئلة، عدم منح الطالب فرصة ثانية لاداء الأمتحان ،عدم ثقة الطالب بنفسه، اسباب نفسية طبيعية تتعلق بالطالب ، الأرتباك والخوف من الأمتحان المعاناة من المشاكل الأجتماعية ، تسامح المراقبين في قاعة الأمتحان ، سوء صحة الطالب الحصول على درجة اكثر تعود الطالب من بداية حياته الدراسية الأولى ، المنافسة على الدرجات والشعور بالتباهي والفخر . وعلى ضوء هذه النتائج فان الفرضية التي وضعناها على صيغة تساؤل وهي (هل هنالك اسباب قد تدفع ببعض الطلبة لارتكاب الغش في الامتحان / تؤيدها النتائج التي اظهرتها الدراسة الميدانية) .

٥ ــ التوصيات : ــ

١ ــ اهتمام المدرس بالطلبة ومدى فهمهم للمحاضرة ، وان لايضع كل الأعتبار على الدرجة فقط .

٢ ــ مشاركة الطلبة بالمحاضرة عن طريق اثارة المناقشات وطرح اسئلة من قبل المدرس من شأنها ان تظهر مدى استيعاب الطلبة للمادة .

٣ ــ متابعة الطلبة لاسيما المتأخرون دراسياً منهم ، عن طريق ارسال التقارير الشهرية اوالنصف السنوية الى ذويهم .

٤ ــ اقامة الندوات الشهرية اوالفصلية من قبل الهيئة الأدارية في الكلية ويدعى اليها اولياء امور الطلبة لمناقشة مستويات الطلبة ، وتتعاون الهيئة الادارية مع اسرة الطالب في معالجة الظواهر السلبية التي قد تظهر في محيط الطالب الدراسي .

٥ ــ ان تكون الأسئلة التي يضعها المدرس واضحة وخالية من الغموض ، وان تكون شاملة بحيث يراعي فيها المستويات المختلفة للطلبة .

٦ ــ ان تكون العلاقة بين المدرس والطالب قائمة على اشاعة الجو العلمي وعلى التفاهم ومبنية على اسس ديمقراطية .

٧ ــ ان يبتعد المدرس عن الأسلوب الضاغط مع الطلبة ، وان يكون قريباً منهم .

٨ – تقليص عدد الطلبة في القاعة الأمتحانية ، وغرس الثقة في نفس الطالب خلال الأمتحان .

٩ – التشدد في المراقبة وعدم التسامح مع الطلبة الذين يحاولون الغش .

١٠ – تطبيق الضوابط الجازمة والقوانين المتشددة على الطلبة الذين يضبطون بارتكاب الغش .

١١ – تحسين اوضاع الأقسام الداخلية ، وتقليص عدد الطلبة في كل غرفة وتوفير الخدمات .

١٢– عدم تكليف الطالب بالواجبات الكثيرة ، وانما على المدرس ان يكلف الطالب بالمواد التي من شأنها رفع مستواه العلمي ، وان يراعي فيها تطبيق اهداف المنهج العلمي .



ملحق رقم (١)

استبيان استطلاعي

عزيزتي الطالبة ... عزيزي الطالب .

تنوي الباحثة القيام ببحث ميداني حول الأسباب التي تدفع ببعض الطلبة للغش في الأمتحان . لذلك نرجو مساعدتك من خلال توضيح رأيك حول اهم الأسباب التي ترى أنها تدفع الطالب للغش في الأمتحان .... مع الشكر .

السؤال : –

ماهي برأيك اهم الأسباب التي تدفع ببعض الطلبة للغش في الأمتحان ؟

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –



الباحثة

فهيمة كريم رزيج المشهداني

ملحق رقم (٢)

جامعة الموصل / كلية الآداب

قسم الخدمة الأجتماعية

(استبيان)

عزيزتي الطالبة .. عزيزي الطالب

تقوم الباحثة بدراسة ميدانية للتعرف على الأسباب التي تدفع بعض طلبة كلية الآداب للغش في الأمتحانات.

وبمانك احد طلبة هذه الكلية،فأن الباحثة تدعوك للتعاون معها لتأشير الأسباب التي تراها مهمة في الحقل المناسب امامها ، علماً بأن ماستدلي به من معلومات لاغراض البحث العلمي فقط .

وسوف لايطلع عليها أحد غير الباحثة نفسها ولاداعي لذكر اسمك .. مع الشكر

(ملاحظة) ضع اشارة — (√) امام العبارة التي تراها ضرورية .

الباحثة

فهيمة كريم رزيج

١- ارجو الأجابة على مايأتي :-

١ — القسم

٢ — المرحلة

٣ — الجنس

٤ — العمر

٥ — الحالة الزوجية

٦ — مهنة الأب

٧ — المستوى الدراسي للاب

٨ — مكان السكن الحالي

٩ — مكان السكن الدائم

٢ ــ نعتقد ان الأسباب الواردة في أدناه تدفع الطلبة لارتكاب الغش ، بين رأيك بصراحة بهذه الأسباب ووفق ماورد امام العبارات .

	سبب مهم جداً / سبب مهم / سبب غير مهم
١ ــ عدم ثقة الطالب بنفسه	
٢ ــ تعود الطالب من بداية الدراسة	
٣ ــ صعوبة الأسئلة	
٤ ــ عدم الدراسة خلال السنة بشكل جيد	
٥ ــ اسلوب المدرس الذي يجعل الطالب لايرغب في قراءة المادة	
٦ ــ للحصول على درجة اكثر	
٧ ــ المعاناة من المشاكل الأجتماعية	
٨ ــ ظروف السكن غير الجيدة	
٩ ــ سوء صحة الطالب	
١٠ ــ عدم منح الطالب فرصة ثانية لاداء الأمتحان	
١١ ــ عدم السيطرة على مادة الأمتحان واستيعابها	
١٢ ــ المنافسة على الدرجات	
١٣ ــ تسامح المراقبين في القاعة يشجع على الغش	
١٤ ــ الشعور بالتباهي والفخر	
١٥ ــ اسباب نفسية طبيعية تتعلق بالطالب	
١٦ ــ غموض الأسئلة	
١٧ ــ الأرتباك والخوف في اثناء الأمتحانات	
١٨ ــ الأمتحانات النجائية	
١٩ ــ كثرة واجبات الطالب الدراسية	
٢٠ ــ اعتبار الدرجة المقياس في النجاح	
٢١ ــ صعوبة فهم المادة من قبل الطلبة .	

٧ – المصادر : ––

١ – بليز ، جلن مايرز – سيكولوجية المراهقة للمربين – تعريب الدكتور ضياء ابو الحب – الطبعة الاولى – مطبعة دار السلام – بغداد – ١٩٦٨ .

٢ – حسن ، عبدالباسط محمد – اصول البحث الأجتماعي – الطبعة السادسة – مكتبة وهبة – مصر – ١٩٧٧ .

٣ – عطير ، مصطفى عمر – جرائم ضمن المنظور الأجتماعي للانحراف، المجلة الجنائية القومية – العدد ١ – ٢ – مجلد ١٦ – ١٩٧٣ .

٤ – فالنتاين – تشارلس ولفريد – الطفل السوي وبعض انحرافاته – ترجمة ، الدكتور عبدالعلي الجسماني – كلية التربية – جامعة الأمارات العربية المتحدة ١٩٨٣ .

٥ – القوصي ، عبدالعزيز – اسس الصحة النفسية – الطبعة السابعة – مكتبة ، النهضة المصرية – ١٩٨٢ .

٦ – اليونسكو – التربية والصحة النفسية – خلاصة اعمال مؤتمر التربية والصحة النفسية الذي عقدته اليونسكو في باريس عام ١٩٥٢ ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ – دار الهلال – مصر

مستقبل السوق النفطية الدولية

د. محمد ازهر السماك
كلية التربية / جامعة الموصل

اسماعيل ابراهيم رشيد
كلية القانون والسياسة/ جامعة الموصل

هدف البحث ومنهجه :

تشكل مصادر الطاقة حجر الزاوية في التطور الاقتصادي والرفاهية الأنسانية . ذلك لارتباطها الوثيق في الأستخدامات المباشرة وغير المباشرة التي تكفل تحقيق رفاهية الأنسان وتعد مصادر الطاقة الحديثة (النفط — الغاز الطبيعي — الفحم الحجري — الطاقة الكهربائية — الطاقة الكهرمائية — الطاقة الذرية والنووية) المسؤولة عن اكثر من ٩٥٪ من حجم الطاقة المستهلكة قاطبة في عالمنا المعاصر ويتربع النفط على عرش هذه المصادر اذ يستأثر بنحو ٤٤٪ من الأهمية النسبية لهيكل استهلاك الطاقة العالمي طبقاً لبيانات ١٩٨٤ وتكمن الأهمية النسبية للنفط كونه مصدر طاقة رئيسية وانه مادة خام للعديد من فروع الصناعات التحويلية لاسيما تلك التي اشتقت اسمها منه الأ وهي الصناعات البتروكيميائية .

ونظراً للأحداث السريعة والمتلاحقة التي شهدتها السوق النفطية الدولية لاسيما منذ نهاية عام ١٩٨١ وحتى الان (١٩٨٧) فقد برزت ضرورة دراسة الواقع الأقتصادي لهذه السوق في محاولة لتحديد الملامح المستقبلية لها مـن خلال طرح بعض الخيارات التي قد تشكل في اجماليها ابعاد استراتيجية لاحقة قد تعين الدول المصدرة للنفط من اتخاذ ،القرارات اللاحقة فيما يعظم من حجم الوفورات الأقتصادية والمجتمعية التي يمكن ان يخلقها في بيئات توطنها .

ولعل من نافلة القول ان نشير الى ان منظمة الأقطار المصدرة للنفط (اوبك) كانت قد تمكنت من احراز ارقام قياسية في تاريخ نشاطها النفطي ، فقد شهدت قمة انتاجها عام ١٩٧٩ وحققت اعلى معدلات عوائدها النفطية عام ١٩٨٠ ، وقمة سعرها النفطي عام ١٩٨١ ، الا انه لم تتمكن من الأبقاء على مواقعها المتقدمة هذه . فقد شهدت الأعوام التالية انحساراً واضحاً لدور اوبك في السوق النفطية وتغير موقعها من منتج مغذي للسوق الى منتج متمم وكان ذلك نتيجة لتطبيق دقيق للسياسات النفطية التي رسمتها منظمة التعاون الأقتصادي والتنمية (OECD) ووكالة الطاقة الدولية . بالاضافة الى ظهور منتجين جدد كان من بينهم دول بحر الشمال والمكسيك والاسكا وغيرهم .

وترتيباً على ما تقدم فان الغرض العلمي الرئيسي لمشكلة هذا البحث تنطلق من التساؤل التالي : ما هي مستقبل السوق النفطية الدولية بعامة ونفط منظمة الاوبك بخاصة ؟ وعليه فان الفروض العلمية الفرعية لهذه المشكلة تتمثل بالتساؤلات الاتية : —

اولاً : ما هي الصورة الحالية لعرض النفط بعامة ونفط الاوبك بخاصة ؟

ثانياً : ما هي الاتجاهات الرئيسية للطلب على النفط في السوق النفطية المعاصرة وما هي ملامحها المستقبلية ؟

ان تحديد هذه الفروض ودراستها يقتضي تشخيص طبيعة وحجم العلاقات بين طرفي ميزان السوق النفطية الدولية ألا وهي منظمتي الاوبك و (EOCD) .

وقد يكون من المفيد ان نشير إلى ان معالجة مشكلة كالمشكلة التي يتصدى لها هذا البحث يتطلب الرجوع إلى مصادر البيانات الرئيسية الموثوقة . وفعلا فقد اتخذنا من بيانات الامم المتحدة ومنظمات اوبك واوابك والتعاون الاقتصادي والتنمية (١) . اداة رئيسة : للبحث والتحليل نأمل ان نكون قد وفقنا في مسعانا ومن الله سواء السبيل .

أولاً :

الصورة الحالية لعرض النفط :

في دراسة البيانات المتاحة ومنها جدول (١) يتضح : —

١ — اتسم عرض النفط بالتراجع النسبي منذ نهاية السبعينات لهذا القرن وحتى الآن . فقد انحسر عن معدلاته السنوية التي شهدها النصف الثاني من السبعينات . وهي بحدود (٦٢) مليون برميل يومياً انحسر إلى نحو (٥٦) مليون برميل بالمتوسط خلال النصف الاول من

جدول (١)

تطور العرض من النفط الخام خارج الدول ذات الأقتصاد المخطط مركزياً ١٩٨٥/٨١ مليون برميل يومياً (١) .

	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
انتاج دول منظمة التعاون الأقتصادي والتنمية	١٥,٠	١٥,٥	١٦,٠	١٦,٧	١٧,٢
إنتاج الدول النامية غير اوبك	٦,٤	٧,٢	٧,٥	٨,٠	٨,٥
صافي صادرات الدول ذات الأقتصاد المخطط مركزياً .	١,١	١,٤	١,٦	١,٧	١,٦
فروقات حجمية (Processing gains)	١,٠	١,٠	١,٠	١,٠	١,٠
المجموع	٢٣,٥	٢٥,١	٢٦,١	٢٧,٤	٢٨,٣
انتاج اوبك من النفط	٢٢,٤	١٨,٦	١٧,٣	١٧,٢	١٥,٩
انتاج اوبك من سوائل الغازات الطبيعة	١,١	١,٢	١,٢	١,٣	١,٣
المجموع	٢٣,٥	١٩,٨	١٨,٥	١٨,٥	١٧,٢
الاتحاد السوفيتي	١١,٠	١٢,٣	١٢,٤	١٢,٣	١١,٩
الصين الشعبية	٢,٠	٢,٠	٢,١	٢,٢	٢,٥
اجمالي الأنتاج العالمي للنفط الخام	٥٨,٤	٥٥,٩	٥٥,٠	٥٥,٧	٥٦,٤

ثمانينات هذا القرن . ولم يحقق انتاج النفط عالمياً عام ١٩٨٥ سوى زيادة طفيفة لم تتجاوز نسبة تغيرها عن ١,٢٪ .

٢ — إلا ان هذه الصورة لا تنسحب عن عرض النفط من دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية . اذ شهد عام ١٩٨٥ انتاجاً متنامياً بالمقارنة مع عام ١٩٨١ . فقد بلغ الانتاج نحو ١٧,٢ مليون برميل يومياً عام ١٩٨٥ مقابل ١٥ مليون برميل يومياً عما كان عليه عام ١٩٨١ . وتقترن هذه الزيادات باعتقادنا بمساهمات بحر الشمال في قطاعيه البريطاني والنرويجي بالدرجة الاساس . بالاضافة إلى تنامي الانتاج من اقطار دول اخرى في المنظمة لا سيما انتاج الاسكا في الولايات المتحدة الاميركية والانتاج الكندي .

مصادر البيانات :

(١) منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول — تقرير الامين العام السنوي الثاني ٨٢ —٩٨٥ الكويت ١٩٨٦ بدلالة جدول ٢٤/١ ص٥٦ وجدول ٢,٧ ص٧٣—ص٧٤ .

وتشابه الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً (الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية مثلا) في تطور الانتاج فقد بلغ انتاج الصين الشعبية عام ١٩٨٥ نحو ٢,٥ مليون برميل يومياً مقابل ٢,٠ مليون برميل يومياً فقط عام ١٩٨١ .

٣ ــ غير ان عرض النفط من دول الاوبك فقد إتسم بالتراجع البارز في السنوات الخمس المنصرمة . وهذا يرتبط باعتماد الدول المستوردة للنفط اوبك (دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية) على سياسات تقليص استيرادات النفط من دول اوبك . ذلك من خلال تنمية وتطوير مكامن نفطية خارج دول اوبك . وفعلا فقد هبطت حصة اوبك من زهاء ٥٣٪ من اجمالي الانتاج العالمي للنفط الخام عام ١٩٧٣ إلى زهاء ٢٨,٢٪ فقط عام ١٩٨٥ ويفسر هذه الحقيقة قيام وكالة الطاقة الدولية منذ عام ١٩٧٤ برسم سياستها المعروفة في هذا السياق .

وقد يحسن بنا الان ان نحدد العوامل المؤثرة على تطورات سوق النفطية الدولية وهذه العوامل هي :

(آ) الحفاظ على الطاقة وهذا يتمثل في سياسات وكالة الطاقة الدولية ومنظمة التعاون والتنمية المتاخمة في تقليص الأعتماد على نفط الأوبك كما رأينا . فقد انخفضت العلاقة بين النمو الأقتصادي والطلب على الطاقة الى اقل من واحد في السنوات الأخيرة كما . انخفضت كثافة استخدام الطاقة في هذه الدول انخفاضاً ملحوظاً . ذلك ان الرقم القياسي لاستعمال الطاقة الدولية الى الناتج المحلي الأجمالي الحقيقي المقدر باسعار ١٩٧٥ انخفض من (١٠٠) عام ١٩٧٣ الى (٨٤) عام ١٩٨٤. كما ان مقياس كثافة استعمال النفط بالنسبة للناتج المحلي الأجمالي الحقيقي انخفضت من ١٠٠ عام ١٩٧٣ الى ٦٨ عام ١٩٨٤ (٣) .

وقد اثر انخفاض كثافة استخدام الطاقة على مستوى استهلاكها تأثيراً كبيراً . اذ لو ظلت كثافة استخدام الطاقة الأولية الى الناتج المحلي ثابتة على مستواها الذي تحققت منذ بداية السبعينات لتزايد اجمالي استهلاك الطاقة عام ١٩٨٣ بنسبة ٢٣٪ واجمالي استهلاك النفط بنسبة ٤٦,٥٪ من مستواها الحالي . ومما تجدر الاشارة اليه ان القطاع الصناعي كان على رأس القطاعات الأقتصادية المستهلكة للطاقة والتي ظفرت باهتمام دول منظمة التعاون والتنمية في مجال ترشيد استهلاك الطاقة . اذ على الرغم من ارتفاع مستوى الأنتاج الصناعي في دول وكالة الطاقة الدولية بنحو ١٪ سنوياً خلال الفترة ١٩٧٣ ــ

١٩٨٣ فقد شهد استهلاك الطاقة والنفط في القطاع الصناعي انخفاضاً واضحاً بقدر ٢٪ و٢٫٣٪ على التوالي) . (٤)

(ب) الرسوم على استهلاك المنتجات النفطية بغية تحقيق الاهداف المرسومة لمنظمة التعاون والتنمية . فقد دأبت على فرض رسوم وضرائب داخلية على استهلاك المنتجات ، النفطية فيما يمكنها من تحقيق عائدات مالية كبيرة تساعدها على تحويل مشاريعها المتعددة سواء في مجال البحث والتطوير لترشيد استهلاك الطاقة اوفي تطوير مصادر الطاقة البديلة فقد اسهمت عوائد الضرائب عام ١٩٨٤ بنحو ٣٥٪ في معدل سعر المستهلك لبرميل المنتجات في اوربا الغربية مقابل ٣٢٪ عام ١٩٨١ في الوقت الذي بلغت حصة دول اوبك في برميل المنتجات المباع في اوربا الغربية ٤٨٪ عام ١٩٨٤ و ٥٠٪ عام ١٩٨١ (٥) .

جـ ـ الاعتماد على مصادر نفطية خارج دول اوبك : لقد أثرت سياسات الدول الصناعية في مجال هذا الموضوع في محاولة لتخفيض من الاعتماد على دول الاوبك وفعلا فقد ازداد الانتاج الداخلي للنفط لمجموع الدول المنظمة (منظمة التعاون والتنمية) من ١٥ مليون برميل يومياً عام ١٩٨١ الى ١٧٫٢ مليون برميل يومياً عام ١٩٨٥ كمارأينا . كما ارتفعت حصة الانتاج الداخلي لميزان الطلب على النفط من ٤١٪ عام ١٩٨١ الى ٥١٪ عام ١٩٨٥ .

د ـ تطوير مصادر الطاقة غير النفطية : لقد ارتفعت حصة الفحم من استهلاك الطاقة في الدول الصناعية من ١٨٫٤٪ عام ١٩٧٩ الى ٢١٫٤٪ عام ١٩٨٤ اي بمعدل ١٫٦مليون برميل يومياً مكافيء نفط . كما ارتفعت حصة الطاقة النووية من ٣٫٤٪ عام ١٩٧٩ الى ٦٫٣٪ عام ١٩٨٤ أي بما يعادل (٢) مليون برميل يومياً مكافيء نفط . وفي الفتـــرة ذاتها از دادت حصة الطاقة الكهربائية من ٦٫٧٪ الى ٧٫٥٪ اي بما يعادل ٠٫٤ مليون برميل يومياً مكافيء نفط .

هـ ـ المخزون النفطي الاستراتيجي : لقد انقلب دور المخزون النفطي في الدول الصناعية من كونه اداة موازنة بين العرض والطلب خلال التغيرات الموسمية قبل ١٩٧٤ الى اداة للتأثير على مستويات الطلب والاسعار في السوق النفطية في الحجم بما : يكفـي الاعضاء (OECD)على ثلاثة اشهر الى سنة كاملة وقد استخدم هذا المخزون في الضغط على الاسعار لاسيما بتشجيع وتنشيط مايعرف بالسوق الفورية للنفط كان من محصلة أن تدنت أسعار النفط الخام الى اقل من ١٥ دولار للبرميل الواحد بمطلع عام ١٩٨٦ .

جدول (٢)

تطور احتياطي النفط المؤكد في العالم بين عامي ٨١/ ١٩٨٥ مليار برميل في نهاية كل عام (١)

الدول	١٩٨١	١٩٨٥
١ — الامارات	٣٢,٢	٣٣,٠
٢ — البحرين	٠,٢	٠,١٦
٣ — تونس	١,٧	١,٨
٤ — الجزائر	٨,١	٨,٨
٥ — السعودية	١٦٤,٨	١٧١,٥
٦ — سوريا	١,٩	١,٤
٧ — العراق	٢٩,٧	٦٥,٠
٨ — قطر	٣,٤	٣,٣
٩ — الكويت	٦٧,٧	٩٢,٥
١٠ — ليبيا	٢٢,٦	٢١,٣
١١ — مصر	٢,٩	٣,٩
مجموع دول اوبك	٣٣٥,٢	٤٠٢,٧
١٢ — عمان	٢,٦	٤,٠
١٣ — الاكوادور	٠,٩	١,٧
١٤ — اندنوسيا	٩,٨	٨,٥
١٥ — ايران	٥٧,٠	٤٧,٩
١٦ — الكابون	٠,٥	٠,٥
١٧ — فنزويلا	١٩,٩	٢٥,٦
١٨ — ناجيريا	١٦,٥	١٦,٦
١٩ — مجموع دول اوبك غير العربية	١٠٤,٦	١٠٠,٨
مجموع دول اوبك	٤٣٣,١	٤٩٦,٢
المجموع العالمي	٦٧٠,٣	٧٢١,٠
نسبة اوبك للعالم ٪	٦٤,٦	٦٨,٨

المصدر

منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول التقرير العام السنوي بدلالة جدول٢/٩ص٨٣ص٨٤

والجدير بالاشارة الى ان المخزون النفطي في الدول الصناعية وصل عام ١٩٨١ الى ٤٨٢ مليون طن مع بداية عام ١٩٨١ ثم هبط حتى وصل الى ٤٢٠ مليون طن مع بداية عام ١٩٨٦ .

وقد يثار التساؤل الاتي اذا كانت تلك الصورة الحالية لعرض النفط عالمياً فما هو مستقبل هذا العرض من دول الاوبك لاحقاً ؟

حتى الاجابة عن هذا التساؤل لابد من تحليل البيانات المتاحة في جداول (٢) و(٣) . ومن تحليلهما يتضح — :

٢

(أ) تهيمن دول الاوبك على نحو ــــ احتياطي المؤكد من النفط عالمياً . فقد

٣

بلغت نسبة احتياطي الاوبك لجملة العالم عام ١٩٨٥ نحو ٦٨,٨٪ مقابل ٦٤,٦٪ عام ١٩٨١ . وبتعبير آخر فان نسبة التغير بين احتياطي الاوبك بين هاتين السنتين كان بحدود ٥٪ .

(ب) ان العمر المتنظر لنفط الاوبك او كما نسميه أمد النضوب يبلغ زهاء ٨٦,٥سنة مقابل ٣٦ سنة للعمر المتنظر لجملة النفط العالمي . ومقابل ١٤ سنة فقط للعمر المتنظر للنفط السوفيتي وزهاء ٨ سنة للعمر المتنظر للنفط الامريكي (٦) ومن هنا ينبغي ان ندرك الدور البارز لنفط الاوبك الذي يمكن ان يعاوده مستقبلا وهذا يؤكد ان ماتشهده السوق النفطية الدولية المعاصرة هو نتيجة لاعتبارات سياسية صرفة اكثر مما هي اعتبارات فنية واقتصادية خاصة مايرتبط منها بنفط دول الاوبك .

(ج) تقف المملكة العربية السعودية في مقدمة دول الاوبك في هذا المجال . اذ تهيمن على نحو ٣٤,٦٧٪ من احتياطي النفط المؤكد عام ١٩٨٥ وهي بذلك تقف في المرتبة الاولى في العالم في هذا المجال تليها اهمية الكويت والعراق والدول الثلاثة هذه تتبوأ المراكز الرئيسية الثلاثة في العالم في هذا المجال وهذه الدول الثلاث تظفر بنحو ٦٦,٣٣٪ من الاحتياطي المؤكد لنفط العالم . ومن هنا ينبغي ان ندرك الاسباب الحقيقية لجوهر الصراع الذي تشهده منطقتنا العربية بعامة والخليجية بخاصة .

العمر المتنظر : تم حساب العمر المتنظر على النحو الآتي :

العمر المتنظر = الاحتياطي المؤكد في نهاية كل عام / الانتاج السنوي بآلاف البراميل يومياً × ٣٦٠

حاصل ماتقدم يتضح المكانة البارزة لدول الاوبك في تغذية السوق النفطية الدولية في الماضي والحاضر والمستقبل على الرغم من سنوات الانحسار الذي شهدتها سنوات النصف الأول من عقد الثمانينات إلا ان هذه الظواهر يمكن ان تكون طارئة فيما لو عمدت دول الاوبك على التمسك بستراتيجيتها المعتمدة حالياً والمتمثلة في المحافظة على الاسعار وتقليص حجم الانتاج رغم مايمكن ان يكتنف اقتصادياتها من تباطؤ في معدلات نموها وتعويق في مسيرة دولها التنموية اذ ان وحدة الاوبك امر ضروري للتفوق بمستقبل متميز لها .

والآن اذا كانت تلك هي صورة عرض النفط فما هي صورة الطلب على هذه السلعة؟

ثانياً : الطلب على النفط الخام ومستقبله :

لتحديد الواقع الحالي للطلب على النفط ومستقبلة لابد من اعتماد البيانات المتاحة في جدول (٣) و(٤) و(٥) .

جدول (٣)

تطور استهلاك الطاقة التجارية حسب مصادرها وفقاً للمجموعات الدولية ١٩٧٩–١٩٨٤

(مليون ب/ي مكافيء نفط) (١)

المصدر	١٩٧٩	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	التغير ٨٤/٨٣
النفط						
دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية	٤٠,٧٨	٣٥,٥٣	٣٣,٦٨	٣٣,٢٦	٣٣,٩١	١,٩
الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً (ه)	١١,٠٨	١١,٤٧	١١,٥٣	١١,٥٤	١١,٤٤	(٠,٩)
الصين	١,٨٣	١,٧٠	١,٦٦	١,٧٠	١,٧٢	١,٢
الدول النامية	١٠,٤٣	١١,٢١	١١,٥٥	١١,٥٤	١١,٨٠	٢,٢
اجمالي العالم	٦٤,١٢	٥٩,٩١	٥٨,٤٢	٥٨,٠٤	٥٨,٨٧	١,٤
الغاز الطبيعي						
دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية	١٥,٦٢	١٥,١٥	١٤,٣٧	١٣,٩٣	١٤,٧٩	٦,٢

الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً (٥)	٧,٣٧	٨,٤٧	٩,٠٠	٩,٥٩	١٠,٣٢	٧,٦
الصين	٠,٢٥	٠,٢٠	٠,١٩	٠,٢١	٠,٢٢	٤,٨
الدول النامية	٢,٢٣	٢,٥٩	٢,٧٥	٢,٧٨	٢,٨٧	٣,٢
إجمالي العالم	٢٥,٤٧	٢٦,٤١	٢٦,٣١	٢٦,٥١	٢٨,٢٠	٦,٤
الفحم						
دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية	١٤,٥٠	١٥,٤٤	١٥,٣٤	١٥,٤٥	١٦,٠٨	٤,١
الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً (٥)	١٢,٩٣	١٢,٦٢	١٣,٠٤	١٣,٢٣	١٣,٤٢	١,٤
الصين	٨,٤٠	٧,٨٨	٨,٢٤	٨,٧٢	٩,٣٣	٧,٠
الدول النامية	٣,٦٨	٤,١١	٤,٣٢	٤,٦٢	٤,٧٦	٣,
اجمالي العالم	٣٩,٥١	٤٠,٠٥	٤٠,٩٤	٤٢,٠٢	٤٣,٥٩	٣,٧
الطاقة النووية						
دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية	٢,٦٦	٣,٤٠	٣,٧٠	٤,٠٣	٩,٧١	١٦,٩
الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً (٥)	٠,٣٤	٠,٤٨	٠,٥٥	٠,٥٨	٠,٦٥	١٢,١
الصين	—	—	—	—	—	—
الدول النامية	٠,٠٦	٠,١٠	٠,١٢	٠,١٩	٠,٢٨	٤٧,٤
اجمالي العالم	٣,٠٦	٣,٩٨	٤,٣٧	٤,٨٠	٥,٦٤	١٧,٥
الطاقة الكهربائية						
دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية	٥,٢٨	٥,٢٩	٥,٥٠	٥,٦٩	٥,٧٠	٠,٢

(١) منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول تقرير الأمين العام السنوي الثاني عشر / الكويت ١٩٨٥/ ص ٢٤-٢٥ .

تابع جدول رقم (٣)

الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً (٥)	١,١٤	١,٢٣	١,٢٧	١,٣١	١,٣٦	٣,٨
الصين	٠,٢٦	٠,٣٤	٠,٣٨	٠,٤٤	٠,٤٧	٦,٨
الدول النامية	١,٥٩	١,٧٧	١,٨٨	٢,٠٦	٢,١٨	٥,٨
اجمالي العالم	٨,٢٧	٨,٦٣	٩,٠٣	٩,٥٠	٩,٧١	٢,٢
اجمالي الطاقة						
دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية	٧٨,٨٤	٧٤,٨١	٧٢,٥٩	٧٢,٣٦	٧٥,١٩	٣,٩
الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً (٥)	٣٢,٨٦	٣٤,٢٧	٣٥,٣٩	٣٦,٢٥	٣٧,١٩	٢,٦
الصين	١٠,٧٤	١٠,١٢	١٠,٤٧	١١,٠٧	١١,٧٤	٦,١
الدول النامية	١٧,٩٩	١٩,٧٨	٢٠,٦٢	٢١,١٩	٢١,٨٩	٣,٣
اجمالي العالم	١٤٠,٤٣	١٣٨,٩٨	١٣٩,٠٧	١٤٠,٨٧	١٤٦,٠١	٣,٦

جدول (٤)

استهلاك مجموعة دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) من مصادر الطاقة لعامي ١٩٨٤–١٩٨٥

(مليون ب/ي مكافيء فقط)

المصدر	١٩٨٤	١٩٨٥	٪ التغير ٨٥/ ١٩٨٤
النفط *	٣٣,٩١	٣٣,٣	(١,٨)
الغاز الطبيعي	١٤,٧٩	١٤,٦	(١,٣)
الفحم	١٦,٠٨	١٦,٥	(٢,٦)
الطاقة النووية	٤,٧١	٥,٥	١٦,٨
الطاقة الكهرمائية	٥,٧٠	٥,٧	٠,٠
إجمالي الطاقة	٧٥,١٩	٧٥,٠٦	٠,٥



المصادر

(١) Quarterly and Cas statistics, No.4.3 rd quar.–1985 o5 cD

(٢) IEn oil Market RePort. Mar. 1980

ملاحظات :

– الارقام ضمن الاقواس تعني سالباً

– تم تقدير استهلاك المصادر غير النفطية على اساس تطورات الاشهر التسعة الاولى من عام ١٩٨٥ .

(*) لا يشمل الفروقات الحجمية (Processing Gaiur) الناجمة عن تصنيع النفط في الولايات المتحدة .

جدول (٥)

تطور استهلاك الطاقة التجارية حسب مصادرها في الدول الصناعية الرئيسة لعامي ١٩٨٣ و١٩٨٤

(مليون ب/ ي مكافيء نفط)

	الولايات المتحدة	اليابان	المانيا الغربية	فرنسا	ايطاليا	بريطانيا	اجمالي الدول الصناعية
النفط							
١٩٨٣	١٤,٧٥	٤,٣٩	٢,٣٤	١,٨٨	١,٨٨	١,٥٤	٣٣,٢٦
١٩٨٤	١٥,١٥	٤,٥٥	٢,٣٤	١,٨٢	١,٨٢	١,٨٤	٣٣,٩١
٪ التغير	٢,٧	٣,٦	—	(٣,٢)	(٤,٤)	١٩,٥	١,٩
الغاز الطبيعي							
١٩٨٣	٨,٧١	٠,٥٠	٠,٧٨	٠,٤٤	٠,٤٥	٠,٨٨	١٣,٩٣
١٩٨٤	٩,١٦	٠,٦٦	٠,٨٢	٠,٤٧	٠,٥٣	٠,٩٠	١٤,٧٩
٪ التغير	٥,٢	٣٢,٠	٥,١	٦,٨	١٧,٨	٢,٣	٦,٢
٪ الفحم							
١٩٨٣	٨,٠١	١,٢٦	١,٦٠	٠,٥١	٠,٢٧	٠,٣١	١٥,٤٥
١٩٨٤	٨,٦٨	١,٢٨	١,٦٧	٠,٥٠	٠,٣٠	٠,٩١	١٦,٠٨
٪ التغير	٨,٤	١,٦	٤,٤	(٢,٠)	١١,١	(٣٠,٥)	٤,١
الطاقة النووية							
١٩٨٣	١,٦١	٠,٥٥	٠,٣٠	٠,٦٠	٠,٠٤	٠,٢١	٤,٠٣
١٩٨٤	١,٧٩	٠,٦١	٠,٤٢	٠,٧٧	٠,٠٥	٠,٢٣	٤,٧١
٪ التغير	١١,٢	١٠,٩	٤٠,٠	٢٨,٣	٢٥,٠	٩,٥	١٦,٩
الطاقة الكهربائية							
١٩٨٣	١,٩٥	٠,٣٩	٠,١٢	٠,٣٠	٠,٢٢	٠,٥٣	٥,٦٩
١٩٨٤	١,٩١	٠,٣٩	٠,٢٧	٠,٢٧	٠,٢٣	٠,٠٢	٠,٧٠
٪ التغير	(٢,١)	٢,٦	(٢٥,٠)	(١٠,٠)	٤,٥	(٣٣,٣)	٠,٢

تابع جدول (٥)

اجمالي الطاقة	الولايات المتحدة	اليابان	المانيا الغربية	فرنسا	ايطاليا	بريطانيا	اجمالي الدول الصناعية
١٩٨٣	٣٥,٠٣	٧,٠٩	٥.١٤	٣,٧٣	٢,٨٠	٣.٩٧	٧٢,٣٦
١٩٨٤	٣٦,٦٩	٧,٥٠	٥.٣٤	٣,٨٣	٢,٨٥	٣,٩٠	٧٥,١٩
٪ التغير	٤,٧	٥.٨	٣,٩	٢,٧	١,٨	(١,٨)	٣,٩

المصدر مشتق من :

BP. Statistical of World Energy - June- 1985

ملاحظة : الارقام ضمن الاقواس تعني سالبا .

ومن تحليلها نستنتج : —

١ — شهد العالم تطوراً ملحوظاً في استهلاك الطاقة التجارية كافة اذ بلغ ١٤٦ مليون برميل عام ١٩٨٤ مقابل ١٤٠ مليون برميل يومياً مكافيء نفط عام ١٩٧٩ .زد على ذلك ٣,٦ عام ١٩٨٤ عما كان عليه عام ١٩٨٣ وتعد هذه المسألة ظاهرة طبيعية طالما أن عالمنا المعاصر يشهد تطوراً اقتصادياً متسارعاً واستهلاك الطاقة يعد عصب الحياة الاقتصادية بشكل عام .

غير انه يلاحظ بأن هناك تباين في اعتماد العالم على استهلاك مصادر الطاقة المختلفة . ففي الوقت الذي شهد تزايد في استهلاك العالم من الفحم الحجري والطاقة النووية والطاقة الكهرمائية والغاز الطبيعي نلاحظ انحساراً بارزاً في استهلاك النفط . فقد بلغ استهلاك العالم عام١٩٨٤ من النفط نحو ٥٩ مليون ب/ ي مكافيء نفط مقابل ٦٤ مليون ب/ ي مكافيء نفط عما كان عليه عام ١٩٧٩ . ولعل تفسير هذه الظاهرة يقترن بالتنفيذ الدقيق لسياسات دول منظمة التعاون الاقتصادية والتنمية ووكالة الطاقة الدولية وفعلا فقد ظهرت . هذه المجموعة من الدول بخفض طلبها على النفط الخام من زهاء ٤١ مليون ب/ ي عام ١٩٧٩ الى قرابة ٣٤ مليون ب/ ي عام ١٩٨٤ في الوقت الذي اتسم استهلاك الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً بالثبات مع ملاحظة زيادة طفيفة خلال السنوات ٨١ / ٩٨٤ .
ولعل من المفيد ان نذكر ان اجراءات مجموعة دول التعاون والتنمية هذه قد تمثلت في العديد من الوسائل التي تكفل ترشيد استهلاك النفط وكان من بينها الاعتماد على مصادر الطاقة الأخرى يؤكد ذلك ان استهلاك هذه الدول من الطاقة النووية قد تضاعف تقريباً

خلال الفترة ٧٩ /١٩٨٤ وقد بلغ عام ١٩٨٤ نحو ٤،٧١ مليون ب/ ي مكافيء نفط مقابل٢،٦٦ مليونب/ي مكافيء نفط عما كان عليه ١٩٧٩ في حين ان ماشهدته باقي مجموعات الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً والدول النامية كان متسماً بالثبات النسبي المحدود تقريباً .

ولعل من نافلة القول ان نشير الى ان تكاليف انتاج الطاقة من غير النفط لاسيما الطاقة النووية لازال دون نظيره من النفط الخام بالنسبة لتكاليف الانتاج . هذا ناهيك عن المشاكل البيئية الكبيرة الناجمة عن استخدامات الطاقة النووية في حالات الطوارىء (٧) وليست احداث مفاعل (شير نوبل) في الاتحاد السوفيتي والمفاعل البريطاني ( ) ببعيدة .

٢ – تعد دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية المستهلك الرئيسي للطاقة في العالم فهي تنفرد لوحدها بنحو ٥٧،٠٦٪ من الاستهلاك العالمي من النفط . وقرابة ٥٣٪ من الغاز ونحو ٣٧٪ من الفحم. وحوالي ٨٤ ٪ من الطاقة النووية وقرابة ٥٩ ٪ من الطاقة الكهرمائية : وليس هذا بمستغرب من مجموعة هذه الدول . ويلاحظ ان تغيرات جوهرية قد طرأت على هيكل استهلاك الطاقة في الدول الصناعية. فحتى عام ١٩٧٣ كانت حصة الدول الصناعية نحو ٨٥٪ من استهلاك الطاقة بمصادرها الخمسة بينما لم تكن حصة الدول النامية تزيد عن ١٥٪ باستبعاد دول الكتلة الاشتراكية بما فيه الصين الان عام ١٩٨٣ شهد تغييراً فقد تراجعت حصة الدول الصناعية الى ٧٧٪ مقابل ٢٣٪ من الـدول النامية وقد سجل استهلاك النفط خلال السنوات العشر التالية انخفاضاً يقارب ٦،٥مليون ب/ي كما انخفض استهلاك الغاز الطبيعي ١،٠٠ مليون ب/ي مكافيء نفط وبالمقابـل زاد استهلاك الفحم والطاقة النووية والكهرمائية بحوالي ٢،١ و٣،٢ و١،١ مليون ب/ي– مكافيء نفط على التوالي. اما بالنسبة لتطورات عام ١٩٨٥ مقارنة بعام ١٩٨٤ فإن أجمالي استهلاك الطاقة في هذه المجموعة قد حققت زيادة طفيفة بلغت نسبة ٠،٥٪ مع ملاحظة انخفاض نسبة استهلاك النفط كما رأينا مقابل ارتفاع كبير في استهلاك الطاقة النوويـة بلغت١٦،٨٪ (٨)

٣ – تعد الولايات المتحدة الامريكية أكبر مستهلك للطاقة فهي تستهلك نصف الطاقة المستهلكة في الدول الصناعية وربع الطاقة المستهلكة في العالم .
والملاحظ ان استهلاك النفط قد شهد تراجعاً فيها من٤٤،٩٪ عام١٩٧٩ الى٤٢،١٪

عام١٩٨٣ .اماعام ١٩٨٤ فقدحقق استهلاك الطاقة وكذلك النفط زيادة للمرة الاولى بلغت قرابة ٧,٧٪ و٢,٧٪ على الترتيب .غير ان ماشهدته مصادر الطاقة الاخرى كالغاز والفحم والطاقة النووية كان أكبر من ذلك بكثير فقد شهدت زيادات بلغت نحو ٥,٢٪، ٨,٤٪ و١١,٢٪ على الترتيب بينما انخفض استهلاك الطاقة الكهرمائية بنسبة ٢,١٪ عن عام١٩٨٣ (٩)

٤ ــ وتعد اليابان المستهلك الرئيسي الثاني بعد الولايات المتحدة الامريكية وقد شهدت تراجعاً في استهلاك النفط منذ عام ١٩٧٩. فقد وصلت نسبة استهلاكها منه عام ١٩٨٣ نحو ٦٢٪ مقابل ٧٤٪ عما كانت عليه عام ١٩٧٩ غير انها شهدت ارتفاعاً في الاستهلاك عام ١٩٨٤ بالنسبة للطاقة والنفط بمعدل ٥,٨٪ و٣,٦٪ على الترتيب وترتبط هذه الزيادة كما في الولايات المتحدة الامريكية بالانتعاش الاقتصادي الذي تحقق في كل منهما .

٥ ــ تستهلك الدول ذات الاقتصاد المخطط مركزياً مايقارب ربع ($\frac{1}{4}$) اجمالي الطاقة ١٩٨٤ ويعد الفحم المصدر الرئيسي اذ بلغت حصته او٣٦٪ من اجمالي الاستهلاك يليه النفط بنسبة ٣٠,٨٪ والغاز الطبيعي ٢٧,٧٪

وعموماً فقد تزايد استهلاك الطاقة من جميع مصادرها في هذه المجموعة بمعدل ٢,٥٪ خلال الفترة ٧٩/ ١٩٨٣ واستمرت الزيادة بالنسبة ذاتها خلال عام ١٩٨٤ .

ويعد الفحم المصدر الرئيسي لاستهلاك الصين فهو يمثل نحو ٨٠٪ من اجمالي استهلاكه .

٦ ــ تذيل الدول النامية بما فيها الدول العربية قائمة مستهلكي الطاقة في العالم اذ لايحظى سوى بـ$\frac{1}{7}$ اجمالي الطاقة العالمية المستهلكة عام ١٩٨٤ ١٥٪ وقد شهد عام ١٩٨٤ زيادة في استهلاك الطاقة بلغت نسبتها ٣,٣٪ عن عام ١٩٨٣ وقد زاد استهلاك النفط بنحو ٢,٢٪ في حين ان الطاقة المائية قد شهدت نحو ٥,٨٪ والطاقة النووية نحو

٤٧,٤٪ وعموماً فان الدول النامية تشهد تزايداً مستمراً في استهلاك الطاقة نتيجة للنمو الاقتصادي والتطور الاجتماعي الكبير الذي شهدتها هذه الدول بالاضافة الى التحول. في مصادر الطاقة غير التجارية الى الطاقة التجارية وانخفاض اسعار الطاقة ودور المستويات العالمية في كثير من هذه الدول .

والان اذا كان ماتقدم قد مثل في بعض من جوانبه واقع الطلب على النفط في العالم وهو من خلال مجموعات الدول الرئيسة فان تحديد صورة المستقبل للطلب العالمي على النفط امر مهم للكشف عن مستقبل السوق النفطية الدولية .

ويمكن القول في هذا المجال بإن الطلب على النفط قد شهد زيادة بلغت عام ١٩٨٤ لم تكن امراً مفاجئاً .ذلك ان الطلب على النفط بعد ان حققت ذروته عام ١٩٧٩ ظل يتراجع بأنتظام طيلة السنوات ٨٠/ ١٩٨٣ وكان معدل التراجع يتناقص بأستمرار غير ان السنوات الخمسة التالية (٨٥/ ١٩٩٠) يتوقع نمو متواضعاً في استهلاك النفط بنسبة ١٪ سنوياً اي نصف المعدل المتوقع لزيادة استهلاك المصادر الاولية وبتعبير آخر فأن حجم الاستهلاك العالمي سوف ينمو بمعدل ٣ ملايين برميل يومياً عن عامي ١٩٨٥ / ١٩٩٠ .

وقد يكون من المفيد ان نشير الى ان معدلات استهلاك الدول النامية في استهلاك النفط سوف يكون أكبر من معدلات الدول الصناعية بنسبة ١٧٪ مقابل زيادة في استهلاك الدول النامية بحوالي ٦,٥ ٪ مما يعكس اختلاف متطلبات المجموعتين بزيادة استهلاك النفط .

غير ان اوربا سوف تشهد بطأً شديداً في معدلات زيادة استهلاك النفط نتيجة لاحلال الغاز محل زيت الوقود (١٠) وكذلك نتيجة للطلب المتزايد للفحم والطاقة النووية . ومن شأن ذلك ان يلغي أثر معظم الزيادة المتوقعة بأستهلاك النفط في قطاع النقل ومن الممكن ان يتأثر الطلب الاوربي على النفط ايجابياً اي نقص على معدل صرف الدولار لان ذلك يعمل على ان يجعل النفط ارخص . اما اذا اخذنا بعين الاعتبار انخفاض المرونة السعرية للطلب على منتجات النفط في الاجل القصير فأن ذلك الاثر يمكن ان يكون ضعيفاً نسبياً خلال العام الاول والثاني من تراجع صرف الدولار .

امافي الولايات المتحدة الاميركية فيرجع بطء معدلات زيادة الاستهلاك الى

زيادة كفاءة واستهلاك الوقود في السيارات مما خلق تراجع مستمر في الطلب ، على الكازولين. وعموماً فإن احلال مصادر وقود اخرى محل النفط في القطاعات غير المتعلقة بالنقل في اسواق الدول الصناعية سيعود الى تراجع الطلب على النفط فالتراجع البالغ ٤ مليون ب/ ي على الطلب على زيت الوقود يعكس هذه الحقيقة (١١) وكان من المتوقع ان تكتمل عملية الاحلال في الولايات المتحدة عام ١٩٨٥ وفي اوربا والشرق الاقصى عام ١٩٩٠ غير ان احتياجات قطاع النقل في الوقود ستعمل على رفع حجم الطلب. فسوق النقل تتصف بنمو الطلب على المدى الطويل بالاضافة الى عدم وجود تنافس للنفط في قطاع النقل ولن يتغير ذلك الا بحدوث زيادة كبيرة في اسعار النفط.

وفي غياب توقع مثل هذه الزيادة فان نمو الطلب في السبعينات يمكن ان يكون اعلى ماسيكون عليه خلال السنوات ٨٥/ ١٩٩٠. وسيكون نمو الطلب سريعاً في الدول النامية بالذات التي لابد لها من مكننة مالديها كشرط مسبق لتحقيق النمو الاقتصادي وعلى سبيل المثال يتراوح معدل نمو تسجيل السيارات في الهند وكوريا وتايلاند وتشيلي بين ٩–١٩٪ سنوياً خلال الفترة ٧٩/ ١٩٨٣ .

واذا صحت الافتراضات حول زيادة الطلب على النفط وتراجع معدلات المنتجين من خارج الاوبك فإنه يمكن للاوبك ان تعود الى معدلاتها المربحة من الانتاج وهي بحدود ٢٣ مليون ب/ ي في منتصف التسعينات وترتباً على ماتقدم فإن مستقبل السوق النفطية الدولية سوف يشهد تحسناً ملموساً في تسعينات هذا القرن .كما ان الطلب على نفط أوبك سوف يزداد فيما لوحافظت هذه المنظمة على وحدتها واستمرت في التزامها بسقف محدد بالانتاج لانه افضل بكثير من أي خيار أخر لاسيما تخفيف الاسعار على الرغم من التضحيات التي يمكن ان تعانيها بعض من اعضائها .

الاستنتاجات :

١ – إتسم عرض النفط بالتراجع النسبي منذ نهاية السبعينات حتى الآن إلا ان هذه الحقيقة لاتنسحب على عرض النفط من دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية . وبعبارة اخرى فان عرض النفط في دول الاوبك قد اتسم بالتراجع البارز في السنوات الخمس المنصرمة .

٢ – يمكن ان يكون لنفط دول الاوبك دوراً اكبر في تغذية السوق النفطية الدولية حالياً ومستقبلياً فيما لو التزمت اوبك بسياسة انتاجية موحدة تعتمد اسلوب تقليص حجم الانتاج من اجل المحافظة على مستوى الاسعار .

٣ – تعد منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية المستهلك الرئيس لطاقة في العالم وتظفر الولايات المتحدة الامريكية بالمرتبة الاولى من بين اعضائها . شهد الطلب على النفط زيادة بلغت ٣٪ عام ١٩٨٤ ومن المتوقع ان تشهد السنوات ٧٥ – ١٩٩٠ نمواً متواضعاً في استهلاك النفط بنسبة ١٪ سنوياً . واذا صحت هذه الاقتراحات فان الطلب على النفط سوف يتزايد ويمكن لدول الاوبك ان تعود الى معدلاتها المربحة بالانتاج وهي بحدود ٢٣ مليون برميل يومياً .

وعموماً فانه يمكن ان تقرر ان مستقبل السوق النفطية الدولية يعتمد على الالتزام بالخيارات التالية وبقدر تعلق الامر لمجموعة دول الاوبك وهذه الخيارات هي : –

(أ) ان منظمة أوبك هي ليست اداة ادارة اسعار كما كشف عن ذلك تاريخها السابق بل هي اداة تغير اقتصادي وسياسي معاً .

(ب) واذا كان الامر كذلك فلا بد من الالتزام بسياسة انتاجية موحدة على الاقل في مجال حجم الانتاج ومستوى الاسعار .

(ج) ضرورة استحداث شبكة نجاة لحماية الدول الاعضاء التي قد تتضرر نتيجة تخفيض الانتاج وغيرها .

(د) ضرورة الوصول الى نظام يقتضي صيانة الاعضاء ككل ويحول دون دخولهم في حرب أسعار او ما في حكمهم ، ذلك عن طريق فرض العقوبات . ان قدرة الاوبك في الوضع الاقتصادي الدولي امر مبالغ فيه اذا ماأخذ بعين الاعتبار ميزان العلاقات بين

الدول المصدرة والدول المستهلكة للنفط . وعليه نرى ان فتح الحوار بين هاتين المجموعتين من الدول امر ضروري لاتاحة فرص تعاون مثمر ومستمر بينهما . ان اساس الحوار المستمر في اعتقادنا هو كيفية التوصل الى اسس عادلة لأرساء قواعد نظام اقتصادي دولي جديد من خلال اتباع استراتيجية موحدة حول كيفية استخدام المصادر النفطية والمالية في عملية المفاوضات الهادفة لتحقيق النظام الدولي المنشود .

(هـ) ومن اجل تعزيز السوق النفطية الدولية بعامة ونفط الاوبك بخاصة نذكر بضرورة دعم الحوار بين دول الجنوب للجنوب اي الدول النامية النفطية واللا نفطية تجسيداً لمبدأ الاعتماد على النفس آخذين بعين الاعتبار دور النفط في حجم التبادل التجاري داخل الجنوب وتأثير العون المالي المقدم من الدول المنتجة للنفط في موازين موضوعات الدول النامية ومشاريعها التنموية وكذلك حجم ظاهرة انتقال العمالة بين دول الجنوب مما له اثر في دعم اقتصاديات الدول المصدرة والمضيفة للعمالة .



الهوامش والمصادر

(1) United Nations: Energy statistics year boot 1982/ New-york 1984.

منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول : تقرير الامين العام السنوي الثاني عشر ١٩٧٥ الكويت ١٩٨٦ .

OECD: Economic out look rerolous issues/ 1981–tg 85. /MF.World Economic out Look. v. 1. 1984/985

(٢) منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول : المصدر السابق ص٥٣ ص٥٩ .

(٣) نفس المصدر عن

LEA: Energy policies and programmess of IEA countries 1984 Review cparis OECD 1985 /P. 25.

Middle East Economic survey vol 29, No. g.Dec 1985 /P.(٤) 23.

(٥) عن منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول _ المصدر السابق ص٥٤ .

OPEC: Facts and Figures:

A comparative statistiad Analysis (Viemma OPEC 1985)

(٦) د. محمد ازهر السماك ، الوزن الجيوبوليتيكي الدولي للنفط العربي ومستقبله :مجلة آداب الرافدين العدد الأول ١٩٨٦ بدلالة جدول رقم (٣) .

(٧) مصدر عن التلوث في الطاقة النووية .

(*) تظم منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية كل من النمسا ، بلجيكا ، كندا ، الدانمارك ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، اليونان ، ايسلندة ، ايرلندة ، ايطاليا ، لكسمبرج ، هولندا النرويج ، البرتغال ، اسبانيا ، السويد ، سويسرا ، تركيا ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة الامريكية ، كذلك اليابان وفنلندة واستراليا ،

انظر :

OECD: Development centre publications Documents France 1985, P.2.

(٨) منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول : المصدر السابق / ص٢٨ .

(٩) نفس المصدر ص٣٠ .

(١٠) منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول النشرة الشهرية السنة ١١ العدد ٢ شباط ١٩٨٥/ ص٢١ ص٢٤ .

(١١) د. محمد ازهر السماك – اقتصاد النفط والسياسة النفطية ، جامعة الموصل ١٩٨٦ ص ٣٤٥.

دمج وتحويل الشركات

دراسة في التشريع العراقي

كامل عبد الحسين
كلية القانون / جامعة الموصل

تمهيد وتقسيم :

صدر قانون الشركات (١) رقم ٣٦ لسنة١٩٨٣ وبصدوره أصبحت الشركات كافة في العراق تخضع لقانون واحد بعد أن كانت خاضعة لأكثر من قانون وحسناً فعل المشرع في عملية التوحيد هذه . ويهدف القانون الجديد (٢) إلى تنظيم الشركات وتطوير نشاطاتها وفق مقتضيات خطط التنمية القومية ومستلزمات مرحلة البناء الاشتراكي .

واعتمد القانون لتحقيق هدفه الكبير على أساس (٣) تشجيع استثمار رأس المال الوطني في الشركات وضبط نشاطها بما يضمن اداء دورها في التنمية الاقتصادية المخططة. لذلك أتى القانون بأسلوب جديد في تنظيمه لأحكام الشركات يختلف فيه عن التشريعات السابقة بالاضافة إلى تنظيمه موضوعات جديدة مثل دمج وتحويل الشركات وأن مهمة تفسير الأحكام الجديدة تقع على عاتق الفقه والقضاء ، فالقضاء يفسرها من خلال تطبيقه للقانون والفقه يفسرها من خلال الدراسات القانونية المتعمقة وأن مثل هذه الدراسات الفقهية تعود بالنفع على القاضي في مجال التطبيق حيث يسترشد بها وان كانت غير ملزمة له ويفيد المشرع كذلك من ملاحظات الفقه عندما يعزم على اعادة النظر في القانون سواء بتعديله أو بتنظيمه من جديد .

وتكمن فائدة البحث بوصفه إسهاماً في هذا النطاق ويقسم البحث إلى مبحثين يخصص المبحث الأول لدمج الشركات ويخصص المبحث الثاني لتحويل الشركات .

---

(١) نشر القانون في جريدة الوقائع العراقية العدد ٢٩٣٥ في ١٨/٤/١٩٨٣ .
(٢) لاحظ المادة -١- من قانون الشركات .
(٣) لاحظ المادة -٢- من قانون الشركات .

المبحث الاول
الاندماج

يتضمن هذا المبحث : التعريف بالاندماج ، صوره، شروطه، إجراءاته ، آثاره .

أولا – التعريف بالاندماج :

١– تعريف الاندماج: يعرف البعض الاندماج(٤)بأنه «فناء شركة داخل شركة أخرى او فناء شركتين لتكون منهما شركة واحدةجديدة» . ويعرف البعض الآخر (٥) الاندماج بأنه «ضم لشركتين أو أكثر قائمتين من قبل أما بادماج أحدهما بالأخرى أو بتأليف شركة جديدة تندمج فيها الشركات القائمة» . ويمكن أن نعرف الاندماج بأنه دمج شركة أو أكثر بشركة قائمة قانوناً أو دمج شركتين في الأقل لتكوين شركة جديدة .

وهكذا يبدو من هذه التعاريف أن عملية الاندماج تتطلب وجود شركتين على الأقل وانتهاء الشخصية المعنوية للشركة المندمجة .

وعلى هذا الأساس لا يعد اندماجاً بيع المصفي أصول شركة بعد حلها إلى شركة أخرى تسهيلا لعملية التصفية أو شراء شركة عدداً من أسهم شركة أخرى أو الاتفاق بين شركتين على العمل تحت إدارة مشتركة (٦) .

ويختلف الاندماج عن التحويل لأن التحويل يعني تحويل شكل الشركة الواحدة من شكل الى اخر فان عملية التحويل لا تتطلب الا وجود شركة واحدة، بينما عملية الاندماج تتطلب وجود شركتين في الأقل .

٢– الفائدة من الاندماج : يؤدي الاندماج الى تكوين وحدات انتاجية كبيرة تستطيع النهوض بالمشاريع الكبرى التي تتطلبها عملية التنمية بسبب توظيف رأس مال كبير وتجميع الخبرة وتخفيض النفقات وتقوية الائتمان مما يعود بالنفع على الاقتصاد القومي والمستهلكين والمساهمين .

---

(٤) لاحظ الدكتور علي البارودي –القانون التجاري اللبناني– الجزء الأول –لبنان ١٩٧٢ مطبعة عتياني الجديدة ص٤٤٩ .

(٥)لاحظ الدكتور مصطفى كمال طه–الوجيز في القانون التجاري–الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٤ ص٣٧٧ .

(٦) لاحظ الياس ناصيف–الكامل في قانون التجارة– الجزء الثاني– الشركات التجارية –منشورات بحر المتوسط ومنشورات عويدات ،بيروت– باريس ١٩٨٢ ص٤٠٣ .

وقد يتبادر إلى الذهن أنّ الاندماج ربما يؤدي إلى الاحتكار والتحكم في كمية الانتاج وكذلك إلى ارتفاع الأسعار ، الا أنّ هذا الاحتمال غير وارد لأن عملية الاندماج تخضع للرقابة ولا تمنح الجهة القطاعية المختصة موافقتها على الاندماج اذا كان يؤدي إلى ترتيب آثار اقتصادية مضادة لخطة التنمية القومية وللقرارات التخطيطية ، كما أنّ الأسعار لا تحدد على أساس العرض والطلب وانما يتم تحديدها على أساس كلفة المنتوج واعطاء نسبة من الربح للمنتج بحيث لا يتضرر المستهلك أو المنتج .

ثانياً — صور الاندماج :

لم يطلق قانون الشركات على صور الاندماج تسمية معينة ولكن أصبح من المتعارف عليه فقهاً تحديد صور الاندماج وتسميتها حيث تحدد صور الاندماج عادة بصورتين لكل صورة تسمية معينة وهاتان الصورتان هما : الاندماج بطريق الانضمام والاندماج الصحيح ، وقد أجاز قانون الشركات كلتا الصورتين (٧) وفيما يلي توضيح لكل منهما :

الصورة الأولى : الاندماج بطريق الانضمام تتم عملية الاندماج وفق هذه الصورة بأن تنظم شركة أو أكثر إلى شركة أخرى قائمة فتسمى الشركة الأولى بالشركة المندمجة والشركة الثانية بالشركة الدامجة والاندماج وفق هذه الصورة يتطلب موافقة الهيئة العامة في كلتا الشركتين الدامجة والمندمجة ، ويترتب على هذا النوع من الاندماج انحلال الشركة المندمجة وزوال شخصيتها المعنوية بينما تبقى الشركة الدامجة محتفظة بشخصيتها المعنوية ولكن على هذه الأخيرة أن تعدل عقدها بما ينسجم والوضع الجديد والقيام باجراءات الشهر القانونية.

الصورة الثانية : الاندماج الصحيح أو الاندماج بالمعنى الضيق (٨)

تتم عملية الاندماج وفق هذه الصورة باتحاد شركتين أو أكثر وتكوين شركة جديدة تحل محلهما وهذا يتطلب موافقة الهيئة العامة لكل شركة على حدة وينتج عن هذا النوع من الاندماج انحلال الشركات جميعاً وزوال شخصياتها المعنوية وتكوين شركة جديدة بموجب عقد جديد تتمتع بالشخصية المعنوية وهذا يتطلب القيام باجراءات الشهر القانونية.

---

(٧) لاحظ المادة ١٤٠ — من قانون الشركات . والدكتور رزق الله انطاكي بالاشتراك مع الدكتور نهاد السباعي — الحقوق التجارية البرية — دمشق ١٩٦٣ ص٥٨٤ والدكتور مرتضى ناصر نصرالله — الشركات التجارية — بغداد ١٩٦٩ ص٢٨٢ الدكتور خالد الشاوي — شرح قانون الشركات التجارية العراقي — بغداد ١٩٦٨ ص٥٠٧ .

(٨) لاحظ بخصوص هذه التسمية الدكتور طالب حسن موسى — ملاحظات في قانون الشركات مطبعة أوفسيت ص٤٨ والمصادر التي اعتمد عليها .

ثالثاً — شروط الاندماج :

لما كانت عملية دمج الشركات تعني انحلال شركة واحدة على الأقل وتعديل عقد الشركة الدامجة أو انحلال شركتين أو أكثر وتكوين شركة جديدة محلها فان عملية الدمج تؤثر على الاقتصاد القومي للبلد لذلك وضع القانون شروطاً محددة لدمج الشركات (٩) وهذه الشروط هي :

الشرط الاول : لا يجوز دمج الشركات الا اذا كانت ذات نشاط متماثل أو متكامل كأن يحصل الدمج بين شركتين لصناعة الأصباغ أو بين شركة لصناعة القناني وشركة للتعليب وأنّ هذا الشرط ينسجم مع الهدف من الاندماج الذي يسعى الى خلق وحدات انتاجية فعالة لادارة المشروعات الكبيرة للمساهمة النشيطة في عملية التنمية ، وهذا لا يمكن تحقيقه اذا سمح للشركات ذات الأنشطة المختلفة بالاندماج ويجب أن يكون هدف هذه الشركة المؤكد لدورها في انماء جانب من جوانب الاقتصاد الوطني ونشاط الشركة المستمد من هدفها مثبت في عقد الشركة (١٠) .

الشرط الثاني : أن لا يؤدي الدمج إلى :

١ — فقدان الشركة المختلطة شخصيتها المعنوية لصالح شركة خاصة .

لابد من تحديد المقصود بالشركة المختلطة لمعرفة السبب من وضع المشرع هذا القيد على دمج الشركات المختلطة نصت المادة (٧) من قانون الشركات على أنه :

«أولا : تتكون الشركة المختلطة باتفاق شخص أو أكثر من القطاع الاشتراكي مع شخص أو أكثر من القطاع الخاص برأس مال مختلط لا تقل مساهمة القطاع الاشتراكي فيه عن ٥١٪ ويجوز استثناء تكوين شركة مختلطة من شخصين من القطاع المختلط .

ثانياً : تكون الشركة المختلطة مساهمة أو محدودة» .

كما أجازت الفقرة (ب) من البند (ثانياً) من المادة (٨) من قانون الشركات مساهمة القطاع الاشتراكي في الشركة الخاصة المساهمة والمحدودة بنسبة تقل عن ٥١٪ من رأس المال .

وأصبح واضحاً أن الشركة المختلطة هي تلك الشركة التي يسهم فيها القطاع الاشتراكي بنسبة معينة من رأس المال ، ولما كان القطاع الاشتراكي هو القائد والموجه للاقتصاد القومي

(٩) لاحظ المادة— ١٤١ من قانون الشركات .

(١٠) لاحظ البندين —ثالثاً ورابعاً— من المادة —١٣— من قانون الشركات .

بما فيه القطاع الخاص ولكون الشركات المختلطة جزءاً من القطاع الاشتراكي فهي تقوم بالدور الذي يقوم به فمن غير الجائز أن يؤدي الدمج إلى فقدان الشركة المختلطة شخصيتها المعنوية لصالح شركة خاصة وان كان من الصعب التصور أن يقع هذا الشيء في الحياة العملية الا ان القانون زيادة في الضمان وتأكيداً لدور القطاع الاشتراكي نص على هذا القيد صراحة .

٢ — فقدان الشركة المساهمة شخصيتها المعنوية لصالح شركة محدودة أو تضامنية أو فقدان الشركة المحدودة شخصيتها المعنوية لصالح شركة تضامنية أو فقدان الشركة المساهمة أو المحدودة أو التضامنية أو المشروع الفردي الشخصية المعنوية لصالح الشركة البسيطة .

ان العلّة من هذا القيد هو الاعتبارات الاقتصادية التي تقضي بالتوجه نحو المشروعات الكبيرة للاستفادة من مزايا دمج الشركات وبذلك لا يجوز أن تفقد شركة كبيرة شخصيتها المعنوية لصالح شركة أصغر منها والعبرة بكبر أو صغر الشركة بالحد الأعلى المقرر لرأسمالها واذا أخذنا معيار الحد الأعلى لرأس المال تتسلسل الشركات حسب حجمها (١١) كما يأتي :

١ — الشركة المساهمة
٢ — الشركة المحدودة
٣ — شركة التضامن
٤ — المشروع الفردي
٥ — الشركة البسيطة .

ويبقى رغم هذا القيد امكانية الاندماج بين الشركات ذات الاشكال المختلفة وهو اتجاه أقره القانون لتشجيع الاندماج .

الشرط الثالث : أن لا يؤدي الدمج إلى زيادة عدد أعضاء أو رأس مال الشركة المندمج بها أو الناجمة عن الدمج على الحد المقرر لها قانوناً هذا الشرط أمر طبيعي لأن المشرع يحدد عادة الحد الأعلى لعدد أعضاء كل شركة على حده وكذلك الحد الأعلى لرأس مال كل نوع من أنواع الشركات وينظم هذا الأمر بقواعد قانونية آمرة لا يجوز للأشخاص مخالفتها وان هذا الشرط يتضمن نقطتين :

١ — ألاّ يزيد عدد أعضاء الشركة الناجمة عن الاندماج عن الحد المقرر لها قانوناً .
وقد حدد المشرع الحد الأدنى والأعلى لعدد أعضاء كل شركة من الشركات (١٢) ففي

(١١) لاحظ البند (ثانياً) من الجدول رقم (٢) الملحق بقانون الشركات .
(١٢) لاحظ المواد -٤ و٦ و٧ و١٧٤- من قانون الشركات .

الشركة المساهمة لا يقل عدد الأعضاء عن خمسة دون تحديد الحد الأعلى . أما الشركة المحدودة فلا يقل عدد أعضائها عن اثنين ولا يزيد على خمسة وعشرين ، أما شركة التضامن فقد اشترط المشرع أن يكون أعضاؤها من الأشخاص الطبيعيين على أن لا يقل عدد الأعضاء عن اثنين ولا يزيد على عشرة والمشروع الفردي يتألف من شخص طبيعي واحد ، أما الشركة البسيطة فتتكون من أعضاء لا يقل عددهم عن اثنين ولا يزيد على خمسة ، أما الشركة المختلطة فهي اما أن تكون شركة مساهمة أو شركة محدودة .

٢ – ألاّ يزيد رأس مال الشركة الناجمة عن الدمج على الحد المقرر لها قانوناً .

حدد المشرع في الجدول رقم (٢) الملحق بالقانون الحد الأدنى والحد الأعلى لرأسمال كل شركة كما يأتي :

أولا : لا يقل رأس مال الشركة أياً كان نوعها وقطاعها الاقتصادي عن ١٥٠٠٠ خمسة عشر الف دينار بأستثناء الشركة البسيطة .

ثانياً : يكون الحد الأعلى لرأس مال الشركة بحسب نوعها كما يأتي :

نـوع الشركـة	الحد الأعـلى
مساهمة مختلطة	غير محدود
مساهمة خاصة	٥,٠٠٠,٠٠٠ خمسة ملايين دينار
محدودة مختلطة	٣,٠٠٠,٠٠٠ ثلاثة ملايين دينار
محدودة خاصة	٢,٠٠٠,٠٠٠ مليونا دينار
تضامنية	١,٥٠٠,٠٠٠ مليون دينار ونصف مليون
مشروع فردي	١,٠٠٠,٠٠٠ مليون دينار
بسيطة	٢٥٠,٠٠٠ مائتان وخمسون الف دينار

ويرى البعض (١٣) في حالة زيادة عدد أعضاء أو رأس مال الشركة الناجمة عن الدمج الحد المقرر لها قانوناً يمكن أن تتخذ الشركة الجديدة اجراءات التحول وتتحول إلى نوع آخر يستوعب هذه الزيادة فمثلا اذا اندمجت شركتان محدودتان ونشأ عن هذا الاندماج شركة عدد أعضائها ٤٠ عضواً فان هذا لا يجوز لأن الحد الأعلى للشركة المحدودة هو ٢٥

(١٣) لاحظ موفق حسن رضا –قانون الشركات– من منشورات مركز البحوث القانونية (١٠)– بغداد ١٩٨٥ ص١٧٦–١٧٧ .

عضواً ، ففي هذه الحالة يمكن تحول هذه الشركة الناجمة عن الاندماج إلى شركة مساهمة خاصة لان عدد الأعضاء في هذه الشركة الأخيرة من حيث الحد الأعلى غير محدود .

كذلك ان اندمجت شركتان تضامنيتان رأس مال كل منهما مليون دينار فان الشركة الناجمة عن الدمج سيكون رأس مالها مليوني دينار وان هذا المبلغ يتجاوز الحد الأعلى لرأس مال شركة التضامن الذي هو مليون ونصف فقط ، وعلى هذا يمكن أن تتحول الشركة الناجمة عن الدمج إلى شركة محدودة خاصة لأن هذه الأخيرة يكون الحد الأعلى لرأس مالها مليوني دينار .

الشرط الرابع : أن لا يؤدي الدمج إلى ترتيب آثار اقتصادية مضادة لخطة التنمية القومية والقرارات التخطيطية .

ان الشركات على اختلاف أنواعها لا تمنح شهادة التأسيس الا اذا كان نشاطها منسجماً مع خطة التنمية القومية والقرارات التخطيطية ويجب أن يراعى هذا الأمرمن قبل المسجل والجهة القطاعية المختصة في حالة موافقتها على الاندماج بين الشركات وان تمتنع عن اعطاء هذه الموافقة كلما كان الاندماج له أثر سلبي على الاقتصاد القومي .

رابعاً — اجراءات دمج الشركات (١٤) :

يتطلب القانون جملة من الاجراءات يجب اتخاذها لاتمام عملية الاندماج وهــذه الاجراءات هي :

١ — قرار الدمج : يتخذ قرار الدمج من قبل الهيئة العامة لكل شركة على انفراد ويتضمن معلومات وافية عن الشركة التي يتم الاندماج فيها والشركة الجديدة التي سوف تنشأ عن الاندماج ويجب أن يتضمن القرار على وجه الخصوص اسم ونوع الشركة التي سيتم الدمج بها أو الشركة التي ستتكون من الدمج ورأسمالها وعدد أعضائها ونشاطها .

ولكي يكون اجتماع الهيئة العامة صحيحاً يجب أن يحضره أعضاء يملكون أكثرية الأسهم المكتتب بها والمسددة أقساطها المستحقة في الشركة المساهمة وأكثرية الأسهم المدفوعة في الشركة المحدودة وأكثرية الحصص في الشركة التضامنية (١٥) .

---

(١٤) لاحظ المادة -١٤٢- من قانون الشركات .
(١٥) لاحظ المادة -٨٤- من قانون الشركات

أما بالنسبة إلى التصويت على قرار الدمج فيجب أن يصوت إلى جانبه أعضاء يملكون أكثرية الأسهم المكتتب بها والمسددة أقساطها المستحقة في الشركة المساهمة والمدفوعة في الشركة المحدودة عند الدعوة للاجتماع وبالاجماع في الشركة التضامنية (١٦) .

وترسل قرارات الدمج المتخذة من قبل الهيئات العامة للشركات إلى المسجل خلال عشرة أيام من تأريخ اتخاذها .

٢ ـ دور المسجل : على المسجل أن يطلع على قرارات الدمج الصادرة عن الهيئات العامة للشركات المعنية فاذا وجدها موافقة للقانون يفاتح الجهة القطاعية المختصة لأخذ موافقتها وعلى تلك الجهة الاجابة خلال خمسة عشر يوماً من تأريخ تسلمها كتاب المسجل ويلاحظ أن عمل المسجل هنا يشبه إلى حد كبير عمله في مرحلة تأسيس الشركات حيث يحول طلب التأسيس إلى الجهة القطاعية المختصة للموافقة .

٣ ـ دور الجهة القطاعية المختصة : للجهة القطاعية المختصة سلطة واسعة في قبول أو رفض الدمج ويكون قرارها عادة حسب ما اذا كان للدمج آثار ايجابية أو سلبية على خطة التنمية القومية والقرارات التخطيطية فاذا كان قرار الجهة القطاعية المختصة الرفض يبلغ إلى المسجل وعلى المسجل رفض الموافقة على قرارات الدمج بناء على ذلك .

أما اذا وافقت الجهة القطاعية المختصة على الدمج فعلى المسجل أن يصدر قراره بالموافقة ويبلغ الشركات المعنية به وينشره في النشرة الخاصة بالشركات وفي صحيفة يومية .

٤ ـ اجتماع الهيئات العامة للشركات التي وافق المسجل على دمجها :

على الشركات التي وافق المسجل على دمجها دعوة هيئاتها العامة خلال ستين يوماً من تأريخ آخر نشر لقرار الدمج إلى اجتماع مشترك لتعديل عقد الشركة المندمج بها أو وضع عقد للشركة الناجمة عن الدمج حسب الأحوال ويرسل إلى المسجل خلال عشرة أيام لتصديقه ونشره في النشرة الخاصة بالشركات وفي صحيفة يومية .

ويتساءل البعض (١٧) هل يحق لاجتماع الهيئات العامة المشترك أن يتخذ قراراً وفقاً لأحكام المادة (١٤٦) من قانون الشركات يقضي بتحويل الشركة إلى نوع آخر اذا كانت حصيلة الدمج تكوين شركة لا ينسجم رأس مالها أو عدد أعضائها أو كلاهما مع نوعها

---

(١٦) لاحظ البند ـثانياًـ من المادة ـ٩٠ـ من قانون الشركات .

(١٧) موفق حسن رضا ـالمصدر السابقـ ص١٧٩ .

وفقاً لأحكام القانون .. ويجاب على هذا التساؤل بالايجاب بحجة عدم وجود مانع قانوني ونحن نرى ان هذا الرأي ليس له سند قانوني لأن تحول الشركات يفترض وجود شركة واحدة فقط بينما نرى عند اجتماع الهيئات العامة المشترك وجود شركتين قائمتين تتمتع كل منهما بالشخصية المعنوية ولا يمكن تحويل مثل هذه الشركات وهي بهذا الوضع إلى شركة واحدة ولمعالجة هذا الموضوع يجب أن يكون هناك نص صريح ، ونقترح أن تضاف مادة برقم ١٤٣ مكرراً ، تنص على أنه : «اذا أصبح عدد أعضاء أو رأس مال الشركة الناجمة عن الدمج أكثر من الحد الأعلى المقرر قانوناً بحسب نوعها وجب أن يعدل وضعها خلال ثلاثين يوماً أو تحويلها إلى نوع آخر من الشركات وبالشكل الذي يجيزه هذا القانون» .

خامساً — آثار دمج الشركات :

تترتب على الاندماج آثار بالنسبة لكل من أعضاء الشركات المندمجة والشخصيات المعنوية لهذه الشركات والغير :

١ — آثار الاندماج بالنسبة إلى أعضاء الشركة او الشركات المندمجة : يتلقى أعضاء الشركة المندمجة أسهماً أو حصصاً (١٨) جديدة هي أسهم أو حصص الشركة الدامجة أو الشركة الجديدة الناجمة عن الدمج والاسهم الجديدة يجب أن تكون أسهماً نقدية (١٩) حيث لم يجز القانون الأسهم العينية والمقصود بالأسهم العينية هي الأسهم التي تعطى للمساهمين مقابل تقديمهم منقولات أو عقارات بعد تخمينها أو تقويمها ويرى البعض (٢٠) أن سبب عدم الأخذ بالأسهم العينية هو تبسيط واختصار الاجراءات وهو منحى سار عليه القانون قدر الامكان لأن تقويم المنقولات والعقارات يحتاج إلى بعض الاجراءات .

ونحن يمكن أن نضيف سبباً آخر لعدم أخذ القانون بالأسهم العينية هو خشية المغالاة في تقويمها مما يترتب عليه ضرراً لبقية المساهمين والغير .

ويرى البعض (٢١) ان عدم أخذ القانون بالأسهم العينية يشكل عقبة في بعض الأحيان تحول دون الاندماج بين الشركات فباجازة الأسهم العينية يمكن تقديم المصانع كحصص مساهمة في رأس المال بعد تقويمها وفق الأسس التي ينص عليها عادة بالقانون .

---

(١٨) يقسم رأس المال في الشركة المساهمة والمحدودة الى أسهم وفي الشركة التضامنية والبسيطة الى حصص ، أما المشروع الفردي فيتكون رأسماله من حصة واحدة لاحظ المواد —٢٩ و٣٤ و١٧٤— من قانون الشركات .

(١٩) لاحظ المادة —٢٩— من قانون الشركات .

(٢٠) لاحظ موفق حسن رضا — المصدر السابق— ص٧٧ .

(٢١) لاحظ الدكتور طالب حسن موسى —المرجع السابق ص٥٠-٥١ .

٢ – آثار الاندماج بالنسبة للشركة أو الشركات المندمجة : تنتهي الشخصية المعنوية للشركة المندمجة (٢٢) من تأريخ آخر نشر للعقد المعدل اذا كان الاندماج بشركة قائمة ومن تأريخ آخر نشر للعقد الجديد اذا نتج عن الاندماج شركة جديدة وتكتسب الشركة الجديدة الشخصية المعنوية من تأريخ تصديق المسجل على العقد الجديد لأن هذا التصديق هو بمثابة اجازة التأسيس (٢٣) ويترتب على انتهاء الشخصية المعنوية للشركة المندمجة انتهاء سلطة من يمثلها قانوناً ولا يستطيع اجراء أي تصرف قانوني باسمها فيما يتعلق بحقوقها والتزاماتها .

أما أثر الاندماج بالنسبة إلى الشركة الدامجة فلا يؤدي إلى انهاء شخصيتها المعنوية بل يقتضي مجرد تعديل عقدها بما ينسجم مع وضعها الجديد .

٣ – آثار الاندماج بالنسبة للغير :

نصت المادة (١٤٤) من قانون الشركات على أنه «تنتقل كافة حقوق والتزامات الشركة المندمجة إلى الشركة المندمج بها أو الناجمة عن الدمج» . وطبقاً لهذا النص فان حقوق الشركة المندمجة تصبح جزءاً من الذمة المالية للشركة الدامجة أو الشركة الناجمة عن الدمج ولها حق التصرف بها ، وفي ذات الوقت تنتقل التزامات الشركة المندمجة إلى الشركة الدامجة وتكون مسؤولة عن الوفاء بهذه الالتزامات من ذمتها المالية أي تكون الشركة الدامجة أو الناشئة عن الدمج بمثابة خلف عام (٢٤) للشركة أو الشركات المندمجة .

والسؤال الذي يرد هل يحق لدائني الشركة أو الشركات المندمجة الاعتراض على قرار الدمج اذا كان يضر بحقوقهم ولا شك أن هذه المسألة لا تثار اذا قامت الشركة المندمجة بتسديد كافة التزاماتها قبل الدمج وانتقلت إلى الشركة الدامجة بأموالها الصافية أما اذا انتقلت الشركة المندمجة بحقوقها والتزاماتها إلى الشركة الدامجة فيحق لدائني الشركة المندمجة الاعتراض على قرار الدمج اذا كان يضر بمصالحهم فقد نصت المادة (٩٢) من قانون الشركات على ما يأتي : «لكل ذي مصلحة الاعتراض على قرارات الهيئة العامة لدى المسجل خلال سبعة أيام من تأريخ اتخاذها وعلى المسجل اصدار قراره خلال خمسة عشر يوماً من تأريخ

---

(٢٢) لاحظ المادة –١٤٣– من قانون الشركات .

(٢٣) تكتسب الشركة بصورة عامة الشخصية المعنوية من تاريخ صدور شهادة تأسيسها . لاحظ المادة –٢٢– من قانون الشركات .

(٢٤) لاحظ الدكتور مصطفى كمال طه –المصدر السابق ص٣٧٨

الاعتراض ويكون قراره قابلا للطعن لدى المحكمة المختصة خلال سبعة أيام من تاريخ التبلغ به ويكون قرارها قطعياً» .

واذا وقع الاعتراض على قرار الدمج طبقاً لهذه المادة فان هذا الاعتراض يؤدي إلى تأجيل الاندماج حتى تظهر نتيجة الاعتراض فيما اذا كان قرار الدمج يضر أو لا يضر بحقوق الدائنين . وتجدر الاشارة إلى ان من الصعب أن يتصور وقوع مثل هذا الاعتراض في الحياة العملية لأن المركز المالي والائتماني للشركة الدامجة يكون أفضل عادة من المركز المالي والائتماني للشركة المندمجة .



المبحث الثاني

التحويل

يتضمن هذا المبحث التعريف بالتحويل ، شروطه ، أجراءاته ، آثاره .

أولا – التعريف بالتحويل :

١ – تعريف التحويل : لم يعرف قانون الشركات التحويل وانما اجاز أن تتحول الشركة من نوع الى آخر من الأنواع التي نص عليها القانون كقاعدة عامة (٢٥) ورغم ذلك يمكن تعريف التحول بأنه تحول شركة قائمة قانوناً الى نوع آخر من الانواع المنصوص عليها في القانون بعد تعديل عقدها واتخاذ الاجراءات التي يتطلبها القانون لهذا الغرض

وقد توسع القانون في قاعدة التحول فأجاز ان تتحول شركة من شركات الاموال الى نوع آخر من شركات الأموال أكثرا تطوراً من الاول وكذلك يجوز لشركة من شركات الأشخاص انتتحول الى نوع من شركات الأشخاص أو الأموال الأكثر تطوراً من نوعها الاول وهو يعني تشجيعاً واضحاً للشركات للتحول الى انواع متطورة .

٢ – فائدة التحول : من المعلوم أن الشركة عندما تنجح كوحدة اقتصادية في نشاطها ضمن القطاع الذي تعمل فيه وتريد أن تنطلق في هذا النجاح وتتقدم وتتطور أكثر فأكثر فان الشكل الذي اتخذته بداءة قد يحول دون تحقيق هذا الغرض فهنا عليها أن تتحول الى نوع آخر من أنواع الشركات يضمن لها تطورها واستمرارها في هذا التطور لتحقيق أهدافها وبدون إجازة التحول يكون على الشركة أن تنحل وتصفي وتطلب تأسيس شركة من النوع الذي يحقق طموحها وان اجازة القانون تحول الشركات ليغنيها عن هذا كله .

كما ان للتحول فائدة أخرى وان كانت أقل شأناً من الأولى وهي عندما ينقص عدد أعضاء الشركة عن الحد القانوني ولم تعدل وضعها يجب ان تتحول الى نوع آخر (٢٦) ضماناً لاستمرارها وعدم تصفيتها ومن منطلق الاعتبارات الاقتصادية التي يعتمدها قانون الشركات .

---

(٢٥) لاحظ المادة –١٤٥– من قانون الشركات .

(٢٦) لاحظ المادة –١٩٨– من قانون الشركات .

ثانياً — شروط التحول (٢٧) :

لم يشترط القانون الاشرطاً واحداً للتحول وهذا الشرط هو أن لايؤدي التحول الى :

١ — تحول الشركة المختلطة الى خاصة .

٢ — تحول الشركة المساهمة الى محدودة اوتضامنية أو الى مشروع فردي ولاالشركة المحدودة الى تضامنية .

٣ — تحول الشركة المحدودة أو التضامنية الى مشروع فردي الا في حالة نقصان عدد اعضائها الى عضو واحد .

٤ — تحول الشركة المساهمة أو المحدودة او التضامنية او المشروع الفردي الى شركة بسيطة .

وبالنسبة للقيد الأول يمكن تبريره بسهولة نظراً لكون شركات القطاع المختلط تعد جزءاً من القطاع الاشتراكي وبأعتبار القطاع الاشتراكي هو القائد للاقتصاد القومي فلا يجوز أن تتحول بعض وحداته الاقتصادية الى القطاع الخاص الصرف ويرى البعض (٢٨) أنه لاحاجة لايراد هذا القيد لأن القطاع الاشتراكي صاحب السلطة لايحتاج لمثل هذه الحماية القانونية الامرة ، رغم وجاهة هذا النقد فنحن نرى أن لهذا القيد أهميته في التأكيد على التوجه الاشتراكي الذي تتبناه القيادة السياسة للحزب والثورة في العراق .

أما بالنسبة الى القيود الثاني والثالث والرابع فالعلة منها هو تشجيع الشركات الناجحة والتي يصبح شكلها عاجزاً على مواصلة تطورها من اختيار شكل من نوع آخر يستوعب نشاطها ويضمن تطورها على أن يكون النوع المختار أكبر حجماً من النوع الأول والتحول الذي أجازه القانون هو تحول من الأدنى الى الأعلى ولايجوز العكس كأن تتحول الشركة المحدودة الى شركة مساهمة ولكن لايجوزلها ان تتحول الى شركة تضامنية وينقد البعض(٢٩) هذه القيود ولايرى ضرورة لها بحجة أن حرية الأفراد مقيدة بأختيار نوع الشركة إبتداءاً لأن أنواع الشركات التي أتى بها القانون واردة على سبيل الحصر ورغم هذا النقد نرى أن لهذه القيود أهميتها في منع الشركات الهزيلة من التحول الى نوع أدنى لأن الشركات الضعيفة أو الفاشلة يجب أن لاتشجع على البقاء فالأولى بها أن تصفى مع ملاحظة ماأجازه

(٢٧) لاحظ المادة -١٤٥- من قانون الشركات .

(٢٨) لاحظ الدكتور طالب حسن موسى — المصدر السابق ص٥٢ .

(٢٩) لاحظ الدكتور طالب حسن موسى — المصدر السابق ص٥٢ .

القانون على سبيل الاستثناء من جواز تحول الشركة المحدودة والتضامنية التي ينقص عدد أعضائها الى عضو واحد الى مشروع فردي .

ثالثاً اجراءات التحول :

يتطلب القانون جملة من الاجراءات حتى يصبح التحول بها نافذاً وهذه الاجراءات هي :
١ ــ قرار التحول : نظراً لما لقرار التحول من أثر بالغ في حياة الشركة فقد أوجب القانون صدور قرار التحول من الهيئة العامة للشركة (٣٠) ولايعد اجتماع الهيئة العامة صحيحاً الا اذا حضره أعضاء يملكون أكثرية الأسهم المكتتب بها والمسددة أقساطها المستحقة في الشركات المساهمة وأكثرية الأسهم المدفوعة في الشركة المحدودة وأكثرية الحصص في الشركة التضامنية (٣١).
أما بالنسبة الى التصويت على قرار التحول فيجب أن يصوت الى جانبه أعضاء يملكون أكثرية الأسهم المكتتب بها والمسددة أقساطها في الشركة المساهمة والمدفوعة في الشركة المحدودة عند الدعوة للاجتماع وبالاجماع في الشركة التضامنية (٣٢).
ويتطلب القانون بالاضافة الى صدور قرار التحول من الهيئة العامة للشركة صدور قرار من الهيئة العامة للشركة يتضمن تعديل عقد الشركة بما ينسجم ووضعها الجديد ويجب أن يصوت الى جانب قرار تعديل العقد نفس الأغلبية المطلوبة في قرار التحول. وأوجب القانون ارسال قرار التحول مع العقد المعدل الى المسجل خلال عشرة أيام من تأريخ صدوره.
٢ ــ دور المسجل : يقوم المسجل بالمصادقة على قرار التحول والعقد المعدل اذا كان التحول موافقاً للقانون خلال مدة أقصاها عشرة أيام من تأريخ ورودهما اليه ويرسل نسخة من كل منهما الى الجهة القطاعية المختصة وينشرهما في النشرة الخاصة بالشركات وفي صحيفة يومية (٣٣) .
٣ ــ دور الجهة القطاعية المختصة : يبدو أنه لادور للجهة القطاعية المختصة في عملية التحول حيث يقوم المسجل بأعلامها بقرار التحول وتعديل عقد الشركة وان المسجل هو الذي يعطي الموافقة على قرار التحول ولاينتظر أية موافقة من الجهة القطاعية المختصة

(٣٠) لاحظ المادة ــ١٤٦ــ من قانون الشركات .
(٣١) لاحظ المادة ــ٨٤ــ من قانون الشركات .
(٣٢) لاحظ البند ــثانياًــ من المادة ــ٩٠ــ من قانون الشركات .
(٣٣) لاحظ المادة ــ١٤٧ــ من قانون الشركات .

فهل يعني هذا انتفاء حق للجهة القطاعية بالاعتراض على قرار التحول ؟ ونحن نرى . أن أعطاء القانون الحق للمسجل للموافقة على قرار التحول لايفقد الجهة القطاعية المختصة حقها في الاعتراض على أي قرار يكون مضاداً لخطط التنمية القومية .

٤ — نفاذ قرار التحول: يعد التحول نافذاً من تأريخ أخر نشر لقرار التحول والعقد المعدل (٣٤) .

رابعاً — آثار التحول :

١ — بالنسبة للشركة :يعد التحول سبباً من أسباب انقضاء الشركات (٣٥) وعلى هذا يترتب على تحول الشركة انقضاؤها وفق شكلها السابق على التحول الا ان هذا الانقضاء لايؤدي الى انتهاء الشخصية المعنوية للشركة بل تبقى الشركة مستمرة وكل مايترتب على التحول هو مجرد تعديل عقدها بما ينسجم ووضعها الجديد .

٢ — بالنسبة للغير: من المعلوم ان ضمانة الدائنين الوحيدة في شركات الأموال هي رأس مال الشركة فقط، أما في شركات الأشخاص فان ضمانة الدائنين تكون رأس مال الشركة بالاضافة الى الأموال الشخصية للشركاء فإذا تحولت شركة أموال الى نوع آخر من شركات الأموال كأن تتحول الشركة المحدودة الى شركة مساهمة فأن ذلك لايؤثر على ضمانة الدائنين بينما اذا تحولت شركة من شركات الأشخاص الى شركة من شركات الأموال كأن تتحول شركة التضامن الى شركة محدودة فأن ضمانة الدائنين تتأثر ولذلك نصت المادة (١٤٩) من قانون الشركات على أنه : «في حالة تحول الشركة التضامنية أو المشروع الفردي الى شركة مساهمة أو محدودة تبقى مسؤولية أعضائها عن التزاماتها المتحققة عليها قبل تحولها مسؤولية شخصية غير محدودة وتكون المسؤولية تضامنية أيضاً بالنسبة الى أعضاء الشركة التضامنية» .

وان مسؤولية الشريك طبقاً لهذه المادة تبقى حتى لو خرج من الشركة (٣٦) .

(٣٤) لاحظ المادة –١٤٨– من قانون الشركات .
(٣٥) لاحظ البند –رابعاً– من المادة –١٣٩– من قانون الشركات .
(٣٦) لاحظ البند –أولا– من المادة –٣٧– من قانون الشركات .

خاتمة

ان المشرع العراقي بتنظيمه موضوع دمج وتحويل الشركات قد سد فراغاً كان قائماً في ظل القانون السابق حيث لم نجد اشارة الى دمج الشركات في التشريع السابق سوى ماورد في الفقرة (٧) من المادة (١٨٢) التي نصت «٧-الاندماج في أية شركة أو هيئة اخرى» وكانت هذه المادة تتناول موضوع تعديل عقد الشركة .

أما موضوع تحويل الشركات فلقد عالجه القانون السابق بمادة واحدة هي المـادة (١٩٣) التي نصت على أنه «يجوز للشركة ذات المسؤولية المحدودة .أن تتحول الى شركة مساهمة بشرط أن تعدل عقدها ونظامها بما يتلائم والأحكام الخاصة بالشركات المساهمة» .

وعلى الرغم من أن المشرع العراقي قد فصل وبسط أجراءات دمج وتحويل الشركات في قانون الشركات رقم (٣٦) لسنة ١٩٨٣ الا اننا نأمل من المشرع العراقي أن يأخذ بالمقترحات الاتية عندما يعزم على تعديل القانون وهذه المقترحات هي :

١ - اضافة مادة قانونية تعالج حالة ماإذا كانت حصيلة الدمج تكوين شركة لاينسجم رأس مالها أو عدد اعضائها او كلاهما مع نوعها وفقاً لأحكام القانون وذلك بالسماح لمثل هذه الشركة أما بتعديل وضعها خلال فترة زمنية معينة أو تحويلها الى نوع آخر من أنواع الشركات التي يجيزها القانون .

٢ - اضافة مادة تنص صراحة على مسؤولية الشركاء في شركة التضامن ومسؤولية مالك الحصة في المشروع الفردي عند اندماج شركة التضامن او المشروع الفردي في شركة مساهمة أو محدودة على ان تبقى هذه المسؤولية شخصية وغير محدودة وتكون تضامنية أيضاً بالنسبة للشركاء في شركة التضامن عن كافة التزامات الشركة قبل الدمج وعلى غرار مافعل المشرع بالنسبة الى تحويل الشركة في المادة (١٤٩) من قـانـون الشركات .

٣ - اجازة الأسهم العينية لغرض دمج الشركات فقط لأن عدم أجازة الأسهم العينية يشكل عقبة حقيقية تحول دون عملية دمج الشركات في كثير من الأحيان على أن تناط مهمة تقويم أصول الشركة المراد دمجها بهيئة برئاسة قاضي ضماناً لحقوق بقية المساهمين والغير .

مراجع البحث :

أولا – المراجع :

١ – الياس ناصيف– الكامل من قانون التجارة– الجزء الثاني– الشركات التجارية – منشورات بحر المتوسط ومنشورات عويدات –بيروت ، باريس ١٩٨٢ .

٢ – الدكتور خالد الشاوي– شرح قانون الشركات التجارية العراقي – الطبعة الأولى –مطبعة الشعب– بغداد ١٩٦٨ .

٣ – الدكتور / رزق الله أنطاكي بالاشتراك مع الدكتور نهاد السباعي– الوسيط. بالحقوق التجارية البرية– الجزء الاول– مطبعة الانشاء –دمشق ١٩٦٣.

٤ – الدكتور طالب حسن موسى – ملاحظات في قانون الشركات – مطبعة أوفسيت بغداد. بدون تاريخ .

٥ – الدكتور علي البارودي– القانون التجاري اللبناني– الجزء الاول– مطبعة عتياني الجديدة . لبنان ١٩٧٢ .

٦ – الدكتور مرتضى ناصر نصرالله – الشركات التجارية– مطبعة الارشاد– بغداد ١٩٦٩ .

٧ – الدكتور مصطفى كمال طه– الوجيز في القانون التجاري – الناشر منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٧٤ .

٨ – موفق حسن رضا – قانون الشركات– من منشورات مركز البحوث القانونية – بغداد ١٩٨٥ .

ثانياً – القوانين

١ – قانون الشركات رقم ٣٦ لسنة ١٩٨٣ .

٢ – قانون الشركات التجارية رقم ٣١ لسنة ١٩٥٧ .

مبررات ظاهرة التدخين بين طالبات جامعة الموصل وعواملها

دراسة احصائية عن أبعاد الظاهرة وعواملها

د. أبي سعيد الديوه‌جي   د. محمد حربي حسن   هيفاء خليل يحيى
كلية الادارة والاقتصاد   جامعة الموصل
جامعة الموصل

المقدمة

تعد ظاهرة التدخين من الظواهر المرضية السلبية في المجتمع وذلك بسبب الاضرار المادية الناجمة عنها سواء على صعيد الاقتصاد القومي أو صعيد دخل الفرد والاسرة فضلا عن الاضرار الصحية والاجتماعية والثقافية وتكون تلك الاضرار أكثر وضوحاً عندما تعم الظاهرة شريحة الاناث في المجتمع فالمرأة المدخنة تضر نفسها وابنائها سواء أكانوا في مرحلة الحمل أم في مرحلة الحضانة بل وحتى في مراحل التنشئة الاخرى لان المرأة الام تمثل المعلم الاول للاجيال ومنها تكتسب كثير من العادات والانماط السلوكية وعن طريقها تترسخ جوانب عديدة من ثقافة المجتمع في تلك الاجيال ..... كل ذلك يعطي لظاهرة التدخين عند الاناث بعداً اضافياً بالاتجاه السلبي، وهذا هو الدافع الاساسي للبحث ، فهو محاولة لكشف مدى انتشار ظاهرة التدخين بين طالبات جامعة الموصل خلال العامين ١٩٨٥/١٩٨٦و١٩٨٧/١٩٨٨ والتعرف على أهم اسبابها ومتغيراتها .

ان اهمية البحث لاترتبط بالجانب الاقتصادي والصحي فحسب بل لها صلة وثيقة بجوانب ثقافية وتربوية واجتماعية يمكن ان تكتشف من خلاله المتغيرات المتصلة بالبناء القيمي على المستوى التربوي والاجتماعي والثقافي بوصفها مؤشرات عن مدى الالتزام بين الجامعيات تجاه تقاليد وقيم ثقافية واجتماعية وتربوية تمنع التدخين أو كحد أدنى لاتشجع عليه .

يحاول البحث وبمناسبة الحملة الوطنية ضد التدخين أن يقدم تطوراً عن علاقة الاعلان ووسائله بالتدخين لتقديم تصور عن مدى امكانية دعم هذه الوسائل بل واعتمادها بصيغ مضادة للتدخين ، ثم ينتقل البحث الى كشف الابعاد الميدانية لانتشار ظاهرة التدخين بين طالبات جامعة الموصل وبعدها التعرف على اهم العوامل والاسباب الدافعة لانتشارها وصولا الى مدى امكانية مواجهة هذه الظاهرة والحد منها

منهجية البحث

للحصول على مؤشرات ميدانية أقرب للصدق والثبات ثم اجراء المسح الميداني في جامعة الموصل على فترتين مختلفتين هما العام الدراسي ٨٥/ ٨٦ و٨٧/ ٩٨٨ وقد كان تمثيل العينة في كلا المسحين جيداً كما هو موضح في الجدول ١ حيث غطت العينة العشوائية في المسح الاول (٧,٤٪) من طالبات جامعة الموصل بينما كانت نسبتها في المسح الثاني (٥,٣٪) .كما مثلت العينة في كلا المسحين جميع كليات الجامعة وبنسب موازية لحجم الطالبات في كل منها تقريباً .

الجدول ١ توزيع عينة البحث حسب تمثيلها لمجتمع البحث

الطالبات* / مجاميع الكليات	دراسة ٨٥/ ١٩٨٦ عدد الطالبات	عدد أفراد العينة	٪	دراسة ٨٧/ ١٩٨٨ عدد الطالبات	عدد أفراد العينة	٪	مجموع أفراد العينة
الطبية	٦٥٣	٥١	٧,٨	٧٢٣	٥٢	٧,١	١٠٣
التطبيقية	٢٣٥٥	١٧١	٧,٣	٣٤٦٦	١١٣	٤,٦	٢٨٤
الانسانية والتربوية	١٦٠٨	١١٨	٧,٣	١٧٤٩	٩٨	٥,٦	٢١٦
الادارية والقانونية	١١١٧	٨٣	٧,٤	١٠٣٤	٥٢	٥	١٣٥
المجموع	٥٧٣٣	٤٢٣	٧,٤	٥٩٨٢	٣١٥	٥,٣	٧٣٨

(*) – تم توزيع كليات جامعة الموصل إلى اربع مجموعات تخصصية هي :

– الطبية وتضم كليات الطب ، الطب البيطري ، طب الاسنان .
التطبيقية وتضم كليات الهندسة، العلوم، الزراعة والغابات، والاقسام العلمية من كلية التربية.
– الانسانية والتربوية وتضم كليات الآداب والتربية الرياضية والاقسام الانسانية من كلية التربية .
– الادارية والقانونية وتضم كليتي الادارة والاقتصاد ، والقانون والسياسة .

اعتمد البحث في الوصول الى هدفه على الافتراضات الاتية :

١ – وجود نسبة عالية من المدخنات بين طالبات الجامعة .

٢ – العامل الاقتصادي متغير رئيسي في ممارسة التدخين .

٣ – تلعب العوامل الاجتماعية دوراً مؤثراً في ممارسة التدخين بين الطالبات .

٤ – المتغيرات الثقافية لها دور مؤثر في ممارسة التدخين .

لاختيار هذه الفرضيات اعتمد البحث المنهجية الاتية :

أولا : تصميم استمارة استبيان (ملحق/ ١) لجمع البيانات الميدانية من عينة البحث وذلك بعد عرضها على خمسة خبراء واختيارها احصائياً من حيث درجة الصدق والثبات والاعتمادية .

ثانياً/ معالجة البيانات الميدانية المجمعة (باستخدام الحاسبة الالية بجامعة الموصل) للحصول على جداول احصائية تعكس مدى انتشار ظاهرة التدخين وتوضح العلاقة بينها وبين متغيراتها حسب فرضيات البحث المذكورة انفاً وذلك باعتماد النسب المئوية ومربع كاي للتأكد من معنوية العلاقة .

ثالثاً: اعتماد المعايير الخاصة بقياس الظاهرة ومتغيراتها وفق الاسس الاتية :

أ) متغير معتمد (التدخين) ويتم قياسه على مستويين :

١ – مدى انتشار الظاهرة ، ومعاييره :نسبة المدخنين ؛ حجم التدخين حسب فترات الممارسة) محاولات الاقلاع عن التدخين .

٢ – مبررات التدخين، ومعاييره :دوافع التدخين عند الطالبات ، اسباب التدخين أسباب عدم تركه، والاسباب المحفزة على تركه .

ب) متغيرات مستقلة(عوامل التدخين حسب فرضيات البحث) وتم قياسها كالاتي:

١ – عوامل اقتصادية ، ومعاييرها :مصادر الدخل ، مهنة الوالد والوالدة .

٢ – عوامل اجتماعية ، ومعاييرها: حجم الاسرة ،موقف العائلة من التدخين حسب السكن او البعد عن الاهل، وفترة تعلم التدخين .

٣ – عوامل ثقافية ، ومعاييرها النشأة الريفية/ الحضرية. المستوى التعليمي للوالدين

التخصص الدراسي الجامعي، كيفية تعلم التدخين (مصدر التعلم) لقد تم عرض البحث وفق المباحث الاتية :

المبحث الاول: موقف الاعلان من التدخين .

المبحث الثاني : ظاهرة التدخين بين طالبات جامعة الموصل .

المبحث الثالث :مبررات التدخين من وجهة نظر الطالبات .

المبحث الرابع : العوامل الاقتصادية .

المبحث الخامس العوامل الاجتماعية .

المبحث السادس: العوامل الثقافية .

الخاتمة : نتائج البحث .

المبحث الأول
«موقف الاعلان من التدخين»

الاعلان وسيلة من وسائل الاتصال بين المنتج والمستهلك ومن خلال رسالة معينة تكون بأشكال مختلفة يمكن ان يفسرها المستهلك ، ودون شك فإن الاعلان بأمكانه أن يحقق أكبر قدر من المعرفة عند المستهلك خاصة في مجال استخدامه لترويج السلع الاستهلاكية- كما هي الحال بالنسبة للسكاير .

ولكن حالة التدخين قد أخذت شكلا معيناً مع الاعلان ، فيلاحظ ان الاعلان عن السكاير قد منع بالنسبة للعديد من الوسائل الاعلامية كالتلفزيون والاذاعة والصحف وتباينت الحالة من دولة لاخرى ومن وسيلة لوسيلة اخرى .

الاعلان في التلفزيون :

لاريب ان التلفزيون قد احتل موقعاً بارزاً في استخدامه كوسيلة للاعلان عن السلع والخدمات ، ففي بداية ظهور الاعلان في الوسائل المختلفة وفي مطلع هذا القرن كانت الصحافة المقروءة تشكل الحصة الكبرى من الاعلانات. كما هي الحال بالنسبة لاول دولة ظهر فيها التلفزيون وهي بريطانيا ، اذ ان أول محطة تلفزيونية اقيمت وعملت فيها كانت

في عام ١٩٣٦ (١).

والشكل (١) يبين كيفية تطور الاعلان في التلفزيون البريطاني منذ عام ١٩٣٨ ولغاية ١٩٨٤ ، فقد كانت الوسائل الاخرى وخاصة الصحافة المقروءة المتمثلة بالصحف والمجلات قد أخذت أكبر حصة ٨٥٪ عام ١٩٣٨ وتدنت الى ٦٥٪ عام ١٩٨٤ مقابل زيادة الاعلان في التلفزيون (٢) .

اعلان الشركة المنتجة :

يلاحظ ان معظم الشركات المنتجة للسيكاير قد اقتصرت في اعلاناتها على الصحف والمجلات العامة فضلا عن وسائل اخرى كاستخدام البوسترات او الاذاعات التجارية وغير ذلك من الوسائل التي لاتعطي اهمية كأهمية الاعلان في التلفزيون .

ويلاحظ ان هذه الشركات سمح لها بالاعلان عن منتجاتها ولكن هذا الاعلان يجب ان يرافقه تحذير يتناقض مع فحوى الاعلان ، هذا التحذير الذي فازت به المحاكم العالمية – كما هي الحال في بريطانيا – على الشركات المصنعة بأن كل اعلان يجب ان ترافقه عبارة : (التدخين قد يدمرك) . وفي عام ١٩٧٧ أفلحت المحاكم ثانية باضافة كلمة «بشكل خطير» على هذه العبارة واصبحت (التدخين يستطيع ان يدمرك بشكل خطير). ولم تقتصر على الاعلان وانما يجب ان تكتب الشركة هذه العبارة وبشكل واضح على غلاف العلبة التي تعرضها للمستهلك .

وقد لجأت بعض الشركات – وبعد ان أيقنت أثر الاعلان بهذا الشكل – الى استخدام وسيلة اخرى بالاعلان تحاول ان تتهرب من واقع الضرر الذي يسببه التدخين لصحة الفرد ، ومن هذه الاعلانات : أن السيكارة الواحدة لمنتج (كذا) تحمل اقل مايمكن من مادة النيكوتين فهي تعترف اذاً بوجود هذه المادة في التدخين الذي يسبب ضرراً واضحاً في حياة الفرد وان السيكاير المنتجة من قبل هذه الشركة فيها نسبة قليلة من المادة مقارنة بالانواع الاخرى من السيكاير .

---

(١) كوردهارد وآخرون «مشاهدو التلفزيون وانماط المشاهدة» -مقال مترجم- مجلة البحوث ، اتحاد اذاعات الدول العربية ، المركز العربي للبحوث في بغداد ، العدد ١٥ ، ١٩٨٥ ، ص١٤٧ .

(2) Marketing, Magazine, Vol. 21, No. 9, May 1985, P. 80.



Source: Saatchi & Saatchi Compton Worldwide

الشكل (١)حدود استخدام الاعلانات في بعض الدول الاوربية (التلفزيون)

وتجدر الاشارة هنا الى أن أي اعلان عن التدخين واي ادعاء مثل هذا الادعاء يجب أن يخضع لرقابة الدولة من صحة او عدم صحة المعلومات المذكورة في الاعلان .

التدخين والضرائب

السيكاير والمشروبات الروحية هي من المنتجات التي تخضع لضرائب متزايدة تفرض على منتجات الشركة من قبل الدولة ، ولا تكاد تمر فترة زمنية دون أن تشهد هذه المنتجات زيادات في الاسعار طمعاً في الحد من التدخين ، وعموماً فان اسعار السكاير في الدول العربية زهيدة قياساً الى معظم دول العالم ، ويشترط فيمن يبيع السيكاير في العديد من الدول كما هي الحال في فرنسا – ان يتمتع باجازة خاصة لبيع السيكاير التي يمنع بيعها أصلاً مع المنتجات الغذائية والاستهلاكية الاخرى في الاسواق والمحلات العامة اضافة الى عدم بيعها لمن هم دون الثامنة عشرة .

ففي فنلندة مثلاً طالبت الجمعيات المختصة بمكافحة التدخين من الحكومة ان تخصص الحكومة نسبة ٥٪ من المبالغ المتحصلة من الضرائب على السيكاير للدعاية ضد التدخين(١).



المبحث الثاني

«ظاهرة التدخين بين طالبات جامعة الموصل»

تعكس الدراسة الميدانية لظاهرة التدخين بين طالبات جامعة الموصل ضمن فترة البحث حيث تؤشر النسب في الجدول (٢) ارتفاع نسب المدخنات بشكل ملحوظ فهن يمثلن (٤٣٪) من العينة الشاملة للدراسة ، وقد كانت النسبة في المسح الأول (١٩٨٦/٨٥) اعلى من الثاني (١٩٨٨/٨٧) حيث تجاوزت نسبة المدخنات (٥٤٪) من الطالبات بينما كانت نسبتهن في المسح الثاني ٢٨٪ ويمكن تعليل الفرق بين النسبتين باقتصار عينة المسح الاول على طالبات الاقسام الداخلية اللاتي تميزن بارتفاع واضح بنسبة المدخنات مقارنة بالساكنات مع الاسرة ويخضعن لرقابتها (*) :

(1) Medical Digest, Vol. 7. No. 3, March, 1981, P. 29.

(*) ظهر من البحث ان غالبية المدخنات من الاقسام الداخلية أو الساكنات في غرف مؤجرة .

الجدول /٢ انتشار ظاهرة التدخين (٪)

سنة المسح	التدخين	نعم	لا	المجموع
الأول	١٩٨٦/٨٥	٥٤	٤٦	١٠٠
الثاني	١٩٨٨/٨٧	٢٨	٧٢	١٠٠
المجموع		٤٣	٥٧	١٠٠

وللتأكد من مدى انتشار هذه الظاهرة اتجه البحث لمسألة الممارسة ومدى تأصلها في سلوك الطالبات (التعود على التدخين)، حيث تم توزيع المدخنات على اساس أوقات التدخين وكما هو مفصل في الجدول (٣) الذي تظهر النسب فيه ايضاً نسبة عالية من اللاتي سيطرت عليهن عادة التدخين (٢٨٪) اي اكثر من ربع العينة وبشكل خاص في المسح الاول حيث تجاوزت نسبتهن النصف وتؤشر نسب الجدول (٣) ايضاً ان غالبية المدخنات يمارسن التدخين مساءاً أو بعد الظهر أي في فترات الانفراد أو عدم الرقابة المانعة للتدخين المتمثلة بالجماعة المرجعية (١) مصدراً لتقويم السلوك واخضاعه لضوابط المسايرة وابعاده عن المغايرة للانماط السلوكية المقبولة (٣).

الجدول (٣) المدخنات حسب اوقات التدخين (٪)

المسح / اوقات التدخين	الأول ١٩٨٦/١٩٨٥	الثاني ١٩٨٨/١٩٨٧	المجموع
بعد الظهر	٣٣	١٠,٥	٣٥
مساءاً	٥٢	٣٦	٤٧
دوماً	١٥	٥٣,٥	٢٨
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

(١) حول موضوع الجماعات المرجعية يمكن الحصول على مزيد من التفاصيل في كتاب : لويس كامل مليكة، «الجماعات في قرية عربية» مركز تنمية المجتمع في العالم العربي سرس الليان /١٩٦٣، ص٣.

(٢) حول مفهوم المسايرة والمغايرة يمكن الرجوع الى : سيد احمد عثمان، «علم النفس الاجتماعي التربوي» ج/٢ (المسايرة والمغايرة)، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٤.

ان ممارسة التدخين بعد الظهر أو مساءاً يعبر عن نوع من المسايرة حيث نظمت الطالبات اوقات التدخين وفقاً لاوقات انعدام الرقابة الاجتماعية بعيداً عن أعين الجماعات المرجعية (الاصدقاء ، زملاء الدراسة ، الاساتذة ، الاقارب ...... الخ) .

كما يتضح من النسب ان عادة التدخين اصبحت اكثر تأصلا بين الطالبات عام ٨٧ / ١٩٨٨ منها في العام ١٩٨٦/٨٥ بما يؤكد تغيراً في قيم الطالبات باتجاه المغايرة وعدم المسايرة ، فظاهرة التدخين تزداد قبولاً بين الطالبات خاصة اذا علمنا ان ارتفاع نسبة المدخنات في المسح الأول كان مقتصراً على طالبات الاقسام الداخلية فقط .

وبهدف التأكد من ابعاد هذه الظاهرة ودرجة تسلطها على سلوك المدخنات حاول البحث التعرض لمسألة محاولات ترك التدخين ومدى القدرة على الاقلاع عن هذه العادة للتعرف على مدى استشراء هذه الظاهرة ، حيث نجد من النسب في الجدول (٤) بان (٣٣٪) من

الجدول (٤) محاولات الاقلاع عن التدخين (٪)

المسح /المحاولات	لم يدخن سابقاً	نجحن بالاقلاع	فشلن في المحاولة	لم يحاولن الاقلاع	المجموع
الاول ١٩٨٦/٨٥	١٤	٣١	٢٩	٢٦	١٠٠
الثاني ١٩٨٨/٨٧	٥٨,١	١٤,٣	٢٠,٣	٧,٣	١٠٠
المجموع	٣٣	٢٤	٢٥	١٨	١٠٠

العينة فقط لم يدخنّ سابقاً أي ان اكثر من (ثلثي) العينة مارسن التدخين ، أما الطالبات اللاتي أقلعن عن التدخين فيمثل (٢٤٪) من العينة بينما فشل في المحاولة (٢٥٪) من العينة ولم يحاول الاقلاع عن التدخين (١٨٪) منها .... ان عدم المحاولة تعني غالباً عدم معاناة من ضغوط ذاتية (صحية) او خارجية (اجتماعية أو اقتصادية) باتجاه ترك التدخين وهذا يعني ان نسبة تقارب (خمس) العينة تمارس التدخين وفق اطار عدم المسايرة الكامل بينما عانت (ربع العينة من ضغوط عدم المسايرة الا انها لم تستطع ترك التدخين فقد كانت دوافعها اقوى من الضغوط الصحية او البيئية .

لقد تميزت عينة المسح الاول بنسبة عالية من النجاح في الاقلاع عن التدخين مقابل نسبة عالية من الفشل في الاقلاع عنه في عينة المسح الثاني والتي تميزت أيضاً بنسبة عالية من

غير المدخنات سابقاً ، كل ذلك يؤكد ماتم تأشيره من نتائج عن أوقات التدخين حول تغير قيم الطالبات وربما تغير قيم المجتمع تجاه تدخين الطالبات .

بناءاً على ماتقدم نجد أن ممارسة التدخين من قبل الطالبات بجامعة الموصل يمثل ظاهرة سلبية لارتفاع نسبتها ، فهي تقارب نصف العينة (٤٣٪) كما ان عادة التدخين ازدادت تسلطاً على الطالبات حيث ان المدخنات في المسح الثاني كن أكثر حرية في التدخين وأقل نسبة في محاولة الاقلاع عن التدخين واقل نجاحاً في الاقلاع عنه .

كل ذلك يستدعي دراسة اسباب هذه الظاهرة الخطيرة وعواملها الدافعة والمانعة .

المبحث الثالث

«أسباب التدخين من وجهة نظر المدخنات»

يعتمد ادراك عوامل ظاهرة التدخين بين الطالبات على استيضاح وجهة نظرهن بخصوص دوافعه الذاتية ومؤثراته البيئية سواء أكانت أسباباً محفزة لممارسة التدخين أم اسباباً تمنع ترك التدخين وكذلك الاسباب المحفزة على تركه .

(أ) مبررات التدخين :

تظهر أرقام الجدول (٥) ان اكثر من ثلثي المدخنات (٦٩٪) أظهرن ان الحاجة للتدخين تقف وراء ممارستهن له بينما ذكر (١٨٪) منهن بأن ممارسة التدخين هي للتقليد فقط وأشار (١٣٪) منهن الى ان الحاجة والتقليد معاً هما السبب لممارستهن التدخين..... وقد

الجدول (٥) مبررات التدخين (٪)

المبررات / المسح	الأول	الثاني	المجموع
الحاجة	٧٤	٥٦	٦٩
التقليد	١٨	١٩	١٨
الحاجة والتقليد	٨	٢٥	١٣
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

كانت عينة المسح الأول اكثر تأكيداً على الحاجة بينما في الثاني جاء التأكيد على الحاجة والتقليد معاً بشكل أكبر من الاول .

ان ارتفاع نسبة الاحساس بأن الحاجة هي الدافع للتدخين ، قد يقترن باحتمالات ترسخ عادة التدخين وتحوله الى حاجة فسلجية تثير القلق والاضطراب ومن ثم يكون الاقلاع عنها اكثر صعوبة ، وهذا يفسر لنا ماأشرناه في تحليل محاولات الاقلاع عن التدخين.

كما جاءت في الجدول/٣ حيث ان نسبة كبيرة من عينة المسح الاول لم تحاول الاقلاع عن التدخين وهن في الوقت نفسه اشرن نسبة عالية من اعتبار الحاجة سبباً للتدخين .

(ب) أسباب التدخين

أما المؤثرات البيئية التي تم تأشيرها كأسباب دافعة للتدخين : فقد عرضت كمصاعب يومية تثير لدى الطالبات التوتر والقلق وتدفعهن ، حيث تم التأكيد على المشكلات المعاشية والدراسية والعاطفية وكذلك مشكلة البعد عن الاهل كأسباب للتدخين .

الجدول (٦) أسباب التدخين (٪)

الاسباب المسح	معاشية	دراسية	عاطفية	البعد عن الاهل	المجموع
الاول	٢٣	٣٩	٢٣	١٥	١٠٠
الثاني	٣٠	٢١	٢٥	٢٤	١٠٠
المجموع	٢٥	٣٣	١٨	٢٤	١٠٠

لقد أكد (٢٥٪) من أجمالي المدخنات على المشكلات المعاشية بينما اعتبر (٣٣٪) منهن المشكلات الدراسية سبباً لممارسة التدخين. كما أشار (٢٤٪) من المدخنات الى البعد عن الاهل كواحد من أسباب التدخين واشارت نسبة كبيرة أيضاً الى المشكـــلات العاطفية .

لقد تميزت عينة المسح الاول بتأ كيد أعلى حول المشكلات الدراسية كسبب للتدخين بينما كان التأكيد أعلى في المسح الثاني للمشكلات المعاشية. ويأتي هذا الاختلاف متفقاً في التأكيد على مشكلة البعد عن الاهل حيث كان في المسح الثاني اعلى منه في المســح الاول ويمكن تعليل ذلك بالغاء الاقسام الداخلية كعامل مثير للمشكلات المعاشية ومضخم للاحساس بمشكلات البعد عن الاهل .

(ج) أسباب عدم ترك التدخين :

- بعد تحليل أسباب التدخين لابد من تحليل أسباب تأصل التدخين كعادة سلوكيـة لايمكـن مقاومتها اوتركها ...ويلاحظ ان الاسباب المطروحة من قبل الطالبات تقع ضمن عدة مستويات منها: ضغوط بيئية كالمعاناة من مشكلات خاصة أو البعد عن الاهـل وعدم وجود التوجيه او لضغوط ذاتية كعدم القدرة على التحكم بالرغبة والحاجة وكذلك الاختلاط المفضي الى التقليد .... ونجد هنا ان عدداً من الاسباب المثبطة لترك التدخين هي أسباب دافعة للتدخين أيضاً كالمشكلات بشكل عام والبعد عن الاهل .

الجدول (٧) أسباب عدم ترك التدخين (٪)

المسح / الاسباب	الاول	الثاني	المجموع
البعد عن الاهل	١٧	١٦	١٧
عدم التوجيه	٩	١٣	١٠
المشكلات	٧	٢٠	١١،٢
الاختلاط	٤٠	٢٣	٣٤،٤
عدم القدرة على الضبط	٢٧	٢٨	٢٧،٤
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

لقد كان اكثر الأسباب شيوعاً لعدم ترك التدخين (تأصل عادة التدخين) هو الأختلاط بالمدخنات ، فواضح ان الصداقة والرفقة كاطار للبقاء المستمر بالمدخنات هو أقوى العوامل المانعة للاقلاع عن هذه العادة ، وقد كان هذا العامل اكثر وضوحاً في المسح الأول، أما السبب الأخر فقد اشار له (٢٧،٤٪) من المدخنات وهو عدم القدرة على الضبط والتحكم بالرغبة او الحاجة للتدخين ، ويأتي البعد عن الأهل كعامل بيئي ضاغط لتبرير عدم التدخين لنسبة غير قليلة من المدخنات (١٧٪) وبشكل متقارب في كلا المسحين ايضاً أما المعاناة من المشكلات فقد اكدت عليه نسبة كبيرة من المدخنات للمسح الثاني (٢٠٪) بينما جاءت الأشارة له في المسح الأول ضعيفة .

وفي الأعم تعد الفروق بينهذه العوامل في اهميتها بوصفها سبباً لتأصل عادة التدخين

مؤشراً لأهمية بعض الأسباب ودورها البارز لاسيما الأختلاط وعدم القدرة على التحكم بالذات ومن ثم البعد عن الأهل ، اما المشكلات فقد كانت اهميتها في المسح الثاني اكثر وضوحاً .

(د) أسباب ترك التدخين :

اما الأسباب التي ساعدت اوحفزت الطالبات على ترك التدخين فقد اشرت الطالبات في كلا المسحين وبشكل متماثل اهمية بعض العوامل الدافعة لترك التدخين وبشكل خاص العامل الصحي حيث اكدته نصف اللاتي تركن التدخين، اما العامل الأجتماعي فقد كان العامل الأكثر تباينا بين المسحين فقد اكد عليه حوالي ربع اللاتي تركن التدخين في المسح الثاني مقابل (١٦٪) من التاركات في المسح الأول ، وجاءت اهمية العامل الأقتصادي واعتراض الأهل متماثلة واشرته نسبة غير قليلة في كلا المسحين .

الجدول (٨) أسباب ترك التدخين (٪)

المسح / الأسباب	صحية	اجتماعية	الأهل	اقتصادية	المجموع
الاول	٥١	١٦	١٥	١٨	١٠٠
الثاني	٤٧	٢٤	١٦	١٣	١٠٠
المجموع	٥٠	١٨	١٥	١٧	١٠٠

مما تقدم يمكن القول بأن اقوى العوامل الدافعة لترك التدخين هو العامل الفسلجي (الصحي) حيث لاخيار امام الطالبة بين الرغبة وبين الألم والمعاناة الجسدية ، وذلك يتفق من الجانب الأخر مع مؤشرات اسباب التدخين اواسباب عدم ترك التدخين حيث العوامل الأجتماعية والأقتصادية اكثر وضوحاً وتأشيراً للاستمرار بالتدخين وعدم تركه ، فالبيئة الغالبة للمبحوثات هي البعد عن الأهل وانعدام الرقابة الأجتماعية والأستقلالية في طريقة الصرف (نمط الأستهلاك) لذا لن يكون ترك التدخين امرا سهلا الا أذا كان السبب ذا طبيعة حدية لاتقبل المفاضلة (وهو العامل الصحي) .

مما تقدم نستنتج ان ظاهرة التدخين بين طالبات جامعة الموصل أخذت ابعاداً واضحة حيث ان الغالبية من المدخنات اعتبرن التدخين حاجة وان الأسباب الدافعة له مشكلات يومية ناجمة عن طبيعة دورهن الأني كطالبات (المشكلات الدراسية) اومايتصل بهذا الدور وبالمرحلة العمرية (الشباب) حيث المشكلات المعاشية الناجمة عن الغربة والمشكلات

الأقتصادية الناجمة عن محدودية الدخل وكذلك المشكلات العاطفية بسبب المرحلة العمرية لذا فان هناك توافقاً واضحاً بين اسباب عدم ترك التدخين (تأصل عادة التدخين) وبين اسباب ترك التدخين حيث تكون في مقدمة عوامل تأصل العادة الضغوط البيئية اما اسباب ترك التدخين فهي عوامل قاهرة لاخيار للمدخنات امامها (الصحة) * .

ان خلاصة نتائج هذا البحث في تحديد مبررات ممارسة التدخين كما عبرت عنه المدخنات تتركز في كون البيئة الجامعية وماتفرضه من مصاعب حياتية نتيجة السكن في الأقسام الداخلية ومشكلات التكيف للحياة الجديدة لاسيما المعاشية وبشكل اوضح الدراسية منها تعد مدخلا لفهم انتشار ظاهرة التدخين بين الطالبات وقد توافقت تلك المؤشرات مع التركيز على دور اصدقاء الدراسة في تعلم التدخين وكذلك مع الأحساس بالحاجة للتدخين لوصفه دافعاً ذاتياً للادمان عليه .

وبذلك يمكن القول ان معالجة هذه الظاهرة يتطلب توسعاً في البحث عن متغيراتها وصولا الى تحديد العوامل والأسباب بشكل مستقل عن وجهة نظر المدخنات ، وهذه ماسنحاوله في المباحث القادمة .

المبحث الرابع

العوامل الأقتصادية للتدخين

تعد العوامل الأقتصادية من المتغيرات الأساسية للسلوك الأنساني بما يتضمنه من مواقف واتجاهات ، وللعوامل الأقتصادية تأثير مزدوج على ممارسة التدخين لدى الأنسان ، فقد يكون انخفاض الدخل وعدم القدرة المادية سببا لعدم التدخين ، إلا أن الأحساس بالفقر وعدم القدرة المادية قد يكون سببا للاحساس بالقهر ومن ثم اللجوء اليه كوسيلة لتخفيف حالة القلق وعدم الأرتياح هذا من حيث الممارسة .

اما الجانب الكمي في الممارسة فان انخفاض الدخل قد يدفع الى تقليل الكمية اوتدخين أنواع رخيصة من السكائر او الأندفاع بالتدخين المفرط ... كل تلك المواقف السلوكية المتنوعة والمتباينة في ممارسة التدخين لاتحدث بتأثير العوامل الأقتصادية منعزلة عن العوامل

(*) يرتبط عامل الصحة بالضغوط الاجتماعية ايضاً فهو يعد مؤشراً واضحاً ومادياً لممارسة التدخين يكشف الطالبة امام اهلها وهذا يزيد من تأثيره كعامل لترك التدخين .

الأخرى ، فالتنشئة الاجتماعية ومواقف افراد العائلة والمستوى الثقافي للاسرة كلها عوامل متداخلة في علاقتها بالعوامل الأقتصادية وتأثيراتها معا في سلوك المدخنات .

وسنكتفي في هذا المبحث بالكشف عن العلاقة بين العوامل الأقتصادية وبين ممارسة التدخين وذلك عبر معيارين : مصادر دخل الطالبة ومهنة الوالدين .

الجدول (٩) التدخين حسب مصادر الدخل (٪)

مصادر الدخل	الأول		الثاني		المجموع	
المسح	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
الأسرة فقط	١٨	١٧	٣٢	٥٧	٢٢	٣٨
الأسر والجامعة	٨٢	٨٣	٦٨	٤٣	٧٨	٦٣
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

يتضح من النسبة في الجدول (٨) ان اغلب المدخنات يحصلن على دخل مزدوج (الأسرة والجامعة) بينما لاتصل نسبة ذوات الدخل المزدوج الثلثين بين غير المدخنات وقد كان تأثير مصادر الدخل في انتشار ظاهرة التدخين اكثر وضوحاً بين الطالبات في المسح الثاني بينما لم تظهر اية فروق بين المدخنات وغير المدخنات في المسح الأول .. وفي الأعم لم تكن العلاقة واضحة او قوية بين مصادر الدخل والتدخين وهذا ما اكدته نتائج الأختبار الأحصائي ايضاً (٭) .

ان التعليل الممكن لعدم وضوح العلاقة هو ان الأعتماد على الأسرة قد يعني ان الطالبة من عائلة غنية ومن ثم فهي غير مشمولة بمخصصات الأقسام الداخلية وان اسرتها في الغالب تخصص لها دخلا مناسبا ، كما ان الطالبات من الأسر الغنية هن في الغالب من مناطق حضرية ومن طبقة اجتماعية لها مستوى اجتماعي وثقافي تتاح فيه فرص أوسع لتعلم التدخين .. وبذلك نلاحظ كيف ان العامل الأقتصادي لا يعمل بشكل منعزل عن العوامل الأجتماعية والثقافية بل هو يتبادل التأثير معها باستمرار .

ان اعطاء صورة اكثر تكاملا عن علاقة التدخين بالعامل الأقتصادي يكون عبر العلاقة مع مهنة الوالدين بوصفها مؤشراً واضحاً لمدخولات الأسرة ومستواها الأقتصادي بل والأجتماعي والثقافي ايضاً .

(٭) قيمة مربع كاي للمسح الاول ٠,١٠٥٤ والقيمة الجدولية ٣,٨٤١ بمستوى (٠,٠٥)
قيمة مربع كاي للمسح الثاني ١٤,٠٣٠٤ والقيمة الجدولية ٧,٨٧٩ بمستوى (٠,٠٠٥)

الجدول (١٠) التدخين حسب مهنة الوالد (٪)

مهنة الوالد	الأول		الثاني		المجموع	
المسح	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
موظف	٤٣	٦١	٥٦	٣٦	٤٧	٤٧ , ٣
مهنة حرة	٤٦	٣٥	٢٨	٢٦	٤١	٣٠ ,
متقاعد	١١	٤	١٦	٣٨	١٢	٢٢ , ٣
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

تؤشر نسب الجدول (١٠) عدم وجود فروق كبيرة بين المدخنات وغير المدخنات من بنات الموظفين وكانت اكثر وضوحاً لبنات اصحاب المهن الحرة والمتقاعدين ، اما على مستوى المسحين الأول والثاني فقد كانت الفروق اوضح بين بنات الموظفين والمتقاعدين ....

ويمكن القول بإن مهنة الوالد تعد عاملا مؤثراً في التوجه للتدخين بين الطالبات فبنات اصحاب المهن الحرة اكثر توجهاً للتدخين بالنسبة لاجمالي العينة ، اما في المسح الأول فقد كانت بنات اصحاب المهن الحرة والمتقاعدين اكثر توجهاً للتدخين وعلى العكس في المسح الثاني نجد بنات الموظفين اكثر توجهاً للتدخين بينما بنات المتقاعدين اقل توجهاً للتدخين .. وفي الأعم تعد هذه العلاقة معنوية حيث أبداها الأختبار الأحصائي .(*)

ان التوجه للتدخين في علاقته بمهنة الوالد يرتبط بما يمكن ان توفره المهنة من مدخولات للطالبة ، الا ان عدم وجود حدود واضحة لمقدار دخل الشرائح المهنية يجعل الحكم على هذه العلاقة بشكل مستقل عن العوامل الأخرى امراً غير موضوعي .

اما علاقة مهنة الوالدة بالتدخين فان نسب الجدول (١٠) تشير في اجمالي العينة الى ان بنات ربة البيت أقل ميلا للتدخين وكذلك الحال في المسح الثاني من الدراسة بينما كان ألامر على العكس في المسح الأول حيث ان نسبة المدخنات اعلى لفئة ربة البيت .. وتعاني نسبة الجدول من عدم الثبات نفسه في الفئتين الأخريين ايضاً بما يثير صعوبة التوصل الى مؤشر واضح عن العلاقة . ويمكن القول بإن اعتماد متغير مهنة الوالدة لايختلف عن مهنة

(*) قيمة مربع كاي ٢ كانت : للمسح الاول ١٥,٤٣٨١ والجدولية ١٠,٥٩٧ معنوية بمستوى (٠,٠٠٥) والمسح الثاني ١٥,٦٤١٤ والجدولية ١٠,٥٩٧ معنوية بمستوى (٠,٠٠٥)

الجدول (١١) التدخين حسب مهنة الوالدة (٪)

مهنة الوالدة / المسح	الأول		الثاني		المجموع	
	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
موظفة ادارية	١٦	٢٣	٢٦	١٠	١٩	١٦
موظفة خدمية	١٢	١٩	١٤	٦	١٣	١٢
ربة بيت	٧٢	٥٨	٦٠	٨٤	٦٨	٧٢
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

الوالد في عدم الأستقلالية وكونهما يتداخلان مع عوامل اخرى في التأثير كالعامل الثقافي والأجتماعي والأقتصادي وبشكل غير ثابت‌ايضاً ، فربة البيت مثلا قد تكون مؤشراً لانخفاض الدخل والمستوى الثقافي كما قد تعد الموظفة الأدارية ذات دخل محدود الا أنه يحتمل ان تكون بدرجة وظيفية عالية وتحمل شهادة جامعية ومن بيئة اجتماعية وثقافية ايجابية كما ان الدخل نفسه والمستوى الثقافي والأجتماعي قد يكون باتجاه بناء قيم ايجابية للتدخين او قيم سلبية حيث يعتمد ذلك على عوامل بيئية عديدة اخرى .

ولذا فان عدم ثبات العلاقة بين مهنة الوالدة والتدخين امر مقبول .

المبحث الخامس

العوامل الاجتماعية للتدخين

ان فهمنا لظاهرة التدخين كنمط سلوكي يدفعنا للقول بإن ممارسة التدخين كعادة سلوكية تخضع لمتغيرات البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها المدخن بدءاً من الأسرة التي هي اهم الجماعات المرجعية التي تنمط السلوك ومروراً بالاقارب والأصدقاء حيث ان لمواقف هؤلاء جميعاً من التدخين دوراً كبيراً في اكتساب الفرد لهذه العادة الأجتماعية .

وسنطرح ثلاثة معايير لقياس العوامل الأجتماعية في علاقتها بالتدخين وهي : حجم العائلة ، موقف العائلة من التدخين ، والسكن بعيد عن الأهل

الجدول (١٢) التدخين حسب حجم الأسرة (٪)

عدد افراد الأسرة	الأول		الثاني		المجموع	
المسح	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
أقل من ٥	٢٧	٣١	٣١	١٥	٢٨	٢٢
٥ – ٦	٤٩	٥٢	٣٢	٣٢	٤٤	٤١
٧ فأكثر	٢٤	١٧	٣٧	٥٣	٢٨	٣٧
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

تؤشر نسب الجدول (١٢) عدم ثبات العلاقة بين حجم الأسرة والتدخين ، فعلى المستوى الأجمالي للعينة نجد ان التوجه للتدخين ينخفض في الأسر الكبيرة الحجم مقارنة بغير المدخنات وكذلك الحال في المسح الثاني من الدراسة ، الا أن النسب في المسح الأول تشير الى العكس فكلما زاد حجم الأسرة ارتفعت نسبة المدخنات مقارنة بغير المدخنات .

وقد اكد الأختبار الأحصائي عدم معنوية الفروق(*) في ارقام الجدول بما يدعم الأعتقاد بان حجم الأسرة كمتغير للتدخين يتأثر بعوامل عديدة اخرى كالدخل والمستوى التعليمي والثقافي ، كما ان حجم الأسرة قد يعني وجود اكثر من جيلين معاً (الأجداد والأباء والأحفاد) بما يجعل طبيعة تأثير الحجم مختلفاً من حيث موقف الأسرة من التدخين .

فقد يكون الحجم سبباً في تشديد الرقابة على الابناء اويؤدي الى تقليل فرص الرقابة والمتابعة على الأبناء . كما قد يكون سبباً لفرص اوسع في اكتساب عادة التدخين وللتأكد من دور العائلة في توجه البنات للتدخين نحاول كشف العلاقة بين موقف العائلة من التدخين وبين توجه الطالبات له .

تشير النسب في الجدول (١٣) الى ان الطالبات من الأسر الأيجابية نحو التدخين هن اكثر توجهاً للتدخين من الطالبات في الأسر السلبية من التدخين وقد كانت العلاقة بين

(*) قيمة كاي٢ : للمسح الاول : ٥,٤٥٨٨٦ مقابل جدولية ٩,٣٤٨ معنوية بمستوى (٠,٠٣)
وللمسح الثاني : ١٢,٦٧٢٩١ مقابل جدولية ١٢,٨٣٨ معنوية بمستوى (٠,٠٠٥)

الجدول (١٣) التدخين حسب موقف العائلة منه (٪)

موقف العائلة	الأول		الثـانـي		المـجمـوع	
المسح	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
ايجابي	٩٣	٧	٥٧	٤٣	٧٧	٢٣
سلبي	٥٩	٤١	٢١	٧٩	٣٦	٦٤

المتغيرين بهذا الأتجاه في كلا المسحين ايضاً وجاء الأختبار الأحصائي لمعنوية الفروق داعماً لهذه العلاقة لذا (*) فإن موقف الأسرة يعد احد المتغيرات الموجهة لموقف الطالبات في ممارسة التدخين ذلك ان الأسرة من اهم الجماعات المرجعية لابنائها ... ويتفق هذا الأمر مع اتجاه العلاقة بين التدخين ومتغير السكن حيث تؤكد النسب في الجدول (١٤) ان الطالبات الساكنات مع الأهل اقل نسبة بين المدخنات من الطالبات الساكنات في الأقسام الداخلية اوفي غرف مؤجرة بعيداً عن متابعة واشراف الأسرة وقد كان الأختبار الأحصائي داعما لوجود العلاقة (**) .

الجدول (١٤) التدخين حسب السكن (٪)

السكن / التدخين	نـعـم	لا
بعيداً عن الأهل	٨٧	٦٣
مع الأهل	١٣	٣٧
المجموع	١٠٠	١٠٠

ولذلك يمكن القول ان العامل الأجتماعي يعد احد الأسباب المهمة في توجه الطالبات نحو التدخين فعملية التعلم تبدأ في الأسرة وفيها تتم التنشئة الأجتماعية (اوالتطبيع الأجتماعي

(*) قيمة كاي٢ للمسح الاول : ٢٥,٦٣ مقابل جدولية ٦,٦ معنوية بمستوى (٠,٠١)
وللمسح الثاني ٢٩,٥١ مقابل جدولية ٦,٧ معنوية بمستوى (٠,٠١)

(**) قيمة كاي٢ ٢٤,٠٤ مقابل الجدولية ٩,٢١ معنوية بمستوى (٠,٠١)

Socialization) *) وهذا هو مايجعل البعد عنها احـد اسباب ممارسة التدخين.. ولتكتمل الصورة عن العوامل الأجتماعية في علاقتها بالتدخين وجدنا ضرورة في كشف العلاقة بين التدخين وفترة تعلمه على اساس العلاقة بالبيئة الجامعية .

الجدول (١٥) التدخين حسب فترة التعليم (٪)

فترة التعلم / المسح	الاول	الثاني	المجموع
فترة الدخول للجامعة	٢٧	٣٢	٣٠
في اثناء الدراسة الجامعية	٧٣	٦٨	٧٠
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

تشير النسب في الجدول (١٥) الى ان غالبية المدخنات (٧٠٪) تعلمن التدخين بعد إنتقالهن الى الجامعة ولاتختلف مؤشرات المسحين الأول والثاني في هذه المسألة بما يدعم دور الأسرة كضابط مانع للتدخين وان الأبتعاد عن التوجيه والرقابة الأسرية هو احد اسباب سهولة تعلم التدخين .

كل ذلك يعطي للعوامل الأجتماعية اهمية خاصة كمتغيرات محددة لمواقف الطالبات من التدخين وممارسته وبشكل خاص الأسرة ثم الأصدقاء كمصدر للتنشئة الأجتماعية .

(*) لمزيد من التفاصيل حول التنشئة او التطبيع الاجتماعي Socialization ودور الاسرة وجماعات الصداقة فيها يمكن الرجوع الى :

(١) د. فسويفت، «اجتماعيات التربية»، ترجمة محمد سمير حسانين، مؤسسة سعيد للطباعة بطنطا، ١٩٧٧، ص٨٢–٩٨ .

(2) CoMe/W.E./ "*Introductory Sociology*", N.Y., Daud Mckay Co., Inc., 1962, P. 119.

المبحث السادس

«العوامل الثقافية للتدخين»

تبقى مسألة الأعداد الأجتماعي الفيصل الحاسم في تحديد كثير من الخصائص الأجتماعية والأقتصادية للأسرة وللفرد ومن ثم طبيعة واتجاه الأفراد في مواقفهم اليومية وانماطهم السلوكية . فالتنشئة الأجتماعية تلعب دوراً اساسيا في البناء القيمي والثقافة المشتركة التي يلتزم الأفراد والجماعات بمفرداتها من تقاليد وقيم وعادات وانماط سلوكية .

ولقياس مستوى الاعداد الاجتماعي والثقافي يمكن اعتماد معيار النشأة الريفية الحضرية ومن ثم يدعم هذا المعيار بمعايير اخرى منها المستوى التعليمي للابوين والتعليم الأعدادي ومصادر تعلم التدخين .

الجدول (١٦) التدخين حسب المنشأة الثقافية (٪)

التدخين المسح	الأول		الثاني		المجموع	
	ريفية	حضرية	ريفية	حضرية	ريفية	حضرية
يدخن	٥٢	٥٥	١٥	٢٩	٢٧	٤٤
لايدخن	٤٨	٤٥	٨٥	٧١	٧٣	٥٦
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

تؤكد النسب في الجدول (١٦) ان الطالبات من الحواضر اكثر توجهاً للتدخين حيث ان (٤٤٪) من الطالبات القادمات من المدينة يمارسن التدخين مقابل (٢٧٪) من الريفيات كما ان الريفيات في المسح الأول والثاني هن اقل توجهاً للتدخين من الحضريات فالطالبات القادمات من المدينة اقل تعرضاً للضغوط المانعة للتدخين واكثر احتكاكا بحالات تقبل تدخين الفتاة كما ان الضبط الأجتماعي في المدينة يكون اقل قسوة منه في الريف وذلك لتعدد وتنوع الجماعات المرجعية في المدن ،مقابل اقتصارها على الأهل والصديقات في الريف .وكل ذلك يجعل الريفية اكثر ميلا للانصياع والخضوع للقيم والتقاليد بعكس الحضرية وللتأكد من اهمية هذا المتغير (النشأة الحضرية) نتحرى عن العلاقة بين التدخين والمستوى التعليمي للوالدين لكون التعليم من العوامل ذات العلاقة بالتوزيع السكاني بين المدن والأرياف فنسبة المتعلمين اعلى في المدن عنه في الأرياف .

والى جانب كون التعليم سبباً للانفتاح الثقافي واتساع منطقة القبول للاخرين تكون القدسية غير متطرفة في التعامل مع القيم والعادات بما يوفر المرونة لمناقشتها والأنصياع لها كل ذلك يعطي فرصاً اعلى لمواقف اكثر مرونة من تدخين الفتاة مقارنة بالاباء غير المتعلمين .

الجدول (١٧) التدخين حسب المستوى التعليمي للوالد (٪)

المسح / المستوى التعليمي	الأول المدخنات	الثاني المدخنات	المجموع المدخنات
جامعي فاكثر	٦٢	٣٣	٤٨
ثانوية	٨٦	٢٣	٤١
ابتدائية اوغير متعلم	٦١	٢٦	٤١

لقد اظهرت نسب الجدول (١٧) الأجمالية ارتفاع نسبة المدخنات (٤٨٪) بين بنات الجامعيين بينما تنخفض النسبة الى (٤١٪) بين بنات الحاصلين على الشهادة الثانوية ومادونها على السواء .. الا أن هذه النسب على مستوى المسح الأول والثاني اظهرت تذبذباً غير متوازن مع متغير المستوى التعليمي للوالد ، فبنات حملة الشهادة الثانوية اكثر ميلا للتدخين من بنات الجامعيين او حملة الأبتدائية فما دون على السواء بينما كان المسح الثاني متفقاً في مؤشراته مع اجمالي العينة حيفبنات الجامعيين اكثر ميلا للتدخين .. وحيث أن الأختبار الاحصائي يؤكد معنوية الفروق في الجدول(*) ؛ لذا يمكن القول بأن المستوى ، التعليمي للوالد عاملا مؤثراً في توجه الطالبات للتدخين كذلك الحال لتأثير المستوى التعليمي للوالدة حيث اظهرت النسبة في الجدول (١٧) ان الأم المتعلمة بمستوى جامعي اكثر تقبلا لممارسة التدخين من المتعلمة بمستوى الأعدادية وكذلك الأم المنخفضة في المستوى التعليمي (دون الثانوية) اكثر تسامحاً مع ابنتها في ممارسة التدخين وغالبا مايكون الأمر ناجماً عن كون الأم المنخفضة التعليم قادرة على التحكم ببناتها الجامعيات اما الأم الجامعية فانها اكثر

(*) القيمة المحسوبة لـ(كاي) في المسح الاول ٥٦٥٦, ٦ والجدولية ٩٩١, ٥ بمستوى معنوية ٠٥, ٠ وفي المسح الثاني ٢١٧٨, ٣ والجدولية ٢١٨٦, ٩ بمستوى معنوية ٠٥, ٠

انفتاحا وتقبلا في تجاوز التقاليد والعادات السلوكية الى جانب كونها اكثر انشغالا عن متابعة الأبناء لان نسبة الموظفات بين الجامعيات اعلى منها بين الفئات الأخرى .

ومن الجانب الاخر فان الأم الجامعية تقع غالبا في المدن ونادراً مانجد الطالبة ريفية وامها جامعية . لذا فان المستوى التعليمي يقترن دوماً بمتغيرات اخرى تصب في اتجاه واحد هو الفرص الأوسع وتقبل اكثر لتدخين البنات .

الجدول (١٨) التدخين حسب المستوى التعليمي للوالدة (٪)

المستوى التعليمي المسح	الأول	الثاني	المجموع
جامعيات فاكثر	٦٥	٥٦	٦٠
ثانوية	٤٦	١٣	٣٨
دون الثانوية	٦١	٢٣	٤١

وقد اكد الأختبار الأحصائي معنوية الفروق في الجدول (١٧) بما يدعم وجود علاقة بين المستوى التعليمي للام وبين التدخين . الا أن العلاقة تقع ضمن تأثير مجموعة علاقات اخرى لايمكن اهمالها ومنها التنشئة الحضرية وحجم الأسرة وتسلسل الفتاة في الأسرة وموقف الوالدين والأخوة والأفراد الأخرين في الأسرة من التدخين بشكل عام ومن تدخين الفتاة بشكل خاص كل ذلك يستلزم اختبار العلاقة بين التدخين ومصدر تعلمه .

الجدول (١٩) التدخين حسب مصدر تعلمه (٪)

المسح المصدر	الأول	الثاني	المجموع
التعلم الذاتي	٣٥	٣٩	٣٦
الأصدقاء والأقارب	٥٤	٤٨	٥٣
افراد العائلة	١١	١٣	١١
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

(*) القيمة المعنوية (كاي٢) في المسح الاول ١١,٤٣٨٨ والجدولية ٩,٢١٠ بمستوى معنوية ٠,٠١ .

في المسح الثاني ١٥,٩٧٧٩ والجدولية ٩,٢١٠ بمستوى معنوية ٠,٠١ .

وتشير النسب في الجدول (١٨) الى ان التعلم من الأصدقاء والأقارب هو المصدر الأول لظاهرة التدخين بين الطالبات (٥٣٪) يليه التعليم الذاتي ، اما الأسرة فهي المصدر الأقل تأثيراً في تعلم الطالبات للتدخين . وقد كانت النسب لكلا المسحين الاول والثاني مطابقة لهذا الأتجاه في العلاقة بين التدخين ومصدر التعلم ، كل ذلك يؤكد ان تعلم التدخين يأتي غالبا عن طريق الأصدقاء او الأقارب اي بعيداً عن رقابة الأهل ، ويتفق هذا الأمر مع حقيقة اخرى اشرتها نتائج الدراسة وهي ان غالبية المدخنات تعلمن التدخين بعد دخول الجامعة مما يؤكد اهمية الرقابة الأسرية كعامل مانع وهذا ماتأكد لنا عند تحليل مؤشرات الجداول (١٢،١٣،١٤) .

ولابد من اختبار اخير لهذه العلاقات المتداخلة في اطار العوامل الثقافية وذلك بكشف العلاقة بين التدخين والتخصص الدراسي الجامعي للطالبات لان الكلية اوالتخصصات العلميـة الجامعية المتباينة تمثل بيئات ثقافية متباينة نتيجة ماتتطلبه من التزامات مختلفة في عدد الساعات الدراسية والمؤهلات في اللغة والتوجهات في المواضيع الدراسية وكذلك بما تتضمنه من مستويات تعليمية .

لقد تطلب اختبار هذه العلاقة تصنيف عينة البحث حسب القطاعات العلمية المبينة في الجدول (١٩) وقد اتضح من النسب الواردة فيه عدم وجود فروق كبيرة بين المدخنات في مجاميع الكليات الأربع فالفرق في نسبة المدخنات يتفاوت بين (٤٥٪) في الطبية وبين (٤١٪) في التطبيقية وكانت النسبة متماثلة (٤٣٪) في الأنسانية والأدارية والقانونية . وبذلك يمكن القول أن طالبات الكليات الطبية اكثر ميلا للتدخين بينما طالبات الكليات

الجدول (٢٠) التدخين حسب التخصصات الدراسية (٪)

التخصص	المسح الأول	الثاني	المجموع
الطبية	٥٤	٣٥	٤٥
التطبيقية	٥٢	٢٧	٤١
الأنسانية	٥٨	٢١	٤٣
الأدارية والقانونية	٥٢	٣٣	٤٣

التطبيقية هن الأقل ميلا ، هذا اذا اخذنا النسب لاجمالي العينة ، اما على مستوى المسحين الأول والثاني ، فقد كانت المؤشرات مختلفة ، فطالبات الكليات الأنسانية اعلى نسبة في التدخين في المسح الأول وهن الأقل في المسح الثاني وطالبات المجموعة الطبية تتفاوت نسبة المدخنات بينهن من (٥٤٪) الى (٣٥٪) في المسحين وكذلك الحال للمجموعتين التطبيقية والأدارية والقانونية ، وكل ذلك يؤكد عدم وجود علاقة ثابتة بين التخصص الدراسي الجامعي وبين التدخين بما يعطي اهمية اكبر للعوامل الثقافية السابقة على الألتحاق بالجامعة .



الخاتمــــة :

اولا: النتائج يمكن استخلاص النتائج الآتية من الدراسة الميدانية :

١ — تنتشر ظاهرة التدخين بين نسبة عالية (٤٣٪) مـن طالبات جامعة الموصل لاسيما في العام ١٩٨٥ / ١٩٨٦ حيث تزيد النسبة على نصف العينة .. وتعد ظاهرة التدخين من العادات السلوكية المتأصلة لدى اكثر من ربع العينة وتتجاوز ذلك الى اكثر من النصف في العام ٨٧ / ١٩٨٨ مما يدفع الى الأستنتاج بان الظاهرة تزداد ترسخاً في سلوك الطالبات ويدعم هذا الترسخ ان (٢٥٪) من الطالبات لم يستطعن الأقلاع عن التدخين وهن في الغالب من طالبات العام الدراسي ٨٧ / ١٩٨٨ .

٢ — اهم مبررات التدخين عند الطالبات هو الأحساس بالحاجة له اما اسبابه من وجهة نظر الطالبات فهي غالبا المصاعب الدراسية ثم المشكلات المعاشية والبعد عن الأهل اما اسباب عدم القدرة على الأقلاع عن التدخين فهو الأختلاط وعدم القدرة على ضبط النفس وكذلك البعد عن الأهل وبالمقابل كانت الأسباب هي العامل الرئيسي لترك التدخين.

٣ — لم تظهر العوامل الأقتصادية تأثيراً واضحاً في علاقتها بظاهرة التدخين بين الطالبات وذلك لصعوبة الحصول على بيانات عن معايير دقيقة عن العوامل الأقتصادية فمقدار دخل الطالبة لايمكن الأعتماد فيه على استمارة البحث وكذلك دخل الأسرة (من الأسئلة التي فشلت في اختبار استمار البحث) كما ان مصدر الدخل لايمكن ان يعبر بدقة عن المدخلات وكذلك مهنة الوالدين لايمكن ان تعبر عن مدخولات الأسرة.وكل ذلك جعل المتغيرات الأقتصادية غير ثابتة في علاقتها مع ظاهرة التدخين .

٤ — اظهرت بعض العوامل الأجتماعية علاقة معنوية واضحة واحصائية مع ظاهرة التدخين وبشكل خاص موقف العائلة مـن التدخين فقـد كانت نسبة الطالبـات المدخنات (٧٧٪) في العوامل الأيجابية من التدخين مقابل (٣٦٪) في العوامل السلبية منه ... كما كان البعد عـن الأهل سببا لارتفاع نسبة المدخنات فهي (٨٧٪) من الساكنات في الأقسام الداخلية او الغرف المؤجرة مقابل (٦٢٪) مـن غير المدخنـات ... ومايؤكد اهمية البيئة الأجتماعية خاصة الرقابة والتوجيه الأسري في التوجه للتدخين ان (٧٠٪) من المدخنات، تعلمن التدخين بعد الألتحاق بالجامعة ..وكل ذلك يؤكد اهمية العوامل الأجتماعية وبشكل خاص مسألة التنشئة اوالتطبيع الأجتماعي في انتشار ظاهرة التدخين بين طالبات الجامعة.

٥ — الأعداد الثقافي كان ايضاً من العوامل ذات التأثير الواضح في انتشار ظاهرة التدخين فالطالبات الريفيات اقل ميلا من الحضريات للتدخين ... والأسرة المتعلمة بمستوى جامعي (للأبوين) والأسرة المنخفضة التعليم اقل صرامة من الاسرة المتوسطة التعليم في الموقف من تدخين البنات ، كما كانت الصداقة أحد المصادر الرئيسية لتعلم التدخين .. ولذلك تعد البيئة الثقافية من المتغيرات ذات التأثير في توجه الطالبة نحو التدخين .

ثانياً : المقترحات :

اعتماداً على النتائج الانفة الذكر نقترح الاتي :

(آ) بالنظر لاهمية الموضوع وخطورته على المستويات الأجتماعية والصحية والأقتصادية والتربوية فان مؤشرات هذا البحث حول ارتفاع نسبة المدخنات تستدعي اهتماما اكبر بهذه الظاهرة واسبابها وبشكل خاص للباحثين التربويين والأقتصاديين وللمؤسسات الصحية والأجتماعية لذا نرى ضرورة التنسيق بين هذه الجهات لاستكمال المسوح الميدانية عن مدى انتشار ظاهرة التدخين بين الطالبات ثم بين النساء (لاسيما الأمهات) للتعرف على المتغيرات الرئيسية لها ومن ثم تقديم بدائل علاجية مناسبة ... وبهذا الصدد نقترح الأتي :—

١ — لوزراء الصحة الاعلان عن مسابقة لأجراء بحوث ميدانية عن اضرار التدخين وكذلك سبل الأقلاع عنه .

٢ — لوزراء العمل والشؤون الأجتماعية الأعلان عن مسابقة لاجراء بحوث ميدانية عن اسباب التدخين .

٣ — لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي توجيه الباحثين ومراكز البحوث ووسائل الدراسات العليا لدراسة هذه الظاهرة .

٤ — لوزارة التجارة تشجيع البحوث التسويقية لكشف انماط الأستهلاك وتوجيهاته لسلعة السكائر .

٥ — لوزارة الأعلام وبالتعاون مع وزارة الصحة والباحثين في مجال الأعلان والتسويق تقديم مؤشرات ومقترحات حول سبل التوعية ضد التدخين واستخدام الوسائل الأعلامية وتقنيات الأعلان المضاد للحد من انتشار هذه الظاهرة .

٦ — تكثيف التوعية وزيادة الضوابط والمحددات على المدخنين خاصة في الأماكن

العامة والأجتماعات على ان تتبنى المنظمات الشعبية جانبا من مستلزمات هذه التوعية .

(ب) اكدت نتائج البحث اهمية بعض المتغيرات ، خاصة الأجتماعية والثقافية بما يفرض ان تكون هذه المتغيرات في مقدمة العوامل التي تؤخذ بنظر الأعتبار عند اجراء البحوث والدراسات للتأكد من دورها وكذلك للوصول الى كيفية الأفادة منها في الحد من ظاهرة التدخين مع اهمية اخذها بنظر الأعتبار في حملات التوعية والوسائل المستخدمة لها .

(ج) أظهرت النتائج عدم وضوح العلاقة بين العوامل الأقتصادية وظاهرة التدخين وهذا يفرض اهتماما اكبر وتوجهاً اعمق في البحوث للتأكد من طبيعة العلاقة بين المتغيرات الأقتصادية وصولا لفهم اوضح للمتغيرات المحددة ذات العلاقة بظاهرة التدخين .



مصادر البحث

المصادر العربية :

١ــ د.ف سويفت « اجتماعيات التربية» ترجمة محمد سمير حسانين . مؤسسة سعيد للطباعة بطنطا ، ١٩٧٧ .

٢ ــ سيد احمد عثمان « علم النفس الأجتماعي التربوي » ، ج٢ (المسايرة والمغايرة) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤ .

٣ ــ كوردهارد واخرون « مشاهدو التلفزيون وانماط المشاهدة » ، مقال مترجم ــ مجلة البحوث ــ اتحاد اذاعات الدول العربية ــ المركز العربي للبحوث في بغداد ، العدد ١٥ ــ ١٩٨٥ .

٤ ــ لويس كامل مليكة « الجماعات والقيادة في قرية عربية » ، مركز تنمية المجتمع في العالم العربي ، سرس الليان ، ١٩٦٣ .

المصادر الأجنبية :

1. Come/W.E./ "Indraductry Sociology", N.Y., Dauid Mckay Co., Inc., 1962.
2. Marketing Magazine, Vol. 21, No. 9, May, 1985.
3' Medical Digest, Vol.7. No.3, March, 1981.

أتابكية سنجار وعلاقاتها السياسية مع أتابكية الموصل والأيوبيين

٥٦٦ – ٦١٧هـ / ١١٧٠ – ١٢٢٠م

علاء محمود خليل قداوي

كلية الهندسة / جامعة الموصل

المقدمة :

لعبت بلاد الجزيرة الفراتية دوراً مهماً على مسرح الاحداث في التأريخ العربي الاسلامي منذ مطلع القرن الاول الهجري، نظراً لاهميتها من الناحية السياسية والاقتصادية والجغرافية، وازدادت هذه الاهمية بعد ضعف الدولة السلجوقية ، وقيام دويلات عديدة فيها تمثلت بأتابكيات الجزيرة والشام .

ومن هذه الاتابكيات اتابكية سنجار التي كانت طرفاً في الصراع السياسي بين دول منطقة الجزيرة الفراتية والشام بحكم موقعها الجغرافي بين الموصل والشام واهميتها الاقتصادية والبشرية. وقدمت اسهامات سياسية وعسكرية لصلاح الدين الايوبي في جهوده لتحقيق الوحدة من خلال وقوفها الى جانبه في اغلب الاحيان ضد القوى المعادية له ، كما انها قامت بجهد عسكري مشرف في التصدي للغزاة الافرنج الى جانب القوى العربية الاخرى.

تناولت هذه الدراسة الموضوعات التالية :–

أولا – سنجار قبل العهد الاتابكي

ثانياً – ظهور اتابكية سنجار (ونشاطها السياسي والعسكري)

١ ــ دور سنجار في النزاع بين سيف الدين غازي وصلاح الدين الايوبي

٢ ــ التنافس بين عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعز الدين مسعود صاحب الموصل على حلب وموقف صلاح الدين الايوبي منهم .

٣ ــ دور سنجار في التصدي لغزو الافرنج على بلاد الشام .

٤ ــ النزاع بين قطب الدين محمد صاحب سنجار ونور الدين أرسلان صاحب الموصل وموقف الملك العادل منهم .

٥ ــ دور الملك العادل في انهاء التحالف بين قطب الدين محمد ونورالدين ارسلان سنة ٦٠٠هـ

٦ ــ مساهمة عساكر سنجار في الجهاد ضد الافرنج مع الملك العادل الايوبي.

٧ ــ اتفاق نور الدين ارسلان والملك العادل على اقتسام سنجار سنة ٦٠٦هـ

ثالثاً ــ نهاية حكم اسرة زنكي في سنجار .

أولاً ــ سنجار قبل العهد الاتابكي :

سنجار مدينة تقع في وسط برية ديار ربيعة من بلاد الجزيرة الفراتية بقرب جبل ينسب اليها ويقع الى الشمال منها (١) وللمدينة موقع جغرافي مهم جعل منها حلقة وصل بين بلاد الشام والموصل، وكثيراً ماكانت تتعرض للغزو والسيطرة خلال تقدم القوات من الموصل نحو الشام أو العكس ،لذا كانت سنجار محط انظار الروم والفرس على حد سواء،وكانت قبل فتحها من قبل العرب المسلمين خاضعة لنفوذ الروم.وحدث اثناء الفتح العربي الاسلامي لمنطقة الجزيرة الفراتية ان تعرضت سنجار للغزو من قبل الفرس في عهد كسرى المعروف بأبرويز الذي كان قد أرسل قوة من جنده لاحتلالها ، وتمكن هؤلاء من دخولها والتحصن فيها (٢) .

وعندما فرغ العرب المسلمون بقيادة عياض بن غنم من فتح شمال الجزيرة الفراتية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) توجه بقواته لإستكمال فتح باقي مناطق الجزيرة

(١) ابن حوقل ،ابو القاسم : صورة الارض: ١٩٩ منشورات مكتبة الحياة، بيروت . أبو الفداء، عماد الدين أسماعيل: تقويم البلدان :٢٨٣، باريس ١٨٤٠م .

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان: ق١/٢١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،١٩٥٦م.

فبعث جزءاً من قواته نحو سنجار ،وتمكنت هذه القوة من فتحها وطرد الفرس منها ، واسكن عياض فيها قوماً من العرب، والحق تبعيتها الادارية لإقليم ديار ربيعة والموصل(١)

وفي بداية القرن الرابع الهجري تمكن الحمدانيون من تأسيس امارة في الموصل (٢) توسعت حدودها حتى شملت مدن اخرى في اقليم الجزيرة ومنها سنجار اذ تمكن اميرهم حمدان بن ناصر الدولة من ضمها الى امارته سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م (٣)

بقيت سنجار تابعة لحكم الحمدانيين ومن بعدهم العقيليين ، حتى تمكن السلاجقة على يد قوام الدولة ابي سعيد كربوقا السلجوقي من انهاء نفوذ بني عقيل عن الموصل والجزيرة سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م (٤) . اما عن تبعية سنجار الادارية بعد زوال حكم بني عقيل عنها، فإنها بقيت خاضعة للموصل حتى سنة ٥٠٢هـ ، اذ تمرد صاحب سنجار في هذه السنة على جاولي سقاوو صاحب الموصل . فماكان من الاخير الأن حاصرها مدة .فلم يتمكن من فتحها ، فطلب من صاحبها الصلح ، فلم يجبه ، فإنصرف عنها (٥)وبإنصرافه عنها انهت سنجار تبعيتها للموصل وتولى حكمها امراء محليون منهم تمريك الذي استمر حكمه لها حتى تمكن اق سنقر البرسقي صاحب الموصل سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م من انتزاع سنجار من تمريك وضمها للموصل (٦)

بقي أق سنقر يحكم الموصل وسنجار الى ان قتل في الموصل سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م فتولى ابنه عزالدين مسعود حكم هذه البلاد حتى وفاته سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م ، فإنتقل الحكم بعده الى عماد الدين زنكي بن أق سنقر البرسقي مؤسس دولة الاتابكة في الموصل(٧)

(١) البلاذري: فتوح البلدان ق١/ ٢١٠، ابن شداد، عزالدين محمد بن علي: الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة :ف١ حـ٣/ ١٥٤ ،تحقيق يحيى عبارة، دمشق، ١٩٧٨م .

(٢) زامباور: معجم الانساب والاسرات الحاكمة: ٢٠١، أخرجه زكي محمد وأخرون دار الرائد العربي ، بيروت.

(٣) أبن الاثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد: الكامل في التأريخ ٣٣/٧دار الفكر بيروت، ١٩٧٨م

(٤) ابن الاثير الكامل: ١٥٧/٧، ١٣٧/٨، ١٨٠

(٥) ابن الاثير :الكامل: ٢٥٣/٨

(٦) ابن الاثير: التأريخ الباهر في الدولة الاتابكية: ٢٤، ٣١-٣٢، تحقيق عبد القادر طليمات ،دار الكتب القاهرة أبن شداد :الاعلاق الخطيرة: قٱ حـ٣/ ١٦٥

(٧) أبن الاثير الباهر: ٢٤،٣١-٣٢. أبن العبري، غريغوريوس الملطي: تأريخ مختصر الدول: ٢٠٢- ٢٠٣ ،بيروت ١٩٥٨م

شرع عماد الدين زنكي بعد ان استقر مقامه بالموصل في حشد الطاقات وتوحيد القوى للوقوف بوجه التحدي الافرنجي الذي كان قد تزايد في تلك الفترة، لذلك وجه اهتمامه نحو المدن المجاورة التي تمردت على حكمه لها لاخضاعها لسيطرته كي لاتشغله عن مجابهة الافرنج في بلاد الشام، فضلا عن الاستعانة بطاقاتها البشرية والاقتصادية في هذه المجابهة، فبدأ بجزيرة ابن عمر وضمها اليه، ثم اخضع نصيبين ،وتقدم بعد ذلك نحو سنجار، فامتنع اهلها عليه مدة ثم صالحوه وسلموا المدينة اليه ثم ضم الخابور وحران سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م بعد ذلك وجه اهتمامه نحو بلاد الشام فملك حلب سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م وحماه سنة ٥٢٣هـ وحمص وبعلبك وبعض المدن الاخرى فيها سنة ٥٣٤هـ لتكون نواة لدولته الجديدة (١) .

ساهمت سنجار بدور فاعل في تمكين عماد الدين من تنفيذ سياسته في مجابهة الافرنج وضرب القوى التي تقف في طريق تحقيق هدفه. فكانت تغذي عسكره بالجند وبالمؤن والمعدات ، خاصة المواد الغذائية ، نظراً لوفرة انتاجها الزراعي والاعلاف (٢) فضلا عن موقعها الجغرافي المهم الذي اتاح لعماد الدين ان يتخذها قاعدة متقدمة لعسكره لينطلق منها لضرب قوى الافرنج في بلاد الجزيرة ومنها امارة الرها التي تمكن عماد الدين من الاستيلاء عليها سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م وهي اول ثغرة تنفذ منها العرب المسلمون الى غيرها من القلاع والمدن العربية التي كانت تحت سيطرة الافرنج . (٣)

لم يكتف عماد الدين بفتح الرها بل عول على انتزاع اعمالها فسار الى سروج وتمكن من فتحها، وفي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م واثناء حصاره لقلعة جعبر قتل فجأة على يد أحد مماليكه ويسمى برنقش الخادم . وبمقتله انقسمت دولته بين ولديه سيف الدين غازي الذي حكم الموصل واعمالها وبضمنها سنجار ، ونور الدين محمود الذي حكم حلب (٤) .

---

(١) ابن الاثير: الكامل: ٨/ ٣٢٤–٣٢٥. الباهر ٣٨. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم :مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ٣٤/١–٣٦ تحقيق جمال الدين الشيال ، مصر ١٩٥٣م.

(٢) ابن شداد: الاعلاق الخطيره: ق٣ ح٣/ ١٥٥

(٣) البنداري، الفتح بن علي : تأريخ دولة ال سلجوق: ١٨٧، ط٢، دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٨م. حبشي ، حسن: نور الدين والصليبيين: ٣٧–٣٨، القاهرة ١٩٦٨م .

(٤) ابن الاثير :الكامل ٩/ ٩ . البنداري: تأريخ دولة ال سلجوق: ١٨٦ – ١٨٧ . الكتبي محمد بن شاكر : عيون التواريخ :١٢/ ٣٨٥، ٤٠٧، تحقيق فيصل السامر دار الحرية بغداد ١٩٧٧م .

وأول عمل قام به سيف الدين بخصوص سنجار هو نقل خزائن الموصل اليها ليحفظها فيها نظراً لمناعة قلعتها ، وولاء اهلها له، كما انه عزل واليها يلمان ، وعين بدلا منه المقدم شمس الدين محمد عبد الملك الديلمي (١) .

أظهر والي سنجار المقدم شمس الدين الرغبة في انضمام سنجار الى حلب ، بعد وفاة سيف الدين وتولي أخيه قطب الدين مودود حكم الموصل ، نظراً لما كان يكنه شمس الدين من مودة لنور الدين صاحب حلب لكونه أكبر سناً من أخيه قطب الدين ، فضلا عن رغبة الوالي في ان يستحوذ على شيء من خزائن الموصل الموجودة في سنجار لقاء تسليم سنجار لنور الدين : لذلك كاتب شمس الدين نور الدين يستدعيه للاستيلاء على سنجار ، وانتزاعها من صاحب الموصل (٢) .

لقي مطلب والي سنجار استجابة لدى نور الدين ، الذي كان يتطلع لضم سنجار اليه ليتخذها قاعدة لعساكره بحكم موقعها بين حلب والموصل ، والاستفادة منها في تسهيل مهمة تنقل عساكره بين حلب وبلاد الجزيرة ، ورغبة منه في استغلال مواردها الاقتصادية وما فيها من اموال وذخائر لينفقها في حروبه ضد الافرنج (٣) .

أثار تسلم نور الدين سنجار حفيظة اخيه قطب الدين صاحب الموصل الذي عد عمل نور الدين اعتداءاً مباشراً على املاكه ، باعتبار سنجار من اعماله ، لذلك تجهز قطب وخرج بعساكره نحو سنجار وعند وصوله تلعفر ، ارسل لنور الدين يتهدده ويتوعده ان لم يرحل عن سنجار (٤) .

استعد نور الدين للمواجهة ، وادرك قطب الدين انه لن يستطيع انتزاع سنجار منه لميل عسكر قطب الدين الى جانبه . ويبدو ان قطب الدين ادرك هذه الحقيقة ، لذلك خاف عاقبة الامر فأرسل الى اخيه في طلب الصلح ، فأجابه ، وتقرر الصلح الذي تضمن تنازل قطب الدين عن حمص والرحبة والرقة لنور الدين مقابل اعادة سنجار له ، وبذلك تحسنت العلاقة بين الأخوين .

---

(١) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: ق١ ج٣/ ١٦٧- ١٦٨

(٢) ابن الاثير الكامل: ٩/ ٢٤. الباهر ٩٥ ، ٩٨. ابن شداد : الاعلاق الخطيرة : ق١ج٣/ ١٦٩

(٣) التكريتي محمود ياسين: الايوبيون في شمال الشام والجزيرة: ٤٩ دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨١ م.

(٤) ابن الاثير :الباهر : ٩٦. أبن العديم، كمال الدين ابو القاسم: زبدة الحلب من تأريخ حلب: ٢٨٩/٢، تحقيق سامي الدهان ،دمشق ١٩٥٤م

ثانياً- ظهور اتابكية سنجار (ونشاطها السياسي والعسكري) :-

في شوال سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م توفي قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل، وكان قد أوصى بالملك بعده لولده عماد الدين زنكي وهو أكبر أولاده« واعزهم عليه واحبهم اليه» ،الا أن نائبه فخر الدين عبد المسيح الذي كان يكره عماد الدين ،لانه كان قد أكثر المقام عند عمه نور الدين محمود صاحب حلب وخدمه وتزوج ابنته ، وكان نور الدين يبغض فخر الدين لظلم فيه ،ويذمه ويلوم أخاه قطب الدين على توليته الامور ، فخاف فخر الدين ان يتصرف عماد الدين في أمور الحكم بأمر عمه نور الدين ، فيعزله ويبعده عن منصبه ،لذلك أتفق فخر الدين مع زوجة قطب الدين على عدم تمكين عماد الدين في ملك ابيه ،وتمكنا من طرده ، وتعيين أخيه سيف الدين بن قطب الدين مكانه(١) .

لم يستسلم عماد الدين لهذا الامر ،فرحل الى عمه نور الدين شاكياً له ومستنصراً به ليعينه على أخذ الملك لنفسه بأعتباره أحق بالولاية من أخيه سيف الدين . فلبى نور الدين نداءه وقال «أنا أولى بتدبير بني أخي وملكهم.» (٢) لذلك اسرع نور الدين بما اجتمع معه من عساكر وعبر الفرات في شهر محرم سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م وقصد املاك ابن أخيه سيف الدين بن قطب الدين وبعد أن تمكن من أخضاع اعمال ابن أخيه (٣) ، سار نحو الموصل ،وتمكن من دخولها، وأقر صاحبها سيف الدين على الموصل ، وعزل نائبه فخر الدين عبد المسيح وعين بدلا منه سعد الدين كمشتكين (٤) . اما سنجار فكان قد اخذها وهو في طريقه لحصار الموصل ، بعد ان حاصره واقام عليها المجانيق فإستسلمت له المدينة ،ودخلها واعطاها لابن اخيه عماد الدين زنكي الذي كان يرافقه ، وكان ذلك سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م وبذلك اصبحت سنجار امارة مستقلة عن اتابكية الموصل (٥) ، وهكذا خرجت سنجار من التبعية الادارية للموصل .

---

(١) ابن الاثير: الباهر: ١٤٦، ١٥٢. الكامل: ٩/ ١٠٧، أبن واصل : مفرج الكروب ١/ ١٨٨، ١٩٠/ ١٩١

(٢) ابن الاثير: الباهر: ١٥٢، أبن الوردي، زين الدين عمر: تأريخ أبن الوردي ٢/ ١١١ النجف ١٩٦٩ م .

(٣) ابن الاثير: الباهر: ١٥٢. ابن واصل، مفرج الكروب: ١/ ١٩١- ١٩٣

(٤) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١١٠. ابو شامة، شهاب الدين محمد عبد الرحمن : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية: ١/ ١٨٨، دار ، الجليل بيروت .

(٥) ابن الاثير الباهر: ١٥٢. ابن العديم: زبدة الحلب: ٢/ ٣٣٢. زامباور: معجم الانساب: ٣٤١

دور سنجار في النزاع بين سيف الدين غازي وصلاح الدين الايوبي :-

شاب العلاقة بين عماد الدين زنكي صاحب سنجار واخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل الحذر ، اذ كان عماد الدين يتوجس خيفة من اطماع سيف الدين في ملكـــه ، خاصة بعد تمكن سيف الدين على أثر وفاة نور الدين سنة ٥٦٩هـ /١١٧٣م، من استعادة جميع البلاد التي كان نور الدين اخذها منه سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م (١) عدا سنجار .

وحدث عقب وفاة نور الدين ان تمكن صلاح الدين الذي كان نائباً لنور الدين فـــي بلاد مصر ان يستولي على حمص وحماه وبعلبك (٢). عند ذاك تجلت الاخطار لصاحب حلب الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الذي ارسل الى ابن عمه سيف الدين وفداً يطلب امداده بعسكر الموصل لمواجهة صلاح الدين الذي تقدم بعسكره نحو حلب (٣).

لم يتردد سيف الدين غازي في أغتنام هذه الفرصة لقصد حلب وضمها لملكه ، فبادر الى جمع عسكره. وارسل الى اخيه عماد الدين زنكي صاحب سنجار يطلب منه تجهيز عساكره والاجتماع به لقتال صلاح الدين. ولم يكن صلاح الدين قد فاته التفكير مقدماً بما ينوي عليه سيف الدين. فسبقه الى الاتصال بعماد الدين زنكي، والاتفاق معه علــى معارضة اخيه سيف الدين، واطمعه بتوسيع رقعة املاكه بأعتباره كبير البيت الاتابكي واحق من اخيه في حكم ممتلكات آل زنكي .

لاقت هذه الدعوة قبولا حسناً لدى عماد الدين الذي كان يعد نفسه الوارث الشـرعي لاتابكية الموصل بعد أبيه قطب الدين، واعلن امتناعه عن اجابة سيف الدين لمقـاتلـــة صلاح الدين (٤) .

ازاء هذا الموقف المعادي له من جانب عماد الدين ، أضطر سيف الدين أن يوجه أخاه عز الدين مسعود على رأس جيش كبير الى حلب، (٥) اما هو فقد سار بما تبقى من عسكره

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف: مرآة الزمان في تأريخ الاعيان : م٨ ج١/ ٣٢٥، ط١، دائرة المعارف العثمانية، الدكن ١٩٥١م

(٢) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٣١-١٣٢. ابن شداد، بهاء الدين: سيرة صلاح الدين: ٥٠ تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، القاهرة ،١٩٦٢م.

(٣) ابو شامة: الروضتين: ٢٤٩/١

(٤) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٣٣. الجميلي ، رشيد: دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين :١١٨، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.

(٥) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٣٣. ابن شداد: سيرة صلاح الدين :٥٠

الى سنجار فحاصرها في رمضان سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م (١) واثناء حصاره لها وصلته أخبار انهزام عسكره على حلب امام جيش صلاح الدين، عند ذاك خشي ان تقوى عزيمة عماد الدين وجنده ، فبادر الى مصالحته ورفع الحصار عن سنجار ، بعد أن كان سقوطها قاب قوسين أو أدنى(٢) وبذلك يكون عماد الدين قد أسدى خدمة كبيرة لصلاح الدين عندما وقف بجانب صلاح الدين ضد سيف الدين، مما دفع الاخير الى شطر جيشه في مجموعتين لمواجهة الطرفين الامر الذي مكن صلاح الدين من الحاق الهزيمة بعسكر الموصل في حلب . ومما تجدر الاشارة اليه اننا لانجد في المصادر المتوفرة لدينا مايشير الى قيام صلاح الدين بمكافأة عماد الدين بتوسيع املاكه لقاء وقوفه الى جانبه ويعزى ذلك الى ان صلاح الدين لم يستغل انتصاره على عسكر الموصل على حلب في الاستيلاء على أعمال الموصل لكي يكافيء بها صاحب سنجار .

التنافس بين عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعزالدين مسعود صاحب الموصل على حلب وموقف صلاح الدين الايوبي منهم :-

في ٣ صفر سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م توفي سيف غازي صاحب الموصل ، وكان قد عهد بملكه الى اخيه عز الدين مسعود لما اتصف به من شجاعة وتعقل (٣).

وحدث في السنة الاولى من حكمه ان اوصى الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين صاحب حلب تسليم حلب بعد وفاته الى ابن عمه عزالدين مسعود ، واستحلف امراءه واجناده على ذلك (٤) .

وبموجب هذه الوصية تسلم عزالدين حلب ،بعد وفاة الملك الصالح اسماعيل سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م (٥)

لقي خبر تسلم عز الدين حلب الاستياء من عماد الدين زنكي صاحب سنجار الذي رأى أنه أولى من أخيه عز الدين في ملكها ،لذلك ارسل الى عز الدين يطلب منه ان يعطيه حلب ويأخذ سنجار بدلا منها ،فرفض عز الدين هذا الطلب، فما كان من عماد الدين الا أن

(١) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١٣٣. ابن الوردي : تأريخ ابن الوردي : ٢/ ١٢١
(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: م٨ق١/ ٣٣٢، ابن واصل: مفرج الكروب :٢/ ٣١، ٣٧
(٣) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١٥٠. ابن العبري: تأريخ مختصر الدول: ٢١٨
(٤) ابن الاثير: الباهر: ١٨٢. ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء: البداية والنهاية في التأريخ ١٢/ ٣٠٩ مطبعة السعادة ، مصر.
(٥) ابن كثير البداية والنهاية: ١٢/ ٣٠٩

هدد عز الدين بتسليم سنجار الى صلاح الدين إن لم يسلمه حلب (١) .

امام هذا التهديد استجاب عز الدين الى طلب عماد الدين لتخوفه من ان ينفذ عماد الدين الذي كان يميل الى صلاح الدين- تهديده ويسلم سنجار الى صلاح الدين فتصبح الموصل والجزيرة تحت حكمه .

وبناءاً على ذلك تسلم عماد الدين زنكي حلب مقابل أخذ عزالدين سنجار (٢) وهكذا عادت سنجار واصبحت ثانية مدينة تابعة لاتابكة الموصل .

أظهر صلاح الدين الايوبي الرغبة في ضم الموصل اليه ، بعد ان بلغه ان صاحبها عز الدين مسعود اتصل بالافرنج يحثهم على قتاله ويحرضهم على مهاجمة املاكه ليشغلوه عن قصد بلادهم (٣) لذلك قام بمحاولة الاستيلاء على الموصل،واسقاط الحكم الاتابكي فيها، فحاصرها في شهر رجب سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م الاانه لم يوفق في أخذها لمناعة اسوارها،عندها قرر رفع الحصار ،مقتنعاً ان طريق اخذ الموصل يتم عن طريق أخذقلاعها(٤) فتوجه نحو سنجار في ١٦ شعبان سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م لإخذها ،فنزل عليها وحاصرها امتنع متولي سنجار شرف الدين امير اميران هندو أخو عز الدين مسعود من تسليم سنجار الى صلاح الدين بالأمان ، فاضطر صلاح الدين التضييق عليها حتى تمكن من دخولها بعد ان ملك احد ابراجها ، فاضطر شرف الدين الى طلب الامان ،فأمنه صلاح الدين ورحله مع من معه الى الموصل (٥).

رتب صلاح الدين سنجار بعد فتحها حيث استناب بها سعد الدين بن معين الدين أنر وولى القضاء بها لنظام الدين بن المظفر محمد بن يعقوب ، واسقط ماكان بها من مكوس وضرائب غير شرعية (٦) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٥٤. الغساني ،ابو العباس اسماعيل: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: ١٨٣ تحقيق شاكر محمود، بغداد، ١٩٧٥م

(٢) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١٥٤. ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ٥٥-٥٦

(٣) ابن شاهنشاد، محمد بن تقي الدين مضمار الحقائق وسر الخلائق: ٩٦، تحقيق حسن حبشي القاهرة ١٩٦٨م

(٤) ابن شداد :سيرة صلاح الدين: ٥٧

(٥) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١٥٨-١٥٩. ابن واصل: مفرج الكروب: ٢/ ١٢٣

(٦) ابوشامة الروضتين: ٢/ ٣٣. ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق: ١١١

اضحت سنجار مدينة تابعة لصلاح الدين حتى سنة ٥٧٩/١١٨٣م. اذ حدث في هذه السنة ان حاصر صلاح الدين حلب، وكانت لعماد الدين زنكي، ولم يكد صلاح الدين يحاصرها حتى ارتبك عماد الدين وارسل رسولا اليه لاقرار شروط الصلح بينهما، فتم ذلك ،وكانت شروط الصلح تقضي ان يتسلم صلاح الدين حلب من عماد الدين ،ويسلمه عوضاً عنها سنجار ونصيبين والرقة وسروج والخابور ،وان يباشر عماد الدين خدمـــة صلاح الدين متى دعاه لمقاتلة الغزاة الأفرنج (١) .

دور سنجار في التصدي لغزو الافرنج على بلاد الشام :—

كان من شروط الصلح الذي عقد بين عماد الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩هـ — ١١٨٣م ان تعهد عمادالدين في المشاركة في الجهاد الذي قاده صلاح‌الدين ضد الأفرنج في بلاد الشام . وقد وفى عمادالدين بهذه الشروط ، وحضرت عساكره معظم الحروب التي وقعت للفترة مابين ٥٨٤ — ٥٨٦هـ/ ١١٨٧ — ١١٩٠م .

ففي اوائل سنة ٥٨٤هـ بلغ صلاح‌الدين الأيوبي وصول عساكر سنجار تحت قيادة صاحبها عمادالدين زنكي بقصد الجهاد . وكان اول عمل ساهمت فيه عساكر سنجار هو اشتراكها في فتح انطرطوس ، حيث رتب صلاح‌الدين جيشه ميمنة وميسرة وقلب، وكان على رأس الميمنة عمادالدين زنكي الذي ابدى دوراً فعالا في عملية فتح انطرطوس وتهديم سور المدينة وغنم العسكر جميع مابها . كما شارك في فتح قلعة برزية ،وهي قلعة حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل (٢) .

وساهمت عساكر سنجار في الدفاع عن عكا ، فاشتركت في معركة يوم الحادي والعشرين من شعبان سنة ٥٨٥هـ /١١٨٩م ، وكان مجاهدالدين يرنقش مقدم عساكر سنجار على رأس ميسرة عسكر صلاح الدين (٣) وتمكن ومن معه من عسكر المسلمين التصدي لعسكر الأفرنج ، وعلى الرغم من ان معركة يوم الحادي والعشرين من شعبان احدثت خسائر كبيرة بجيش المسلمين والأفرنج دون ان يتمكن احد الطرفين تحقيق الغلبة على الإخر ، فان خسائر ميسرة عسكر صلاح‌الدين التي كان فيها عسكر سنجار ، كانت قليلة قياسا لقلب الجيش وميمنته (٤) .

(١) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١٦٢، ابن تغري بردى، ابو المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦/ ٢٩ مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ٨٨،٩٢-٩٣. ابو الفداء: المختصرفي أخبار البشر: ٣/ ٧٤ المطبعة الحسينية المصرية. ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٩.

(٣) ابو شامة الروضتين: ٢/ ١٤٤

(٤) ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ١٠٩-١١٥ ابوشامة: الروضتين: ٢/ ١٤٤- ١٤٨

وعندما بلغ صلاح الدين وهو على عكا ان فردريك بربروسا ملك المانيا يقود حملة صليبية مستهدفة بلاد الشام عن طريق القسطنطينية(١) ، اسرع في ارسال سفرائه الى بلاد الجزيرة الفراتية يطلب من ملوكها النجدة للتصدي لهذه الحملة ، وكان من جملة من ارسل اليهم يستدعيهم بعساكره صاحب سنجار عمادالدين زنكي الذي لبى هذه الدعوة ، وحضر عند صلاح الدين في الثاني والعشرين من ربيع الأخر سنة ٥٨٥هـ « بعسكر تام ولقيه السلطان بالاحترام والتعظيم ، ورتب له العسكر في لقائه فكان اول من لقيه قضاته وكتابه ، ثم لقبه اولاده بعد ذلك . ثم لقيه السلطان ، ثم سار به حتى اوقفه على العدو وعاد معه الى خيمته وانزله عنده .. وقدم له من التحف واللطائف مالا يقدر عليه غيره ، وكان قد اكرمه بحيث طرح له طراحة مستقلة الى جانبه » (٢) .

واثنى المؤرخ بهاء الدين بن شداد (٣) على عساكر سنجار التي لعبت دوراً بارزاً في الأستبسال والدفاع عن عكا ، وكان صلاح الدين يثق ببسالة عمادالدين زنكي وجنده الذين كانوا « يقاتلون قتالا شديداً ويعطون الجهاد حقه » كما حدث ذلك في المعارك التي وقعت حول عكا للفترة من ١١ شوال لغاية ١٤ منه سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠ م حيث اوقع جند المسلمين بالغزاة الأفرنج خسائر فادحة .

وبعد معارك شوال قفل عمادالدين راجعاً الى بلاده باذن من صلاح الدين ، بعد ان كافأه صلاح الدين على مابذله من جهد ومشاركة في الجهاد ، فافاض عليه مع ابن اخيه سنجرشاه من التشريف والأنعام والتحف مالم ينعم به على غيرهما (٤) .

وبعد عودته لم يتخل عن مساعدة صلاح الدين في التصدي للافرنج على عكا ، اذ ارسل في جمادى الأخر سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م مقدم عساكره مجاهد الدين يرنقش على راس عساكر سنجار ، وبقي يرنقش مع صلاح الدين حتى سقوط عكا سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م (٥) وقد وفّى عمادالدين بجميع التزاماته تجاه صلاح الدين والمسلمين في الجهاد ضد الأفرنج

---

(١) ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ١١٥. ابو شامة: الروضتين: ٢/١٥٣
(٢) ربن شداد: سيرة صلاح الدين: ١٢١.ابوشامة: الروضتين: ٢/١٥٣
(٣) سيرة صلاح الدين: ١٤٧- ١٥٠
(٤) ابن شداد: سيرة صلاح الدين :١٥٢
(٥) ابو شامة: الروضتين: ٢/ ١٨٦. ابن الفرات، ناصر الدين محمد: تأريخ ابن الفرات : م٤ ح٢/ ١١ دار الطباعة الحديثة ،البصرة ١٩٦٩م

لذلك يقول عنه سبط ابن الجوزي (٥) بانه « كان عاقلا جواداً .. ولم يزل مع السلطان صلاح الدين في غزواته مجاهداً .. وكان السلطان يحترمه مثلما كان يحترمه نورالدين ويعطيه الأموال والهدايا والتحف الكثيرة » .

النزاع بين قطب الدين محمد صاحب سنجار ونور الدين ارسلان صاحب الموصل وموقف الملك العادل الايوبي منهما :-

توترت العلاقة بين نورالدين ارسلان شاه / الذي تولى حكم الموصل بعد وفاة والده عزالدين مسعود سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣ م - وعمه عمادالدين زنكي بسبب استيلاء نواب عماد الدين على نصيبين على بعض القرى من اعمال الموصل سنة ٥٩٤ / ١١٩٧م فما كان من نورالدين الا أن ارسل الى عماد الدين يهدده ويطلب منه استرجاع ماكان نوابه قد سيطروا عليه من املاكه (٢) .

لم يمتثل عماد الدين لهذا التهديد وكان جوابه لنورالدين بان نوابه لم يفعلوا الا بما امرهم به ، فأغاض هذا القول نورالدين وعزم على اخذ نصيبين التي كانت من اعمال سنجار رداً على ماقام به نواب عمادالدين ، واثناء تجهزه لذلك توفي عمادالدين زنكي في محرم سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م . (٣)

خلف عماد الدين على اتابكية سنجار ابنه قطب الدين محمد وقام بتدبير امور دولته مملوك ابيه مجاهد الدين برنقش (٤) . وما ان سمع قطب الدين بعزم نورالدين على التوجه بعساكره الى نصيبين حتى اسرع في الخروج من سنجار والنزول بعساكره في ظاهر نصيبين ليمنع نورالدين عنها ، فلما وصلت قوات نورالدين اشتبك معها في معركة انتهت بهزيمة قطب الدين واستيلاء نورالدين على نصيبين. اتجه قطب الدين بعد هزيمته الى الملك العادل الأيوبي مستنجداً به على نورالدين لاعادة نصيبين له وبذل الأموال الكثيرة من اجل ذلك ولما بلغ نورالدين استجابة العادل لطلب قطب الدين ووصوله بعساكره الى جزيرة إبن عمر بادر نورالدين بالجلاء، عن نصيبين عائداً الى الموصل خوفاً من ان يلحق العادل بقواته الهزيمة فلما فارقها تسلمها قطب الدين محمد دون اي اشتباك (٥) .

---

(١) مرآة الزمان: م٨ج٢/ ٤٥٧

(٢) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٢٤٠

(٣) ابن الاثير: الكامل٩/ ٢٤٠. الغساني: العسجد المسبوك: ٢٤٤

(٤) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: ق٣ج٣/ ١٨٣. ابو الفداء: المختصر: ٣/ ٩٣

(٥) ابن الاثير: الباهر: ١٩٢- ١٩٣

دور الملك العادل في انهاء التحالف بين قطب الدين محمد ونورالدين ارسلان سنة ٦٠٠ هـ

بدت الوحشية التي حصلت بين قطب الدين محمد صاحب سنجار ، ونور الدين ارسلان صاحب الموصل، والتي طغت على علاقتهما قبل سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ، واستمر تحسن العلاقة بينهما طوال المدة الواقعة مابين ٥٩٥ – ٦٠٠هـ / ١١٩٨ – ١٢٠٣م . (١)

تخوف الملك العادل من ان يؤدي استمرار تحسن العلاقة بين الموصل وسنجار تعطيل جهوده في اقامة دولة الوحدة التي كان يتطلع الى اقامتها عن طريق احياء دولة صلاح الدين ، لذلك كان لابد له من التصدي لهذه العلاقة وفصم عراها، فبدأت خطته في استمالة قطب الدين ، ونجح في ذلك ، اذ استطاع في سنة ٦٠٠هـ – ١٢٠٣م ان يقنعه بان تكون الخطبة له في بلاده (٢) ، فأثار هذا العمل غضب نـــورالدين ارسلان وعدّه معاديا له من جانب ابن عمه قطب الدين ، لذلك قرر نور الدين مهاجمة املاك قطب الدين ليصده عن الأستمرار في الخضوع للعادل ، فهاجم نصيبين وهي من املاك قطب الدين في شعبان سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م ، وتمكن من الأستيلاء على المدينة دون القلعة غير انه لم يقم فيها طويلا ، اذ راودته الإخبار بتعرض مظفرالدين كوكبري صاحب اربل لاعمال الموصـل ونهب نينوى ، فاضطر نورالدين للانسحاب الى الموصل ، للوقوف بوجه كوكـبري ، وكان الأخير قد انسحب من اعمال الموصل قبل وصول نورالدين اليها . (٣) .

اراد نورالدين ان يعوض فشله في نصيبين بالاستيلاء على تلعفر ، وهي من املاك قطب الدين، فحاصرها واخذها واقام عليها ١٧ يوماً (٤) فاستنجد قطب الدين صاحب سنجار بالملك الأشرف موسى بن العادل الذي كان ابوه قد أقامه على شمال الجزيـرة ، فأسرع الى نجدته بتوجيه من العادل بجيش خرج به من حران والتحق به الأمراء والملوك المحليون بالجزيرة المتحالفون مع الأيوبيين ضـد نورالدين صاحـب الموصل ومنهم مظفر الدين كوكبري صاحب اربل وسنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر والملك الأوحد صاحب

---

(١) التكريتي : الايوبيون في شمال الشام: ١٤٧

(٢) ابن الاثير الكامل: ٩/ ٢٦٤. ابن واصل: مفرج الكروب: ٣/ ١٥٦

(٣) ابن الاثير ، الكامل: ٩/ ٢٦٤. ابن الساعي ، ابو طالب علي ابن انجب: الجامع المختصر في عنوان التأريخ وعيون السير : ٩/ ١٢٥، المطبعة السريانية، بغداد.

(٤) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٢٦٤

ميافارقين وعساكر ديار بكر ونجده من الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، وسار الجميع لملاقاة نورالدين ارسلان الذي ماان سمع بهـذا التحرك حتى ترك تلعفر الى كفر زمار القريبة من الموصل، ثم قرر مواجهة الأشرف بعد ان وصلته اخبار كاذبة عن قلة عسكره فالتقى به في مكان يقال له بوشرى بين الموصل ونصيبين ، ودارت بينهما معركة اندحر فيها عسكر الموصل وتفرق جند نورالدين . (١)

بعدهذه المعركة تردد الرسل بين نورالدين والأشرف موسى من اجل الصلح ، وتم الأتفاق بتخلي نورالدين عن تلعفر التي كان قد استولى عليها وتسليمها لقطب الدين فسلمت اليه ، ووقع الصلح في اواخر ذي الحجة سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م . (٢)

مساهمة عساكر سنجار في الجهاد ضد الافرنج مع الملك العادل الايوبي :—

كان من نتائج تصدي الملك الأشرف موسى بن العادل وحلفائه لاطماع نورالدين في املاك قطب الدين محمد صاحب سنجار ان توطدت العلاقة بين قطب الدين والملك العادل الأيوبي ، لذلك ماان عزم العادل في التصدي لخطر الأفرنج الذين بدأوا يهددون مدينة حمص حتى استجاب قطب الدين لطلب العادل في اشراك عسكر سنـجار مع عساكر الجزيرة في الجهاد ضد الأفرنج بالشام . (٣)

ففي شهر رمضان سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م . اكتملت عساكر الكامل بن العادل بعد ان انضمت اليها عساكر الجزيرة ومنها عسكر سنجار ، فتقدم العادل بها نحـو حصن الأكراد الذي كان منهما ومن طرابلس يشن الأفرنج غاراتهم على حمص . وتـمكن العادل من ان ينازلها ويأسر خمسمائة رجل ويستولي على اموال واسلحة كثيرة، ثم رحل عنها وتوجه نحو طرابلس فحاصرها مدة وضيق عليها ، واخذت عساكره تعبث وتخرب في قرى وبساتين وطرق طرابلس ، فاضطر صاحبها الى طلب الصلح على ان يبعث للعادل اموالا وهدايا ويطلق ٣٠٠ أسير من المسلمين ، فوافق العادل ، وتم الصلح ، وعاد الى دمشق ، وتفرقت العساكر راجعة الى بلادها ، ومنها عسكر سنجار . (٤) .

---

(١) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٢٧٤–٢٧٥. ابن الساعي: الجامع المختصر: ٩/ ١٢٥، ابو الفداء: المختصر: ٣/ ١٠٥

(٢) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٢٦٥. سبط الجوزي: مرآة الزمان: م٨ج٢/ ٥١٨

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب: ٣/ ١٧٢–١٧٣. المقريزي، أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك: ط ١ق/ ١٦٦ تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط٢، القاهرة ١٩٥٦،

(٤) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٢٩٦– ٢٩٧. عاشور: الحركة الصليبية: ٢/ ٩٤٨– ١٤٩

اتفاق نور الدين ارسلان والملك العادل على اقتسام سنجار سنة ٦٠٦ هـ :ـ

تحسنت العلاقة بين اتابكية الموصل وبين بني ايوب على اثر حصول المصاهرة بين نور الدين والملك العادل ، ففي سنة ٦٠٥هـ ـ ١٢٠٨م زوج العادل احد ابنائه من ابنة نورالدين (١)

شجعت هذه المصاهرة الطرفين في الأتفاق على تحقيق مكاسب على حساب الأمارات المجاورة ، وخاصة على حساب صاحبي سنجار وجزيرة ابن عمر ، فحدث ان كاتب نورالدين بناءً على مشورة وزرائه الملك العادل يحثه على اقتسام املاك قطب الدين محمد صاحب سنجار ومحمود سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر، على ان تكون للعادل املاك قطب الدين وتكون لنورالدين جزيرة ابن عمر ، فأجابه الملك العادل الى ذلك مستبشراً(٢)

وتعود سبب استجابة العادل لطلب نور الدين الى ادراك العادل « انه متى ملك هـذه البلاد اخذ الموصل وغيرها» وفي سبيل دفع نورالدين في تنفيذ هذا الأتفاق ذكر العادل لنورالدين انه سيعطي هذه البلاد اذا ملكها لولده الذي هو زوج ابنة نورالدين ويكون مقامه في خدمته بالموصل . (٣)

خرج الملك العادل من دمشق الى الجزيرة بعساكره فقصد الخابور فأخذها فلما سمع نورالدين بوصوله خاف واستشار رجاله فيما يفعله، فأما من اشار عليه بالاتفاق مع العادل على اقتسام سنجار وجزيرة ابن عمر فقد سكتوا،واما الذين لم يعلموا من اصحابه فقد انكروا ذلك عليه وقالوا له بانك « أذيت نفسك وابن عمك وقويت عدوك ، وجعلته شعارك، وقد فات الأمر وليس يجوز الا أن تتفق معه على ماستقر بينكما، لئلا يجعل ذلك حجة ويبتدىء بك » (٤) .

ادرك نورالدين الخطأ الذي ارتكبه ،فعزم على نقض الأتفاق مع العادل واشار بالأستعداد وجمع الرجال وتحصيل الذخائر ومايحتاج اليه والعمل على انقاذ سنجار من الوقوع في يد العادل الذي كان قد حاصرها بعد نصيبين . (٥)

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ٣/ ١٩١
(٢) ابن الاثير: الكامل ٩/ ٣٠١
(٣) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: ق٣ج١/ ١٨٦
(٤) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٣٠١
(٥) ابن الاثير: الكامل : ٩/٣٠١ ابن شداد الاعلاق الخطيرة ق١ج٣/١٨٧ – ١٨٨

اما موقف قطب‌الدين من هذا الأتفاق ، فيبدو ان الأمر قد خرج من يده فعزم على ان يكاتب العادل ويعرض عليه تسليم سنجار له مقابل ان يعوضه ببلد اخر بعد ان ادرك بعدم قدرته على مواجهة عسكر العادل ، غير انه لم يفعل ذلك بعد ان اقنعه احد امرائه المدعو احمد بن يرنقش بتمكنه من حفظ سنجار والذب عنها،فما كان من قطب الدين إلا ان تقوى بالدفاع عن سنجار والأمتناع عن تسليمها للعادل خاصة بعد ان اخذت الأقوات تصل اليها من بعض المتعاطفين معه من الأمراء المشاركين مع عسكر العادل في حصار سنجار والذين كانوا يخالفون العادل في الأستيلاء على سنجار ومنهم اسدالدين شيركوه صاحب حمص ، كما ان قطب‌الدين ارسل ولده الى مظفر الدين كوكبري صاحب اربل يستشفع به الى الملك العادل ليبقيه على سنجار (١) .

استجاب مظفر الدين كوكبري لطلب قطب الدين وارسل للعادل يشفع لقطب الدين فلم يشفع له العادل ، فأثار هذا الرفض غضب مظفر الدين خاصة وان الأخير كان له اثر جميل عندالعادل حيث قام بخدمته والذب عن ملكه اكثر من مرة ، فما كان من مظفر الدين الا أن راسل نورالدين يعرض عليه المساعدة في التصدي لحصار العادل لسنجار فأجابه نورالدين الى ماطلب والتقت عساكرهما بظاهر الموصل ، وقبل ان يقوما باي جهد عسكري ضد العادل راسلا الملك الظاهر غازي صاحب حلب وغياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم واتفقا معهما على حربه وقصد بلاد العادل ان هو امتنع عن الرحيل عن سنجار (٢) . كما راسلا الخليفة العباسي الناصرلدين‌الله يحثانه في التدخل لدى العادل من اجل الصلح حقنا لدماء المسلمين وفك الحصارعن سنجار ، فوافق الخليفة وبعث استاذ الدار هبة الله بن المبارك بن الضحاك والأمير اقتاش رسولين الى الملك العادل ، فوصلا الى‌الموصل ليستمعا الى وجهة نظر نورالدين ومظفرالدين ثم سار الى الملك العادل فوصلاه وهو يحاصر سنجار وابلغاه رغبة الخليفة في عقد الصلح والأنسحاب عن سنجار ، لكنه امتنع في باديء الأمر ، ثم اجابهما الى الصلح بعد ان ادرك ان حصاره لسنجار لن يكون في صالحه بسبب قوة خصومه وظهور الفتور بين اصحابه عن القتال ومنهم اسد الدين شيركوه صاحب حمص (٣) .

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب : ٣/ ١٩١، ١٩٣-١٩٤. الحنبلي ، أحمد بن أبراهيم: شفاء القلوب في مناقب بني ايوب: ٢١٩-٢٢٠، تحقيق ناظم رشيد ،دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٧م .

(٢) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٣٠١-٣٠٢. ابن واصل: مفرج الكروب: ٣/ ١٩٤-١٩٥ ابن العديم: زبدة الحلب٣/ ١٦٠-١٦١

(٣) اين واصل: مفرج الكروب:٣/ ١٩٧. ابن شداد: الا علاق الخطيرة: ق١ج٣/ ١٩٠-١٩١

تضمنت شروط الصلح التي وافق عليها الجميع بضم ماستولى عليه العادل وهي الخابور ونصيبين الى ملكه على ان يترك سنجار لصاحبها قطب الدين محمد . ثم رحل العادل عن سنجار وعاد مظفر الدين الى اربل وكان ذلك في سنة ٦٠٦هـ – ١٢٠٩(١) وبذلك خسر قطب الدين الخابور ونصيبين التي كانت من اعمال سنجار بسبب ماارتكبه من خطأ في عدم تقدير اطماع العادل في بلاده

نهاية حكم اسرة زنكي في سنجار :-

تحسنت علاقة قطب الدين محمد مع اتابكية الموصل والأيوبيين بعد رفع العادل حصاره عن سنجار ٦٠٦هـ / ١٢٠٩ ولم نعثر على مايشير الى حدوث اي توتر بين هذه الأطراف حتى سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م اذ في ثامن صفر من هذه السنة توفي قطب الدين محمد وتولى ابنه عمادالدين شاهنشاه حكم سنجار وبدأت في بداية عهده تدب المنازعات بينه وبين اخوته على السلطة . انتهت بمقتل عمادالدين شاهنشاه ، الذي لم يدم حكمه سوى شهور على يد اخيه عمربن قطب الدين محمد (٢) اثناء زيارة عمادالدين تلعفر التي كانت تابعة له (٣) .

استهل عمر بن قطب الدين محمد حكمه في التدخل في شؤون الأيوبيين والتعرض لاملاك صاحب الموصل ، اذ حدث انتمرد على الملك الأشرف موسى بن العادل احد كبار أمرائه المدعو احمد بن علي بن المشطوب ، فما كان من عمر بن قطب الدين صاحب سنجار الا أن احتضنه وامده بالرجال ، فقام إبن المشطوب بالتعرض لاعمال الموصل ونهب منها عدة قرى وعاد الى سنجار ، ثم حاول ثانية ان يكرر العملية بعد ان تجهز لها واتخذ من تلعفر كقاعدة لعملياته بعد ان وصل اليها ، فلم يسمع بدرالدين لؤلؤ – الذي كان مدبر أمر اتابك الموصل ، والذي كانت تربطه علاقة تحالف مع الملك الأشرف موسى –

(١) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٣٠٢. الذهبي ، الحافظ شمس الدين محمد: العبر في خبر من غبر: ٥/ ١٥ تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٤م .

(٢) ورد اسم عمر بن قطب الدين تحت تسميات مختلفة بعض الشيء فجاء عند ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٣٢٨ تحت تسمية عمر بن قطب الدين محمد وهذا ماأخذنابه لمعاصرة ابن الاثيرله وورد عند ابن واصل: مفرج الكروب: ٤/ ٧٣ تحت اسم محمود فروخشاه بن قطب الدين ،وجاء في السلوك: حـ١ ق١/ ٢٠٤ تحت تسمية الامجد عمر

(٣) ابن الاثير: الكامل٩/ ٣٢٨. الغساني : العسجد المسبوك: ٣٦٦

مافعله ابن المشطوب بتشجيع من صاحب سنجار ، سير اليه عسكراً ، فقاتلوه فمضى ابن المشطوب منهزما الى تلعفر واحتمى بها فحاصروه ثم لحق بهم بدر الدين لؤلؤ ليشدد الحصار عليه ، وتمكن بدرالدين في شهر ربيع الأول سنة ٦١٧هـ — ١٢٢٠م من دخولها بعد ان استسلم ابن مشطوب له ، فقبض عليه وحبسه ثم سلمه لحليفه الملك الأشرف موسى (١)

وبذلك يكون بدرالدين لؤلؤ قد ضم تلعفر لملكه بعد ان كانت تابعة لسنجار ، ثم حدث ان طلب الملك الأشرف موسى من بدر الدين لؤلؤ ان يمنحه تلعفر لميله لها ، فوافق بدر الدين وسلمها للاشرف (٢) .

يبدو ان عمر بن قطب الدين صاحب سنجار تخوف من مهاجمة الملك الأشرف موسى سنجار بسبب ما فعله عمر بالتزامه لابن المشطوب ، لذلك ماان سمع صاحب سنجار بوصول الأشرف موسى مع عسكره الى نصيبين القريبة من سنجار متوجهاً الى الموصل لتقديم المساعدة لحليفه بدرالدين لؤلؤ للوقوف بوجه اطماع مظفر الدين كوكبري صاحب اربل في املاك صاحب الموصل حتى ارسل عمر بن قطب الدين من طرفه رسلا ال الملك الأشرف يبذلون له تسليم سنجار اليه على ان يعوض صاحبها مدينة الرقة وذلك لخوفه من الملك الأشرف لانه لم يسلم اليه ابن المشطوب عندما كان عنده ، الى جانب تخوفه من ان يدبر اصحاب اخيه المقتول مكيدة لقتله انتقاما لاخيه فضلا عن سوء سيرته مع اهل بيته ، لهذا كله تد الثقة بنفسه ، ففضل التنازل عن سنجار مقابل الرقة ضماناً لحياته ولاصحابه (٣) .

استجاب الملك الاشرف موسى لهذا الطلب ، فتسلم سنجار في مستهل جمادي الأولى سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، وفارقها صاحبها عمر بن قطب الدين واخوته بأهليهم واموالهم الى مدينة الرقة ، فلم يستقر مقامه فيها طويلا ، اذ اخذها منه الأشرف ، ثم مالبث ان توفي سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م (٤)

وكان هذا اخر ملوك بيت اتابكة زنكي لسنجار .

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب : ٤/ ٧٢

(٢) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٣٤٥. ابن واصل: مفرج الكروب: ٤/ ٧٢-٧٣

(٣) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٣٢٣- ٣٢٤، ٣٤٥. ابن شداد : الاعلاق الخطيرة: ق٣ح١ /١٩٧-١٩٨ .

(٤) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٣٢٤. ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: ق٣ح١/ ١٩٨ ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق : تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ق٤ح٤/ ٦٩٣-٦٩٤، تحقيق مصطفى جواد، دمشق، ١٩٦٧م .

الخلاصة :ـ

يتبين لنا من هذه الدراسة أن سنجار مدينة قديمة تعود بجذورها التاريخية الى عصور ماقبل الأسلام ، وانها خضعت لاحتلال الروم والفرس ، وان عياض بن غنم الذي قاد حركة الفتوحات الأسلامية في منطقة الجزيرة الكفراتية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حررها من السيطرة الفارسية ، واسكن فيها قوم من العرب والحق تبعيتها الأدارية لاقليم ديار ربيعة ، كما الحقت فيهما بعد الى الموصل .

بقيت سنجار تابعة للموصل حتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري عندما تمكن نورالدين محمود صاحب حلب من انتزاعها من صاحب الموصل، واعطاها لابن اخيه عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود سنة ٥٦٦هـ/١١٧م وتمكن الأخير من تأسيس اتابكية فيها وكانت لجهود عماد الدين زنكي السياسية والعسكرية الأثر الكبير في الحفاظ على استقلالية اتابكيته من اطماع القوى المجاورة له ، خاصة اتابكية الموصل والأيوبيون ـ الذين كانوا يتطلعون لضم سنجار اليهم بسبب موقعها الجغرافي وقيمتها الأقتصادية والبشرية ـ فكان عمادالدين يلجأ الى سياسة التحالفات مع احدى هذه القوى ضد الأخرى ليحمي بلده ، وكثيراً ماكانت هذه السياسة تنجح في ازالة الخطر عن اتابكيته اوتحقق مكاسب مادية له .

ولم يتوقف دوره عند الحفاظ على استقلالية اتابكيته ، بل ساهم في تظافر الجهود لمناهضة قوى الأفرنج التي اغتصبت الكثير من مناطق بلاد الشام ، وتجلت تلك المساهمة في اوضح معانيها عندما شارك بعساكر سنجار في قتال الأفرنج جنبا الى جنب مع عساكر الشام ومصر تحت راية صلاح الدين ، واثنى صلاح الدين على الدور الذي لعبه في معارك حصار عكا .

وسار على سياسته ابنه قطب الدين محمد الذي كان له دور فاعل في قتال الأفرنج واعقب قطب الدين على الحكم ابنه عمادالدين شاهنشاه الذي دخل في حالة صراع على السلطة مع اخيه عمر انتهى بمقتل عمادالدين . ولم يتمكن عمر ان يحتفظ بحكمه لسنجار طويلا اذ تخوف من انتقام اصحاب اخيه منه ، فضلا عن توتر علاقته مع بدر الدين لؤلؤ ، والأيوبيين بسبب كثرة تدخلاته في شؤونهم فتخوف من عاقبة الأمر ، لذلك فضل التنازل عن سنجار مقابل الرقة بعد ان وافق الأشرف موسى على ذلك . وبهذا التنازل انتهى حكم آل زنكي لسنجار بعد ان حكموها احدى وخمسون عاما من ٥٦٦ ـ ٦١٧هـ / ١١٧٠ـ ١٢٢٠م .

المصادر والمراجع :ـ

١ ـ ابن الإثير ، ابوالحسن علي بن ابوالكرم محمد : الكامل في التاريخ ، دار الفكر بيروت ، ١٩٧٨ م .
ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق عبدالقادر احمد طليحات ، دار الكتب ، القاهرة

٢ ـ البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٣ ـ البنداري ، الفتح بن علي: تاريخ دولة السلجوق ، ط٢ ، دار الآفاق الجديدة بيروت ، ١٩٧٨ .

٤ ـ ابن تغري بردى ، جمالالدين ابوالمحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر ، والقاهرة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

٥ ـ التكريتي ، محمود ياسين : الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ م .

٦ ـ الجميلي ، رشيد دولة الأتابكة في الموصل بعد عمادالدين زنكي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥ م .

٧ ـ حبشي ، حسن : نورالدين والصليبيون ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٨ ـ الحنبلي ، احمد بن ابراهيم : شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق ناظم رشيد ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٧ م

٩ ـ الذهبي ، الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان : العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين منجد ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٤ م .

١٠ ـ زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، اخرجه محمود زكي واخرون دار الرائد العربي ، بيروت .

١١ ـ ابن الساعي ، ابوطالب علي بن انجب تاج الدين : الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير ، عني بنشره مصطفى جواد ، المطبعة السريانية ، الكاثوليكية ، بغداد .

١٢ ـ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر يوسف : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط١ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد، الدكن ، ١٩٥١ م .

١٣ ــ ابو ، شامة شهاب الدين محمد عبد ابوالرحمن : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، دار الجليل ، بيروت .

١٤ ــ ابن شاهنشاه ، محمد بـن تقي الدين : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة .

١٥ ــ ابن شداد ، بهاء الدين: سيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٢م .

١٦ ــ ابن شداد ، عزالدين محمد بن علي : الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى عباره ، دمشق ، ١٩٧٨م .

١٧ ــ عاشور ، سعيد عبدالفتاح الحركة الصليبية ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

١٨ ــ ابن العبري ، غريغور يوس الملطي : تاريخ مختصر الدول، بيروت ، ١٩٥٨ م

١٩ ــ ابن العديم ، كمال الدين ابوالقاسم عمر ؛ زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥٤م

٢٠ ــ الغساني ، ابوالعباس اسماعيل بن العباس: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود ، دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٥م

٢١ ــ ابوالفداء، عمادالدين اسماعيل: المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية.

٢٢ ــ ابن الفرات ، ناصرالدين محمد بن عبدالرحيم : تاريخ ابن الفرات ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ١٩٦٩م .

٢٣ ــ ابن الفوطي ، كمالالدين ابوالفضل عبدالرزاق : تلخيص مجمع الأداب في معجم الألقاب ، تحقيق مصطفى جواد ، دمشق ، ١٩٦٧ ، .

٢٤ ــ الكتبي ، محمد بن شاكر : عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر واخرون، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٧م ،

٢٥ ـ ابن كثير ، عمادالدين ابوالفداء اسماعيل : البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة بمصر .

٢٦ ـ المقريزي احمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى ، زيادة ، ط٢ القاهرة ، ١٩٥٦م .

٢٧ ـ نوري ، دريد عبدالقادر : سياسة صلاحالدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ، مطبعة الأرشاد ، بغداد ، ١٩٧٦م .

٢٨ ـ ابن واصل ، جمالالدين محمد بن سالم : مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مصر ، ١٩٥٣ م .

٢٩ ـ ابن الوردي ، زين الدين عمر : تاريخ ابن الوردي ، النجف ، ١٩٦٩ م.



العوامل الأسرية وجنوح الأحداث

دراسة ميدانية لنزلاء دار الملاحظة / بغداد

صباح احمد محمد النجار

كلية الأداب — جامعة الموصل

المقدمة :—

ان الأتجاه الى حماية المجتمع من الجريمة والحد من الأحداث الجانحين يعد جزء من السياسة الأجتماعية التي تنتهجها المؤسسات الأجتماعية في القطر العراقي وذلك انطلاقا من واقع التطور الأجتماعي والأقتصادي الذي شهده القطر بعد ثورة ١٧ / ٣٠ تموز المجيدة ، والتي رفعت من شأن الأنسان العراقي خلال تحسين مسيرته الحضارية .

لهذا اصدرت الثورة تشريعات جديدة وغيرت القديمة منها لتو اكب التغير الأجتماعي للمجتمع ولتعالج المشكلات التي تبرز جراء عملية التغير للحيلولة دون استفحالها واحدى هذه المشكلات هي — جنوح الأحداث — حيث ان الحد منها والوقوف امام تفاقمها على نحو فعال يتطلبان ايجاد نظم وقائية واخرى علاجية تستندان الى اسس علمية وتناسق في العمل الذي يبدأ بالوقاية وينتهي بالرعاية اللاحقة .

ولذلك أصدرت تشريعات تعمل على الحد من هذه المشكلة لاعتبار ان الأحداث صغار يتطلع اليهم المجتمع جزء من ثروته البشرية وان للمجتمع مسؤوليات ازاءهم ، وقد اكد قانون الأحداث رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٣ معاملة الأحداث الجانحين معاملة خاصة ودراسة ظروفهم البدنية والنفسية والأجتماعية للوقوف على عوامل انحرافهم قبل

النظر في قضاياهم ،والزم القانون مكتب دراسة الشخصية بمحاكم الاحداث القيام بأعماله في فحص حالات الاحداث المتهمين ودراستها ووضع التقارير النهائية عنهم قبل محاكمتهم في محاكم الاحداث .

وجنوح الاحداث ، ظاهرة اجتماعية سلبية تعاني منها المجتمعات البشرية بغض النظر عن درجة تطورها ورقيها أو تأخرها وتخلفها الحضاري ، وعمومية هذه الظاهرة وبصفتها السلبية تؤثر على البناء الاجتماعي للمجتمع البشري ، وعندما تضفي عليها صفة المشكلة الاجتماعية في أي مجتمع ينبغي معالجتها ووضع الحلول المناسبة ولها والحيلولة دون تفاقمها وذلك لما تحملها من ايذاء لشعور الفرد والمجتمع .

وعموماً ، تندرج اسباب الجنوح في عوامل اجتماعية ونفسية وثقافية وبيولوجية واقتصادية ، وهي عوامل متفاعلة وفي حالة ديناميكية متكاملة ، وانه من الخطأ محاولة تعميم نتائج أحادية في تفسير ظاهرة الجنوح ، لان الدراسات الاجتماعية ترفض اساساً تفسير ظواهرها طبقاً لنظرية التفسير العاملي .

ونؤكد ان دراستنا لأثر العوامل الاسرية في جنوح الاحداث والنتائج التي نصل اليها هي جزئية تخص جانباً من الجوانب الاجتماعية في تفسير جنوح الاحداث في العراق .

الفصل الأول :
منهج الدراسة وتحديد المفاهيم

مشكلة الدراسة : —

تعد الاسرة إحدى الوحدات الاجتماعية الرئيسة التي تهيء الجيل المتطلع للحياة والمتمثل بالأطفال ، ويتمثل الدور الاسري هذا في التكوين البدني والعقلي والاجتماعي وبناء الشخصية .

أي أن الاسرة تمارس دورها في العناية بصحة الأطفال والسيطرة على السلوك غير المرغوب فيه، وارشادهم وتنظيم طاقاتهم وتنسيقها في إطار يتقبله المجتمع، وتثقيف الطفل وتعليمه ، وقد يكون اداء الاسر لدورها في تلك المجالات نسبياً ،يختلف من أسرة لاخرى لاختلاف البنية التركيبية لهذه الاسر، واختلاف الادوار والمنازل الاجتماعية لافرادها ونتيجة لهذه الاختلافات تبدي بعض الاسر قصوراً في اداء دورها في التنشئة الاجتماعية لافرادها مما يؤدي الى ظهور حالات غير سوية.

ولعل من المفيد ان أذكر ان دراسة ظاهرة جنوح الاحداث من ناحية تأثير الأسرة من خلال نطاقها وحجمها ودورها في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها الاجتماعية الداخلية وظروفها المادية والبيئية ودرجة استقرارها ووقوفها وراء هذه الظاهرة ، تمثل إحدى المهام الرئيسة للباحثين في العلوم الاجتماعية والنفسية، وهذه الدراسة هي محاولة ميدانية لأستقصاء أثر تلك العوامل في تشكيل السلوك الجانح لدى الاحداث ، واسباب أخلال تلك العوامل في اداء دورها في التنشئة الاجتماعية السليمة للاحداث ضمن الوحدة الاسرية .

أهمية الدراسة :

تتجلى اهمية هذه الدراسة بأنها تتناول موضوعاً في غاية الأهمية ، وقد وقفت عند المستوى التعليمي والمادي وحجم الأسرة وطبيعة معاملة الوالدين لابنائهم التي تعد عوامل تؤثر في التنشئة الاجتماعية للحدث وفي بناء شخصيته وتكيفه وتوافقه الاجتماعي مع السلوك المعتاد لافراد المجتمع .

الهدف من الدراسة : —

تهدف هذه الدراسة الى الأجابة عن الاسئلة الاتية : —

س١ : هل لحجم ودخل أسر الاحداث أثر في جنوحهم ؟

س٢ : هل لحالات الانفصال بين الوالدين أثر في جنوح الاحداث ؟

س٣ : هل لطبيعة المعاملة الوالدية للاحداث أثر في جنوحهم ؟

س٤ : هل للمستوى التعليمي للحدث ولافراد اسرهم أثر في جنوح الاحداث ؟
لقد تمت صياغة هذه الاسئلة على نحو فرضيات علمية بغية التحقق منها .

فرضيات الدراسة :ـ

الفرضية الاولى : ثمة علاقة طردية بين حجم الاسرة ودخلها . وجنوح الاحداث
الفرضية الثانية : ثمة علاقة طردية بين حالات الانفصال بين الوالدين والتصدع وحالات الجنوح.
الفرضية الثالثة : تؤثر طبيعة المعاملة الوالدية في جنوح الاحداث .
الفرضية الرابعة: هناك علاقة بين انخفاض المستوى التعليمي للاحداث وافراد اسرهم والميل نحو الجنوح .

مجالات الدراسة البشرية والزمكانية :

تتحدد مجالات الدراسة بعينة من مجموع الأحداث الجانحين البالغ عددهم ٩٨٠ ،ـ وقت اجراء الدراسة والمودعين تباعاً بدار الملاحظة في بغداد والذين تم اصدار الأحكام القانونية بحقهم بأيداعهم دور التأهيل ومدارسها . وتنحصر فترة اجراء الدراسة بين ١/١٢/٩٨٦ و١/٧/١٩٨٧ بما فيها فترة تفريغ الاستمارات بالطريقة اليدوية والحصول على نتائج الدراسة .

نوع الدراسة ومنهجها :ـ

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية التي تعتمد على جمع الحقائق وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها، والمنهج المستخدم هو المسح الاجتماعي بطريقة العينة .
أداة الدراسة : تم تصميم استمارة خاصة بموضوع الدراسة ،وقد تم عرض الاستمارة على عدد من الخبراء * بغية التعرف على نواحي النقص فيها،وزعت بعدها على(٢٥)حدثاً لغرض اختبارها أولياً ـ PreTest ـ حيث تم اجراء بعض التعديلات عليها وأعدت بصيغتها النهائية فضلا عن مراجعة الدراسات والأدبيات التي تناولت الظاهرة .

(*) الدكتور سطام حمد الجبوري. رئيس قسم الخدمة الاجتماعية. كلية الاداب ،جامعة الموصل
السيد محمد سالم الاعرجي / رئيس محكمة استئناف التأميم .
الانسة ناهدة عبد الكريم/ مسؤولة شعبة البحث الاجتماعي / دار الملاحظة ـ بغداد

اختيار العينة : –

تم اختيار ٧٥ حدثاً من مجموع «٩٨» حدثاً بطريقة العينة العشوائية البسيطة .

الوسائل الأحصائية : –

النسب المئوية

الوسيط

مربع كاي

تحديد المفاهيم : –

العوامل الأسرية : تم تحديد العوامل الاسرية في هذه الدراسة بالعلاقات الاجتماعية بين افراد الاسرة وطبيعة المعاملة الوالدية للاطفال، وطبيعة العلاقة الزوجية وحجم الاسرة ودخلها والتصدع الاسري وحالات الانفصال بين الوالدين أو فقدان الأنسجام بينهما والمستوى التعليمي للاسرة .

الاسرة : يختلف الباحثون على تحديد مفهوم الأسرة لتباين وجهات نظرهم في نشأة وأصل وتطور بيئة ووظائف هذا التنظيم الاجتماعي ، وبعد تناول العديد من تعاريف الأسرة رأينا ان تعريف «بوكاردوس» للاسرة بأعتبارها «جماعة اجتماعية صغيرة تتكون من الأب والأم وطفل واحد أو أكثر يتبادلون الحب ويتقاسمون المسؤولية ويقومون بتربية الأطفال وتوجيههم وضبطهم لتمكينهم القيام بمسؤوليتهم الاجتماعية فيما بعد» (١) يناسب تعريفاً أجرائياً للاسرة في هذه الأسرة .

الجنوح : مفهوم نفسي– اجتماعي ، يدل على سلوك منحرف ويمكن أن يكون بنظر القانون مخالفة أو جنحة أو جناية بكل درجاتها وعقوباتها ، ولايشترط في الجنوح مخالفة القانون بل مخالفة العرف والتقليد وآداب المجتمع واوضاعه وفي كلتا الحالتين يعد سلوكاً مريضاً أو منحرفاً يستدعي العلاج أو العقاب أو كليهما على الأغلب . (٢)

الحدث : في المفهوم الأجتماعي والنفسي ، هو الصغير منذ ولادته حتى يتم نضجه الاجتماعي والنفسي وتتكامل لديه عناصر الرشد المتسمة بالادراك التام والقدرة على تكييف سلوكه وتصرفاته طبقاً لما يحيط به من ظروف ومتطلبات الواقع الاجتماعي . وفي المفهوم القانوني ، هو من أتم السابعة من عمره ولم يتم الثامنة عشرة. ذكرا ، كان

أو أنثى، وهو على صنفين :
الصبي، من أتم السابعة ولم يتم الخامسة عشر، والفتى من أتم الخامسة عشر ولم يتم الثامنة عشرة .

وتختلف تشريعات الدول في تعريفها للحدث ، وتحديد السن القانونية له بأختلاف عوامل طبيعية واجتماعية وثقافية. (٣)

دار الملاحظة : مؤسسة اجتماعية لتوقيف الأحداث والتي تقرر المحكمة أو السلطات المختصة توقيفهم ، ويجري فيها فحصهم بدنياً وعقلياً ودراسة شخصيتهم وسلوكهم تمهيداً لمحاكمتهم (*) .



(*) انشئت ببغداد سنة ١٩٧١ وتتبع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وهي تعد بديلا عن التوقيف في مراكز الشرطة حيث يودع فيها الاحداث المنحرفون لحين مثولهم أمام المحكمة، ويتم ايداع الاناث بذمة التحقيق في دار رعاية الأحداث للبنات.

الفصل الثاني
الدراسة الميدانية

المبحث الاول : بيانات اساسية عن الأحداث واسرهم :

أ-الجنس: يلاحظ في الجدول (١) قلة عدد الأناث نسبة الى الذكور ، وجاءت نسبتهن في هذه الدراسة ٥,٣٪ ويرجع ذلك الى سيطرة الاسرة على الفتاة وضيق المجال الاجتماعي لتصرفاتها . فالواضح ان مدة مكوث الفتاة في المنزل أكثر بكثير من الفتى ومن بعد فأن الفرص أمامها تكون قليلة للانحراف ، كما ان نظرة المجتمع للفتاة في حالة ارتكابها جنحة ماتمتزج بكثير من العطف عليها وكثيراً ماتسوي الامور بين الجهتين قبل ابلاغ الجهات الخاصة بذلك .

ب-العمر: يظهر في الجدول (٢) أن ١٠,٧٪ من الأحداث ينتمون الى فئة العمر (١١-١٤) سنة « وهي السن المحددة قانوناً للاحداث الصبيان » والذي يبلغ عمره «٧» سنوات ولغاية « ٩ » سنوات لايتحمل المسؤولية الجنائية عن فعله ويُسلم الى ذويه وفق شروط كفيلة بأصلاحه .ويتبين من الجدول أن ٨٩,٣٪ من الأحداث ينتمون الى فئة «١٥-١٨» سنة وهي السن المحددة للفتى قانوناً .

ان الأختلاف الواضح بين الفئتين يرجع الى ادراك الحدث في الفئة الثانية ونمو الطموح لديه بغية اشباع رغباته وملذاته فضلا عن زيادة الفرص الممنوحة له من قبل افراد اسرته وزيادة لقاءاته بزمرة الأصدقاء .

ان العمر متغيراً له أثر كبير في تحديد المسؤولية الجنائية للحدث ، حيث أن الحدث الذي يرتكب جنحة ،اوهو لم يكمل الثامنة عشر ولم يلق القبض عليه الا بعد أكماله هذه السن ، يمثل امام محكمة الاحداث على الرغم من تجاوزه للفترة القانونية التي تسمح بمحاكمته امام المحكمة هذه ؛ هذا فضلا عن ان لهيئة المحكمة الحق في إحالة الحدث الى لجنة طبية لتقدير عمره شعاعياً قبل محاكمته عندما يستوجب الضرورة ذلك .

ج: محل الأقامة الحالي والأصلي لأسر الأحداث .

في الجدول (٣) يتبين ان ٤٩,٣٪ من أسر الاحداث كانوا يقيمون في المحافظات وان ٩٢٪ منهم يقيمون الان في بغداد و٨٪ منهم في المحافظات ، والواضح أن بعض أسر الأحداث هاجروا الى بغداد من محافظات مختلفة وبنسب متباينة .

د - مهن الأحداث: يمثل الجدول (٤) نوع المهن التي يزاولها الاحداث ، ويلاحظ أن ٣٧,٣٪ من الاحداث هم طلاب و٣٦٪ عمال غير مهرة ، و٨٪ مساعد سائق و٦,٧٪ منهم كسبة و٦,٧٪ عاطلون و٥,٣٪ هم حدادون أي أن الانحراف يتمثل بالدرجة الأولى في فئة الطلاب والعمال غير المهرة .

هـ: نوع الفعل المنحرف : يتضح من بيانات الجدول (٥) أن فعل ٣٧,٤٪ من الأحداث هو السرقة بأنواعها ، و٢٠٪ منه هو القتل و١٤,٧٪ منه هو الملاوطة و٩,٤٪ منه هو الشروع بالقتل وأن ٨٪ من الاحداث قاموا بأفعال منافية للقوانين التجارية - البيع غير المشروع - و٤٪ منه هو الخطف ، وتأتي نسب التشرد والاعتداء والسلب والانتحال والتزوير بواقع ١,٣٪ من مجموع نسب الأفعال المنحرفة للاحداث ، أي أن السرقة تمثل اعلى نسبة من انحرافات الاحداث .

المبحث الثاني

العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية لاسر الأحداث :

على الرغم من التفاعل الواضح بين العوامل اعلاه ضمن البناء الأسرى وعلى الرغم من تعددها وتداخلها نجدان نفصلها وتناولها بما ينسجم وطبيعة هذه الدراسة حتمية يتطلبها المنهج العلمي.

١- العوامل الاجتماعية لاسر الاحداث.

أ- حجم الاسر والتنشئة الأجتماعية .

للتنشئة الاجتماعية اثر عميق في بناء الشخصية خلال فترة الطفولة المبكرة والمتأخرة وهنا يبرز دور الوالدين في وضع اللبنات الاولى لشخصية الطفل (٤) فإذا كانت الأسرة كبيرة الحجم وضعيفة اقتصادياً نجد ان الوالدين يرزحان تحت اعباء كبيرة تجعل اهتمامهما بالابناء بشكل فردي أمراً صعباً وهذا يؤدي الى اهمالهم ، ويتجاوز الأمر مجرد الاهمال الى النبذ والكراهية للاطفال عند قلة الموارد المالية التي تهيء سبل العيش الكريم من مسكن صحي ومواد غذائية وملابس ونفقات اخرى ، وعندما تتفاعل هذه الظروف مع الدوافع النفسية يكون تأثيرها في نفسية الأطفال بشكل تأزم وضعهم وتعرضهم للأضطراب ويولد لديهم السلوك غير السوي المتمثل في السلوك المنحرف ،وعند ملاحظتنا للجدول(٦) نجد أن (١٦٪) من مفردات عينة الدراسة ينتمون الى أسر تتكون من (٣-٦) أفراد ، .

٤١,٣٪ منهم ينتمون الى أسر تتكون من (٧-١٠) أفراد. والملاحظ أن ٨٤٪ من الأحداث ينتمون الى أسر كبيرة الحجم. وقد بلغ وسيط حجم أسر الاحداث (٩,٥) افراد أي أن الاحداث ينتمون الى أسر كبيرة الحجم .

(ب) طبيعة المعاملة الوالدية للحدث .

تشير بيانات الجدول (٧) إلى ان ٣٠,٦٪ من آباء الاحداث يقدمون الحب والتوجيه لأبنائهم وان ١٤,٧٪ منهم يعاملونهم بقسوة وكراهية و٥٤,٧٪ منهم يهملون اطفالهم ولا يقدمون لهم الارشاد ، والملاحظ ان ٦٩,٤٪ من الاحداث يؤكدون أن طبيعة المعاملة الوالدية لهم تميل إلى القسوة والاهمال ، وهذا يؤثر في بناء شخصية الاحداث واتجاهاتهم المستقبلية وتبث في نفوسهم عواطف النقمة والكراهية والانفعالات التي من شأنها بعث سلوك غير سوي لديهم ، والاهمال يأخذ اشكالاً مختلفة في حياة الاسرة ، فقد يمرق عائل الاسرة في مواجهة مطالبها ومسؤوليتها التي لا يستطيع تحملها بسبب قلة دخله ، وهنا يتعرض الاطفال لاهمال شديد بدنياً وخلقياً مما قد يسوقهم إلى حظيرة الانحراف .

(ج) طبيعة العلاقة الزوجية : —

تؤثر طبيعة العلاقة الزوجية على طبيعة المعاملة الوالدية للاحداث لأن انعكاسات العلاقات الزوجية وطبيعتها تؤثر على البيئة الاسرية واستمرار الحياة الزوجية ، ويتضح من الجدول (٨) ان ٦٨٪ من اسر الاحداث تكون العلاقات الزوجية قائمة بين والديهم و٣٢٪ منهم غير قائمة ، وان الجدول (٩) يبين طبيعة العلاقة الزوجية لآباء لاحداث ، حيث اكد ٢١,٦٪ من الاحداث ان علاقة والديهم جيدة واكد (٣١,٤٪) منهم ان طبيعة هذه العلاقة اعتيادية ، واوضح ٤٧٪ منهم ان هذه العلاقة غير جيدة وكثيراً ما تشوبها خصومات .

(د) طبيعة علاقة الأحداث باخوانهم :

يتضح من بيانات الجدول (١٠) ان ١٧,٣ ٪ من الإحداث يرتبطون بعلاقات جيدة مع اخوانهم وان ٢٨٪ منهم يرتبطون بعلاقات اعتيادية و ٥٤,٧٪ منهم يرتبطون بعلاقات غير جيدة،وهذا يقلل من التزامات الحدث بذويه ويؤدي الى هروبه من المنزل وأرتباطه باصدقاء السوء .

(هـ) التصدع الأسري :

تتصدع الأسرة نتيجة انفصام الروابط الأسرية عن طريق الطلاق اوالهجر اوالوفاة ، ونتائج هذه الحالات تؤثر سلباً على الأطفال وتعرضهم للاهمال وعدم العناية بهم ، ويجعلهم معرضين للانحراف ، وغالبا يأخذ شكل الأنحراف ، التشرد والتسكع في الشوارع بعيداً عن اية رقابة تذكر : وفي الجدول (٨) يتبين ان ٣٢٪ من الأحداث ينتمون الى اسر ، العلاقات الزوجية بين والديهم غير قائمة ، والجدول (١١) يوضح اسباب ذلك ، حيث ان ٤٥,٨٪ من الأسباب ترجع الى الطلاق و ٢,٩٢ ٪ منها الى وفاة الأب و ١٦,٨٪ الى وفاة الأم ، و٤,١٪ الى وفاة الأبوين و ٤,١٪ منها الى خلافات زوجية

(و) الأحداث والزمر :

عندما لاتلبى الأسرة حاجة الحدث النفسية والأجتماعية يلجأ الى اقرانه ويصادف من هو مثله فيؤلفون زمراً ، وللزمرة اثر في تكوين السلوك الجانح للأحداث وهي جزء من اطار اجتماعي ينمو فيها الحدث ويتعرض فيها للمواقف الأجتماعية التي تسبب له صعوبات من شأنه ان تضايقه وتسبب له شعور بعدم السعادة اوتكسبه خبرة تساعد على التفاعل مع افراد المجموعة التي ينتمي اليها ، ويوضح الجدول (١٢) ان ٦٤٪ من الأحداث اكدوا ان دورهم في القيام بالفعل المنحرف رئيسي و ٣٦٪ منهم اكدوا ان دورهم ثانوياً ، وان ٦٠٪ منهم قاموا بفعلهم بصورة فردية و (٤٠٪) منهم قاموا به بصورة جماعية ، اي أنهم اتصلوابالأخرين بغية قيامهم بالفعل المنحرف .

العوامل الأقتصادية لاسر الأحداث :

(آ) مهن آباء الأحداث

لمهنة الأب اهمية في تحديد الشريحة الأجتماعية التي ينتسب اليها الحدث ، ذلك لان المردود الأجتماعي للمهنة تناول مؤشرات عديدة ، فضلا عن ان المهنة تبرعلى شاغلها دخلا وانها تضفي عليه منزلة اجتماعية ايضاً . والجدول (١٣) يوضح مهن آباء الأحداث حيث ان ٥٤,٧٪منهم ينتسبون الى شريحة العمال و٩,٣٪ منهم عسكريون و٨٪ فلاحون و٥,٣٪ سواق و ٥,٣٪ متقاعدون و ٥٪ موظفون و ١٠,٧٪ منهم متوفون اي ان شريحة العمال تمثل المجال الأكثر شيوعاً للسلوك المنحرف للاحداث .

(ب) دخل الأسرة .

يعد الدخل من المؤشرات التي تحدد طبيعة المستوى المعاشي للاسرة . الا أنه لايعد المؤشر الوحيد ، لسبب انه يرتبط بمتغيرات اخرى كالصحة والرفاهية الأجتماعية ومستوى التعلم والرضا النفسي للواقع الذي تعيشه الأسره ، وان مدى تحقيق هذه المتغيرات في حياة الأسرة هو الذي يحدد المستوى المعاشي الواقعي للأسرة .

وقد استنتجت البحوث الميدانية التي تناولت ظاهرة جنوح الأحداث على المستوى المحلي أو العالمي ان الأحداث الجانحين ينتمون الى اسر منخفضة الدخل فدراسة الدكتور صباح باقر توضح ان اغلب الأحداث يقطنون مناطق عمالية في مدينة بغداد كمدينة صدام والشعلة ، ويؤكد الباحث ان هذه المناطق هي المجال الذي يظهر فيه السلوك المنحرف بصفة مستمرة (٥) كما استنتج « ديفرس » في ايطاليا ، انه في حين يعد ٦٠٪ من السكان من الطبقات الفقيرة ،فأن نسبة تتراوح بين ٨٥ ــ ٩٠٪ من المحكوم عليهم ينتمي الى هذه الطبقات (٦) اي ان الأسر الفقيرة تنجب الجانحين اكثر من الأسر الأيسر حالا .

وقد اعتمدت هذه الدراسات في تحديد المستوى المعاشي على الدخل وهذا شأن اغلب البحوث التي تتناول ظاهرة انحراف الأحداث ، وذلك لقلة امكان قياس المتغيرات النوعية الأخرى المرتبطة بالمستوى المعاشي، والجدول (١٤) يبين فئات دخل أسر الأحداث متضمناً دخل الأحداث العاملين ، من محتويات الجدول نجد ان ٣٨,٧٪ من الأحداث يتراوح دخل اسرهم بين (٥٠ ــ ١٠٠) ديناراً و ٣٣,٣٪ منهم تتراوح دخول اسرهم بين (١٥١ ــ ٢٠٠) ديناراً .

وقد بلغ وسيط دخل الأسر (١٢١,٢٤٠) ديناراً ، وعند مقارنتنا دخول اسر الأحداث بحجم اسرهم وجدنا ان قيمة (كا٢=١٢,٩) ٭ ينظر الجدول ٢٥

(ج) مساهمة الحدث في دخل الأسرة :

ان مساهمة الحدث في دخل الأسرة تعد حالة طبيعية في الأسر الفقيرة ، وخاصة اذا كانت كبيرة الحجم ، ويأتي سبب عمل بعض الأحداث ومساعدة اسرهم الى كبر حجم هذه الأسر والحاجة الى دخل اضافي لأعالة افرادها فضلا عن أن بعض الأحداث قد تركوا مدارسهم واصبحوا في حاجة امتهان عمل معين ، وعادة تكون مساهمة الحدث

(٭) القيمة دالة احصائياً بمستوى معنوية ٠,٠٢ بدرجة الحرية ٤

في دخل الأسرة مساهمة جانبيه ماعدا تلك الحالات التي يفقد فيها الحدث لأحد الأبوين او كليهما ، والجدول (١٥) يوضح ان ٤٤٪ من الأحداث يساهمون في دخل اسرهم وان ٥٦٪ منهم لايساهمون .

(د) موقف الأحداث من المستوى المعاشي لأسرهم :

نجد في الجدول (١٦) ان ١٢٪ من الأحداث اكدوا ان المستوى المعاشي لاسرهم جيد وان ٣٣,٣٪ منهم اوضحو انه متوسط في حين ان ٥٤.٧٪ منهم اكدوا انهم ينتمون الى اسر متخلفة اجتماعيا واقتصاديا .

(ﮬ) طبيعة سكن اسر الأحداث وملكيته :

توضح بيانات الجدول (١٧) ان ٦٥,٣٪ من اسر الأحداث يسكنون بيوتاً مستقلة و٣٤,٧٪ يسكنون بيوتاً مشتركة وان ٦٩,٣٪ من اسر الأحداث يمتلكون داراً و ٣٠,٧٪ منهم مستأجرون .

(و) وسائل الراحة والترفيه :

في الجدول (١٨) نجد ان ٤٠٪ من الأحداث اكدوا ان اسرهم تمتلك التلفزيون والثلاجة والراديو والمسجل فضلا عن امور ترفيهية اخرى ، في حين اوضح ٢٤٪ من الاحداث ان اسرهم لاتمتلك من تلك الوسائل غير التلفزيون والراديو في حين اكد ٣٦٪ منهم ان اسرهم لاتمتلك تلك الوسائل .

والواضح من النسب الآنفة ، ان ٦٠٪ من الأسر لاتمتلك الوسائل الترفيهية الكافية التي من شأنها جعل الحدث يقضي اوقات فراغه في المنزل بدل الأنضمام الى زمر الصداقة اوالتسكع في المحلات والشوارع العامة .

٣ ــ العامل التعليمي .

يرى المفكر « لوك وود » ان التعليم يوفر فرصاً اوسع للحراك الأجتماعي الى الأعلى بالنسبة للاطفال الطبقة الأقل (٦) ، وبهذا فأنه يساعد على خلق مستويات اجتماعية واقتصادية فضلى بتوسيع مجالات وفرص العمل لهم . وفضلا عن ذلك فالتعليم وظائف عديدة منها تنمية الأفكار والمواهب والقدرة العقلية ويوسع من آفاق المعرفة والأدراك جميع هذه الوظائف يساعد الآباء في الألتزام باجراءات سليمة في التنشئة الأجتماعية لابنائهم مما يؤهلهم اتباع سلوك سليم في مجالات حياتهم (٧) .

من هنا ، ارتأينا قياس المستوى التعليمي للاحداث واسرهم ، بغية التعرف على انماط المستويات التعليمية السائدة في اسر الأحداث والأحداث انفسهم ، واثر ذلك في تشكيل السلوك غير السوي لديهم .

(آ)المستوى التعليمي لأباء الأحداث :

يتضح من نتائج الجدول (١٩) ان ٥٨,٧٪ من آباء الأحداث و ١٨,٣٪ من أمهاتهم أميون وان ١٨,٧٪ من الأباء و ١٠,٧٪ من الأمهات يقرأون ويكتبون وان ٩,٣٪ من الأباء و ٨٪ من الأمهات حاصلون على الشهادة الأبتدائية و١٠,٧٪ من الأباء حاصلون على الشهادة المتوسطة والأعدادية : اي ان اكثر من ثلث آباء وامهات الأحداث اميون او يقرأون ويكتبون ولايمتلكون الثقافة الكافية لتوعية ابنائهم .

(ب) المستوى التعليمي لأخوة الأحداث :

يتبين من الجدول (٢٠) ان ١٤,٣٪ من اخوة الأحداث الأميون و٥٦٪ منهم في المرحلة الأبتدائية و١٨٪ منهم في المرحلة المتوسطة و ٩٪ منهم في المرحلة الأعدادية و٢,٨٪ منهم في مراحل دراسية اعلى . والملاحظ ان ٧٠,٣٪ من اخوة الطلبة اميون او يمتلكون ثقافة اولية لايمكنهم المساهمة في توعية اخوانهم اوافراد اسرهم بمقومات السلوك السليم في المجتمع

(ج) المستوى التعليمي للأحداث

يلاحظ في الجدول (٢١) ان الحالة التعليمية لغالب الأحداث تنحصر في المرحلتين الابتدائية ٢٨,٧٪ والمتوسطة ٢٨٪ ويلاحظ في الجدول (٢٢) ان اكثرية الأحداث ٦١,٢ ٪ تركوا مدارسهم واتجهوا للعمل ، ويتبين في الجدول (٢٣) ان ٨٢,٧٪ من الأحداث اتصفوا بمستوى دراسي ضعيف لوجود سنوات رسوب في مراحلهم الدراسية أوانهم تركوا مدارسهم في مراحلها الأولى ، ويتضح من الجدول (٢٤) ان (١٤) حدثا من مفردات العينة رسبوا سنة واحدة و (١٤) حدثا رسبوا سنتين و (٥) احداث رسبوا ثلاث سنوات و (٤) احداث رسبوا (٤و٥) سنوات .

المبحث الثالث :

«نتائج الدراسة ومناقشة فرضياتها »

الفرضية الاولى :ـ

«هناك علاقة طردية بين حجم الأسرة ودخلها وجنوح الأحداث »
من نتائج الجدول (٦) نجد ان ٨٤٪ من مفردات عينة الدراسة ينتمون الى اسر كبيرة الحجم يتراوح عدد افرادها من (٧ ـ ١٤) فرداً ، وقد بلغ وسيط حجم اسر الأحداث ٩,٥ فرداً .

ولدى مقارنة حجم اسر الأحداث بوسيط الدخل الشهري لها والبالغ (١٢١,٢٤٠) ديناراً ظهر ان الفرق المعنوي في قيمة مربع كاي = ١٢,٩ ؛ اي ان دخل اسر الأحداث لايلبي متطلبات افرادها بصورة صحيحة لكبر حجمها وبهذا نقف على صحة فرضية الدراسة .

الفرضية الثانية :

«هنالك علاقة طردية بين حالات الانفصال بين الوالدين والتصدع الأسري وحالات الجنوح » .
من بيانات الجدول (٨) يتبين ان ٣٢٪ من الأحداث اكدوا ان العلاقة بين والديهم غير قائمة . ويتضح من بيانات الجدول (٩) ان ٤٧٪ من الأحداث فسروا طبيعة العلاقة بين والديهم بأنها غير جيدة ، وارجع ٤٥,٨٪ منهم اسباب ذلك الى وقوع الطلاق بين الوالدين و ٢٩,٢ ٪ منهم الى وفاة الأب و ١٦,٨٪ منهم الى وفاة الأم و ٤,١٪ الى وفاة الأبوين و ٤,١٪ منهم الى خلافات زوجية قائمة بين الأبوين كما يتضح ذلك في الجدول (١١)

وبهذا نقف على صحة فرضية الدراسة .

الفرضية الثالثة :

«تؤثر طبيعة المعاملة الوالدية في جنوح الأحداث »
من بيانات الجدول (٧) نستنتج ان ١٤,٧٪ من الأحداث تلقوا معاملات القسوة

والأكراه من ابويهم و ٥٤،٧٪ منهم اهملوا ولم يقدم لهم الأرشاد والتوجيه ، اي ان ٦٩،٤٪ من مفردات الدراسة اكدوا ان معاملة ابويهم لهم تتراوح بين القسوة والأهمال .

وبهذا نقف على صحة فرضية الدراسة .

الفرضية الرابعة : —

«هنالك علاقة بين انخفاض المستوى التعليمي للاحداث وافراد اسرهم والميل نحو الجنوح » .

من بيانات الجدول (٢١) نستنتج ان ٥٨،٧٪ من الأحداث هم في المرحلة الأبتدائية و ٢٨٪ منهم في المرحلة المتوسطة ، ويلاحظ في الجدول (٢٢) ان ٦١،٢٪ من الاحداث تركوا مدارسهم واتجهوا للعمل ، وتبين من الجدول (٢٣) ان ٨٢،٧٪ من الأحداث اتصفوا بمستوى دراسي ضعيف لوجود سنوات رسوب في مراحلهم الدراسية ويتضح من بيانات الجدول (١٩) ان ٥٨،٧٪ من آباء الأحداث و ٨١،٣٪ من امهاتهم اميون وان ١٨،٧٪ من الأقرباء و ١٠،٧٪ من الأمهات يقرأون ويكتبون ويتبين في الجدول (٢٠) ان ١٤،٣٪ من اخوة الأحداث اميون و ٥٦٪ منهم في المرحلة الأبتدائية و ١٨٪ منهم في المرحلة المتوسطة و ٧٪ منهم في المرحلة الأعدادية و ٢،٨٪ منهم في مراحل دراسية اعلى.
وبهذا نقف على صحة فرضية الدراسة .

التوصيات

في ضوء نتائج هذه الدراسة نوصي الجهات المعنية بشؤون الأحداث ، ومتخذي القرار بما يأتي

١ — منح محفزات مادية ومعنوية مستمرة للاسر التي تتميز بكبر حجمها وقلة دخلها الشهري :

٢ — توعية المواطنين بمساويء حالات الأنفصال وسوء العلاقة الزوجية بواسطة برامج معدة لهذا الغرض في الأجهزة المرئية والسمعية والمنشورات .

٣ — زيادة الأهتمام بالاطفال الذين يظهرون سمات سلوكية غير سوية في المدارس الابتدائية وذلك بانشاء مكاتب البحث الأجتماعي والنفسي في المدارس الأبتدائية .

٤ — توعية الأباء بوسائل التربية الحديثة بوساطة برامج الأجهزة المرئية والسمعية وعقد الندوات الأجتماعية في المنظمات الجماهيرية .

٥ — وضع رقابة صارمة على الجهات التي تشغل الأحداث او ان يكون عملهم وفقاً لضوابط رسمية تلحق بمنظمات مهنية .

٦ — توفير اماكن تسلية ومساحات خضر توفر وسائل اللعب واللهو ووفقاً لضوابط.

٧ — تشجيع انتماء الصبية الى منظمات علمية ورياضية واجتماعية وثقافية بغية ، ابعادهم عن رفاق السوء .

المصادر

Emory, S. Bogardus: Sociology. Thired Edition, New York: The Macmillan Co, 1950, P. 57.

- الدباغ ، فخري (الدكتور) ، جنوح الأحداث ، دار الكتب ، جامعة الموصل ١٩٧٥ ، ص٢٠ .
- نشأت ، اكرم (الدكتور) ، جنوح الأحداث ، مطبوعة بالرونيو بدون تاريخ ص١ .
- عبدالفتاح ، زكية (الدكتورة) ، الأسرة وانحراف الأحداث .
مديرية الشرطة العامة . الحلقة الدراسية الخاصة لمعالجة ظاهرة انحراف الأحداث للفترة من ١٧ — ١٩ تشرين الثاني ١٩٨١ . ص١٥ — ١٦ .
- باقر ، صباح (الدكتور) ، اساليب المعاملة الوالدية وتأثيرها في انحراف الأحداث ، مجلة اداب المستنصرية ، العدد (٩) ١٩٨٤ . مطابع جامعة الموصل ص٥٥٠ .
- حسين منصور ، التعليم والموارد البشرية ، مكتبة الوعي العربي، القاهرة ، ١٩٧٧ ص٢٥ — ٢٦ .

Introduction to Sociology, EW. Stewart.
J.A. Clynn, TMH Edition. TATA, McGraw-Hill Publishing Co. 1981.P 327.

«الملاحق»

ج رقم (١)
جنس الأحداث

الجنس	العدد	٪
ذكور	٧١	٩٤,٧
اناث	٤	٥,٣
المجموع	٧٥	٪١٠٠

ج٢ الفئات العمرية للاحداث

فئات السن	العدد	٪
١١ – ١٤	٨	١٠,٧
١٥– ١٨	٦٧	٨٩,٣
مج	٧٥	٪١٠٠

ج٣
محل الأقامة الحالي والأصلي لأسر الأحداث

الأقامة الحالية	العدد	٪	الاقامة الأصلية	العدد	٪
بغداد	٦٩		بغداد	٣٨	٥٠,٦
محافظات	٦		محافظات	٣٧	٤٩,٣
مج	٧٥	١٠٠	مج	٧٥	٪١٠٠

ج٤ مهن الأحداث

نوع المهنة	العدد	٪
عامل	٢٧	٣٦
طالب	٢٨	٣٧,٣
سائق	٦	٨
حدادوفيتر	٤	٥,٣
جيش شعبي	٥	٦,٧
عاطل	٥	٦,٧
مج	٧٥	٪١٠٠

ج٥ نوع الفعل المنحرف

نوع الفعل المنحرف	العدد	٪
سرقة	٢٨	٣٧,٤
ملاوطه	١١	١٤,٧
شروع بالقتل	٧	٩,٤
تجارة	٦	٨
قتل	١٥	٢٠
خطف	٣	٤
تشرد	١	١,٣
اعتداء	١	١,٣

سلب	١	١,٣
انتحال	١	١,٣
تزوير	١	١,٣
مج	٧٥	١٠٠٪

ج٦

فئات حجم اسر الأحداث

بالفئات	العدد	٪
٣ — ٦	١٢	١٦
٧ — ١٠	٣١	٤١,٣
١١ — ١٤	٣٢	٤٢,٣
مج	٧٥	١٠٠٪

ج٧

طبيعة المعاملة الوالدية

طبيعة المعاملة الوالدية	العدد	٪
حب وتوجيه	٢٣	٣٠,٦
القسوة	١١	١٤,٧
الأهمال	٤١	٥٤,٧
مج	٧٥	١٠٠٪

ج٨

العلاقة الزوجية

العلاقة الزوجية	العدد	٪
قائمة	٥١	٦٨
غير قائمة	٢٤	٣٢
مج	٧٥	١٠٠

ج٩

طبيعة العلاقة الزوجية

طبيعة العلاقة الزوجية	العدد	٪
جيدة	١١	٢١,٦
اعتبادية	١٦	٣١,٤
غير جيدة	٢٤	٤٧
مج	٥١	١٠٠٪

ج١٠

طبيعة علاقة الأحداث باخوانهم

طبيعة العلاقة	العدد	٪
جيدة	١٣	١٧,٣
اعتيادية	٢١	٢٨
غير جيدة	٤١	٥٤,٧
مج	٧٥	١٠٠٪

ج١١

اسباب عدم قيام الحالة الزوجية

السبب	العدد	٪
الطلاق	١١	٤٥,٨
وفاة الأب	٧	٢٩,٢
وفاة الأم	٤	١٦,٨
وفاة الاثنين	١	٤,١
خلافات زوجية	١	٤,١
مج	٢٤	١٠٠٪

ج١٢

مواصفات الفعل المنحرف

دور الحدث في الفعل	العدد	٪	طبيعة القيام بالفعل	العدد	٪
رئيس	٤٨	٦٤	فردي	٤٥	٦٠
ثانوي	٢٧	٣٦	جماعي	٣٠	٤٠
مج	٧٥	١٠٠٪	مج	٧٥	١٠٠٪

ج١٣

مهن اباء الأحداث

المهنة	العدد	٪
عامل	٤١	٥٤,٧
متوفي	٨	١٠,٧
عسكري	٧	٩,٣
فلاح	٦	٨
موظف	٥	٦,٧
سائق	٤	٥,٣
متقاعد	٤	٥,٣
	٧٥	١٠٠٪

ج١٤

دخل أسر الأحداث

فئات الدخل	العدد	٪
٥٠ – ١٠٠	٢٩	٣٨,٧
١٠١ – ١٥٠	٢١	٢٨
١٥١ – ٢٠٠	٢٥	٣٣,٣
مج	٧٥	١٠٠٪

ج١٥
مساهمة الأحداث في دخل الأسرة

المساهمة	العدد	٪
يساهم	٣٣	٤٤
لا يساهم	٤٢	٥٦
مج	٧٥	١٠٠٪

ج١٦
المستوى المعاشي لأسر الأحداث

المستوى	العدد	٪
جيد	٩	١٢
متوسط	٢٥	٣٣,٣
متخلف	٤١	٥٤,٧
مج	٧٥	١٠٠٪

ج١٧
طبيعة سكن اسر الأحداث وملكيته

طبيعة السكن	العدد	٪	ملكية السكن	العدد	٪
مستقل	٤٩	٦٥,٣	ملك	٥٢	٦٩,٣
مشترك	٢٦	٣٤,٧	ايجار	٢٣	٣٠,٧
مج	٧٥	١٠٠٪	مج	٧٥	١٠٠٪

ج١٨
وسائل الراحة والترف

الوسائل	العدد	٪
متوفرة	٣٠	٤٠
قسم منها	١٨	٢٤
غير متوفرة	٢٧	٣٦
مج	٧٥	١٠٠٪

ج١٩ الحالة التعليمية لاباء وامهات الإحداث

المستوى التعليمي	الأبـــاء		الأمـهـات	
	العدد	٪	العدد	٪
أمي	٤٤	٥٨,٧	٦١	٨١,٣
يقرأ ويكتب	١٤	١٨,٧	٨	١٠,٧
ابتدائية	٧	٩,٣	٦	٨
متوسطة	٥	٦,٧	صفر	
اعدادية	٣	٤	صفر	
فمافوق	٢	٢,٦	صفر	
مج	٧٥	٪١٠٠	٧٥	٪١٠٠

ج٢٠

المستوى التعليمي لاخوة الأحداث

المستوى التعليمي	العدد	٪
امي	٨٠	١٤.٣
ابتدائية	٣١٥	٥٦
متوسطة	١٠١	١٨
اعدادية	٤٩	٨.٨
فما فوق	١٦	٢.٩
مج	٥٦١	٪١٠٠

ج٢١

المستوى التعليمي للاحداث

المستوى التعليمي	العدد	٪
امي	٥	٦.٦
ابتدائية	٤٤	٥٨.٧
متوسطة	٢١	٢٨
اعدادية	٥	٦.٧
مج	٧٥	٪١٠٠

ج٢٢

موقف الحدث من الدراسة

موقف الحدث	العدد	٪
مستمر فيها	٢٨	٣٨.٨
غير مستمر	٤٤	٦١.٢
مج	٧٢	٪١٠٠

ج٢٣

المستوى الدراسي للاحداث .

المستوى	العدد	٪
جيد	١٠	١٣.٨
ضعيف	٦٢	٨٦.٢
مج	٧٢	٪١٠٠

ج٢٤

عدد سنوات الرسوب

السنة	العدد
١	١٤
٢	١٤
٣	٥
٤	٣
٥	١

ج٢٥

العلاقة بين الدخل وحجم الأسرة

الدخل حجم الاسرة	٥٠ — ١٠٠	١٠١ — ١٥٠	١٥١ — ٢٠٠	مج
٣ — ٦	١٠	٢	٠	١٢
٧ — ١٠	٩	١٠	١٢	٣١
١١ — ١٤	١٠	٩	١٣	٣٢
مجموع	٢٩	٢١	٢٥	٧٥

كا ٢ = ١٢,٩

المشكلات التربوية التي يعاني منها الطلبة في المرحلة الثانوية
دراسة ميدانية لاعدادية حديثة للبنين والبنات .

احمد حسن حسين
كلية الآداب — جامعة الموصل

محتويات البحث :—

الفصل الثاني : —

تحليل نتائج البحث الميداني

١ — مشكلة الغيابات والتأخر عن الدوام

٢ — مشكلة عدم تعاون أولياء امور الطلبة مع ادارة المدرسة

٣ — دور ادارة المدرسة في حل مشاكل الطلبة

٤ — مشكلة كيفية تنظيم اوقات الفراغ .

٥ — عدم مشاركة المدرسين في النشاطات الصفية واللاصفية التي يقوم بها الطلبة .

الفصل الثالث : —

١ — نتائج البحث

٢ — التوصيات والمقترحات

المقدمة : —

لاشك ان مرحلة الدراسة الثانوية من المراحل الدراسية المهمة وذلك لانها من اهل مراحل النمو التي يمر بها الأنسان واكثرها تعقيداً واعمقها تأشيراً في حياته المستقبلية

ان طلبة مرحلة الدراسة الثانوية يمثلون مرحلة عمرية تمتيز بعدم اكتمال النضج الفسيولوجي والنفسي والأجتماعي ، وهم بذلك يحتاجون الى الأرشاد والتوجيه في حل مشكلاتهم التربوية والنفسية والاجتماعية المختلفة وسنقتصر في بحثنا هذا على تناول المشكلات التربوية للطلبة في مرحلة الدراسة الثانوية،حيث ان تبيان هذه المشكلات نتيجة البحث والأستقصاء والوصول الى المسببات الخاصة بها يتمكننا من اتخاذ السبل الكفيلة بمعالجتها بغية تنشئة الطلبة في اجواء تسودها العوامل السليمة في التنشئة الأجتماعية .

الفصل الأول

الأطار النظري

١ ـ اهمية البحث : ـ

لقد اولت قيادة الحزب والثورة في العراق ، رعاية استثنائية لقطاع التربية والتعليم بغية تربية الجيل الجديد واعدادهم وفقاً للاسس الصحيحة تربوياً وعلمياً وقومياً . وتأتي اهمية بحثنا هذا ليلقى الأضواء على المشكلات التربوية ووضع المقترحات البديلة لمعالجة تلك المشكلات بما يسهل من مهمات المؤسسات التربوية على الصعيدين التربوي والتعليمي.

٢ ـ تحديد مشكلة البحث واهدافه :

ان دراسة المشكلات التربوية للطلبة ينبغي ان تتم وفقاً لأطار شمولي يعتمد على فهم واقع حال الطلبة فضلا عن فهم تصورات المدرسين لجوانب هذه المشكلات . وقد ساعد تكليفنا بالممارسة الميدانية في احدى المدارس الثانوية في الوقوف على هذه المشكلات والتي تتجلى في مشكلة الغياب والتأخر عن الدوام ، ومشكلة عدم تعاون اولياء امور الطلبة مع ادارة المدرسة ، وعدم تعاون ادارة المدرسة في حل مشكلات الطلبة . ومشكلة وقت الفراغ وعدم مشاركة الهيئة التدريسية في النشاطات اللاصفية للطلبة .

وقد تمثلت اهداف البحث في عدة نقاط رئيسية هي : ـ

١ ـ محاولة التعرف على المشكلات التربوية التي يواجهها الطلبة في المرحلة الثانوية.

٢ ـ دور الأباء والمدرسين في توجيه وارشاد الطلبة وتنشئتهم تنشئة سليمة وتعزيز قدراتهم وتفكيرهم وحاجاتهم .

٣ ـ وضع المقترحات والتوصيات التي يمكن ان تساعد المدرسة في اداء هذا الدور وخاصة فيما يتعلق بالدور المتوقع من الأخصائيين الأجتماعيين الذين يعملون في المجال التعليمي في حل المشكلات التربوية التي يعاني منها الطلبة .

٣ ـ مفهوم المشكلة التربوية : ـ

يعرف الدكتور الشلبي المشكلة التربوية بانها كل مايواجه الطالب من عقبات وصعوبات

من شأنه ان يحول دون تكيفه او تعلمه او اكتسابه القيم والمهارات والأتجاهات المرغوب فيها (١) .

ويعرفه الدكتور الهاشمي بأنها عدم انسجام بين المناهج التعليمية والحياة الأجتماعية لعدم انتهاج فلسفة تربوية واضحة (٢) ونرى ان تعريف الدكتور الشلبي يناسب تعريف اجرائياً لبحثنا هذا .

وما نستنتج من التعاريف السابقة ان المشكلة التربوية انما هي ظاهرة تربوية تؤثر في حياة عدد كبير من الأفراد الذين ينتمون الى المؤسسات الثقافية . وتحتاج الى عمل هادف للقضاء على اسبابها والتحرر من اثارها السلبية .

الجوانب الأجتماعية والأقتصادية للمشكلات التربوية :

ان المشكلات التربوية شأنها شأن أية مشكلة لاتوجد في فراغ بل هناك مسببات تتصارع في وجودها ، وتتجلى هذه المسببات في العوامل الأجتماعية والأقتصادية .

وفيما يتعلق بالعوامل الأجتماعية المؤثرة في ظهور المشكلات التربوية لدى الطلبة نجد ان البيئة ومحيط الطالب أثر في نمط هذه المشكلات وحجمه . فالطالب الذي يتلقى تعليمه في مركز المحافظة تشجعه البيئة والمحيط على مواصلة دراسته وتفادي المشكلات التي تنجم عنه ، ذلك لانها تحدد السمات الأساسية في بناء شخصية الطالب من خلال تحديدها لسمات المجتمع الذي يعيش فيه ويكتسب منه السلوك الأجتماعي (٣) .

كما تؤثر الخلفية الأجتماعية للطالب في تعرضه للمشكلات التربوية في المدرسة . فالأسرة التي يعيش فيها الطالب تشكل جزء رئيسياً في تكوين هذه الخلفية ، فقد يكون الأنسجام الأجتماعي بين اعضائها ضعيفاً او تكون متخلفة ثقافيا لوجود اعضاء اميين فيها وخاصة الأب او الأم وهذا من شأنه خلق حالة من الأهمال وعدم المتابعة للطالب .

---

(١) الشلبي ابراهيم مهدي (الدكتور) وأخرون، المشكلات التربوية في المدرسة مطبعة وزارة التربية ،سنة ١٩٨٣، ص٩ .

(٢) الدكتور خالد الهاشمي ، اهـداف تربوية واجتماعية ، بحث منشور في مجلة أفـاق عربية، العدد الثاني ، تشرين الاول، سنة ١٩٧٩، ص١٣٦.

(٣) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع ، دراسة نظامية، بغداد سنة ١٩٧٦ ص٢٣٤.

وقد نهضت الأسرة الحديثة بالدور الكبير المؤثر في تربية الجيل تربية صحيحة تتفق مع المتطلبات الحضارية والأجتماعية للعصر .

وفيما يتعلق باهمية دور الأسرة في حياة الطالب ، يؤكد (ميرل) بأن المدرسة لايمكن ان تحقق أي تقدم دون مساعدة الأسرة لها ، وخاصة فيما يخص معالجة المشكلات التربوية للطالب (١) .

وفيما يخص العوامل الأقتصادية المؤثرة في ظهور المشكلات التربوية للطلبة فان انخفاض المستوى المعاشي للاسرة بشكل سببا مباشراً في انخراط الأطفال ميدان العمل وماينجم عن ذلك من كثرة الغيابات والتأخر عن الدوام ،وتؤكد الدراسات على اهمية الوضع الأقتصادي للاسرة في الأنجاز العلمي لابنائها فضلا عن اهميته في تحديد نمط المشكلات التربوية التي تعترضهم (٢) .

المبحث الثاني

الأطار الميداني



اجراءات البحث

١ – نوع البحث ومنهجه : –

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التحليلية التي تعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها ، والمنهج المستخدم هو المسح الأجتماعي عن طريقه العينة .

٢ – مجالات البحث : –

اما مجالات البحث فكانت كالاتي : –

١ – الجمال المكاني : تم تحديد قضاء حديثة مجالا مكانيا للدراسة وبالذات المدارس الثانوية التابعة لهذه المنطقة .

---

(١) ميرال اولف ، التوجيه التربوي وفلسفة واسعة ، ترجمة د. عثمان لبيب، دار النهضة العربية، سنة ١٩٦٤، ص٤٧–٤٨.

(٢) ،حمد مصطفى ، المشكلات التربوية في المدرسة ،مطبعة سلمان الاعظمي ، بغداد ، سنة ١٩٨٨، ص١٤.

٢ ــ الجمال الزماني : ــ استغرقت الوقت الذي استنفذه القيام لهذا البحث من ١/١٠/١٩٨٧ لغاية ١/١٢/١٩٨٧ .

٣ ــ الجمال البشري ــ الجمال البشري لهذا البحث يتحدد طلاب وطالبات ثانوية حديثة للبين والبنات

٣ ــ العينة

تم تحديد عينة البحث بطريقة العينة العشوائية الطبقية التناسبية ،حيث تم اختيار الطلبة وفقاً لمراحلهم الدراسية وبالشكل الذي يوضحه الجدول رقم (١) .

الصفوف	مجموع الطلاب	عدد الطلبة الذين تم اختيارهم	مجموع الطالبات	عدد الطالبات الذين تم أختيارهم
الرابع	١٠٠	٢٦	٨٠	٢٥
الخامس	٥٠	١٨	٥٥	١٥
السادس	١٠٠	٢٦	٧٠	٢٠
المجموع	٢٥٠	٧٠	١٧٥	٦٠

٤ــ ادوات البحث :

يتطلب ادوات البحث الاستعانة بمجموعة متكاملة من الادوات واستخدامها للحصول على البيانات التي تتفق مع كل جانب من جوانب الظاهرة المدروسة واهمها مايلي : ــ

١ ــ الاستمارة الأستبيانية :

٢ ــ الملاحظة والمقابلة : تم ملاحظة الطلبة ومقابلتهم في مدارسهم للتعرف على مشكلاتهم التربوية فضلا عن مقابلة اعضاء الهيئة التدريسية .

٥ ــ الأساليب الاحصائية

١ ــ النسب المئوية .

٢ ــ كا٢ (كايسكوير) .

الفصل الثاني

تحليل نتائج البحث

١- مشكلة الغيابات والتأخر عن الدوام

تعد مشكلة تغيب الطلبة عن المدرسة من المشكلات التربوية البارزة التي تعاني منها ادارة المدارس الثانوية .حيث ان هذه المشكلة تؤثر في جانبين مهمين ، اولهما ضبط النظام في المدرسة والثانية التأثير السلبي في التحصيل الدراسي للطلبة .

ان هذه المشكلة تتزامن في مرحلة الدراسة الثانوية مع مرحلة المراهقة وتأخذ أبعاداً جديدة بسبب حالة المراهق النفسية وعلاقته بنفسه وبالأخرين من افراد عائلته وبزملائه ومدرسيه ان بعض الطلبة يتغيبون بين فترات متقاطعة والبعض الأخر لايبدون التزماً بالحضور الى الصف وخاصة في فترات الدوام الصباحي ، حيث لاحظنا ان بعضاً من الطلبة يدخلون الدرس بعد دق الجرس وبدفعات متتالية وحتى انتهاء فترة الدرس ، وفي الغالب يكون التغيب نتيجة لعدم التوافق بين الطالب ومحيطه الدراسي اومظهراً لمشكلات يتعرض لها . وفيما يلي جدول رقم (٢) يوضح تأثير الغيابات والتأخر عن الدوام على المستوى العلمي والتربوي للطلبة .

جدول رقم (٢) يوضح مدى تأثير الغيابات على المستوى العلمي والتربوي للطلبة

تأثير الغيابات على المستوى العلمي للطلبة	الطلاب		الطالبات		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
نعم	٥٣	٧٥,٧	٤٧	٧٨,٣	١٠٠	٧٧
لا	١٧	٢٤,٣	١٣	٢١,٧	٣٠	٣٣
المجموع	٧٠	١٠٠	٦٠	١٠٠	١٣٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢) ان ٧٧ ٪ من الطلبة يؤكدون على ان الغيابات تؤثر في مستواهم التربوي والعلمي ، وان ٣٣ ٪ منهم يؤكدون عدم تأثير الغيابات والتأخر عن الدوام على مستواهم التربوي وقد اخذنا متغير الغيابات لتبيان اثرها على المستوى التربوي

والتعليمي للطلبة ، واستنتجنا ان ٧٥,٧ ٪ من الطلاب و ٧٨,٣ ٪ من الطالبات يؤكدون بأن الغيابات تؤثر على مستواهم التربوي ، وان ٢٤,٣ ٪ من الطلاب و٢١,٧ ٪ من الطالبات أجابوا بعدم تأثير الغيابات على مستواهم التربوي ، والملاحظ انه ليس هناك فرق معنوي بين الطلاب والطالبات عند تطبيق معادلة (كا٢) . والجدير بالذكر ان تأخر الطلبة وغيابهم عن المدرسة من المشكلات التي تشير قلق اولياء امور الطلبة ، اذ يترتب عليها نتائج سيئة يمكن تلافيها لوتعاونت الأسرة مع المدرسة وقد اثبتت التجارب والبحوث التربوية التي اجريت ان بعض اسباب هذه المشكلة يرجع الى عدم تعاون الأسرة مع المدرسة وقد ترجع اسباب التأخر عن الدوام وغياب الطلبة وعدم انتظام الدوام الى عدة اسباب تأتي في مقدمتها الموقع الجغرافي للمدرسة وبعدها من اماكن سكن الطلبة ، والسبب الأخر هو سوء الحالة الأقتصادية للاسرة .

وكما هي موضحة في جدول رقم (٣) والذي يوضح ذلك .

جدول رقم (٣) يوضح اسباب الغيابات والتأخر عن الدوام للطلبة

الأسباب	العدد	٪
عدم الرغبة في الدراسة	٤٠	٤٠ ٪
الظروف الأسرية والأجتماعية القاصرة	٣٤	٣٥ ٪
هبوط مستوى طموحهم وامكانياتهم العقلية	٢٥	٢٥ ٪

يتبين من الجدول رقم (٣) ان ٤٠ ٪ من الطلبة يؤكدون ان سبب الغيابات هو عدم الرغبة في الدراسة ، في حين ان ٣٥ ٪ من الطلبة يؤكدون ان التأخر عن الدراسة يرجع الى تردي العلاقة بين الطالب ووالديه واخوانه لسوء الظروف الأسرية القاصرة من الناحية الأقتصادية والأجتماعية ، و٢٥ ٪ من الطلبة يؤكدون ان التأخر عن الدراسة يرجع الى هبوط مستوى طموحهم وامكانياتهم العقلية . ومن هنا نجد مشكلة التأخر الدراسي والغيابات مشكلة متعددة الأبعاد يصعب حصرها في مظهر واحد فبعض هذه العوامل تكون واضحة واخرى تكون خفية .

٢ – مشكلة عدم تعاون اولياء أمور الطلبة مع ادارة المدرسة :–

مما لاشك فيه ان مهمة المدرسة هي مرحلة متتمة لمهمة الأسرة عليه ينبغي ان يتعاون اولياء أمور الطلبة مع ادارة المدرسة في تربية ابنائهم . ونستنتج من هذا ان مدارس البنين بحاجة اكثر الى تعاون الأسرة بالمدرسة في معالجة مشكلات ابنائهم ، لان المدرسة لايمكن ان تحقق أي نجاح من دون تعاون الأسرة خاصة عند معالجة المشكلات التربوية التي يواجهها الطلبة في داخل المدرسة ، فكثيراً مدا يعالج الأباء المشكلات التي يصعب على المدرسة حلها . والجدول رقم (٤) يوضح لنا ذلك .

جدول رقم (٤) يوضح اهتمام اولياء امور الطلبة بشؤون ابنائهم ومشكلاتهم

مدى اهتمام اولياء امور الطلبة بشؤون ابنائهم	الطلاب		الطالبات		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
الأهتمام	٢٥	٣٥,٧	٢٣	٣٨,٣	٤٨	٣٧
عدم الأهتمام	٤٥	٦٤,٣	٣٧	٦١,٦	٨٢	٦٣
المجموع	٧٠	٪١٠٠	[illegible]	٪١٠٠	١٣٠	٪١٠٠

كا٢ = لا يوجد فرق معنوي بين الطلاب والطالبات

تؤكد بيانات الجدول اعلاه ان ٣٧٪ من الطلبة يؤكدون مشاركة اولياء أمورهم بمجلس الاباء والمدرسين ، في حين ان ٦٣٪ منهم أجابوا إلى عدم اهتمام أولياء أمورهم بالحضور في مجلس الاباء والمدرسين . واستنتجنا ان ٣٥,٧٪ من الطلاب و٣٨,٣٪ من الطالبات يؤكد تعاون اولياء أمورهم مع ادارة المدرسة في حل مشاكلهم التربوية وان ٦٤,٣٪ من الطلاب و٦١,٧٪ من الطالبات يؤكدون الى عدم أهتمام أبائهم بمشكلاتهم التربوية وعدم تعاونهم مع ادارة مدارسهم في الامور التي تتعلق بمشكلاتهم التعليمية والاجتماعية. لعل السبب الرئيسي هذا يعود الى ان أغلبية أولياء امور الطلبة أميون وتشغلهم أعباء الحياة اليومية ولايهتمون بأهمية المشاركة في المدارس والاشراف على تربية اولادهم عن طريق التعاون مع الهيئة التدريسية لحل مشكلاتهم وازالة العقبات التي تعود الى المدرسة .

٣ — دور ادارة المدرسة في حل مشكلات الطلبة : —

ان العلاقة بين المدير والمدرسين من جهة والطلبة من جهة أخرى يتوقف بالطبع على فلسفة المدير التي تعكس أثرها على الهيئة التعليمية من خلال العمل والسلوك اليومي ، ومالم يعرف المدير ومعاونوه كيف يعمل مع الهيئة التعليمية والطلبة في حل المشكلات التربوية والاجتماعية والحفاظ على استمرارية تقدم المناهج التربوية في المدرسة لايكون قائداً تربوياً. أما من جهة الطلبة وعلاقاتهم بالادارة المدرسية فقد تبين من خلال الدراسة الميدانية ان بعض المدراء في المدارس الثانوية قد يصغي على نفسه نوعاً من الشهرة فإن الطلبة قد يحجبون عن بحث مشكلاتهم بحرية تامة مع ادارة المدرسة وهذا يرجع الى عدم مشاركة الهيئة التدريسية مع الطلبة وكثير مايهددون الطلبة بأرسالهم الى المدير ومعاونيه.

والجدول رقم (٥) يوضح لنا ذلك .

جدول رقم (٥) يوضح دور ادارة المدرسة في حل مشكلات الطلبة

مدى أهتمام ادارة المدرسة في حل مشاكل الطلبة	الطلاب العدد	الطلاب ٪	الطالبات العدد	الطالبات ٪	المجموع العدد	المجموع ٪
اهتمام	٤٠	٥٧,١ ٪	٣٥	٥٨,٣	٧٥	٥٨
عدم الاهتمام	٣٠	٤٢,٩	٥٢	٤١,٧	٥٥	٤٢
المجموع	٧٠	١٠٠	٦٠	١٠٠	١٣٠	١٠٠

تشير بيانات الجدول رقم (٥) ان ٥٧,١ ٪ من الطلاب يقابلها ٥٨,٣ ٪ من الطالبات . يؤكدون ان ادارة المدرسة تهتم بالطلاب داخل المدرسة والعمل على معالجة المشكلات التربوية التي يعانون منها، وان ٤٢,٩ ٪ من الطلاب و٤١,٧ ٪ من الطالبات يؤكدون أن ادارة المدرسة لاتهتم بالطلبة داخل المدرسة وبالمشكلات التربوية والاجتماعية والاقتصادية التي يعانون منها، وبعد اجراء أختبار كا[٢] لن يجد فرقاً معنوياً بين الطلاب . والطالبات على جميع مستويات الشقه الاحصائية بالنسبة لمدى اهتمام ادارة المدرسة بمشكلاتهم داخل المدرسة. والجدير بالذكر ان المشكلات الصعبة التي تواجهها ادارة

المدارس هي مشكلة عدم التوفيق بين حاجات المراهقين وبين ماتقتضيه ادارة المدرسة من ضبط ونظام ، وقد كانت أكثر المشكلات التي تكررت من خلاله الملاحظ الميدانية في هذا المجال والتي أكد عليها المدراء ومعاونيهم هو سوء التصرف بين بعض الطلبة سواء كان ذلك في ممارسة الغش في الامتحان، أو في أتلاف الاثاث المدرسية. والكتابة على جدران المدرسة وغيرها من المشكلات السلوكية غير الصحيحة.

٤ ـ مشكلة كيفية تنظيم اوقات الفراغ :

ان تنظيم وقت الفراغ بأنشطة مفيدة مثل أعمال الفن والاداب والرياضة وزيارة المتاحف والقيام بالسفرات الترويحية له بالغ الاثر في تنمية شخصية الطالب ونموها بشكل سليم ، لذا ينبغي على ادارة المدارس الاهتمام بتوجية الطلبة الى أستغلال أوقات فراغهم بالممارسات الترويحية أو الفنية المفيدة .

ويمكن للمدرسة استغلال بعض اوقات فراغ طلبتها بممارسات ايجابية كلعب الرياضة أو ترتيب وتنظيم حدائق المدرسة. والجدول رقم (٦) يوضح اداء الطلبة في وجود أو عدم وجود أوقات فراغ لديهم .

جدول (٦) يوضح اداء الطلبة فيما يخص اوقات الفراغ

هل يوجد لديك وقت فراغ	الطلاب		الطالبات		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
نعم	٥٠	٧١,٤	٤٠	٦٦,٦	٩٠	٦٩
لا	٢٠	٢٩,٦	٢٠	٣٣,٤	٤٠	٣١
المجموع	٧٠	١٠٠	٦٠	١٠٠	١٣٠	١٠٠

يتبين من الجدول رقم (٦) ان ٧١,٤ ٪ من الطلاب و٦٦,٦ ٪ من الطالبات لديهم أوقات فراغ يستغلونها في النشاطات الرياضية والترفيهية وفي المطالعة فضلا عن الحفاظ على مستواهم الدراسي الجيد. في حين ان ٢٩,٦ ٪ من الطلاب و٣٣,٤ ٪ من الطالبات يؤكدون على عدم وجود وقت فراغ لديهم . استناداً لما سبق نرى ان الطلبة بحاجة الى تنمية الوعي لديهم بأهمية الممارسات الرياضية والترويحية في وقت الفراغ نظراً لما لها من اهمية في النمو المتزن للشخصية .

٥ ـ عدم مشاركة المدرسين في النشاطات الصفية واللاصفية التيبقوم بها الطلبة :

ان المدرس عنصر مهم وحيوي في المجتمع وله الاثر الكبير في تكوين شخصية الطلاب والطالبات فهو عامل اساس في الوضع المدرسي بصورة عامة او يوجه الطلبة بمختلف فعالياتهم داخل الصف وخارجه فهو الذي يمنح الرضاء والسخط ويدفع للمثابرة والنشاط بكل أنواعه .

ان للطلبة في مرحلة الثانوية لهم عدة نشاطات لاصفية يقومون بها خلال اوقات فراغهم وينعكس هذه النشاطات التي يقوم لها الطلبة في الفعاليات الفنية والرياضية والوطنية والسفرات السياحية والتدريب العسكري في صفوف الجيش الشعبي والمشاركة في جبهات للقتال ضد العدوان الايراني الغاشم (١).

ان المشاركة المدرسين والمدرسات في الفعاليات التي يؤديها طلبتهم الدور الكبير في تقوية وتوطيد علاقاتهم من خلال معرفة الطلبة بأن المدرسين والمدرسات يشاركونهم في نفس الرغبات والاحاسيس الامر الذي يكسب كل طرف الى الطرف الاخر يأتي هذا العامل من العوامل التي تعرقل عدم مشاركة الاساتذة في النشاطات اللاصفية ،والعمل على معرفة المشكلات التربوية التي تواجهها الطلبة وفي الجدول رقم (٧) يتضح ذلك .

جدول رقم (٧) يوضح مدى مشاركة المدرسين والمدرسات في النشاطات الصفية واللاصفية

مدى مشاركة المدرسين والمدرسات في النشاطات الصفية واللاصفية	الطلاب		الطالبات		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
نعم	٢٢	٣١,٤	٣٥	٥٨,٣	٥٧	٤٤
لا	٤٨	٦٩,٦	٢٥	٤١,٧	٧٣	٥٦
المجموع	٧٠	١٠٠	٦٠	١٠٠	١٣٠	١٠٠

(١) الحسن، أحسان محمد (الدكتور) ، الابعاد التربوية والاجتماعية لمشاركة الطلبة والاساتذة في معركة قادسية صدام، بحث منشور في مجلة صوت الطلبة ، العدد ١٦٤ ، تشرين الاول لسنة ١٩٨٢، ص٤-٥.

من معطيات الجدول رقم (٧) ان ٣١,٤٪ من الطلاب و٥٨,٣٪ من الطالبات يؤكدون مشاركة المدرسين والمدرسات في الفعاليات اللاصفية التي يؤديها طلبتهم داخل المدرسة وخارجها. العمل الذي ادى شعور الطلبة بأن مدرسيهم شاركوهم في نفس الرغبات . و . والميول ، وهانزول الحواجز النفسية والاجتماعية التي غالباً ما توجد بينهم. وان ٦٩,٦٪ من الطلاب و٤١,٧٪ من الطالبات أجابوا على عدم مشاركة الاساتذة في الفعاليات الصفية واللاصفية التي يقوم بها طلبتهم ترجع الى عدة عوامل بيئية وحضارية ونفسية منها فأن أعتقاد الهيئة التربوية الخاطيء لان تفاعلهم مع الطلبة خارج نطاق الدرس سيؤدي الى عدم أحترامهم وتقديرهم من قبل الطلبة أنفسهم ، وكذلك سيقود الطلبة الى عدم الاهتمام بالدرس بالاستهانة بدرس المدرسين لكن هذه الاراء التي يؤمن بها المدرسين بعيد عن صحة والمدرس الناجح يتفاعل مع طلبته .

ومن الصفات التربوية :— العلاقة بين الطلبة والهيئة التدريسية التي برزت في الدراسة الميدانية التحليلية كشفت ماهية العلاقة التربوية والاجتماعية التي ترتبط بين الطلبة والمدرسين حيث تتعمق العلاقة بين الطلاب والطالبات والاساتذة اذ تعادلت بل زادت الموازنة بين الجهود العلمية والتعليمية التي يبذلها المدرسين والمدرسات داخل المدرسة وخارجها مع الاحترام والتقدير والنتائج الاجتماعية المقنعة التي يحصل عليها الطلبة والعلاقة تصبح سيئة اذ لم تقابل جهود الهيئة التدريسية حيث يوضح الجدول رقم (٨) ذلك

الجدول رقم (٨) يوضح نوعية العلاقات التربوية بين الطلبة والهيئة التدريسية

نوعية العلاقة التربوية	الطلاب العدد	٪	الطالبات العدد	٪	المجموع العدد	٪
جيدة	٤٠	٥٧,١	٤٠	٦٦,٦	٨٠	٦٢
غير جيدة	٣٠	٤٢,٩	٢٠	٣٣,٤	٥٠	٣٨
المجموع	٧٠	٪١٠٠	٦٠	٪١٠٠	١٣٠	٪١٠٠

تبين من الجدول رقم (٨) ان ٥٧,١ ٪ من الطلاب يقابلها ٦٦,٦ ٪ من الطالبات يؤكدون أن نوعية العلاقات التربوية والاجتماعية جيدة ووجود التفاهم والانسجام بينهم بينما حيث ان ٤٢,٩ ٪ من الطلاب و٣٣,٤ ٪ من الطالبات تكون علاقة غير جيدة ومتدنية لاسباب متعددة كما يوضح في الجدول رقم (٩)

جدول رقم (٩) يبين التسلسل المرتبي لاسباب سوء العلاقة بين الطلبة والمدرسين والمدرسات

والاسباب	التسلسل المرتبي	العدد	٪
التأخر عن الدراسة	١	١٥	٣٠٪
اهمال الواجبات التربوية	٢	٢٠	٤٠٪
كثرة الغيابات	٣	١٥	٣٠٪

تؤكد البيانات الواردة في الجدول رقم (٩) ان ٣٠٪ من الطلبة اهمالهم لواجبات العلمية والتربوية ويعزفون من اداء واجباتهم البيتية التي يطلبها المدرسين والمدرسات ،وان ٤٠٪ من الطلبة يؤكدون سوء العلاقة نتيجة التأخر عن الدراسة وعدم انتظام دوامه وعدم رغبتهم في الدراسة، و٣٠٪ منهم يؤكدون نتيجة كثرة غياباتهم المستمرة والانقطاع عن الدوام حيث يؤثر تأثيراً سلبياً على مستوياتهم التربوية والعلمية وتعرقل مسيرتهم الثقافية . وقد تبين من خلال الملاحظات الميدانية والاستبيان عدم فسح المجال امام الطلبة بالاستفسار على جميع استفساراتهم واسئلتهم بروح علمية وديمقراطية وخاصة في المدارس الثانوية للبنات لم تعطي المدرسة المجال الواسع للطالبات بعد أنتهاء مادة الدرس للمناقشة والاستفسار حول مادة الدرس المقرر .

جدول رقم (١٠) يوضح تقبل المدرسين والمدرسات اراء الطلبة في مناقشة مادة الدرس

مدى تقبل الهيئة التدريسية اراء الطلبة	الطلاب		الطالبات		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
نعم	٥٥	٧٨,٦	٢٥	٤١,٦	٨٠	٦٢
لا	١٥	٢١,٤	٣٥	٥٨,٤	٥٠	٣٨
المجموع	٧٠	١٠٠٪	٦٠	١٠٪	١٣٠	١٠٠

كا٢=١٧,٦ وجود فرق معنوي كبير بين الطلاب والطالبات.

أتضح من الجدول رقم (١٠) ان ٧٨,٦ ٪ من الطلاب يقابلها ٤١,٦ ٪ من الطالبات يؤكدون عدم اعطاء الهيئة التدريسية المجال المناقشة الدرس داخل الصف و٢١,٤ ٪ الطلاب و٥٨,٤ ٪ من الطالبات أجابوا ان المدرسين والمدرسات لهم روح الصبر والتقبل لمناقشة مادة الدرس داخل الصف ، علماً بأنه قد وجد فرق معنوي كبير بين الطلاب والطالبات حول مدى تقبل الاساتذة لمناقشة مادة الدرس . وفعلا كشفت دراستنا الميدانية الميدانية هذه قد يكون الاتصال الرسمي في حالة قيام المدرس والمدرسة بالقاء المحاضرة وتلقي الطلبة المعلومات والحقائق المطروحة اوطرح الاسئلة على المدرس وقيام الاجابة بصورة علمية وموضوعية .



الفصل الثالث

نتائج الدراسة

١ — تبين لنا ان ٧٧ ٪ من الطلبة أكدوا ان الغيابات تؤثر في مستواهم العلمي والتربوي وان ٣٣٪ منهم أكدوا ان الغيابات لم تؤثر في مستواهم العلمي والتربوي

وارجع ٤٠٪ من الذين أثرت الغيابات في مستواهم العلمي والتربوي السبب في ذلك الى عدم رغبتهم في الدراسة و٣٥ ٪ منهم الى الظروف الاسرية والاجتماعية القاصرة .و ٢٥ ٪ منهم الى هبوط الامكانات الذكائية والعقلية لديهم .

٢ — ان ٣٧ ٪ من الطلبة أكدوا مشاركة اولياء امورهم في مجلس الاباء والمدرسين و٦٣٪ منهم أكدوا عدم اهتمام اولياء امورهم بالحضور في هذا المجلس .

٣ — ان ٥٨ ٪ من الطلبة أكدوا اهتمام الهيئة التدريسية وادارة المدرسة في حل مشكلاتهم وان ٤٢ ٪ منهم أكدوا عدم اهتمام الهيئة التدريسية وادارة المدرسة بذلك .

٤ — تبين لنا ان ٦٩٪ من الطلبة لديهم اوقات الفراغ وقاموا بتنظيمها في تنمية قدراتهم ومهاراتهم .وان ٣١ ٪ منهم لايوجد لديهم اوقات فراغ .

٥ — ان ٤٤٪ من الطلبة يؤكدون ان الهيئة التدريسية في مدارسهم يشاركون في النشاطات الصفية واللاصفية و٥٦٪ منهم يؤكدون على عدم مشاركتهم.

٦ — ان ٦٢ ٪ من الطلبة أكدوا ان العلاقة التربوية بينهم وبين اعضاء الهيئة التدريسية جيدة و٣٨ ٪ منهم أكدوا على ان هذه العلاقة غير جيدة. وارجع ٤٠ ٪ من الطلبة الذين لايرتبطون بعلاقات جيدة مع اعضاء الهيئة التدريسية السبب في ذلك الى التأخر عن الدراسة و٣٠٪ منهم الى اهمال في الواجبات

٧ — ان ٦٢ ٪ من الطلبة أكدوا ان مدرسيهم يسمحون لهم بالمشاركة في مناقشة مادة الدرس وتوجيه اسئلتهم و٣٨ ٪ منهم أكدوا على عدم للسماح لهم بذلك . وهناك فرق معنوي بين الطلاب والطالبات في ذلك، حيث قيمة كا٢=١٧,٦ ولصالح الطلاب .

٢ — المقترحات والتوصيات :

من خلال النتائج التي توصلنا اليها نقترح مايلي بخصوص المشكلات التربوية التى يعاني منها الطلبة .

١ – ضرورة قيام الطلبة باداء واجباتهم العلمية والتربوية كحضور المحاضرات بأستمرار والانتباه الى مادة الدرس وتحضير واجباتهم البيتية.

٢ – يجب ان تهتم ادارة المدرسة الثانوية والمدرسين بحصر الغياب بدقة في كل درس مع تسجيل هذا الغياب تمهيداً لاحظار ولي أمر الطالب أو الطالبة بغياب أبنائهم واستدعائهم الى المدرسة عند الضرورة للاشتراك مع الادارة في بحث مشكلات الغياب الخاصة لابنائهم ومناقشتها .

٣ – دراسة حالة الطلبة بذكر عناوينهم واستدعاء اولياء امورهم . للتفاهم بهذا الشأن

٤ – يجب ان تشجع المدرسة أولياء امور الطلبة على زيارتها لتطلعهم على كل مايهمهم من أجل معرفة حالة اولادهم التربوية والاجتماعية والنفسية

٥ – حث المدرسين والمدرسات على ضرورة تحسين علاقاتهم بالطلبة والعمل على توفير جو مدرسي ملائم لاظهار ميول الطلبة ورغباتهم

٦ – ضرورة قيام الطلبة بتحقيق التوازن الامثل بين أوقات فراغهم وواجباتهم المدرسية

٧ – من الضروري على المدرسين والمدرسات مشاركة الطلبة في نشاطاتهم والتفاعل معهم داخل الصف وخارجه ، وقبول اداء الطلبة حول مناقشة مادة الدرس بكل ديمقراطية والصبر .

٨ – توطيد العلاقة بين المدرسة والبيت وتبادل المعلومات عن الطلبة بصراحة ووضوح والتعرف على مشكلاته لوضع الاساليب الكفيلة بتطوير مستواه العلمي والتربوي.

٩ – الاهتمام بمجالس الاباء والمدرسين وتطويرها وزيادة فاعليتها من أجل توثيق العلاقة بين البيت والمدرسة وفهمه ظروف الطالب .

١٠– الاهتمام بالبطاقة المدرسية والاستفادة منها في تشخيص اسباب المشكلات التربوية ومعالجتها والاهتمام بالارشاد التربوي والتركيز على الدور الذي يحكمه أن يؤديه المرشد التربوي في معالجة المشكلات التربوية والاقلال منها .

١١ – توعية أولياء أمور الطلبة عن طريق الاجهزة الاعلامية حول ضرورة مراجعة المدرسة والتعاون معها لمتابعة مواظبة ابنائهم ومعالجة السلبيات .

١٢ – التوسع في تجربة الاخصائيين الاجتماعيين في المدارس الثانوية لمساعدة الطلبة في كافة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية .

المصادر العربية : –

١ – احسان محمد الحسن (الدكتور) ، علم الاجتماع ، دراسة نظامية، بغداد سنة ١٩٧٦ .

٢ – احسان محمد الحسن (الدكتور) ، الابعاد التربوية والاجتماعية لمشاركة الطلبة والاساتذة في معركة قادسية صدام، بحث منشور في مجلة صوت الطلبة العدد ١٦٤، تشرين الاول، ١٩٨٢ .

٣ – ابراهيم مهدي الشلبي (الدكتور) واخرون ، المشكلات التربوية في المدرسة الابتدائية ،مطبعة وزارة التربية سنة ١٩٨٣.

٤ – أميرال أولف، التوجيه التربوي وفلسفته واسسه، ترجمة الدكتور عثمان لبيب ، مطبعة دار النهضة العربية ،القاهرة ،سنة ١٩٦٤.

٥ – خالد الهاشمي (الدكتور) اهداف تربوية واجتماعية ، بحث منشور في مجلة آفاق عربية، العدد الثاني، تشرين الاول، سنة ١٩٧٩.

٦ – محمد مصطفى، المشكلات التربوية في المدرسة ، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد سنة ١٩٦٨.

القيود السابقة على التعاقد (في عقود الادارة)

د. فاروق احمد خماس
كلية القانون / جامعة الموصل

بحث مستل من أطروحة الماجستير التي قدمها نجيب خلف احمد الجبوري ، أشرفت على انجازها .

لقد أضفت على عنوان البحث بين قوسين (في عقود الادارة) للتدليل على أن الموضوع إنما يتعلق بالعقود التي تكون الادارة طرفاً فيها .

د. فاروق احمد خماس

تقديم

يعد هذا البحث جزءاً من جملة مواضيع تعكس بمجملها ماتتمتع به الادارة من سلطة في إختيار المتعاقدين معها ، حيث تناقش الأطروحة تحت عنوان «سلطة الادارة في اختيار المتعاقدين معها» مدى هذه السلطة وماهية القيود التي تحدد من نطاقها . ومن هذه القيود مايتناوله هذا المبحث .

وتتناول الرسالة بشكل عام أحد الانشطة المهمة التي بدأت الدولة المعاصرة القيام بها من بين الكثير من انشطة الدولة التي كانت الى حد قريب من إحتكار النشاط الخاص والمبادرة الفردية . فالرسالة تسلط الضوء على جانب من النشاط الاداري القانوني الذي يتطلب التقاء أرادة أو ارادات أخرى مع إرادة الادارة ، ونعني بهذه العقود التي ترتبها الأجهزة الادارية

إن التطور الذي حصل في دور الدولة ومدى تدخلها منذ مطلع هذا القرن ، قلب التصور القديم الذي لم يكن للدولة بموجبه سوى دور محدود لايتجاوز مهمة حماية

المجتمع من الاعتداء الخارجي وتحقيق الأمن في الداخل وإدارة بعض المرافق العامة التي كان يعزف عنها النشاط الفردي لمحدودية مردودها الأقتصادي . إلا أن فكرة (الدولة الحارسة) تلاشت أمام معاول النقد التي تصدت للمذهب الفردي الحر ، وأمام عوامل مادية كانت الحربان الكونيتان وأزمة الكساد الاقتصادي من أهمها ، لتفسح المجال واسعاً أمام (الدولة التدخلية) التي أصبحت تعد الاداة الايجابية الاساس في عملية إشباع الحاجات ذات النفع العام وتحقيق مايصبو إليه المجتمع من رفاهية وتطور وسعادة .

وإذا كانت دول الاقتصاد الحر قد أقرت بمبدأ تدخل الدولة نتيجة للعوامل التي أوردناها فإن الفكر الاشتراكي والدولة الاشتراكية تعد مبدأ التدخل (القاعدة العامة) وليس مجرد استثناء كما هو الحال في الدولة التي يقام اقتصادها على (الحرية الاقتصادية) . وذلك أن الدولة الاشتراكية تدخلية بطبيعتها ، لأ نها ومن خلال المنظور الشعبي أليها تعد الاداة الاساس لتحقيق التنمية والتطور واشباع أغلب الحاجات العامة . واذا ماتولى الأفراد تحقيق بعض هذه الأمور فإن هذا يأتي بالمرتبة الثانية بعد الدولة .

تعد العقود التي تكون الادارة أحد أطرافها أحد أهم الانشطة القانونية التي تتولاها الدولة المعاصرة . وتتأتى هذه الأهمية لكثرة ماقيل فقهاً وقضاءً بشأنها ، وما نتج عن هذا من تعدد وتنوع في الأنظمة القانونية التي تحكمها .

ولما كان قطرنا ، وهو تدخلي بطبيعته ، يستخدم من أجل تحقيق التنمية والتطور واشباع الحاجات العامة ، هذه الوسيلة القانونية بشكل واسع ومطرد ، أرتأينا أخراج هذا البحث ونشره ، ليساعد على تعريف القارىء الكريم بجزء متواضع من فكرة العقود الادارية.

الدكتور فاروق احمد خماس
المشرف على أطروحة الماجستير
الموسومة (سلطة الادارة في اختيار
المتعاقدين معها)

المبحث الأول

— القيود السابقة على التعاقد —

عندما ترغب الإدارة في الدخول في علاقات تعاقدية مع الآخرين فانه يتعين عليها الالتزام بالقيود التي قررها المشرع في هذا المجال . وهذه القيود عبارة عن عدد من الأجراءآت التي تمر بها الادارة قبل ابرامها العقد الذي ترومه مع المتعاقد الذي اختارته لتنفيذ العمل أو المشروع . ومن هذه القيود ماهو ذو طبيعة مالية ، فالادارة كقاعدة عامة ملزمة بالانفاق في حدود الاعتمادات المالية المقررة في الميزانية ولذا فان عليها قبل الدخول في اي علاقة تعاقدية ان تتأكد اولا من وجود الاعتماد الكافي للوفاء بالتزاماتها المالية في العقد الذي تروم ابرامه . ومنها ماهو ذو طبيعة قانونية ، حيث ان الادارة ملزمة في بعض الاحيان ان تستأذن جهات أخرى قبل ابرام عقودها او ان تستشير جهة معينة ، حيث يوجب القانون في بعض الاحيان على الادارة المعنية ، ان تأخذ رأي تلك الجهة قبل ابرام العقد .

عليه سنقسم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب ، نفرد للاول للأذن المالي والثاني للاذن القانوني (التصريح بالتعاقد) والثالث للاستشارات السابقة .

المطلب الاول

— الأذن المالي —

عندما تروم الادارة الدخول في علاقة تعاقدية مع الآخرين من اجل توريد مادة معينة او القيام ببعض الاعمال فمن البديهي ان تحتاج الى الاموال اللازمة لتسديد نفقات هذه العقود ، وهذه النفقات يتم تسديدها من ميزانية الدولة او احدى الميزانيات الملحقة بها .

ولهذا فان على الادارة ان تتأكد اولاً من وجود الاعتماد المالي الكافي لمواجهة الأوضاع الجديدة ، ذلك لأنّ الادارة لاتستطيع ان تتعاقد او ان تلتزم مالياً قبل الآخرين مالم تحصل على الاعتماد المالي اللازم لإبرام العقد (١) .

وضرورة وجود الاعتماد المالي لايقتصر على النشاط الذي تقوم به الادارة في مجال العقود الادارية ، بل يشمل بالضرورة كل نشاط تقوم به الادارة ويرتب عليها التزامات

(١) انظر الدكتور محمود حلمي ، العقد الاداري- دار الفكر العربي الحديث- ١٩٧٤ -ص٥١

مالية معينة . وعليه فان كل عمل تروم الادارة القيام به ويرتب عليها التزامات مالية أياً كان نوعها ومقدارها لابد ان تحتاط له عن طريق توفير المبالغ اللازمة لسد نفقاته .

ومن خلال ذلك نلاحظ مدى الصلة الوثيقة التي تربط بين القانون الاداري والقانون المالي ، الا انه بالرغم من هذه الصلة بين القانونين ، فان القانون المالي مستقل عن القانون الاداري والقوانين الاخرى ايضاً ، لان له ذاتيته الخاصة به وله قواعده واهدافه التي تختلف عن قواعد القانون الاداري والقوانين الأخرى (٢) .

ويترتب على استقلال القانون المالي عن القانون الاداري نتيجة بالغة الاهمية وهي أن جزاء مخالفة القواعد المالية مقصورة على نطاق القانون المالي (١) ومما يؤدي اليه هذه النتيجة هو ان النشاط المالي لايخضع في صحته او عدمها لقواعد القانون الاداري ولايؤثر في صحته اوعدمها تأثيراً مباشراً على صحة أوعدم صحة الاعمال الادارية التي تخضع لقواعد القانون الاداري، لأن الصلة الوثيقة بين القانونين المذكورين لاتعني تبعية اي منهما للاخر أو أعتبار أي منهما فرعاً من فروع الاخر (٢) ويترتب على الفصل بين كل من مجالي القانون المالي والقانون الاداري بعض النتائج التي تتعلق بصحة أبرام العقود الادارية ووجودها وهي :-

أولا : ان مخالفة الادارة للقواعد المتعلقة بالاعتمادات المالية لاينتج عنها بطلان

---

(١) وقد حددت هذه العلاقة بين كل من مالية الدولة وبين القانون الاداري والدستوري باعتبار أن دراسة المالية العامة فرع من فروع القانون العام. لكن هذا الرأي محل نظر لانه اذا كانت الدراسة المالية تستقل بالقانون العام، فأنها ليست معدومة الصلة بالقانون الخاص فالضرائب والقروض العامة تمس الاموال الخاضعة لاحكام هذا القانون. هذا الى أن التشريعات المالية واحكام القضاءين المصري والفرنسي في المنازعات الضريبية تأخذ تعريفات واتجاهات مغايرة للتعريفات والاتجاهات الموجودة في القواعد القانونية العامة سواء في القانون العام أو القانون الخاص، الامر الذي يجعل من التشريع المالي فرعاً مستقلا له ذاتية خاصة وله قواعده وتفسيراته التي تختلف عن أساليب وتفسيرات واهداف القوانين الاخرى سواء ما كان منها ملحقاً بقسم القانون العام أو القانون الخاص" انظر بخصوص ذلك الدكتور محمد حلمي مراد، مالية الدولة- مطبعة نهضة مصر ، ١٩٦٤ ص١٧.

(٢) انظر الدكتور سليمان محمد الطماوي، الاسس العامة في العقود الادارية، ط٣ دار الفكر العربي ، ١٩٧٥، ص٣٢١

(٣) انظر الدكتور ابراهيم طه الفياض، العقود الادارية- الكويت ص١٣٢.

التصرفات القانونية التي قامت بها الادارة في هذا المجال. ويترتب على ذلك ان الادارة اذا تعاقدت مع الاخرين بقصد انجاز عمل معين ولم يكن لديها الاعتماد المالي اللازم فإن العقد الذي ابرمته يكون صحيحاً وملزماً لها في مواجهة المتعاقدين معها، وذلك لان عدم وجود الاعتماد المالي اللازم لاتأثير له على صحة العقد من الناحية القانونية، سواء كانت الاعتمادات المالية غير موجودة كلية او كانت الالتزامات التعاقدية التي التزمت بها الادارة مع المتعاقدين معها تزيد على المبلغ المرخص به (١).

فالعقد الذي تبرمه الادارة في كل هذه الاحوال يعد صحيحاً وينتج أثاره ومن ثم فلايجوز للادارة الامتناع عن تنفيذ بحجة مخالفة الادارة للقواعد المتعلقة بالاعتمادات المالية المقررة في هذا الشأن اما بالنسبة للمتعاقد مع الادارة فإنه لايستطيع اجبارها على الوفاء بالتزاماتها إلا بعد تدبير المبالغ اللازمة لذلك. (٢) وبموجب ذلك فإن على المتعاقد الذي يرغب الاستمرار في تنفيذ العقد ان يتريث ويمهل الادارة حتى تستطيع تنفيذ التزاماتها بتدبير الاعتماد المالي. (٣) والعلة في ذلك ان المتعاقد مع الادارة لايعلم مقدماً بوجود الاعتمادات المالية وعدم وجودها، وما اذا كان العقد الذي ابرمه مع الادارة في حدود الغرض الذي خصص له الاعتماد المالي .وقد قررت المحكمة الادارية العليا المصرية هذه القواعد في حكم لها جاء فيه ويجب التمييز بين العقود التي تعقدها الادارة مع الغير وبين علاقة الموظف بالحكومة، فالرابطة في الحالة الاولى هي رابطة عقدية تنشأ بتوافق ارادتين وتولد مراكز قانونية فردية وذاتية مصدرها العقد، وفي الحالة الثانية هي علاقة تنظيمية عامة مصدرها القوانين واللوائح. ولاريب ان لهذا الاختلاف في طبيعة الروابط القانونية أثره في نفاذ أوعدم نفاذ التصرف اذا لزم الامر اعتماد المال اللازم من البرلمان فالثابت في فقه القانون الاداري ان العقد الذي تبرمه الادارة مع الغير – كعقد من عقود الاشغال العامة او التوريد مثلا ينعقد صحيحاً وينتج آثاره حتى لولم يكن البرلمان قد اعتمد المال

---

(١) انظر الدكتور رياض عبد عيسى الزهيري، العلاقات التعاقدية بين الوحدات الاقتصادية في القطاع الاشتراكي، رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة– تشرين الاول ١٩٧٩ص٣٥٨.

(٢) انظر الدكتور سليمان محمد الطماوي/ الاسس العامة في العقود الادارية مصدر سابق ص٣٢٢ .

(٣) انظر الدكتور ابراهيم طه الفياض، العقود الادارية، مصدر سابق ص١٣٥ .

اللازم لهذه الاشتغال أو جاوزت الادارة حدود هذا الاعتماد أو خالفت الغرض المقصود منه أو فات الوقت المحدد لاستخدامه ،فمثل هذه المخالفات- لو وجدت من جانب الادارة- لاتمس صحة العقد ولانفاذه ، وانما قد تستوجب المسؤولية السياسية . وعلة ذلك ظاهرة وهي ان هذه العقود الادارية التي تبرمها مع الغير هي روابط فردية ذاتية وليست تنظيمية عامة ، ويجب من ناحية حماية هذا الغير ، ومن ناحية اخرى عدم زعزعة الثقة في الادارة فليس بمقدور الفرد الذي يتعاقد معها ان يعرف مقدماً ما إذا كان قد صدر اعتماد أو لم يصدر ، وما اذا كان العقد في حدود الغرض المخصص له هذا الاعتماد او ليس في حدود هذا الغرض، كل تلك من الدقائق التي يتعذر على الفرد العادي بل الحريص التعرف عليها . ولو جاز جعل صحة العقود الادارية اونفاذها رهنا بذلك لما جازف احد بالتعاقد مع الادارة، ولتعطل سير المرافق العامة» (١)

فضلا عن ذلك فإن الادارة ترتكب خطأ تعاقدياً عندما تتعاقد مع الاخرين بالرغم من عدم وجود الاعتماد المالي اللازم، وهي مسؤولة عن هذا الخطأ. (٢) ويترتب على ذلك امكان طلب المتعاقد معها فسخ العقد (٣) والتعويض ان كان له مقتضى (٤) .

والفسخ هنا يعدُّ بالنسبة للادارة جزاءً قانونياً لانها اخلت بالتزام من التزاماتها التعاقدية حيث ان عدم وجود الاعتماد المالي يعني عدم قدرة الادارة على الوفاء بالتزاماتها التي ترتبت عليها بموجب العقد الذي ابرمته .

اما فيما يخص المتعاقد مع الادارة ، فان الفسخ بالنسبة له يعتبر وسيلة من وسائل الضمان يستطيع بواسطتها المحافظة على حقوقه التي اصبحت عرضة للضياع بسبب عدم استطاعة الادارة الوفاء بالتزاماتها المالية .

(١) انظر حكم المحكمة الادارية العليا المصرية الصادر في ١١/٢/١٩٥٦ مجموعة المبادئ القانونية التي قررتها المحكمة الادارية العليا، العدد الثاني مطبعة مخيمر، السنة الاولى شباط ١٩٥٦ الى أخر مايس ١٩٥٦ ص٤٩٢.

(٢) انظر الدكتور سليمان محمد الطماوي، الاسس العامة في العقود الادارية مصدر سابق ص٣٢٣.

(٣) يرد جزاء الفسخ في العقود الملزمة للجانبين فقط ، لان هذه العقود تنشىء التزامات في ذمة كل من طرفي العقد، فيكون كل منهما دائناً ومديناً في الوقت نفسه، أنظر. د. غني حسون طه ، الوجيز في النظرية العامة للالتزام ، الكتاب الاول ، مصادر الالتزام ، مطبعة المعارف ،بغداد ،١٩٧١، ص٣٨٢

(٤) انظر د. ابراهيم طه الفياض، العقود الادارية، مصدر سابق، ص١٣٧

اما في العراق فان الوضع يختلف عما قرره القضاء المصري ومن قبله القضاء الفرنسي بهذا الخصوص ، فلا يجوز للادارة ان تقوم بابرام عقد اداري مالم يكن لها اعتماد مالي مخصص للاغراض التي تستهدفها هذه العقود . وهذه القاعدة ، قررتها القوانين والتعليمات الصادرة في العراق ومنها قانون اصول المحاسبات العامة المعدل رقم ٢٨ لسنة ١٩٤٠(١)، وقد وردت الاشارة الى تلك القاعدة في المادة الخامسة من القانون المذكور والتي جاء فيها «ليس للوزارات والدوائر ان تتجاوز الاعتمادات المخصصة لها في الميزانية العامة ولا ان تزيد اعتماداتها بأي نوع من الواردات الخصوصية أو التبرعات كما ليس لها ان تدخل في تعهدات من شأنها تجاوز الاعتمادات» .

ونصت الفقرة (أ) من المادة العاشرة من القانون نفسه على ان «١ — للوزير المختص الدخول بعقود مالية بطريقة المناقصة او الامانة على حساب الاعتمادات المخصصة في الميزانية الاعتيادية لوزارته في حدود مبلغ (٢٥٠,٠٠٠) مائتين وخمسين ألف دينار في كل قضية وتستحصل موافقة وزير المالية فيما زاد على ذلك» .

الا ان هذه المادة قيدت هذا الحق في الفقرة (ج) وذلك عندما اشترطت لابرام هـذه العقود «توفر الاعتماد في الميزانية» .

وفي نفس هذا السياق نصت تعليمات خطة التنمية القومية رقم ٨٩ لسنة ١٩٧٧(٢) في الفقرة الثانية من المادة السابعة على وجوب «وجود اعتماد مخصص للمشروع او للعمل في المنهاج الاستثماري قبل الدخول في المراحل التنفيذية» .

من خلال ماتقدم ؛ يبدو لنا ان ،التشريع العراقي لايجيز للادارة الدخول في علاقات تعاقدية مع الآخرين مالم يكن لهذه العقود اعتماد مخصص في الميزانية . الا انه قد تبرم بعض العقود دون ان يكون لها اعتماد مالي ، وقد عولجت هذه المسألة باسلوبين : —

الاسلوب الأول : ويسمى (المناقلة) وبموجبه يتم نقل بعض الاموال المخصصة للصرف على عمل او مشروع معين الى عمل او مشروع آخر من اجل توفير الاموال اللازمة

(١) قانون اصول المحاسبات العامة رقم ٢٨ لسنة ١٩٤٠ المعدل مع التعليمات الحسابية الملحقة دار الحرية للطباعة ، وزارة المالية، بغداد ١٩٧٦ .

(٢) قانون خطة التنمية القومية رقم ٨٩لسنة ١٩٧٧. الوقائع العراقية ، العدد ٢٦ ، السنـة العشرون في ١٨/٧/١٩٧٧.

للصرف عليه ، على ان لايؤثر ذلك على طاقة وحجم وموقع العمل أو المشروع المنقول منه (١) .

ومع اهمية هذا الاسلوب في معالجة العقود التي تبرم دون ان يكون لها اعتماد مالي ، فان من الضروري ان نشير الى خطورة اسلوب (المناقلة) الذي قد يؤدي الى تخصيص الموارد المالية لأعمال او مشاريع لم تكن مدرجة في اطار الخطة السنوية وبالتالي تعطيل احدى المهام التي رصدت لها هذه المبالغ بموجب قانون الخطة (٢) .

الاسلوب الثاني : ويتبع في حالة عدم امكانية اجراء المناقلة ، وهو يقوم على اساس حصول موافقة الجهات المختصة على تخصيص مبالغ جديدة لموضوع العقد الذي ليس له اعتماد مالي.(٣)والجاري عليه العمل في العراق بشأن معالجة هذا الموضوع هو الحصول على موافقة مجلس قيادة الثورة في اعتماد المبالغ الجديدة في صورة قانون أو قرار (٤) .

الا ان اتباع هذا الاسلوب في المعالجة يجب ان يقتصر على الحالات الضرورية ومقتضيات المصلحة العامة. (٥) او اذا كانت هناك مبررات اساسية او اقتصادية حقيقية

---

(١) انظر رياض عبد عيسى الزهيري، العلاقات التعاقدية بين الوحدات الاقتصادية في القطاع الاشتراكي ، مصدر سابق ص٣٦١-٣٦٢ .

(٢) انظر الزهيري ، مصدر سابق ص ٣٦٢

(٣) انظر الزهيري، مصدر سابق ص٣٦٢.

(٤) تنص المادة (١) من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٩ قانون تعديل الخطة الاقتصادية الخمسية رقم ٨٧ لسنة ١٩٦٥ على انه " يضاف مبلغ قدره (٢٥) مليون دينار الى المبالغ المرصدة في المادة (٢) من القانون رقم ٨٧ لسنة ١٩٦٥ المعدل بحيث تصبح (٠٠٠ / ٠٥٩ / ٦٨٩) الوقائع العراقية العدد ١٧٦٥ السنة ١٢، ٩/٨/١٩٦٩ .
وأنظر أيضاً على سبيل المثال القانون رقم ٤١ لسنة ١٩٧٠، الوقائع العراقية العدد ١٨٤٩، السنة ١٢، ٨/٣/١٩٧٠.

(٥) تنص المادة (٤) من القانون رقم ١٥٧ لسنة ١٩٧٣ قانون تنفيذ مشاريع التنمية الكبرى على انه" اذا اقتنعت اللجنة بأن المصلحة العامة تقتضي تنفيذ مشروع لم يدرج في المنهاج الاستثماري لخطة التنمية القومية فللجنة اتخاذ القرار لتنفيذ مثل هذا المشروع على ان تشعر مجلس التخطيط بذلك لادراجه في المنهاج الاستثماري وتخصيص المبالغ اللازمة للصرف" الوقائع العراقية العدد (٢٣١٠) السنة (١٧) في ١٠/١/١٩٧٤.

وملحة تقتضي تنفيذ عمل أو مشروع لم يدرج في المنهاج الاستثماري لخطة التنمية. (١)

اما في حالة عدم تحقيق اي من طريقي المعالجة السالفة الذكر فإن ذلك يعني ان محل العقد لم يكن مدرجاً ضمن قانون الخطة السنوية. ومن ثم فإن انعقاده يبقى موقوفاً على إجازة مجلس التخطيط ،ذلك لان مجلس التخطيط هو الذي يتولى اعتماد الايـرادات والتخصيصات للخطة السنوية (٢) فإن لم يصدر مايدل على أن المجلس أجازه العقـد باطلا واعيد الطرفان الى الحالة التي كانا عليها قبل التعاقد، اما اذا نتج عن أبرام العقـد بعض الاثار نتيجة لتنفيذه أو تنفيذ جزء منه فإن الادارة تتحمل التعويضات التي يستحقها الطرف المتعاقد معها على اساس الخطأ التقصيري وليس على اساس الرابطة العقدية (٣).

ثانياً: النتيجة الثانية التي يرتبها القضاء الاداري في كل من فرنسا ومصر على التفرقة بين القانون المالي والقانون الاداري. هي ان اعتماد المبالغ اللازمة للتعاقد لايلزم الجهة الادارية المعنية بالتعاقد.فللادارة حسب هذه النتيجة ان تتعاقد أو أن تعدل عن ابرام العقد

---

(١) يقوم قانون الحزب القائد عند تعرضه لمسألة التخطيط والتنمية (..الا لتزام الجاد والحازم بما تضعه الثورة من خطط للتنمية بعد اعدادها اعداداً قائماً على العلم والنظرة الوحدويـة الاشتراكية وعدم السماح بخرق تلك الخطط وتجاوزها الا بمبررات سياسية أو أقتصادية حقيقة وملحة .وعلى أضيق نطاق ممكن لأن عدم الالتزام بهذه الخطط يؤدي الى حالة عامة من الفوضى تتناقض من حيث الاساس مع مفاهيم الثورة واساليبها العلمية في بناء الاقتصاد وتطوير البلاد". أنظر قانون الحزب القائد رقم ١٤٢ لسنة ١٩٧٤"التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ،مطبعة دار الثورة ،بغداد كانون الثاني ، ص١٢٥- ص١٢٦ "

(٢) تنص المادة (٨) من قانون خطة التنمية القومية رقم ٨٩ لسنة ١٩٧٧ على انه "يتولـى مجلس التخطيط اعتماد الايرادات والتخصيصات للخطة السنوية وفقاً لا حكام هـذا القانون ، ٢- يجري الصرف على المشاريع والاعمال المدرجة في الخطة السنوية وفقاً لقرار مجلس التخطيط وضمن التخصيصات المرصدة لها" الوقائع العراقية ،العدد (٢٧٠٠ السنة العشرون ،١٨/ ٧/ ١٩٧٧ .

(٣) انظر الدكتور عبد عيسى الزهيري، مصدر سابق ص٣٦٣- ٣٦٤ وانظر أيضاً الدكتـور عبد المجيد الحكيم ، الموجز في شرح القانون المدني ج١ مصادر الالتزام، ط٥ مطبعة نديم ،بغداد ، ص٤٦٦ ومابعدها وانظر ايضاً الدكتور حسن علي الذنون ،النظرية العامة للالتزامات- دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧ ، ص٢١٧ ومابعدها

سواء كان هذا الاعتماد قد صدر بموجب قانون أو بموجب قرار اداري . (١) وعليه فبالرغم من صدور الاعتماد المالي فإن للجهة الادارية المعنية أن تعدل عن ابرام العقد متى رأت المصلحة العامة تقتضي عدم ابرامه.

وبموجب هذه النتيجة فإن فتح الاعتماد ليس الا اذن غير ملزم بالصرف ولهذا فإن الادارة تتمتع بسلطة تقديرية كبيرة في التعاقد ، ومن ثم استخدام هذه الاعتمادات في تنفيذ المشاريع والاعمال التي رصدت لها. او ان تعدل عن ابرام العقد ويتبع ذلك بطبيعة الحال عدم استخدام الادارة لهذه الاعتمادات في تنفيذ المشاريع او الاعمال التي رصدت لها .

وهذه القاعدة التي قررها القضاء الاداري في فرنسا ومصر في هذا الشأن هي قاعدة عامة بالنسبة الى جميع العقود التي تبرمها الادارة، حيث ان وجود الاعتمادات المالية في ميزانية ادارةمن الادارات لايعني التزام هذه الادارة بالصرف.(٢)وعليه فإن الادارة تحتفظ بسلطتها التقديرية في استخدام هذه الاعتمادات للاغراض التي خصصت مسبقاً أو عدم استخدامها .

الا ان هذا الاجتهاد القضائي لايتفق مع طبيعة الاقتصاد المخطط والمبرمج في العراق(٣) فبموجب القوانين الصادرة في العراق نجد ان الادارة ملزمة بتنفيذ الاعمال والمشاريع التي ادرجت ضمن قانون الخطة . فقد الزم قانون خطة التنمية القومية رقم ٨٩ لسنة ١٩٧٧ الوزارات ومؤسسات القطاع الاشتراكي بالعمل على تحقيق اهداف الخطة ، وهذا مانصت عليه المادة الثانية عشرة من قانون خطة التنمية القومية التي جاء فيها (على الوزارات

---

(١) انظر الدكتور ابراهيم طه الفياض، العقود الادارية- المرجع السابق، ص١٣٨.

(٢) انظر الدكتور سليمان محمد الطماوي، الاسس العامة في العقود الادارية المرجع السابق ص٣٢٣.

(٣) يقول قانون الحزب القائد عند تعرضه لمسألة التخطيط والتنمية (..وقد ادرك حزب البعث العربي الاشتراكي اهمية التنمية بالنسبة لتطور البلاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي واولاها اهتماماً كبيراً جداً ، ووضع كل مايتيسر من الامكانات المادية والبشرية والمعنوية في سبيل التعجيل بها في كافة القطاعات والمرافق.. واهتمت القيادة بمسيرة التنمية ولاحقت تطورها بنفسها سواء على الصعيد العام والتفصيلي . انظر قانون الحزب القائد، (التقرير السياسي ، مصدر سابق) ص١٢٧- ١٢٨.

ومؤسسات القطاع الاشتراكي بذل اقصى الجهود لتحقيق اهداف الخطة ويترتب على مخالفة ماورد فيها او عدم الالتزام بها محاسبة المسؤول عن تلك المخالفة) .

وعليه فان تحقيق هذا الالتزام بتنفيذ الخطة يتطلب اجراء التصرفات القانونية المناسبة التي تؤمن تحقيق تلك الاعمال والمشاريع ، ومن هذه الزاوية يصبح ابرام العقد الذي يؤمن تحقيق الخطة واجباً قانونياً على الجهة الادارية المعنية بالأمر (١) .

وتأسيساً على ماتقدم فان مجرد فتح الاعتماد المالي المخصص لمشاريع واعمال الخطة بموجب قانون الخطة يعني الزام الجهات الادارية المختلفة بصرفه طبقاً للموضوع الذي رصد له هذا الاعتماد .

ــ المطلب الثاني ــ

(الاذن القانوني ــ(التصريح بالتعاقد)

ان تحديد المشرع لاختصاص الجهة الادارية يعتبر بمثابة اذن صادر من المشرع الى الجهات الادارية المعنية من اجل مباشرة نشاطها ، ومن بين النشاطات التي تباشرها الادارة ابرام العقود وعليه فان قيام الادارة بابرام عقودها الادارية ليس سوى ممارسة لاختصاص من اختصاصاتها ، ولذا فانها لاتحتاج عند ابرام عقودها الى طلب الاذن من جهة اخرى ، لان ذلك يعتبر جزءاً من وظيفتها . «ومن ثم لايحتاج من يمارس وظيفته الى اذن» (٢)

ومع ذلك فان هناك بعض العقود المهمة يلزم فيها المشرع الجهة الادارية المعنية الحصول على تصريح بالتعاقد من جهة اخرى يحددها بنفسه لكي يكون بامكانها ان تتعاقد في مثل هذه العقود . وعلى ذلك فان الادارة لايمكن لها ان تتعاقد بشأن اي عقد من العقود التي يستلزم فيها المشرع الحصول على تصريح بالتعاقد دون الحصول على هذا التصريح . كذلك يتطلب ابرام بعض عقود الوحدات الاقتصادية ان تكون هنالك موافقة مسبقة من الجهات المختصة على ذلك () . والسبب في ذلك انه على الرغم من الاستقلال الذاتي لهذه الوحدات

---

(١) انظر المادة (٣) من قانون خطة التنمية القومية رقم ٨٩ لسنة ١٩٧٧.

(٢) انظر الدكتور ابراهيم طه الفياض، العقود الادارية/ مصدر سابق ص١٣٩.

(٣) انظر رياض عبد عيسى الزهيري، العلاقات التعاقدية بين وحدات القطاع الاشتراكي مصدر سابق ص٣٦٦ .

فانها تظل مع ذلك جزءاً لايتجزأ من الدولة وترتبط برابطة التبعية مع السلطة العامة (١) .

ويختلف الاذن القانوني (التصريح بالتعاقد) عن الاذن المالي ؛ ذلك ان الاخير ليس شرطاً لسلامة التعاقد فإن عدم الحصول عليه لايؤدي – كما بينا سابقاً – الى عدم وجود العقد أو بطلانه . وهذا يعني ان العقد يبقى صحيحاً ومنتجاً لاثاره على الرغم من عدم حصول الادارة على الاذن المالي.

الا ان الامر يختلف بالنسبة الى الاذن القانوني حيث يستلزم المشرع في هذه الحالة ضرورة حصول الادارة على هذا الاذن الذي يعتبر ضرورياً لقيام الرابطة التعاقدية . واذا ماتعاقدت الادارة دون حصولها على الاذن القانوني فمؤدي عقدها البطلان . ذلك أن من المسلم به في الفقه الاداري الفرنسي ان القواعد الخاصة بضرورة الحصول على الاذن القانوني بالتعاقد هي قواعد متعلقة بالنظام العام ، وكذلك لقيام هذا الاذن على أسباب اقتضتها مستلزمات المصلحة العامة . (٢)

وعلى هدى الفقه الاداري الفرنسي ،سار القضاء الاداري المصري في اعتبار العقد باطلا بطلاناً مطلقاً في حالة عدم حصول الادارة على الاذن القانوني اللازم وهذا البطلان لاتصححه الاجازة اللاحقة . الا انه يقتصر على الاثار التي ستترتب على العقد دون الاثار الماضية ، استناداً الى حسن نية الطرف الاخر المتعاقد مع الادارة ، وكذلك الى عدم مسؤوليته عن الخطأ الذي أرتكبته الادارة. وقد أكد قسم الرأي بمجلس الدولة المصري تلك الاحكام في احدى فتاويه التي جاء فيها (..اذا كان الثابت ان السلطة التنفيذية قد قامت بتأجير قطعة ارض بإيجار اسمي لمدة طويلة لاحدى الجهات الخيرية بقرار من مجلس الوزراء في ٢٤/ ١١/ ١٩٥٣ فأن هذا العقد يكون باطلا ، ذلك ان المادة (١٢٦) من دستور سنة ١٩٣٠ الذي ابرمت في ظله هذه الاجازة – كانت تقضي بعدم جواز التبرع بأموال الدولة الابقانون ، اي انها جعلت لارادة السلطة التشريعية عنصراً اساسياً في تكوين ارادة الدولة عند ابرام عقود التبرعات ، ولاشك ان الايجار الاسمي لمدة طويلة هو عمل من أعمال

---

(١) انظر الدكتور سعد العلوش ، نظرية المؤسسة العامة وتطبيقاتها في التشريع العراقي/ مطبعة دار النهضة العربية، ١٩٦٨ص٩٢ .

(٢) أنظر الدكتور سلدمتان الطماوي، الاسس العامة في العقود الادارية، مصدر سابق ص ٣٢٥.

التبرع يخضع حينذاك لحكم هذه المادة – فإذا كانت السلطة التشريعية وهي سلطة مستقلة عن السلطة التنفيذية ،لم تعبر عن رأيها ، فإن ارادة الدولة لاتكون حينئذ معينة فحسب ، وانما تكون منعدمة اطلاقاً . اذ ان انفراد السلطة التنفيذية الممثلة في مجلس الوزراء بالتعبير عن ارادة الدولة في عقد التبرع يعتبر منها طغياناً على السلطة التشريعية بعدم ارادة الدولة ومتى انعدمت الارادة التي تعتبر العنصر الاساسي في تكوين العقد ، كان العقد باطلا بطلانا مطلقاً لاوجود له في القانون وانما هو واقعة مادية بحتة ، وبالتالي يسقط هذا العقد مع مايترتب عليه من آثار الا ان هذه الا ثار تقف عند الاثار المستقبلية دون الماضية لان هذه الاخيرة لايمكن المساس بها تأسيساً على حسن نية الطرف الاخر وعدم مسؤوليته عن خطأ الدولة . وهذا البطلان لاتصححه الاجازة اللاحقة حتى ولو كانت بقانون » . (١)

وبما ان العقد الذي تبرمه الادارة دون الحصول على الاذن القانوني يعد باطلا لذا فإن المتعاقد في هذه الحالة لايستطيع ان يتمسك بهذا العقد في مواجهة الادارة. ولكن هذا لايعني ان المتعاقد مع الادارة لايستطيع الحصول على التعويض الذي يستحقه في حالة ما اذا لحقه ضرر معين من وراء قيام الادارة بالتعاقد على خلاف ماقرره المشرع في هذا المجال. فهو يستطيع جراء ذلك ان يطالب بالتعويض على اساس الخطأ التقصيري، على اعتبار ان الادارة قد ارتكبت خطأ عندما قامت بأبرام العقد قبل الحصول على الاذن القانوني اللازم لقيام بأبرامه ،أو على اساس قاعدة الاثراء بلاسبب اذا استطاع المتعاقد مع الادارة ان يثبت ان الادارة قد استفادت من وراء تنفيذ العقد الباطل. (٢) اما في العراق فإن القضاء العراقي اعتبر العقد الذي تبرمه الادارة مع احد المتقدمين دون حصولها على الاذن القانوني اللازم : عقداً موقوفاً طبقاً للقواعد العامة .. (٣)

---

(١) انظر فتوى مجلس الدولة المصري رقم (٣٦٤٦) في ٢٢/ ١٢/ ١٩٥٤ مجموعة المبادىء القانونية التي تضمنتها فتاوى قسم الرأي بمجلس الدولة، مطبعة مخيمر، السنة الثامنة والنصف الاول من السنة التاسعة (من أول تشرين الاول ٩٥٣ الى اخر اذار سنة ١٩٥٥) ص٢٢٦

(٢) انظر الدكتور سليمان محمد الطماوي ،الاسس العامة في العقود الادارية المرجع السابق ص٣٢٧–٣٢٨.

(٣) "ينشأ العقد الموقوف صحيحاً،الا انه لا يفيد الحكم في الحال"اي ان نفاذه يكون موقوفاً على اجازة من يملك اجازته" لمزيد من التفاصيل انظر الدكتور غني حسون طه ، الوجيز في النظرية العامة للا لتزام ،الكتاب الاول ،مصادر الا لتزام، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧١ ص٣٠٢ ومابعدها .

حيث ان شرط الموافقة المسبقة على التعاقد الذي تنص عليه القوانين والانظمة هو أحد شروط صحة العقد الذي تبرمه الادارة وعليه فإن هذا العقد لايعقد الابعد الحصول على موافقة الجهات المختصة وهذا ماقضت به محكمة التمييز في حكم لها جاء فيه (..بعد التدقيق والمداولة تبين ان العقد الذي تبرمه الحكومة مع الشركة المميزة هو عقد اداري لانه يستهدف ادارة مرفق عام من مرافق الدولة ويحتوي على شروط غير مألوفة وتجري فيه الحكومة على اسلوب القانون العام وتخضع فيه لحكم القوانين والانظمة، ومثل هذا العقد لايعقد الا بعد موافقة هيئة ادارية عينها قانون اصول المحاسبات العامة رقم ٢٨لسنة ١٩٤٠ في المادة العاشرة منه التي تنص على ان لايجوز الدخول بتعهدات او عقود مالية عن الاعتمادات المصادق عليها في الميزانية بمبالغ تزيد على (٥٠٠٠) دينار الا بعد أخذ موافقة وزير المالية ، فالرابطة العقدية في مثل هذا العقد الاداري لاتتم الا بعد اخذ رأي الهيئات الاخرى ، واذا كان ذلك فلا يصح القول بأن العقد السابق قد تجدد بين الطرفين لمجرد تكليف الشركة بالاستمرار في عملها حتى بعد العقد عن المدة الجديدة لان الامر يتطلب اجراءات خاصة وموافقة هيئة معنية (١) وهذا الاتجاه الذي ذهب اليه القضاء العراقي هو الاصوب في هذا المجال ، حيث ان الحكم ببطلان العقد كما ذهب الى ذلك القضاء المصري ومن قبله الفقه الفرنسي يعني ان احد المهام الرئيسية التي نص عليها قانون خطة التنمية القومية سوف لايتحقق .

وبعد حصول الادارة المعنية على الاذن القانوني اللازم لابرام العقد فإنها تحتفظ بحريتها في ابرام العقد او عدم ابرامه حسب مقتضيات الصالح العام وهذا ماقضى به مجلس الدولة المصري في احدى فتاويه التي جاء فيها ... يرى قسم الرأي مجتمعاً أن عقد الترخيص للبحث عن المعادن لايتم الابعد صدور قبول من الوزير المختص لايجاب الصادر من طالب الترخيص وان هذا القبول لايكون الابناء على الاذن من البرلمان في ذلك ،والقانون الصادر من البرلمان متضمناً هذا الاذن وان كان شرطاً لابرام العقد الا انه غير ملزم للسلطة المختصة في المنع فتبقى لهذه السلطة دائماً ان تترخص في تقدير

---

(١) انظر حكم محكمة التمييز العراقية، رقم الاضبارة (١٥٨) ١٩٦٦ في ٢٨/ ٧/ ١٩٦٦ مجلة ديوان التدوين القانوني ،العدد الثاني ، السنة الخامسة ،كانون ١/ ١٩٦٦ ص٢٠٨.

ملاءمة الترخيص من عدمه بما لها من حق الاشراف والرقابة على حسن استغلال الثروة الطبيعية في البلاد». (١)

الا ان هذا الاجتهاد القضائي لايتفق مع الوضع في العراق، حيث ان الادارة ملزمة كما سبق ان رأينا – بأبرام العقد بمجرد فتح الاعتماد المالي للعمل او المشروع ، لذا فإن من باب اولى ان تبرم العقد عند حصولها على تصريح بالتعاقد. استناداً الى مبدأ ضرورات تنفيذ خطة التنمية القومية الذي يجعل من ابرام العقد واجباً قانونياً .

ان الاذن القانوني (التصريح بالتعاقد) يأخذ صوراً متعددة ، فقد يصدر في صورة قانون من البرلمان . أو مجلس الوزراء في صورة قرار من الوزير المختص . (٢) وقد يصدر الاذن القانوني عن طريق موافقة اغلبية معينة من اعضاء مجلس الادارة. (٣)

المطلب الثالث
الاستشارات السابقة

من الضروري ان تقوم الادارة قبل دخولها في علاقات تعاقدية مع الاخرين بأستشارة بعض الجهات ذات الاختصاص وذلك من اجل تجنب بعض المخاطر التي من المحتمل ان تقع فيها الادارة المعنية فيما لو ابرمت العقد دون هذه الاستشارة . ولاشك في ان هذه الجهات ستفيد الادارة المعنية بأستشارتها المهمة بخصوص العقد قيد الابرام .

(١) انظر فتوى القسم الاستشاري للفتوى والتشريع بمجلس الدولة المصري في ٢٥/ ١/ ١٩٥٣ مجموعة أحمد سمير أبو شادي ،مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها الجمعية العمومية للفتوى والتشريع بمجلس الدولة رقم (١٥) عاماً ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي ص٠٩٦.

(٢) تنص الفقرة (٥) من المادة (١٣) من نظام وزارة النقل رقم ٣٩ لسنة ١٩٧٦ على أنه" مع مراعاة احكام البند رابعاً من هذه المادة للوزير المختص تخويل مجلس الادارة مسبقاً تنفيذ بعض قراراته دون حاجة الى تصديقها من قبله ،ويعين في كتاب التخويل ماهية تلك القرارات .."الوقائع العراقية العدد ٢٥٦٤، السنة ١٩، ٢٧/ ١٢/ ١٩٧٦.

(٣) تنص الفقرة (٢) من المادة (٨) من قانون المؤسسةالعاملة للتنمية الزراعية رقم ١١٢ لسنة١٩٧٢ على أنه "لمجلس ادارة المؤسسة بموافقة ثلثي كامل اعضائه إن يخول صلاحياته الى كبار الى كبار موظفي المؤسسة او المدراء العامين للمنشآت التابعة لها والدوائر كل فيما له علاقة بوظيفته" الوقائع العراقية، العدد ٢١٨٨ السنة ١٥، ٣/ ١٠/ ١٩٧٢.

وعندما يقوم المشرع بفرض هذا الالتزام على جهة الادارة فإن هناك بعض الاعتبارات الفنية او الاقتصادية أو الاجتماعية تدفعه الى فرضه وذلك لتلافي المخاطر الفنية التي قد تقع بها الادارة عند ابرامها لبعض العقود، أو لتلافي المخاطر القانونية او لتمكين جهة الوصاية من ممارسة رقابة سابقة على الصرف (١) .

وتقدم الاستشارات الفنية السابقة في العراق الى الدوائر المعنية من قبل المركز القومي للاستشارات الهندسية والمعمارية ، (٢) وذلك بعد ان يتم مفاتحة المركز رسمياً من قبل إحدى مؤسسات الدولة للقيام بأعداد التصاميم والمواصفات لاحد المشاريع وبيان ما اذا كانت هناك صعوبات او مخاطر فنية تواجه تنفيذ المشروع (٣) .

والاستشارات السابقة لها اهمية كبيرة اذ انها تمكن الجهة الادارية المعنية قبل الشروع بأبرام العقد من التأكد من الجهات المختصة فيما اذا كانت هناك ايه اعتبارات اومخاطر فنية او اقتصادية تترتب على ابرام العقد . (٤)

والقاعدة ان الاستشارات السابقة على التعاقد تكون على نوعين من حيث قوتها الملزمة(٥) فهي أما أن تكون غير ملزمة اي على سبيل الاستئناس بالرأي وهذا هو الاصل في كل حالة لاينص فيها المشرع على غير ذلك. او ان تكون ملزمة وذلك في حالة ما اذا جعل المشرع الاستشارة السابقة على التعاقد ملزمة للادارة . وعليه فإن الاستشارة في هذه

---

(١) انظر الدكتور سليمان محمد الطماوي- الاسس العامة في العقود الادارية المرجع السابق ص٣٤٣.

(٢) قانون المركز القومي للاستشارات الهندسية والمعمارية رقم (١٧(لسنة ١٩٧٢ الوقائع العراقية ،العدد ٢٠١٧ السنة ١٤ في ١٣/٣/١٩٧٢

(٣) مقابلة شخصية مع د. مألوف محمود الحلبي – رئيس دائرة الانشاءات في المركز القومي للاستشارات الهندسية والمعمارية– في ١٩/ ١٢/ ١٩٨٣

(٤) انظر الدكتور الطماوي- الاسس العامة في العقود الادارية –المرجع السابق ص٣٤٧ وأنظر أيضاً الدكتور ابراهيم طه الفياض، العقود الادارية مصدر سابق ص١٤٣ وانظر الزهيري، العلاقات التعاقدية بين الوحدات الاقتصادية في النظام الاشتراكي ،مصدر . سابق ص٣٧٠.

(٥) انظر الدكتور الفياض ، مصدر سابق ص١٤٣ وأنظر الدكتور الطماوي– الاسس العامة في العقود الادارية– مصدر سابق ص٣٤٧.

الحالة لايمكن اعتبارها من قبيل الاستشارات السابقة التي تقوم بها الادارة ، وانما من قبيل الموافقة المسبقة على التعاقد والتي بدونها يكون العقد الذي ابرمته الادارة باطلا . (١)

---

(١) تنص المادة(١٣٧/ ١/ ٢/ ٣ من ق.م.ع .رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ على ان العقد الباطل ١–هو مالا يصلح اصلا بأعتباره ذاته أو وصفاً بأعتبار بعض أو صافهالخارجية . ٢–ويكون العقد باطلا اذا كان في ركنه خلل كأن يكون الايجاب والقبول صادرين ممن ليس أهلا للتعاقد او يكون المحل غير قابل لحكم العقد أو يكون غير مشروع ٣– ويكون باطلا اذا اختلت بعض اوصافه كان يكون المعقود عليه مجهولا جهالة فاحشة أو يكون غير مستوف للشكل الذي فرضته القانون" .

المراجع

١ ـ د. ابراهيم طه الفياض ـ العقود الادارية ، النظرية العامة وتطبيقاتها في القانون الكويتي والمقارن ،شرح قانون المناقصات الكويتي رقم ٢٧ لسنة ١٩٦٤.

٢ ـ د. حسن علي ذنون النظرية العامة للالتزامات ـدار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٦

٣ ـ د. رياض عبد عيسى الزهيري ـ العلاقات التعاقدية بين الوحدات الاقتصادية في القطاع الاشتراكي ـ رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة بغداد ـ كلية القانون والسياسة ـ تشرين الأول ١٩٧٩.

٤ ـ د. سعد العلوش ـ نظرية المؤسسة العامة وتطبيقاتها في التشريع العراقي ـ مطبعة دار النهضة العربية. ١٩٦٨

٥ ـ د. سليمان محمد الطماوي ـ الاسس العامة في العقود الادارية ـ ط٣، دار الفكر العربي. ١٩٧٥

٦ ـ د. عبد المجيد الحكيم ـ الموجز في شرح القانون المدني ـ الجزء الاول، ط٥ مطبعة نديم ـ بغداد

٧ ـ د. غني حسون طه ـ الوجيز في النظرية العامة للالتزام ـ الكتاب الأول، مصادر الالتزام، مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٩٧١

٨ ـ د. محمد حلمي مراد ـ مالية الدولة ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٩٦٤

٩ ـ د. محمود حلمي ـ العقد الاداري ـ دار الفكر العربي الحديث ـ ١٩٧٤

قوانين

١ ـ قانون أصول المحاسبات العامة رقم ٢٨ لسنة ١٩٤٠

٢ ـ قانون خطة التنمية القومية رقم ٨٩لسنة ١٩٧٧

٣ ـ قانون تنفيذ مشاريع التنمية الكبرى رقم ١٥٧ لسنة ١٩٧٣.

٤ ـ قانون الحزب القائد رقم ١٤٢ لسنة ١٩٧٤ .

٥ ـ قانون المؤسسة العامة للتنمية الزراعية رقم ١١٢ لسنة ١٩٧٢

٦ ـ نظام وزارة النقل رقم ٣٩ لسنة ١٩٧٦.

مدارس الموصل ودورها التعليمي في العصر الاتابكي
٥٢١ــ٦٦٠ھ/١١٢٧ــ١٢٦٢م

بحث مقدم من

عبد الجبار حامد احمد
مدرس مساعد

د. صلاح الدين امين طه
استاذ مساعد

اهتم الأتابكيون بانشاء المدارس ، وقد تسابق الجميع في هذا المضمار ، لذلك نرى انه لم ينته العصر الأتابكي حتى انتشرت المدارس في الموصل لانها كانت مصدرا لنشر العلم والمعرفة في البلد ودفع النهضة العلمية الى امام . ومايقول ابن جبير :

« ... وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست او ازيد على دجلة فتلوح كأنها القصور المشرفة ... » (١) . الادليل على ازدهار الحركة العلمية في الموصل على الرغم من ان ابن جبير ذكر المدارس الواقعة على نهر دجلة ، وربما ذكر التي رآها فقط ، واهمل ذكر المدارس الأخرى التي لم تقع عينه عليها .

وظهرت فكرة انشاء المدارس بعد ان ازدحم المسجد بالطلاب للدراسة والقراءة ، مما كان يؤثر على شعائر الصلاة . حيث نشأت الحاجة الى فصل المدرسة عن المسجد (٢) ، كما ان المدرسة نشأت تلبية لاحتياجات العقلية العربية الأسلامية وطموحاتها (٣) ولكن هذا لايعني ان دَوْر المساجد في التعليم والتدريس قد انتهى . بل استمرت في عملها جنبا الى جنب مع المدرسة ، اذ كان يقوم بالمهمة نفسها .

اما الفروق التي حدثت بين المدرسة والمسجد بعد ان تطورت المدرسة فأهمها : وجود مكان مخصص للتدريس (قاعة المحاضرات) على خلاف زوايا المسجد ، كذلك انشئت

المساكن في المدارس لايواء الطلاب والمدرسين والغرباء ،فضلا عن ان عدد طلاب المدارس كان محدودا وينال نصيبه من اوقاف المدرسة (٤) .

ويمكن اضافة فروق اخرى بين المسجد والمدرسة، وهي ان المدرسة محل نظامي للتدريس حيث يعين الأستاذ اوالشيخ ليقوم بمهمة التدريس ويتناول اجراً على ذلك ، وكذلك الطلبة كانوا نظاميين لايترك احد منهم المدرسة الا بعد ان يحصل على الأجازة. اما التدريس في المساجد فقد كان اختياريا، وكان المدرس في اغلب الأحيان يجلس للتدريس بدون تعيين، كما كان الطلاب يحضرون بدون نظام وقد ينتقل الطالب من حلقة الى اخرى حسب رغبته .

ولم يكن نظام الملك (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢ م) وزير السلطان ملكشاه السلجوقي اول من انشأ المدارس ، وانما انشئت قبل هذه الفترة مدارس بنيسابور (٥) ، وقد أنشأها علماء عرب ينتسبون الى قبائل قريش وتميم (٦) ، ولكن اشتهار نظام الملك في انشاء المدارس ربما يأتي بسبب تخصيصه المعاليم والأموال للطلبة والمدرسين (٧) ، فضلا عن انشائه عدداً كبيراً من المدارس في البلاد العربية الأسلامية سميت باسمه ، حتى في جزيرة ابن عمر انشأ مدرسة كبيرة (٨) .

ومن الجدير بالملاحظة ان مدارس الموصل التي تم انشاؤها في العصر الأتابكي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، لم تسعفنا المصادر التاريخية على التعرف بتخطيطها على الرغم من انها نوهت بخصوصيتها الوظيفية(٩) كما ان المخلفات الأثرية بدورها لم ترشدنا الى ذلك التخطيط لان المتخلف منها كان على هيئة غرفة اواجزاء منها ، كالمدرسة العزية والمدرسة النورية ، ومنها ما مر بادوار معمارية متعددة ذهب بمعالمها الأصلية كالمدرسة النظامية ، ومع ذلك فمما لاشك فيه ان تخطيط المدارس في الموصل اتبع التخطيط التقليدي الذي اعتمدته معظم المدارس في تلك العصور ، وهو الملائم للغرض العلمي والديني انذاك ، ولمعالجة المشاكل المناخية وموافقته النواحي الإجتماعية والنفسية، اذ كان يتكون من فناء مستطيل او مربع مكشوف تحيطه المرافق المعمارية للمدرسة التي تتألف عادة من ايوان او اكثر تحف بجانب كل منهما مرافق تمثل قاعات وحجرات وغرف تتوزع في طابق اوطابقين (١٠) ، ويعد بيت الصلاة من القاعات المهمة للمدرسة وغالبا مايمتد بموازاة جدار القبلة الذي بدوره يقابل المدخل الرئيس للمدرسة وينفتح على الفناء باكثر من مدخل ليكون الفناء مكملا له ويستوعب

اعداد المصلين في المناسبات العامة اوصلاة الجمعة ، كما تحتوي المدرسة في احد جوانبها او اركانها بعض المباني الخدمية كالمطبخ والحمام وغيرها (١١) ، فضلا عن دار الكتب احيانا ، على غرار مدارس العراق الاخرى المعاصرة كالمدرسة المستنصرية ، (٦٣١هـ/ ١٢٣٤م) والمدرسة الشرابية (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) المعروفة بالقصر العباسي ببغداد (١٢) .

اما المدارس التي تم انشاؤها في الموصل في العصر الأتابكي فهي :

١ — المدرسة النظامية :

تم انشاؤها قبل العهد الأتابكي من قبل الوزير السلجوقي نظام الملك (٤٠٨هـ — ٤٨٥هـ ١٠١٧ — ١٠٩٢م) غير ان التدريس استمر فيها خلال العهد الأتابكي، وقد انشئت هذه المدرسة لتدريس الفقه على المذهب الشافعي (١٣) ، وكان نظام الملك قد بنى هذه المدرسة للقاضي ابي بكر محمد بن ابي علي الحسن بن ابي خالد الخالدي المعروف بالسديد ، قاضي الموصل بالقرب من الجامع النوري (١٤) .

ومن الطبيعي ان نظام الملك قد اوقف عليها الأوقاف الكثيرة والأموال لتصرف رواتب للمدرسين ومساعدات للطلاب اسوة بمدارسه الأخرى ومنها نظامية بغداد .

ومن المحتمل ان مزار الأمام علي الأصغر المجاور للجامع النوري يمثل بقايا تلك المدرسة التي مرت بادوار معمارية متعددة واستخدمت لاغراض مختلفة بعد الفترة الأيلخانيـــة ومنها اتخاذها مزارا للامام محمد بن الحنفية (١٥) .

مدرسوها

كان أول مدرسي نظامية الموصل هو القاضي السديد الخالدي، كما ذكرنا ، أما الذين شغلوا التدريس فيها في العصر الاتابكي فمنهم :

١ — القاضي ابو حامد محيي الدين محمد بن القاضي كمال الدين الشهـــرزوري ، (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) (١٦) وكان ابو حامد عالماً فقيهاً قاضياً، تفقه في بغداد على الشيخ أبي منصور بن الرزاز ثم ذهب الى بلاد الشام وولي قضاء دمشق نيابة عن والده ، وفـــي سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) تولى قضاء حلب نيابة عن والده ايضاً، ثم انتقل الـى بلدة الموصل وتولى القضاء فيها فضلا عن التدريس بالمدرسة النظامية بالموصل ، ومدرسة والده (الكمالية القضوية) وكان مقرباً من الملك عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود، وارسله أكثر

من مرة سفيراً الى بغداد، وكان يلقي تقديراً من الخليفة فيها. وكان يتصف بالكرم والاخلاق، ويحب العلماء والادباء والشعراء ويقربهم اليه، ويغدق عليهم الاموال ولايعتقل غريماً على دينارين فما دون، بل يوفيهما عنه ويخلي سبيله (١٧) . سمع الحديث من عم أبيه أبي بكر محمد بن القاسم الشهرزوري ، وحدث عنه بالموصل (١٨) .

٢ — احمد بن نصر بن الحسين، ابو العباس الانباري المعروف بالشمس الدنبلي (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١م). وكان ابو العباس فقيهاً له معرفة بالمذهب الشافعي- وشغل منصب معيد لدروس الشيخ أبي المظفر محمد بن علوان بن مهاجر (ت٦١٥هـ/ ١٢١٨م) ، ثم درّس بالمدرسة النظامية بالموصل ،وبمدرسة كمال الدين الشهرزوري (الكمالية القضوية) وظل يدرّس ويفتي الى ان توفي (١٩) . ولم تذكر المصادر طلاب هذه المدرسة وعددهم.

والملاحظ من ترجمة هذين العالمين : ان المدرس الواحد كان يشغل وظيفة التدريس في أكثر من مدرسة فضلا عن المهام الاخرى كالقضاء والفتوى وبعض الامور الاخرى التي تكلفه بها الدولة، لما يتصف به من كفاءة ومقدرة علمية. كما كان الفقه هو المادة الرئيسة في التدريس بهذه المدرسة.

ويرى الديوه جي أن مقام علي الاصغر المعروف بمقام (أبن علي) أو (ابن الحنفية) هو مكان هذه المدرسة ، ويقع مقابل الجامع النوري، ولم يبق من أثارها سوى المحراب المصنوع من المرمر الازرق المطعم بالمرمر الابيض وعليه البسملة وآية من القرآن بخط كوفي (٢٠).

٢ — المدرسة الاتابكية العتيقة :

انشأها الملك الأتابكي سيف الدين غازي الأول بن عمادالدين زنكي (ت٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، وانشأ فيها تربته ،اذ دفن فيها بعد موته ،وهي من احسن المدارس واوسعها ، وكانت تدرّس المذهبين الشافعي والحنفي، وقد اوقف عليها مؤسسها الوقوف الكثيرة (٢١)

مدرسوها :

١ — عبدالله بن الخضر بن الحسين الموصلي المعروف بابن الشيرجي (ت٥٧٤هـ / ١١٧٨م) درّس في هذه المدرسة بعد عودته من بغداد ، وكان تدريسه فيها مجانا لم يأخذ عليه اية رواتب اوجرايات ولكنه لم يبق في هذه المدرسة سوى اربعة اشهر ، عاد بعدها الى مسجده ليواصل التدريس فيه الى ان توفي (٢٢) .

٢ ـ ابن ابي عصرون التميمي الموصلي : الأمام شرف الدين ابي سعد عبدالله بن محمد ابن هبة الله بن المطهر (ت٥٨٥هـ/١١٨٩م). ذكر العماد الأصبهاني انه التقى به في الموصل سنة (٥٤٢هـ / ١١٤٧م) ، وهو مدرس بالمدرسة الأتابكية (٢٣) .

ولد بالموصل سنة (٤٩٢هـ / ١٠٩٨م) ونشأ فيها وقرأ القرآن الكريم على ابي الغنائم السروجي وتفقه على ابي محمد عبدالله بن القاسم الشهرزوري وغيره ، ورحل الى بغداد وقرأ بها القرآن علي ابي عبدالله الحسين بن محمد البارع وغيره ، وتفقه بها على ابي الفتح اسعد بن ابي نصر الميهني وهبةالله بن الحصين ثم انتقل الى واسط وقرأ بها القرآن وتفقه على شيوخها ، وعاد الى الموصل بعلم كثير ، وتتفق اغلب المصادر انه بدأ تدريسه في الموصل سنة (٥٢٣هـ / ١١٢٨م) ثم سافر الى سنجار وبقي بها مدة ثم انتقل الى حلب سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م) ودرّس بها ثم انتقل الى دمشق في زمن نورالدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) ودرّس بها، وبنى له المدارس بحلب وحماة وحمص وبعلبك واستقر اخيراً في دمشق سنة (٥٧٠هـ / ١١٧٤م) وتولى القضاء فيها الى ان توفي .

ومن تصانيفه : (صفوة المذهب في نهاية المطلب) في سبع مجلدات ، وكتاب (الأنتصار) في اربع مجلدات ، وكتاب (الذريعة في معرفة الشريعة) وكتاب (مآخذ النظر) وغيرها من المصنفات الكثيرة (٢٤).

٣ ـ ابو المعالي عبدالسلام بن محمود بن احمد المنعوت بالظهير (ت٥٩٦هـ / ١١٩٩م) كان عالما فقيها له معرفة بالخلاف والأصول والكلام ، قدم الموصل سنة (٥٩٤هـ / ١١٩٧م) . وفوض اليه الملك نورالدين ارسلانشاه الأول (ت٦٠٧هـ / ١٢١٠م) التدريس بهذه المدرسة ووعده ببناء مدرسة اخرى له ، ثم توجه الى حلب على امل العودة الى الموصل لكنه توفي هناك (٢٥) .

٤ ـ الفقيه ابو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي (ت٦١٥هـ/١٢١٨) م، ذكره ابن الشعار عند حديثه عن يحيى بن الحسن بن احمد ، ابي زكريا الطنزي الذي ولد بطنزة سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) ، ثم قدم الموصل وتفقه على الشيخ محمد بن علوان إبن مهاجر بالمدرسة الأتابكية العتيقة، وحفظ كتاب (التنبيه) للامام ابي اسحق الشيرازي عن ظهر قلب (٢٦) ، فهو من العلماء الذين تفقهوا وتخرجوا في هذه المدرسة .

٥ ـ عبدالعزيز بن محمد بن ابي الفضائل بن ابي البركات ، ابو محمد البغدادي الواعظ

المعروف بابن الديّاري (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) . كان عالما فقيها ومحدثا ولد في بغداد سنة (٥٦٦هـ/ ١١٦٠م) ، وقرأ القرآن الكريم على ابن عساكر البطائحي وغيره وسمع الحديث من جده لامه محمد بن اسماعيل الفرغاني وقرأ الادب على ابي البركات الأنباري وغيره ، ثم قدم الى الموصل وتفقه على الشيخ محمد بن علوان بن مهاجر وعلى القاضي سعيد بن عبدالله الشهرزوري ثم اقام بالمدرسة الأتابكية العتيقة يعظ الناس واستفاد منه عدد كبير من اهل الموصل وتميز بالوعظ واشتهر به ، ثم ترك الموصل ونزل دمشق وتوفي بها (٢٧) .

وكانت هذه المدرسة تحوي اماكن لسكن الطلاب والمدرسين والغرباء ، ومن الذين سكنو افيها ، ابو زكريا يحيى بن احمد المقريء الموصلي الدار والسكنى (ت ٦١٨هـ/ ١٢٢١م) وكان شاعراً قارئاً للقرآن الكريم ،سكن بالمدرسة الأتابكية العتيقة حتى وفاته(٢٨).

والملاحظ على هذه المدرسة ان بعض العلماء دَرّس فيها مجانا دون ان يأخذ أي اجر على عمله ، كما كانت تعقد فيها مجالس الوعظ فضلا عن الدروس وتحوي هذه المدرسة مساكن الطلاب والمدرسين .

اما مناهجها فكانت تتركز على دراسة الحديث والفقه . وبالنسبة لموقعها فيعتقد انها تجاور الرباط الذي انشأه مؤسسها والذي هو اليوم مقام (عيسى دَدَه) على نهر دجلة (٢٩)

٣ـ المدرسة الكمالية :

اسس هذه المدرسة زين‌الدين ابوالحسن علي بن بكتكين (ت٥٦٣هـ / ١١٦٧م) والد الملك مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل . (٣٠) .

وأصل هذه المدرسة هو مسجد عرف بمسجد (زين الدين) ثم سمي بالمدرسة الكمالية نسبة الى كمال الدين بن منعة لطول اقامته به (٣١) .

مدرسوها :

١ ــ يونس بن محمد بن منعة الملقب برضي‌الدين (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) ، وهو والد الشيخين عماد الدين‌ابي حامد محمد بن منعة،وكمال الدين ابي الفتح موسى بن منعة، ولد باربل وقدم الموصل فتفقه بها على أبي‌عبدالله الحسين بن نصر المعروف بابن خميس الكعبي ثم توجه الى بغداد وتفقه على ابي منصور سعيد بن محمد المعروف بابن الرزاز مُدَرِّس النظامية ثم عاد الى الموصل وولاه الأمير زين‌الدين التدريس . في‌مسجده (المسجد الزيني)

الذي اصبح فيما بعد (المدرسة الكمالية) وظل يدّرس ويناظر وتقصده الطلبة للاشتغال عليه وعلى ولديه الى ان توفي (٣٢) .

ومن العلماء الذين درسوا عليه الفقيه يحيى بن علي بن سليمان المعروف بابن العطار ، الموصلي (ت٦١٨هـ/ ١٢٢١م) (٣٣) .

٢ ــ كمال‌الدين بن يونس بن منعة الفقيه الشافعي (ت٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) وهـو احد العلماء المبرزين في العلوم الشرعية والعقلية واصول الدين ، تفقه بالموصل على والده وعلى يحيى بن سعدون القرطبي ، ثم توجه عام (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) الى بغداد ، واشتغل بالمدرسة النظامية على معيدها السديد السلماسي ، وكان المدرس انذاك فيها رضي‌الدين احمد بن أسماعيل بن محمد القزويني ،فقرأالخلاف والأصول ،ودرّس الأدب على ابي البركات الأنباري، ثم عاد الى الموصل ، ودرّس بعد وفاة الده بالمسجد المعروف ب(مسجد زين الدين) وسمي بعدها بالمدرسة الكمالية ، وقد رأى ابن خلكان المسجد وهو على وضع المدرسة . وبدأ العلماء والفقهاء والطلاب يترددون اليه للاخذ من علمه ، وتقول الروايات انه يعرف اربعة وعشرين فنا معرفة متقنة ، كما كان له معرفة بالمنطق والطب والرياضيات والفلسفة والموسيقى واللغة والتفسير والحديث والتواريخ والأشعار .

وكان الشيخ اثير الدين المفضل بن عمر الأبهري البارع في العلوم العقلية يقول: مادخل بغداد عالم مثله . والشيخ الأبهري كان يقدُرس على كمال الدين في الوقت الذي كان الناس يشتغلون بتصانيفه ، كما كان علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف عالما بالرياضيات ولكنه يدرس على كمال الدين لغرض الأنتساب اليه، وكان كمال‌الدين مقرباً من الملك بدرالدين لؤلؤ وبقي في الموصل يدّرس ويفتي ويصنف حتى توفي (٣٤) .

ومن تصانيفه : شرح كتاب (التنبيه) في الفروع لابي اسحق الشيرازي ، وكتاب (عيون المنطق)وكتاب (الأسرار السلطانية في علم النجوم) وكتاب في الأصول ، وكتاب (كشف المشكلات وايضاح المعضلات في تفسير القرآن) وغير ذلك من التصانيف (٣٥)

ومن الطلاب الذين درسوا عليه ، العالمان نجم‌الدين القمراوي وشرف‌الدين المتاني وهما من بلاد الشام (٣٦) ، كذلك ابن خلكان العالم المشهور (٣٧) ، والعمادالمغربي عمربن عبدالنور الصنهاجي وهو من اهل المغرب رحل الى المشرق لتحصيل العلم (٣٨) ، ومجد الدين محمد بن ميكائيل الموصلي (ت ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) (٣٩) ، وثيودور الأنطاكي الذي قدم من انطاكية للدراسة عليه (٤٠) ، كما درس عليه الفقه وبعض علوم الأوائل

القاضي ابو ابراهيم يوسف بن ياسين الدقوقي (ت ٦١٥هـ/ ١٢١٨م) (٤١) .

٣ — طاهر بن ثابت بن ابي المعالي، ابوالطيب القاضي البوازيجي (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) وكان عالما فقهيا ، ولد بالبوازيج وقدم الى الموصل وتفقه على الأمام ابي حامد محمد بن يونس بن منعة ، وسمع الحديث على عمر بن طبرزد ، واتصل بالقاضي المظفر عبدالقاهر الشهرزوري ثم فوضه التدريس بالمدرسة الكمالية ، ودرّس بهاكتاب (الشامل) للامام ابي نصر الصباغ ، ثم ولاه المظفر الشهرزوري نيابة القضاء وفوض اليه عقود الأنكحة وظل بمناصبه هذه حتى توفي (٤٢) .

٤ — محمد بن الحسن بن عبدالقاهر بن الحسن بن القاسم القاضي الشهرزوري . ولد بالموصل سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) وهو من بيت مشهور بالقضاء والفقه ، حفظ القرآن الكريم ، وقرأ الفقه الشافعي على الشيخ كمال الدين بن منعة ، ثم تصدر للتدريس بالمدرسة الكمالية ، وهو عالم له معرفة بالفقه والحديث والأدب والنحو والشعر (٤٣) .

والملاحظ على هذه المدرسة ومن خلال ترجمة علمائها ومدرسيها انها كانت تدرّس مختلف العلوم العقلية والنقلية التي برع فيها مدرسوها ، فقد دُرّس فيها المنطق والفلسفة والفلك والرياضيات والأدب والنحو والفقه الشافعي ، وغيرها من العلوم .

اما عن موقعها ، فيقول صاحب منهل الأولياء في معرض حديثه عن (قرقسراي) ، قصر الملك بدرالدين لؤلؤ ، ومن قبله الملوك الأتابكيين : (... وتحته بمسافة : خانقاه للصوفية قد بقي منه آثار ، ومدرسة يقال انها مدرسة الشيخ السابق ذكره ابن يونس :قد بقيت قبتها مبنية بالآجر بناءاً محكما مرتفعاً جداً ...» (٤٤) ، وهي تعرف لحد الآن بمدرسة ابن يونس وهي على نهر دجلة ، واتخذت جامعاً يعرف « بجامع الشهوان » لانه يقع في محلة الشهوان . كما يعرف ايضاً بجامع (شيخ الشط) (٤٥) وعلى الرغم من الأدوار المعمارية المتعددة التي مرت بها المدرسة خلال العصور اللاحقة ، الا أن اهم اجزائها المتبقية في الوقت الحاضر قبة نصف كروية تغطي غرفة مربعة من الخارج ومثمنة من الداخل يتوسط كل ضلع من اضلاعها مشكاة ذات عقود مدببة ، كما كانت مزينة بزخارف طمستها الترميمات المتأخرة (٤٦) .

٤ – المدرسة الزينيّة :

بنى هذه المدرسة زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين مؤسس المدرسة الكمالية ، فقد ذكر أن له أوقافاً كثيرة بالموصل من مدارس وربط (٤٧) .

مدرسوها :

١ – الفقيه عماد الدين ابو حامد محمد بن يونس بن منعة (ت ٦٠٨هـ/١٢١١م) ، وهو أخو كمال الدين بن منعة ، وعماد الدين أحد العلماء المشهورين في الموصل ، تفقه في بداية أمره على أبيه ، ثم ذهب إلى بغداد وتفقه على السديد السلماسي في المدرسة النظامية وكان معيداً بها ، ومدرّسها الشرف يوسف بن بندار الدمشقي ثم سمع الحديث فيها ، وعاد بعدها إلى الموصل عالماً كبيراً له سمعة حسنة ، وتولى الخطابة بالجامع المجاهدي في الموصل ، ودرّس فيها بعدة مدارس منها : النورية والعزية والنفيسية والعلائية ، فضلا عن المدرسة الزينية ، وكان إمام زمانه في المذهب الشافعي بالموصل ، ثم تولى القضاء فيها سنة (٥٩٢هـ / ١١٩٥م) ، وانفصل بعدها عن القضاء وعاد للتدريس في مدارسه ، وكانت شهرته واسعة ، قصده الناس للأخذ من علومه ، وبقي كذلك حتى توفي بالموصل (٤٨) .

ومن تصانيفه : كتاب (المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط) في فروع الشافعية ، وشرح (الوجيز) للغزالي في الفروع ، وكتاب في (العقيدة) وغيرها من التصانيف (٤٩) .

المعيدون :

ومن المعيدين في هذه المدرسة ابو علي الحسن بن عثمان بن علي الجزري (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) ، وهو من فقهاء الشافعية ، سكن الموصل ورتب معيداً في المدرسة الزينية (٥٠) .

اما الطلاب الذين درسوا على عماد الدين بن منعة فمنهم :

١ – القاضي ابو الطيب طاهر بن ثابت البوازيجي (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الذي اصبح فيما بعد مدرّساً بالمدرسة الكمالية ، كما مر بنا (٥١) .

٢ – كمال الدين ابو الرضا عبدالرحيم بن محمد بن ياسين البغدادي (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ، الذي اصبح فيما بعد معيداً بالمدرسة النظامية في بغداد (٥٢) .

٣ – كمال الدين ابو محمد أحمد بن عبدالعزيز بن جامع المراغي ، قاضي سراة (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) (٥٣) .

٤ ــ أبو محمد أميري بن بختيار بن خل (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) ، وكان من كبار العلماء والفقهاء توفي في اربل (٥٤) .

وكانت هذه المدرسة تحوي اماكن لسكنى الطلاب والعلماء ، وممن سكن فيها الشيخ طاهر بن ثابت ، ابو الطيب البوازيجي مدرّس المدرسة الكمالية (٥٥) .

أما مناهجها فيظهر مما سبق أنها كانت تدرس الفقه الشافعي .

ومن الجدير بالذكر ان داؤد جلبي (٥٦) ، واحمد الصوفي (٥٧) ، قد عدّا المدرسة الكمالية هي نفسها المدرسة الزينية ، وميّز الديوه‌جي بينهما ، وأورد دليلا على ذلك ، بأنه في الوقت الذي درّس فيه كمال‌الدين في (المدرسة الكمالية) ، كان اخوه عمادالدين يدرّس في (المدرسة الزينية) (٥٨) .

ونحن نميل إلى هذا الرأي بدليل :

١ ــ ما اوزدناه من مدرسي كل مدرسة في أثناء تفصيلنا لهما .

٢ ــ لم تشر المصادر إلى ان كمال‌الدين بن منعة درّس بالمدرسة الزينية من بين المدارس التي درّس بها في الموصل (٥٩) .

٣ ــ لم تشر المصادر إلى ان عمادالدين بن منعة درّس بالمدرسة الكمالية من بين المدارس التي درّس بها في الموصل (٦٠) .

٤ ــ على ان اهم ما يدعم هذا الرأي هو ماذكره ابن الشعار في معرض ترجمته للشيخ طاهر بن ثابت البوازيجي ــ المار ذكره ــ بانه سكن في المدرسة الزينية ، ودرّس بالمدرسة الكمالية (٦١) ، فابن الشعار ذكر المدرستين في آن واحد ، وهذا دليل قاطع على وجود المدرسة الزينية والمدرسة الكمالية ، وان كل واحدة منهما منفصلة عن الاخرى .

اما موقعها في الوقت الحاضر فلا يمكن معرفته لعدم وجود أي اثر لها .

٥ ــ مدرسة ابن الشهرزوري او المدرسة (الكمالية القضوية):

وهي من المدارس التي انشئت لتدريس الفقه الشافعي (٦٢) ، وقد انشأها القاضي أبو الفضل محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري الملقب بكمال‌الدين (ت٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)(٦٣) ، وكان فقيهاً عالماً اديباً أوقف الاوقاف الكثيرة في الموصل ونصيبين ودمشق (٦٤) ، وقد تفقه في الموصل على جده لأمه علي بن احمد بن طوق ، وكذلك على ابي البركات محمد بن خميس ، وفي بغداد تفقه على اسعد بن محمد الميهني المدرّس بالمدرسة النظامية ، وسمع الحديث من نور الهدى الحسين بن محمد الزينبي وغيرهم ، وتولى القضاء بالموصل مدة من الزمن (٦٥) ، وكان

مقرباً من عمادالدين زنكي بن آق سنقر ويرسله في رسائله إلى بغداد ، وبعد مقتل عمادالدين فوض اليه سيف‌الدين غازي بن عمادالدين زنكي الامور بالموصل ، ثم انتقل إلى خدمة الملك نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي في بلاد الشام سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) ؛ وتقرب اليه، وولاه القضاء بدمشق سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) ، وبقي فيها حتى توفي (٦٦) .

مدرسوها :

١ — جلال‌الدين عبدالرحمن الشهرزوري بن القاضي كمال‌الدين الشهرزوري المار ذكره، وكان فقيهاً عالماً ، درّس بمدرسة والده (الكمالية القضوية) وتوفي شاباً في حياة والده سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) (٦٧) .

٢ — القاضي ابو حامد محيي‌الدين محمد بن القاضي كمال‌الدين الشهرزوري (ت ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) ، وهو الابن الثاني للقاضي كمال‌الدين الشهرزوري ، درّس أيضاً بمدرسة والده (الكمالية القضوية) وقد ترجمنا له عند الحديث عن المدرسة النظامية في الموصل .

٣ — الفقيه احمد بن نصر بن الحسين ابو العباس الانباري المعروف بالشمس الدنبلي (ت ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م) ، درّس بهذه المدرسة ايضاً ، وقد ترجمنا له عند الحديث عن المدرسة النظامية في الموصل .

٤ — القاضي ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الاسدي المعروف بابن شداد والملقب ببهاءالدين ، (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) ، ولد بالموصل سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) وحفظ القرآن الكريم منذ صغره ، ثم قدم إلى الموصل الشيخ ابو بكر يحيى بن سعدون القرطبي فلازمه واشتغل عليه احدى عشرة سنة واتقن قراءة القرآن على الطرق السبع ورواية الحديث والتفسير ، وشهد له القرطبي بانه لم يقرأ عليه احد اكثر مما قرأ ابن شداد، ثم درّس الفقه على الشيخ ابي البركات عبدالله بن الخضر الشيرجي المار ذكره بالمدرسة الاتابكية العتيقة ، واجازه جميع مروياته على اختلاف انواع الروايات سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) ، كما درّس على القاضي فخرالدين ابي الرضا سعيد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري مسند الشافعي وسنن أبي داؤد ومسند ابي يعلى الموصلي واجازه رواياته سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) ، وغيرهم من علماء وفقهاء الموصل ثم ذهب إلى بغداد ، ورتب معيداً في المدرسة النظامية نحو اربع سنين وعاد بعدها إلى الموصل ودرّس في المدرسة الكمالية القضوية ، وانتفع به عدد كبير من الناس (٦٨) ، ثم ذهب لزيارة

بيت الله الحرام وانعطف لزيارة بيت المقدس واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين يوسف إبن أيوب وولاه قضاء العسكر وقضاء بيت المقدس (٦٩)، ثم اتصل بولده الملك الظاهر وولاه قضاء حلب وقربه اليه وظل مكرماً حتى توفي فيها (٧٠) .

ومن تصانيفه : كتاب (سيرة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب) وكتاب (الموجز الباهر للملك الظاهر) في الفقه على مذهب الأمام الشافعي ، وكتاب (دلائل الأحكام في احاديث الرسول عليه السلام) وغيرها من المصنفات الكثيرة (٧١) .

ومن الجدير بالذكر ان مدرسة ابن الشهرزوري كانت تحوي اماكن لسكنى الطلاب والمدرسين والغرباء حيث يذكر ابن الفوطي انه لما قدم القاضي تاج الدين يحيى بن القاسم إبن المفرج التكريتي الى الموصل ، استقبله بها القاضي فخرالدين ابوالرضا سعيد بن عبدالله إبن القاسم الشهرزوري (ت ٥٧٦هـ/ ١١٨٠ م) وانزله في المدرسة التي انشأها اخوه كمال الدين الشهرزوري واكرمه وزاد في احترامه (٧٢) .

وموقعها في الوقت الحاضر غير معروف لاندثار معالمها .

٦- مدرسة ابن الشيرجي :

دّرس في هذه المدرسة عبدالله بن الخضر بن الحسين الموصلي المعروف بابن الشيرجي (ت٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) المار ذكره في المدرسة الأتابكية العتيقة ، وقد ذكره الأسنوي حيث قال: (...ثم بنى له الأمير عزالدين مدرسة على شط النهر ؛ وبالغ في الأحتياط في شأنها من وجوه الحل ، فلما كملت تشفع الى الشيخ في قبولها ، والح عليه في ذلك ... فقبلها ؛ وانتقل اليها فدّرس بها مدة ، ثم مرض فعاد الى منزله ، فلما عوفي سألوه أن يعود الى المدرسة والحوا عليه ؛ فلم يجب ، وبقي في مسجده الى ان توفي ... » (٧٣) .

فقد درس بهذه المدرسة فضلا عن المدرسة الأتابكية العتيقة ، وكذلك مسجده المار ذكره

اما مؤسس هذه المدرسة ، فلم يوضح الأسنوي من هو الأمير عزالدين ؛ وبالتأكيد هو ليس عزالدين مسعود الأول بن قطب الدين مودود والسبب في ذلك: ان ابن الشيرجي توفي قبل ان يملك عزالدين مسعود الأول الموصل بسنتين ، اذ توفي ابن الشيرجي سنة (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) وتولى عزالدين مسعود الأول حكم الموصل سنة (٥٧٦هـ/١١٨٠م) فمن المحتمل ان الذي بناها هو الامير عزالدين محمود زلفندار وهو من كبار الأمراء في عهد سيف الدين غازي الثاني الذي حكم من (٥٦٥هـ- ٥٧٦هـ/ ١١٦٩ - ١١٨٠م)

وأحد قادة جيشه (٧٤) ، وهو الذي كان متنفذاً في عهد اخيه عزالدين مسعود الأول الذي حكم من (٥٧٦هـ - ٥٨٩هـ/١١٨٠ - ١١٩٣م)واشار عليه بحبس مجاهد الدين قيماز (٧٥)

وفي هذه المدرسة دُرّسَ الفقه الشافعي والحديث ،اما موقعها ، فيذكر انها واقعة على نهر دجلة ، لكن لايعرف مكانها بالضبط لأندثار معالمها .

٧ - المدرسة المجاهدية :

بناها الأمير مجاهد الدين قيماز الرومي (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) ، وقد ذكرت المصادر اعماله الخيرية في الموصل وانه بنى الجامع المجاهدي بظاهر الموصل على نهر دجلة ، وكذلك بنى الرباط المجاهدي والمدرسة المجاهدية والمارستان المجاهدي وكلها متجاورة واوقف على الجميع الأوقاف(٧٦) ، وبنى المدرسة المجاهدية بعد ان فرغ من بناء الجامع ، ولما كان الجامع قد بدأ به عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) (٧٧) واشرف على الأنتهاء من بنائه عام (٥٧٥هـ/١١٧٩م) (٧٨) ، اذن يكون بناء المدرسة بعد سنة (٥٧٥هـ) على الأرجح .

اما موقعها فهي مجاورة للجامع المجاهدي ، وهي في الربض الأسفل من الموصل على نهر دجلة (٧٩) ، ولم يبق الان من المؤسسات التي بناها سوى الجامع المجاهدي ، كما لم تذكر المصادر اسماء مدرسيها اوطلابها .

٨ - مدرسة ام الملك الصالح :

والملك الصالح هو اسماعيل بن نورالدين محمود بن عماد الدين زنكي ، حكم بعد وفاة والده في بلاد الشام عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) وكان صغيراً وتوفي سنة (٥٧٧هـ / ١١٨١ م) ولم يبلغ من العمر عشرين سنة (٨٠) ، وامه هذه هي زوجة نورالدين محمود بن عماد الدين زنكي .

وذكر هذه المدرسة ابن الأثير في معرض حديثه عن سيرة عمادالدين زنكي فقال : (... واول من بنى بالقرب من دار المملكة الأمير ناصر الدين كوري بن جكرمش ،فانه طلب من الشهيد ان يأذن له ليبني دارا قريبا من خدمته ، فاجاب الى ذلك وامره ان يبني بمكان يكون بينه وبين القلعة مقدار حجر المنجنيق ، فبنى داره الأولى وهي اليوم مدرسة وقفتها ام الملك الصالح ...) (٨١) .

فهذه المدرسة كانت بالاصل داراً ، ثم اوقفتها ام الملك الصالح مدرسة للتدريس . ولم تذكر المصادر مدرسيها اوطلابها .

اما موقعها فهي قريبة من دور المملكة شمال المدينة ، ويعتقد انها تقع قرب الأمام عبدالرحمن (٨٢) .

٩ – المدرسة المهاجرية :

بنى هذه المدرسة علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر والد الفقيه ابي المظفر محمد بن علوان بن مهاجر ، وكان أبوه علوان من أهل الثروة والمال والعلم ، وقد أوقف على هذه المدرسة الوقوف الكثيرة (٨٣) ، وكانت هذه المدرسة قد بنيت فوق دار الحديث المهاجرية ، ولهذا سميت بالمعلقة ، اذ ينقل لنا ابن ابي اصيبعة ماذكره الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) عندما جاء الى الموصل عام (٥٨٥هـ/١١٨٩م) :

(... ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبق ببغداد من يأخذ بقلبي ويملأ عيني ويحلّ مايشكل عليّ دخلت الموصل... وعرضت علي مناصب فأخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها...) (٨٤).

مدرسوها :

١ – الفقيه ابو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر (ت٦١٥هـ/ ١٢١٨م) وهو من العلماء والفقهاء المشهورين وكان أمام زمانه في الفقه الشافعي (٨٥) ، وقد ولد في الموصل عام (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) ، وذهب الى بغداد وتفقه على الامام ابي المحاسن يوسف بن بندار الدمشقي الذي كان مدرساً في المدرسة النظامية وغيره ، وسمع بها الحديث ، ثم عاد الى الموصل وتفقه ايضاً على ابي البركات عبد الله بن الشيرجي (ت٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) ثم درّس بعد ذلك بالمدرسة التي انشأها له والده علوان بن مهاجر (المدرسة المهاجرية) (٨٦) ، كما درّس بالمدرسة الاتابكية العتيقة– كما مربنا– فضلا عن تدريسه بمدرسة بدر الدين لؤلؤ (المدرسة البدرية) (٨٧).

وممن دَرّسَ على محمد بن علوان بن مهاجر الفقيه محمد بن ابي بكر بن علي أبو عبد الله الموصلي (ت٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) ،حيث دَرّسَ الفقه والمسائل الخلافية وبرع في ذلك واصبح معيداً عنده وتولى إعادة دروسه (٨٨).

أما تصانيفه فهي قليلة قياساً الى علمه وشهرته ،فقد ذكر منها: (تعليقه في الفقه) (٨٩)

٢ – موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ابو الفضل (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، ويعرف بابن اللباد الموصلي الاصل ، وكان اديباً شاعراً طبيباً فيلسوفاً عالماً ، ولد في

بغداد سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦١م) ، وطاف في البلاد ،واشتهر وذاع صيته ،وقد دَرّسَ على علماء بغداد والشام ومصر ومنهم : كمال الدين عبد الرحمن الانباري ، والوجيه الواسطي بمسجد الظفرية، وابن فضلان بدار الذهب ،وصار له معرفة بعلم الكيمياء وبقية العلوم الاخرى . وقد دخل الموصل عــام (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) بعد ان وجد انه لـم يبق في بغداد من يدرس عليه، ويحل له مايشكل عليه من المسائل ، فوجد في الموصل كمال الدين بن منعة وكان متضلعاً في الرياضيات والفقه والكيمياء ثم بعد ذلك تصدّر للتدريس في مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها ، وبقي سنة يدرّس في هذه مدرسة في عمل متواصل ليلا ونهاراً ، ثم غادر الموصل متنقلا في البلاد العربية الاسلامية الاخرى منها دمشق والقدس ومصر ، عاد بعدها الى بغداد ، وتوفي فيها بعد أن طاف البلاد حوالي خمس واربعين سنة .

اما تصانيفه فكانت كثيرة جداً ومنها : كتاب (الأفادة والأعتبار في الأمور والمشاهد والحوادث المعاينة بارض مصر) و (رسالة في المعادن وابطال الكيمياء) وكتاب (المجرد في غريب الحديث) و(شرح مقدمة المعرفة لابقراط) و (كتاب كبير في الأدوية المفردة) و(كتاب الجلي في الحساب الهندي) و(كتاب الكافية في التشريح) ومجموعات اخرى(٩٠)

٣ ــ عماد الدين ابو نصر احمد بن علوان بن مهاجر الموصلي ، وهو من بيت علم ومعرفة ولد بالموصل وقرأ فيها القرآن الكريم والفقه ثم دَرَسَ في بغـداد في المدرسة النظامية وعاد الى الموصل فتصدر للتدريس بعد وفاة والده محمد بن علوان بن مهاجر في المدرسة التي انشأها جده علوان (المهاجرية) في سكة بني نجيح (٩١) .

٤ ــ محيي الدين أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي . ولـد بالموصل سنة (٥٨٢هـ / ١١٨٦) وتفقه على والده ثم رحل الى بغداد وتفقه بها ، وعاد بعد ذلك الى الموصل وتصدر للتدريس بعد وفاة ابيه بالمدرسة المهاجرية، ثم تولى القضاء في الموصل سنة (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، وكان ذا مال وغنى وفضل وعلم (٩٢) .

والملاحظ على هذه المدرسة ان معظم مدرسيها هل من ابناء مهاجر، اما مناهجها فكانت تدرّس الفقه الشافعي فضلا عن العلوم العقلية من خلال وجود بعض المدرسين الذين برعوا في هذه العلوم امثال موفق الدين عبداللطيف البغدادي .

وتقع هذه المدرسة في سكة ابي نجيح بالموصل ، ويعتقد ان مكانها هو مسجد (شط

الجومي) والذي يقع على الطريق المؤدي من الميدان الحالية الى مدرسة ابن يونس (٩٣)

١٠ — المدرسة العزية :

انشأ هذه المدرسة عزالدين مسعود الأول بن قطب الدين مودود (٥٧٦-٥٨٩هـ / ١١٨٠ - ١١٩٣م) فقد بناها قرب دار المملكة وجعلها للمذهبين الشافعي والحنفي ، وخصص لها الأوقاف الكثيرة كما خصص للفقهاء والمدرسين والطلاب، الفواكه والحلوى والشيرج للوقود وكذلك الفحم، مما لم يخصص في مدرسة اخرى كذلك خصص لها من اموال الصدقات شيئا كثيراً تصرف لها كل اسبوع وفي المواسم والأعياد والأيام الشريفة والليالي المباركة لمساعدة الطلاب الفقراء ، واعطاء الرواتب للمدرسين وبنى له تربة في مدرسته هذه ودفن فيها (٩٤) .

وقد رأى ابن خلكان هذه المدرسة والتربة ووصفها بانها من احسن المدارس والترب وهي مقابلة لمدرسة ولده نورالدين ارسلانشاه الأول وبينهما ساحة كبيرة (٩٥) .

مدرسوها :

ومن مدرسي هذه المدرسة الشيخ عمادالدين ابوحامد محمد بن يونس بن منعة (٩٦) فمن بين المدارس التي درّس فيها ، المدرسة العزية فضلا عن المدرسة النورية والمدرسة الزينبية والمدرسة النفيسية والمدرسة العلائية (٩٧) .

وتقع هذه المدرسة الى الغرب من دور المملكة (قره سراي)،ولم يبق منها سوى غرفة مربعة تعلوها قبة مخروطية اتخذت مزارا للامام عبد الرحمن تتقدمها غرفة أصغر منها . ومن اهم عناصرها مدخل من عهد بنائها الاول يتضمن نصاً تذكارياً (٩٨) . ومحراب نقل الى المتحف الحضاري ببغداد ، وقد كتبت على دائرة قوس باب الحضرة كتابات طمست معالم قسم منها : (... التوفيق والدولة الدائمة الأتصال لمولانا الملك العالم العادل المؤيد المنصور عزالدنيا والدين ، ركن الأسلام والمسلمين ، نصير المجاهدين ، حامي بلاد المسلمين . . . اتابك مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر ...) (٩٩) .

١١ — المدرسة النورية :

بنى هذه المدرسة نورالدين ارسلانشاه بن عزالدين مسعود (٥٨٩-٦٠٧هـ / ١١٩٣ - ١٢١٠م) وقد انشأها للشافعية مقابل دار المملكة ، وهي احسن المدارس ، ووقفها على ستين

فقيها وخصص لها الوقوف الكثيرة فضلا عما يصل اليها من اموال الصدقات للصوفية والطلاب والمحتاجين ، وقد بنى فيها تربته ودفن فيها (١٠٠) وهي تقع مقابل مدرسة ابيه (العزية) وبينهما ساحة كبيرة (١٠١) .

ومن مدرسيها : الشيخ عماد الدين ابو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة (١٠٢)، فقد درّس في المدرسة النورية فضلا عن المدرسة العزية والمدرسة الزينية والمدرسة النفيسية والمدرسة العلائية) (١٠٣) .

ومن الفقهاء الذين درّسوا في هذه المدرسة ، الفقيه يوسف بن ابراهيم بن نصر بن عسكر ابو العز الموصلي ،وكان عالما فقيها وله معرفة بالاشعار ،وقد رآه ابن الشعار بالموصل مرات عديدة ، نحو من المعاصرين له ، بعدها سافر الى آمد واستوطنها الى ان توفي(١٠٤)

والملاحظ على هذه المدرسة انه كان يعين فيها قارىء للقرآن الكريم ،وكان هذا القارىء يقرأ على تربة المدرسة التي دفن فيها مؤسسها الملك نورالدين ارسلانشاه ، وربما جرت هذه العادة على بقية ترب المدارس الأخرى ، الا أنه لم تصل الينا معلومات عنها ، ومن المحتمل ان هذا القارىء لم تقتصر وظيفته بالقراءة على الترب فقط، وانما يقوم بقراءة القرآن في المدرسة قبل البدء بالدرس وبعد الأنتهاء منه ، فهذه عادة متبعة في المدارس العربية الأسلامية عامة (١٠٥) كما يقوم بقراءة القرآن في اوقات الصلاة بمسجد المدرسة، فيذكر ابن الشعار ان احمد بن عبدالملك بن ابي منصور ، ابا العباس الهمذاني الموصلي المعروف بابن الخمي الضرير ، كان احد القراء بالمدرسة النورية بالموصل ، وكان يقرأ على تربتها . وقد ولد ابو منصور سنة (٥٧٦هـ / ١١٨٠م) ، وقرأ علم اللغة العربية على ابي حفص عمر بن احمد النحوي مدة من الزمن ، وكان حافظا للقرآن الكريم ، وقد رآه ابن الشعار بالموصل مرات عدة (١٠٦) .

اما موقع هذه المدرسة فقد كان مقابل دور المملكة ، ومن بقايا هذه الدور الان (قره سراي) على نهر دجلة (١٠٧) ، ومن معالمها الباقية من عهد بنائها الأول غرفة صغيرة منخفضة تتضمن اجزاءا من الشريط المبطن لجدرانها من الداخل ومحراب مسطح يحمل نصاً تذكارياً . وقد أقيم فوق الغرفة مصلى الأمام محسن وهو حديث العهد .

١٢ — المدرسة النفيسية :

لايعرف من بنى هذه المدرسة ، ولكن المصادر (١٠٨) تجمع على وجودها في الموصل وان الذي درّس فيها الشيخ الفقيه عمادالدين ابوحامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة (ت ٦٠٨هـ / ١٢١١م)، والراجح انها موجودة قبل هذه السنة .

لكن الملاحظ ان المصادر القديمة لم تتفق على اسم معين لهذه المدرسة كبقية المدارس الأخرى فقد ذكرها ابن خلكان باسم المدرسة (البقشية) (١٠٩) ،وذكرها ابن الفوطي (البقشية) ايضا (١١٠)، وربما نقل عن ابن خلكان . وذكرها ابن الوردي (النقشية)(١١١)، وذكرها اليافعي (النفسية) (١١٢) ، كما ذكرها ابن ابي عذيبة باسم (النفشية) (١١٣)

ولاشك ان هذا الأختلاف حدث عند النساخ في كيفية كتابة اسم هذه المدرسة . ومن الأسماء التي يمكن الأخذ بها ماذكره اليافعي (النفسية) لانه قريب من اسم الست نفيسة. والتي لها مقام في الموصل.

اما المؤرخون المحدثون فقد اتفقوا على اسم المدرسة (النفيسية) (١١٤) ، لكون وجود مقام للست نفيسة في الموصل في اكثر من مكان . حيث ان احد هذه المقامات مقابل حمام السراي وفيه محراب قديم ، لعله كان مدرسة ، ثم اتخذ فيه المقام (١١٥) . ونحن ثبتنا اسم (المدرسة النفيسية) اسوة بما ذكره المؤرخون المحدثون .

وكانت هذه المدرسة تدرس الفقه الشافعي من خلال وجود الشيخ عمادالدين بن منعة فيها.

١٣ — المدرسة العلائية :

لا يعرف بالضبط من الذي بنى هذه المدرسة ، ويرى داؤد جلبي ، ان الذي بناها هو علاءالدين خرمشاه بن عزالدين مسعود بن قطب‌الدين مودود (١١٦) ، وقد ترجم له ابن الفوطي ترجمة قصيرة جداً ، حيث ذكر انه من بيت الامارة والحكم والرئاسة ، وكان محبوباً عند اهل الموصل ومات مقتولا فيها (١١٧) .

مدرسوها :

١ — عمادالدين ابو حامد محمد بن يونس بن منعة (١١٨) ، فمن بين المدارس التي درّس فيها هي ، المدرسة العلائية فضلاعن المدرسة العزية والمدرسة النورية والمدرسة الزينبية والمدرسة النفيسية (١١٩) .

٢ — العالم والفقيه كمال الدين بن يونس بن منعة (١٢٠) ، وتولى التدريس في المدرسة العلائية بعد وفاة اخيه عماد الدين سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) (١٢١) .

والملاحظ من مدرسي هذه المدرسة انها اسست لتدريس الفقه الشافعي ، وربما دُرِّست فيها بعض العلوم العقلية من خلال تدريس كمال الدين بن منعة فيها ، كما انها اسست قبل سنة (٦٠٨هـ) ، ولا يعرف مكانها لاندثار معالمها .

١٤— المدرسة القاهرية :

اسس هذه المدرسة الملك القاهر عزالدين مسعود الثاني بن نورالدين ارسلانشاه الاول (٦٠٧—٦١٥هـ/ ١٢١٠ — ١٢١٨م) ، وقد بنى تربته في هذه المدرسة ودفن فيها (١٢٢) .

مدرسوها :

١ — العالم والفقيه كمال الدين بن يونس بن منعة (١٢٣) ، وكان قد درّس في عدة مدارس بالموصل ، وعندما فتحت المدرسة القاهرية تولى التدريس بها ايضاً (١٢٤) .

٢ — الفقيه شرف الدين ابو الفضل احمد بن كمال الدين بن منعة (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) ، وهو من بيت علم وفضل ، اذ كان ابوه وعمه وجده كلهم علماء ، ولد شرف الدين بالموصل سنة (٥٧٥هـ /١١٧٩م) ، وكان اماماً فاضلا سار على منهاج ابيه في التفنن بالعلوم والمعرفة ، شرح كتاب (التنبيه) في الفقه الشافعي ، واختصر (احياء علوم الدين) للغزالي ،مختصرين كبيراً وصغيراً ، وكانت معظم دروسه التي يلقيها من كتاب (الاحياء) وذهب إلى اربل عام (٦١٠هـ/ ١٢١٣م) ، وتولى التدريس فيها بالمدرسة المظفرية بعد وفاة والد (ابن خلكان) الذي كان يدرّس فيها .

وكان ابن خلكان يحضر دروس شرف الدين بهذه المدرسة ، وقال : (ما سمعت احداً يلقي الدروس مثله) ثم عاد بعد ذلك إلى الموصل سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) ، وتصدر للتدريس بالمدرسة القاهرية ، وظل يدرّس فيها حتى توفي ، وقد عاش ابوه كمال الدين بن منعة بعده سبع عشرة سنة (١٢٥) .

٣ — سبط يونس بن منعة ، محمد بن علي (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) ، وهو ابن بنت الرضي يونس بن منعة . تفقه بالموصل على خاله عماد الدين بن منعة ، ودرّس عليه الفقه الشافعي ، كما درّس على خاله الاخر كمال الدين بن منعة علم الاوائل وعلم الكلام ، ثم درّس بالمدرسة

القاهرية ، وشرح كتاب (الوجيز) للغزالي ، وظل يدرّس ويفتي حتى توفي بالموصل : في نفس السنة التي توفي فيها شرف الدين احمد بن كمال الدين بن منعة (١٢٦) .

٤ ـ محيي الدين ابو محمد عبدالكريم بن محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي (١٢٧) ، وقد ذكره ابن الشعار في معرض ترجمته للشيخ علي بن المعافا بن اسماعيل بن الحسن بن ابي الفتح بن ابي السنان الموصلي الفقيه الشافعي ، اذ كان الاخير معيداً بالمدرسة القاهرية بالموصل لدروس القاضي عبدالكريم بن مهاجر الموصلي (١٢٨) .

ويمكن القول ان القاضي عبدالكريم بن مهاجر الموصلي كان احد مدرسي المدرسة القاهرية ، وان علي بن المعافا الموصلي عمل معيداً عنده في المدرسة .

٥ ـ الشيخ عبدالوهاب بن ابراهيم الزنجاني الخزرجي (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) ؛ حيث درّس في هذه المدرسة فضلا عن تأليفه كتابه المسمى (المعرب عما في الصحاح والمغرب) في اللغة ، اذ أتم تأليفه في صفر سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) في هذه المدرسة ، ووضع له رموزاً ، اشار بالميم إلى المغرب وبالصاد إلى الصحاح (١٢٩) .

وهكذا يظهر لنا ان هذه المدرسة كانت قد انشئت بين سنة (٦٠٧ ـ ٦١٥هـ/ ١٢١٠ ـ ١٢١٨م) كما انها استمرت بالتدريس حتى سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) ، وربما بعد هذه الفترة ؛ اضافة إلى ان معظم ابناء منعة قد درّسوا فيها ، مما يدل على انها كانت تدرّس الفقه الشافعي ، فضلا عن بعض العلوم العقلية واللغوية من خلال ما لاحظناه من اختصاص مدرسيها .

اما موقعها فهي بين دور المملكة والباب العمادي ، حيث نقل ابن الاثير عن احد المقربين للملك القاهر ما نصه : (كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده ، فقال لي : قد وجدت ضجراً من القعود ، فقم بنا نتمشى إلى الباب العمادي ، قال : فقمنا ؛ فخرج من داره نحو الباب العمادي فوصل التربة التي عملها لنفسه عند داره ، فوقف عندها مفكراً لايتكلم ، ثم قال لي : والله ما نحن في شيء ، اليس مصيرنا إلى ها هنا ، وندفن تحت الارض؟ ... ثم عاد إلى الدار ... وتوفي بعد ايام) (١٣٠)، ولما كان قد دفن في مدرسته التي بناها (١٣١) ، فيعني هذا انه قد بنى التربة داخل المدرسة ، وان هذه المدرسة قريبة من داره باتجاه باب العمادي .

١٥ ـ المدرسة العمادية :

إنفرد ابن الشعار من بين المؤرخين في ذكر هذه المدرسة، ولم يذكر مؤسسها، اهو عمادالدين زنكي بن آق سنقر مؤسس البيت الأتابكي؟ ام عمادالدين زنكي بن قطب الدين

مودود (ت٥٩٤هـ/١١٩٧م)، صاحب سنجار ونصيبين والخابور؟ (١٣٢)، ام عماد الدين زنكي بن نورالدين ارسلانشاه بن عزالدين مسعود (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، صاحب العقر والشوش ؟ (١٣٣) ، اذ ليس لدينا نص يجعلنا نرجح احدهم .

وكان مدرسها الفقيه ابا المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي (ت٦١٥هـ / ١٢١٨م)(١٣٤) ومن الفقهاء الذين درّسوا في هذه المدرسة هو محمد بن قيصر بن بلك، ابو عبدالله البغدادي، اذ قدم من بغداد الى الموصل للدراسة فيها على محمد بن علوان بن مهاجر، وبقي مدة في هذه المدرسة ، وكان يتردد الى ابي حفص عمر بن احمد النحوي ايضاً ليسمع منه شيئاً من شعر ابي الطيب المتنبي (١٣٥) ، ولايعرف موقعها .

١٦ ــ المدرسة الفخرية :

ذكرها ابن الشعار، ولم يذكر مؤسسها، كما ذكر بانها تقع على نهر دجلة، وممن درّس فيها الفقيه ابو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي ، وكان الشيخ يحيى بن سعيد بن محمد بن سعيد القاضي ، ابو المجد بن ابي الوفاء التكريتي معيداً لدروس ابي المظفر محمد بن علوان في هذه المدرسة . وقد ولد ابو المجد في تكريت سنة (٥٥٦هـ / ١١٦٠م) ، وتفقه بها ، ثم توجه الى الموصل وتفقه بها على محمد بن علوان واصبح معيداً له في المدرسة الفخرية مدة طويلة ، ثم توجه بعدها الى ماردين وتولى القضاء فيها الى ان توفي سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) (١٣٦) .

وكذلك من معيدي هذه المدرسة الشيخ موسى بن محمد حفيد ابي عمران الماكسيني اذ تفقه بالموصل على ابي حامد عمادالدين بن منعة . وكذلك على ابي المظفر محمد بن علوان . ثم اصبح معيداً في المدرسة الفخرية مدة من الزمن ، ترك الموصل بعدها وتوجه الى ملطية حيث توفي هناك سنة (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) (١٣٧) .

١٧ ــ المدرسة البدرية :

تنسب هذه المدرسة الى مؤسسها الملك بدرالدين لؤلؤ (ت٦٥٧هـ/١٢٥٩م)، وقد أنشئت قبل سنة (٦١٥هـ / ١٢١٨م) ، لكون احد مدرسيها توفي سنة (٦١٥هـ) .

والمدرسة البدرية من المدارس المهمة التي نهضت بدور كبير في ازدهار الحركة العلمية في الموصل (١٣٨) .

مدرسوها :

١ – الفقيه محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي (ت٦١٥هـ / ١٢١٨م) (١٣٩) ، فضلا عن المدارس التي درّس فيها ، والتي مر ذكرها ، درس بالمدرسة البدرية (١٤٠).

٢ – العالم والفقيه كمال‌الدين بن يونس بن منعة الموصلي (١٤١) ،وقد تولى التدريس في هذه المدرسة سنة (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) ، وكان مواظباً على القاء الدروس وافادة الناس ودَرَسَ عليه عدد كبير من العلماء والفقهاء (١٤٢) .

٣ – الشيخ ابوالعباس احمد بن الحسين بن احمد بن ابي المعالي النحوي الضرير المعروف بابن الخباز (ت٦٣٩هـ / ١٢٤١م) (١٤٣) ، حيث انه انتقل للتدريس بالمدرسة البدرية بعد ان ترك المسجد الذي كان يدرّس فيه بسكة ابي نجيح ، وظل في هذه المدرسة حتى توفي (١٤٤) .

المعيدون :

١ – الفقيه تاج الدين ابوالقاسم عبدالرحيم بن رضى الدين بن عمادالدين بن منعة (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م) وهومن اسرة مشهورة بالعلم والفقه. ولد سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) وتفقه على عم والده كمال‌الدين بن منعة، وصار معيداً لدروسه بالمدرسة البدرية بالموصل (١٤٥) وكان تاج الدين عالماً فقيها له معرفة باصول الفقه واختصر وشرح وصنف عددا كبيراً من الكتب ، وظل يعمل بالموصل حتى استولى التتار عليها سنة (٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) اذ تركها بعد ذلك وانتقل الى بغداد وتولى قضاء الجانب الغربي بها الى ان توفي (١٤٦) . ومن مؤلفاته انه اختصر كتاب (الوجيز) في فروع الشافعية للامام الغزالي وسماه (التعجيز في مختصر الوجيز) ، وكذلك كتاب (التنويه في فضل التنبيه) لابي اسحاق الشيرازي ، كما اختصر كتاب (درة الغواص) لابي محمد قاسم بن علي الحريري (ت٥١٦هـ / ١١٢٢م) وسماه ، (مختصر درة الغواص في اوهام الخواص) (١٤٧) .

٢ – الشيخ اثيرالدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري المدرس في اربل والبارع في العلوم العقلية ، اذ كان معيداً عند كمال الدين بن منعة في المدرسة البدرية ، ويقول الأبهري :(ماتركت بلادي وقصدت الموصل الا للاشتغال على الشيخ) يعني كمال‌الدين ابن منعة (١٤٨) .

٣ – الفقيه ابوالمجد اسماعيل بن هبةالله بن باطيش الموصلي (ت٦٥٥هـ / ١٢٥٧م)، ولد ابن باطيش في الموصل سنة (٥٧٥هـ / ١١٧٩م) ، وتفقه على الشيخ ابي المظفر محمد

إبن علوان بن مهاجر وغيره . ثم ذهب الى بغداد وتفقه بالمدرسة النظامية ، ثم عاد الى الموصل وصار معيداً بالمدرسة البدرية وخازن كتبها ، وصنف عدداً من الكتب منها : (كتاب طبقات اصحاب الأمام الشافعي) كما شرح كتاب (المهذب) لابي اسحق الشيرازي وسماه (شرح الفاظ المهذب) وكتاب (غاية الوسائل الى معرفة الأوائل) وشرح (التنبيه) لابي أسحق الشيرازي في عشر مجلدات ، وغيرها من المصنفات ، ثم سافر الى دمشق سنة (٦٠٣هـ / ١٢٠٦م) ، وعاد بعدها للموصل . وسافر ثانية الى حلب سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) وتولى التدريس في المدرسة النورية فيها حتى توفي (١٤٩) .

مكتبتها :

كانت المدرسة البدرية من المدارس المهمة في الموصل ، وقد اشتملت على مكتبة عامرة تحوي عدد ا كبيراً من الكتب في مختلف مجالات العلوم والمعرفة ، ليستفيد منها الطلاب والعلماء ، وقد ذكرت المصادر اكثر من خازن لهذه المكتبة وهم :

١ — **ابو المجد** اسماعيل بن باطيش الموصلي ، المذكور انفاً .

٢ — **احمد** بن ابراهيم بن هبةالله ، ابوالعباس بن اسحاق الموصلي ، وقد التقى بـه ابن الشعار وذكر بأنه ولد سنة (٦٠٢ — ١٢٠٥م) ، وكان حافظاً للقرآن الكريم وسمع الحديث بالموصل على علمائها ، وتولى خزانة كتب المدرسة البدرية (١٥٠) .

٣ — **الشيخ يحيى** بن سعيد بن المبارك بن علي النحوي المعروف بابن الدهان (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م) (١٥١) ، وقد تولى خزانة كتب المدرسة البدرية ، ولاه اياها الملك بدرالدين لؤلؤ (١٥٢) .

اما عن الطلاب الذين درسوا وتفقهوا فيها على الشيخ كمال الدين بن منعة هوصدقة ابن ابي البة بن ناصر ، ابوالفضل الشيرازي . ولد سنة (٥٨٦هـ / ١١٩٠م) ، وقد قدم الى بغداد سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م) ودرّس في المدرسة النظامية، ثم قدم الموصل سنة (٦٢١هـ ١٢٢٤م) ونزل بالمدرسة البدرية لاكمال علومه على الشيخ كمال الدين بن منعة، واستفاد منه الشيء الكثير في مختلف العلوم (١٥٣) .

واستناداً الى ما سبق يتبين لنا ان هذه المدرسة كانت تدرّس مختلف العلوم العقليـــة والنقلية ، وهذا واضح من خلال مدرسيها ومعيديها ، اذ كانت اختصاصاتهم بمختلف المجالات ، كما كانت تحوي مكتبة كبيرة .

اما موقعها فهي على نهر دجلة شمال الموصل ، في المنطقة المحصورة بين قلعة الموصل الرئيسة (باشطابيا) وبين مزار يحيى بن القاسم بدلالة بعض اقسام الاشرطة الزخرفية التي كانت تبطن الجدران الداخلية لمرافق المدرسة (١٥٤) ، وتحتها توجد عين كبريت التي يستشفى بها من الامراض الجلدية .

١٨ – مدرسة ابناء بلدجي :

وهم من كبار فقهاء الحنفية بالموصل ، وقد انشأ هذه المدرسة محمود بن مودود ابن محمود بن بلدجي الموصلي (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م) (١٥٥) ، وكان فقيهاً عالماً دَرَّسَ الفقه ببغداد ، ودرّس في المدرسة التي انشأها (١٥٦) ، ومما يدل على انه كان يُدرّس في هذه المدرسة ماذكره ابن الفوطي نقلاً عن مجد الدين عبدالله بن محمود بن بلدجي (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) ، بانه لما توفي والده محمود بن مودود سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) خلفه اخوه (اخو مجد الدين عبدالله) عماد الدين ابو القاسم عبدالرحمن بن محمود بن مودود بن بلدجي (ت ٦٤١هـ/١٢٤٣م) في المدارس والمناصب، وكان عبدالرحمن عالماً ذكياً ذا اخلاق حميدة ، ومولده بالموصل سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وتوفي فيها شاباً (١٥٧)

معيدوها :

ومن الذين تولوا الاعادة في هذه المدرسة الشيخ ابو محمد عمر بن بكر بن سعيد الفقيه الحنفي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) . وكان فقيهاً محدثاً ، سمع الحديث وكتبه ، ودَرَّسَ بأربل على ابن طبرزد ابي حفص عمر بن محمد ، ثم اصبح معيداً في مدرسة ابناء بلدجي بالموصل (١٥٨) . ولم يعرف موقعها لاندثار معالمها (٥) .

١٩ – المدرسة البرسقية :

ذكرها ابن الشعار عند ترجمته للشيخ الفقيه نصر الله بن علي بن نصرالله ، ابو الفتح المعروف بابن السمين ، وقد التقى به ابن الشعار بالموصل وذكر بانه ولد سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) ، وانه يجتمع نسبه بنسب الامير شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي . وكان فقيهاً حافظاً للقرآن الكريم ، وقد درّس بالمدرسة البرسقية بالموصل والتي تقع على نهر دجلة بجانب باب المشرعة ، وكان يقول الشعر ، وظل يُدرّس ويفتي بالموصل حتى توفي (١٥٩) .

واستناداً الى ماسبق فأن هذه المدرسة تقع مقابل دور المملكة ، وربما مجاورة للمدرسة الاتابكية العتيقة .

ولا يعرف مؤسسها ، حيث لم يتطرق اليه ابن الشعار ، والراجح ان الذي انشأها هو آق سنقر البرسقي الذي تولى الموصل سنة (٥١٥هـ/١١٢١م) ، وكانت له سيرة حسنة فيها وكان عادلاً خيّراً ديّناً ، وله افعال جيدة بالموصل ويحبه الجميع ، قتله الباطنية فيها سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) بالجامع العتيق (١٦٠) .



مصادر البحث وهوامشه :

(١) الرحلة ، ص٢١١ .

(٢) العميد ، طاهر مظفر ، دور المدارس الأثرية في التعليم في العصر العباسي ، (بحث منشور في مجلة كلية الأداب / جامعة بغداد) ، العدد :٢٧ ، (١٩٧٩) ، ص١١٧ .

(٣) هالم ،هاينز ، اصول المدرسة في الاسلام ،(بحث منشور في مجلة الفكر العربي)، ترجمها عن الالمانية رئيس تحرير المجلة ، العدد العشرون ،(طرابلس:١٩٨١)، ص١٧.

(٤) شلبي ،احمد ،تاريخ التربية الاسلامية ،ط٢، (١٩٦٠)،ص٩٦،وانظر: الياسين ، محمد مفيد ،الحياة الفكرية في القرن السابع الهجري ،ط١، (بغداد :١٩٧٩) ،ص٢١٦ .

(٥) انظر: السبكي ،طبقات الشافعية ،تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، ،ط١، (القاهرة :١٩٧١)،٤/٣١٤ .

(٦) معروف ،ناجي ، مدارس قبل النظامية ، (بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي) ، مجلد ٢٢ (بغداد :١٩٧٣)،ص١٠٥.

(٧) السبكي ،طبقات الشافعية،٤/٣١٤. وانظر :السيوطي ،جلال‌الدين ،حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ،(مصر :د/ت)،٢/١٥٦ .

(٨) ابوشامة ،الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق :محمد حلمي محمد، احمد ،(القاهرة :١٩٥٦)،جا،ق١/٩٢.

(٩) الطرطوشي ،سراج الملوك ،ط١ ،(مصر : ١٩٣٥) ،٢٣٩.

(١٠) الجمعة ، احمد قاسم ، اصالة المعالجات المعمارية التخطيطية في الموصل خلال العصورالعربية الاسلامية ، (بغداد :١٩٨٦) ، ص ١٦،١٧ .

(١١) فكري ، احمد ،مساجد القاهرة ومدارسها ، (القاهرة : ١٩٦٩)،١/١١٨ - ١٢٢ .

(١٢) الجمعة ، احمد قاسم ، العناصر والمميزات المعمارية في المدرسة المستنصرية (المستنصرية في التاريخ) ، (بغداد : ١٩٨٦) ، ص٤١ ، مخطط ٥١ .

(١٣) الدوميلي ، العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي ، ترجمة : د. عبدالحليم النجار ود . محمد يوسف موسى ،ط ١ ، (القاهرة : ١٩٦٢) ، ص ٢٨٦

(١٤) ابن الأثير ، عزالدين ، اللباب في الأنساب ، (بغداد : د/ت) ، ٢/٤١٤ .

(١٥) الجمعة ، احمد قاسم ، الاثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الأتابكي والأيلخاني رسالة دكتوراه مطبوعة على الألة الكاتبة (القاهرة :١٩٧٥) ، ٢/٤٩٩ . حاشية (١) .

(١٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق : د.احسان عباس ، (بيروت : ١٩٧١) . ٤/ ٢٤٦ . وانظر : السبكي ، طبقات الشافعية ، ١٨٦/٦ . ابن ابي عذيبة ، انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، رقم (٢٤٨) ، ورقة ١٣٢ .

(١٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٤٦/٤ – ٢٤٨ . وانظر : الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : د. صلاح‌الدين المنجد . (الكويت :١٩٦٦) ٤ – ٢٥٩ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : هلموت ريتر (١٩٦٢) ، ٢١٠/٢ – ٢١١. السبكي ، طبقات الشافعية ، ١٨٥/٦ – ١٨٦ . الأسنوي ، طبقات الشافعية ، تحقيق عبدالله الجبوري ، ط١ ،(بغداد: ١٩٧١) ، ١٠١/٢ .

(١٨) المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، ٢٤٢/١ . وانظر :السبكي ، طبقات الشافيعة ، ١٨٥/٦ .

(١٩) السبكي ، طبقات الشافعية ، ٦٧/٦ .

(٢٠) تاريخ الموصل ، (موصل : ١٩٨٢) ، ٣٤٤/١ .

(٢١) ابن الأثير ، الكامل ، (بيروت : ١٩٦٦) ، ١٣٨/١١ – ١٣٩ . وانظر : الباهر ، تحقيق : عبدالقادر احمد طليمات ،(مصر : ١٩٦٣)، ص٩٢ – ٩٣ .سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط١ (حيدر آباد : ١٩٥٢) ، م٨ق ٢٠٤/١ . ابوشامة ، الروضتين ، ج١ ق١٩٨/١ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤/٤ . ابن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق :د.جمال‌الدين الشيال ، (١٩٥٣)، ١١٦/١. الكتبي ، عيون التواريخ ، تحقيق :د.فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم ، (بغداد : ١٩٧٧) ، ٤٣٦/١٢ .

(٢٢) الأسنوي ، طبقات الشافعية ، ١١٠/٢ – ١١١ .

(٢٣) خريدة القصر ، قسم شعراء الشام ، تحقيق : د.شكري فيصل ، (دمشق :١٩٥٩) ، ٣٥٢/٢ .

(٢٤) انظر : المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، ٢٠٠/١ – ٢٠٥ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥٣/٣ – ٥٦ . الذهبي ، تاريخ الأسلام ، مخطوط ميكروفيلم في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، برقم (١٨٠٣) الجزء الأخير ، ورقة ٣٨ – ٣٩ . اليافعي ، مرآة الجنان ، ط٢ (بيروت : ١٩٧٠) ،٤٣٠/٣ . السبكي ، طبقات الشافعية ، ١٣٢/٧ – ١٣٤ . الاسنوي ، طبقات الشافعية ، ١٩٣/٢ – ١٩٥، الحسيني ، طبقات الشافعية ، (بغداد : ١٣٥٦هـ) ص٨٠ ٨١ .

(٢٥) المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، ٢/٢٢٥ – ٢٢٦ . وانظر : السبكي ،طبقات الشافعية ، ٧/١٧٠ . الأسنوى ، طبقات الشافعية ، ٢/٢٨٤ .

(٢٦) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان ، مخطوط ميكروفيلم مصور عن النسخة الأصلية المحفوظة في مكتبة اسعد افندي باستانبول رقم (٢٣٢٣ – ٢٣٣٠) ، ٩/ ورقة ١٩٣ آوب .
وطنزة : بلد بجزيرة ابن عمر من ديار بكر (الحموي ، معجم البلدان ، ٤/٤٣)

(٢٧) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٣/ورقة ٢٨٩ب ، ٢٩٠آوب .

(٢٨) نفسه ، ٩/ورقة ١٨٠ب .

(٢٩) الديوه جي ، تاريخ الموصل ، (موصل : ١٩٨٢) ، ١/٣٤٥ .

(٣٠) كان نائباً لقطب الدين مودود بن عمادالدين زنكي ، وقد ترك الموصل عام (٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) . متوجها الى اربل لكبر سنه ومرضه وتوفي في السنة نفسها ، ومقامه بالموصل احدى وعشرين سنه ، وكان حسن السيرة يحب العلم والعلماء ، وبنى بالموصل المدارس والربط ، للتفاصيل انظر : ابن الأثير ، الباهر ، ص١٣٥ – ١٣٦ . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، م٨ق١/٢٧٣ . ابوشامة ، الروضتين ، جاق٢/٣٨٤ – ٣٨٥ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤/١١٤ .

(٣١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥/٣١١ .

(٣٢) نفسه ، ٧/٢٥٤ – ٢٥٥ . وانظر : اليافعي ، مرآة الجنان ، ٣/٤٠٦ . الأسنوى ، طبقات الشافعية ، ٢/٥٦٩ . وقد ذكرنا مسجد زين‌الدين ضمن المدرسة الكمالية . لانه لم يستمر مسجداً للتدريس وانما تحول الى مدرسة بعدما درس به كمال‌الدين بن منعة .

(٣٣) السبكي ، طبقات الشافعية ، ٨/٣٥٦ .

(٣٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥/٣١١ – ٣١٧ . وللتفاصيل انظر : ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الأداب ، ج٥ق١/٢٩٣ – ٢٩٤ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ط١ ، (١٣٢٥هـ) ، ٣/١٧٠ . الذهبي ، العبر ، ٥/١٦٢ – ١٦٣ .
ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، تحقيق : محمد مهدي‌السيد حسن ، ط ٢ ، (النجف ١٩٦٩) ، ٢/٢٤٦ – ٢٤٧ .
اليافعي ، مرآة الجنان ، ٤/١٠١ – ١٠٣ . السبكي ، طبقات الشافعية ، ٨/٣٧٨ – ٣٨٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط٢ ، (١٩٧٧) ، ١٣/١٥٨ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، (القاهرة: ١٩٦٣) ، ٦/٣٤٢ – ٣٤٤. وهناك بحث عنه نشره : ابراهيم ، فاضل خليل ، بعنوان: كمال الدين بن يونس الموصلي اشهر علماء الموصل في القرن السابع الهجري ، مجلة بين النهرين ، العددان ٤٩، ٥٠ (١٩٨٥) ، ص٥٨ – ٦٧ .

(٣٥) الداؤدي ، طبقات المفسرين ،تحقيق : علي محمدعمر ، ط ١ ، (القاهرة : ١٩٧٢) ، ٣٤٤/٢ . وانظر : البغدادي ، هدية العارفين ، ٤٧٩/٢ .

(٣٦) ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص٤١١ .

(٣٧) الذهبي ، العبر،٣٣٤/٥ . وانظر :النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : جعفر الحسني ، (دمشق: ١٩٤٨) ، ١٩٨/١ . ابن العماد الحنبلي ،شذرات الذهب ، (بيروت :د/ت) ، ٣٧١/٥ .

(٣٨) القفطي ،انباد الرواة على انباه النحاة ، تحقيق : محمد ابوالفضل ابراهيم ، القسم الأدبي ، ط ١ . (القاهرة : ١٩٥٢) ، ٣٨٦/٢. وانظر : السيوطي ، بغية الوعاة ، تحقيق : محمد ابوالفضل ابراهيم ، ط ١ ، (القاهرة :١٩٦٤) ، ٢٢٠/٢ .

(٣٩) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الأداب ، ج٥ق ٢٥٢/٢

(٤٠) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، (بيروت : ١٩٥٨) ، ص٢٧٣ .

(٤١) ابن المستوفي ، تاريخ اربل ، تحقيق : سامي الصقار ، (بيروت : ١٩٨٠) ، ق١/ ٢٢٧ .

(٤٢) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٢ / ورقة ١٠٩ آوب ، ١١٠آ .
والبوازيج : بلد قرب تكريت على الزاب الأسفل ، ويقال لها بوازيج الملك ، (انظر : معجم البلدان ، ٥٠٣/١) .

(٤٣) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٧/ورقة ٨ب ، ٩أ .

(٤٤) العمري ، محمد امين ، ٧٨/٢ .

(٤٥) الديوه جي ، تاريخ الموصل ، ٣٤٥/١ .

(٤٦) العبو ، عادل نجم ، القباب العباسية في العراق ،رسالة ماجستير غير منشورة (بغداد: ١٩٦٧) ، ص٨٣ – ٨٤ .

(٤٧) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٣٦ . وانظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١١٤/٤

(٤٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٥٣/٤–٢٥٥ . وللتفاصيل انظر : ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الأدب،ج٤ق٨٥٦/٢. الذهبي،المختصر المحتاج اليه، ١٦٢/١. ابن الوردي، تاريخ ،١٨٧/٢ . الصفدي، الوافي بالوفيات ، ٢٩٢/٥ . السبكي ، طبقات الشافعية، ١٠٩/٨ – ١١٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦٢/١٣ .

(٤٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٥٣/٤ . وانظر : اليافعي ، مرآة الجنان ،١٦/٤ . حاجي خليفة ، كشف الظنون ،١٢٣٠/٢ ، ١٦٢٠ . البغدادي هدية العارفين ، ١٠٨/٢ .

(٥٠) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، تحقيق : مصطفى جواد ، (بغداد : ١٩٣٤) ٩/٣٠٩. والمعيد : مهمته اعادة الدرس بعد المدرس وتفهيم بعض الطلبة ونفعهم ، وعمل مـــا يقتضيه لفظ الأعادة بعد انتهاء الفقيه او المدرس من الدرس . (السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق: احمد عبيدلي ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٨٥) ، ص ١٠٨ .

(٥١) الأسنوي ، طبقات الشافعية ، ١/٢٧٢ .

(٥٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، جـ٥ق١/٢٠٣ .

(٥٣) نفسه ، جـ٥ق١/١٤٠ .

(٥٤) ابن المستوفي ، تاريخ اربل ، ق١/٥١ .

(٥٥) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٣/ورقة ١٠٩ب .

(٥٦) مخطوطات الموصل، (بغداد: ١٩٢٧) ، ص٦ - ١١ .

(٥٧) الآثار والمباني الأسلامية ، (حلب :د/ت) ، ص٦٨ - ٦٩ .

(٥٨) مدارس الموصل في العهد الأتابكي ، مجلة سومر ، م١٣ ، (بغداد : ١٩٥٧) ، ص ١٠٦ .

(٥٩) انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥/٣١١،٣١٢،٣١٦ .

(٦٠) انظر : نفسه ، ٤/٢٥٣ .

(٦١) عقود الجمان ،٣/ ورقة ١٠٩ب .

(٦٢) معروف ،ناجي ، علماء النظاميات ، ط ١ ، (بغداد : ١٩٧٣) ، ص١٦٣ .

(٦٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ط١ (حيدر آباد . ١٣٥٨هـ) ، ١٠/٢٦٨ . وانظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٤/٢٤١ . ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، جـ٥ق١/ ٢٥٩ .

(٦٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤/٢٤٢ .

(٦٥) ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، تحقيق :د. بشار عواد (بغداد : ١٩٧٩) ٢/١١ .

(٦٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤/٢٤١-٢٤٣. وانظر : ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، جـ٥ق١/٢٥٩ . السبكي ، طبقات الشافعية ، ٦/١١٧ - ١٢١ . الأسنوي ، طبقات الشافعية ، ٢/٩٩ - ١٠٠ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات ،٤/٢٤٣

(٦٧) الأسنوي ، طبقات الشافعية ، ٢/١٠١ .

(٦٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٨٤/٧ — ٨٧ . وأنظر : الذهبي ،معرفة القراء الكبار، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ،ط١ ،(القاهرة : ١٩٧٩) ، ٤٩٤/٢ — ٤٩٥ .الأسنوي، طبقات الشافعية ١١٥/٢ — ١١٦ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ١٥٨/٥ .

(٦٩) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ١٧٧/١٠آ .

(٧٠) الأسنوي ، طبقات الشافعية ،١١٦/٢ . وانظر :ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ١٥٨/٥.

(٧١) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ١٧٨/١٠آ . وقد توهم صاحب هدية العارفين عندما نسب له كتاب (الأعلاق الخطيرة في تاريخ الشام والجزيرة) المذكور في كتابه ، ٥٥٤/٢. بينما هذا الكتاب هو لعزالدين محمد بن علي ، (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) ، ويكنى ايضا بابن شداد وهو محقق ومطبوع تحت عنوان (الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة) .

(٧٢) تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ق٣/١٧٥ .

(٧٣) طبقات الشافعية ١١٠/٢ — ١١١ .

(٧٤) انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٣١/٢ .

(٧٥) ابن الإثير ، الباهر ، ص١٨٣ .

(٧٦) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، م٨ق٢/٤٥٨ . وانظر : ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ٨/٩ .

(٧٧) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، م٨ق٣٣٨/١ . وانظر : ابوشامة ، الروضتين ج١ق٦٩٣/٢ — ٦٩٤ .

(٧٨) ابن الإثير ، الكامل ، ٤٦١/١١ .

(٧٩) الديوهجي ،تاريخ الموصل ، ٣٤٩/١ .

(٨٠) ابن الإثير ، الباهر ، ص١٦٢ — ١٨١ .

(٨١) ابن الإثير ، الباهر ، ص٧٧ .

وجكرمش : هو من مماليك السلطان ملكشاه ، ملك الموصل ، وقرب عمادالدين زنكي اليه ، واتخذه ولداً ، وبقي معه حتى قتل سنة (٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) ولما ملك عمادالدين الموصل قرب اليه ناصرالدين كورى بن جكرمش تقديراً لوالده واكرمه واقطعه اقطاعا (ابن الأثير ، الباهر ، ص١٦)

(٨٢) الديوهجي ، الموصل في العهد الأتابكي ، ص١٥١ .

(٨٣) المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، ٣٠٩/٤ . وانظر : الصفدي، الوافي بالوفيات ،٤/ ٩٨ . السبكي ، طبقات الشافعية ، ١٨/٨ . الأسنوي ، طبقات الشافعية ٤٤٥/٢ .

(٨٤) عيون الأنباء ، ص٦٨٦ .

(٨٥) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٦/ورقة ١٣١ أوب .

(٨٦) المنذري ،التكملة لوفيات النقلة ، ٣٠٩/٤ . وانظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ٩٨/٤ السبكي ، طبقات الشافعية ، ٨٠/٨ – ٨١ . الأسنوي ، طبقات الشافعية ، ٢/ ٤٤٥ .

(٨٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٨٢/١٣ .

(٨٨) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٦/ورقة ١٥٧أوب ، ١٥٨آ .

(٨٩) السبكي ، طبقات الشافعية ،٨١/٨ .

(٩٠) لتفاصيل انظر : ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص٦٨٣ – ٦٩٦ . اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ط١ ، (حيدر آباد : ١٩٥٥) ، ١٨٠/٢ . الذهبي ، العبر ، ١١٥/٥ ١١٦ . الغساني ، العسجد ، ص٤٥٠ ..

(٩١) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ق٢/٦٧٥ . وسكة أبي نجيح : هي من المناطق المشهورة في الموصل ، وكان فيها عدد من المدارس ودور الحديث في العصر الأتابكي ، كما سكنها عدد من العلماء منهم الطبيب ابن هبل (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م) ، وتقع بين سوق الميدان الحالية ومدرسة كمال‌الدين بن يونس (جامع شيخ الشط) (الديوه‌جي الموصل في العهد الأتابكي) ، ص١٢٦ .

(٩٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ق٢/٣٨٦ . وانظر : الأسنوي ، طبقات الشافعية ،٤٤٦/٢ .

(٩٣) الديوه‌جي ، تاريخ الموصل ، ٣٥٠/١ .

(٩٤) ابن الإثير ، الباهر ، ص١٨٦ ، ١٨٩ . وانظر :سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان م٨ق٤٢٤/١ . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢٢/٣ . ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ق١٥٣/١ . الذهبي ، العبر ، ١٧٠/٤ .

(٩٥) وفيات الأعيان ، ٢٠٧/٥ .

(٩٦) مرت ترجمته في المدرسة الزينية .

(٩٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٥٣/٤ . وانظر : ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ج٤ق٨٥٦/٢ . ابن الوردي ، تاريخ ، ١٨٧/٢ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات ،٥/ ٣٤ .

(٩٨) الحديثي ، عطا ، وهناء عبدالخالق ، القباب المخروطية في العراق ،(بغداد : ١٩٧٤) ، ص٣٤ .

(٩٩) سيوفي ، نقولا ، مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل ، تحقيق : سعيد الديوهجي ، (بغداد : ١٩٥٦) ، ص١٤٥ .

(١٠٠) ابن الأثير ، الباهر ، ص١٩٨ ، ٢٠١ . وانظر : الكامل ، ٢٩٤/١٢ .
ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١٩٣/١ - ١٩٤ . الذهبي ، دول الاسلام، ١١٣/٢.
اليافعي ، مرآة الجنان ، ٤/ .

(١٠١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٠٧/٥ .

(١٠٢) مرت ترجمته في المدرسة الزينية .

(١٠٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٥٣/٤ . وانظر : ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ق٨٥٦/٢ . ابن الوردي ، تاريخ ، ١٨٧/٢ .
ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ٣٤/٥ .

(١٠٤) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ١٠/ ورقة ١١٤ب ، ١١٥آ . ولم يذكر وفاته .

(١٠٥) السبكي ، معيد النعم ، ص١٠٩ .

(١٠٦) عقود الجمان ، ١/ورقة ٢٢٨ب ، ولم يذكر وفاته .

(١٠٧) الديوهجي ، جوامع الموصل ، ص٢٥٦ .

(١٠٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٥٣/٤ . وانظر : ابن الفوطي ، تلخيص،ج٤ق٢/ ٨٥٦ . ابن الوردي ، تاريخ ، ١٨٧/٢ . ابن العماد الحنبلي شذرات ٣٤/٥

(١٠٩) وفيات الأعيان ، ٢٥٣/٤ .

(١١٠) تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ق٨٥٦/٢ .

(١١١) تاريخ ، ١٨٧/٢ .

(١١٢) مرآة الجنان ، ١٦/٤ .

(١١٣) انسان العيون ، ورقة ١٤١ .

(١١٤) جلبي ، مخطوطات الموصل ، ص١٠ - ١١ . وانظر : الصوفي ، خطط الموصل . ٥٠/١. الديوهجي ، تاريخ الموصل . ٣٥١/١ .

(١١٥) الديوهجي ، تاريخ الموصل ، ٣٥١ .
والست نفيسة : هي بنت الأمام الحسين بن علي بن ابي طالب(رض)وهي مدفونة بمصر . اما التي في الموصل فهي من اولاد اولاد الأمام الحسين (رض) .
انظر : الموصلي ، احمد بن الخياط ، ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء ، تحقيق : سعيد الديوهجي ، (موصل : ١٩٦٦) ، ص٦٣ .

(١١٦) مخطوطات الموصل ، ص١٠ .

(١١٧) تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ ق١٠١٦/٢ - ١٠١٧ .

(١١٨) مرت ترجمته في المدرسة الزينية .

(١١٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٥٣/٤ . وانظر : ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الأداب ، ج٤ ق٨٥٦/٢ . ابن الوردي ، تاريخ ، ١٨٧/٢ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ٣٤/٥ .

(١٢٠) مرت ترجمته في المدرسة الكمالية .

(١٢١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣١٦/٥ . وانظر : السبكي ، طبقات الشافعية ، ٣٨٥/٨ .

(١٢٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٠٨/٥ . وانظر : ابن الفوطي، تلخيص مجمع الأداب، ج٤ ق٣٥٩/١ .

(١٢٣) مرت ترجمته في المدرسة الكمالية .

(١٢٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣١٦/٥ . وانظر : السبكي ، طبقات الشافعية : ٨/ ٣٨٥ .

(١٢٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١٠٨/١ — ١٠٩ . وانظر : الذهبي ، العبر ، ٥/ ٨٨ — ٨٩ . اليافعي ، مرآة الجنان ، ٥١/٤ . الأسنوي ، طبقات الشافعية ، ٥٧٢/٢ — ٥٧٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١١/١٣ — ١١٢ .

(١٢٦) الأسنوي ، طبقات الشافعية ، ٥٧٣/٢ — ٥٧٤ .

(١٢٧) مرت ترجمته في المدرسة المهاجرية .

(١٢٨) عقود الجمان ، ٥/ورقة ٤٥ب .

(١٢٩) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٧٣٨/٢ .

(١٣٠) الكامل ، ٣٣٣/١٢ — ٣٣٤ .

والباب العمادي : انشأه عماد الدين زنكي بن آق سنقر واليه ينسب(الباهر ، ص٧٨) وهو يؤدي الى الربض الأعلى من الموصل .

(١٣١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٠٨/٥ .

(١٣٢) انظر عنه : ابن الأثير ، الباهر ، ص١٩١ .

(١٣٣) انظر عنه : ابن الأثير ، الكامل ، ٢٩٣/١٢ .

(١٣٤) مرت ترجمته في المدرسة المهاجرية .

(١٣٥) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٦/ورقة ٢٣٧ أوب .

(١٣٦) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٩/ورقة ٢٢٤ب ، ٢٢٥ أوب .

(١٣٧) الأسنوي ، طبقات الشافعية ٤٣٧/٢ .

(١٣٨) معروف ، ناجي ، علماء النظاميات ، ص١٧٦ .

(١٣٩) مرت ترجمته في المدرسة المهاجرية .

(١٤٠) ابن كثير . البداية والنهاية ، ٨٢/١٣ .

(١٤١) مرت ترجمته في المدرسة الكمالية :

(١٤٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥ / ٣١٦ . وانظر : السبكي ، طبقات الشافعية ، ٣٨٥/٨ .

(١٤٣) للاطلاع على ترجمته انظر : أحمد ، عبدالجبار حامد ، الحياة العلمية في الموصل في عصر الأتابكة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (الموصل : ١٩٨٦) ، ص١٠٨ .

(١٤٤) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ١/ورقة ١٥٤ب .

(١٤٥) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٣/ورقة ٢٦١ آ . وقد ذكرت المصادر انه ولد سنة (٥٩٨هـ /١٢٠١م) ولكننا نأخذ بقول ابن الشعار لكونه معاصراً له ورآه بالموصل .

(١٤٦) انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٥٥/٤ . والسبكي ، طبقات الشافعية ٨/ ١٩٢ . الأسنوي ، طبقات الشافعية ، ٥٧٤/٢ .

(١٤٧) انظر : حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٤١٨/١ ، ٧٤١ . البغدادي ،هدية العارفين ، ٥٦١/١ .

(١٤٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣١٣/٥ . أنظر : السبكي ، طبقات الشافعية ، ٣٨٢/٨ .

(١٤٩) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ١/ورقة ٢٩٦ ب ، ٢٩٧ أوب ، ٢٩٨آ.وانظر:اليونيني، ذيل مرآة الزمان ، ٥٤/١ . الذهبي ، العبر،٥/٢٢١-٢٢٢ . الكتبي ، عيون التواريخ ١١٠/٢٠ .

(١٥٠) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ١/ورقة ٢١٤آ .
وخازن الكتب : مهمته المحافظة على الكتب وترميم شعثها وعدم اعطائها الى من ليس من اهلها ، واعارتها للمحتاج اليها ، وخاصة الفقراء الذين يصعب عليهم شراء الكتب وتحصيلها وكثيراً مايشترط في الأعارة ، عدم اخراج الكتاب من المكتبة الا برهن لضمان اعادته ، (السبكي ، معيد النعم ، ص١١١) .

(١٥١) انظر عنه : الحموي ، معجم الأدباء ، ١٥/٢٠-١٦ . ابن الشعار ، عقود الجمان ٩/ ورقة ٢٢١ب ، ٢٢٢آ . المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ٣٨٣/٤- ٣٨٤ .

(١٥٢) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٩/ورقة ٢٢٢ أوب .

(١٥٣) ابن الشعار ، عقود الجمان ، ٣/ورقة ٨٥ أوب .

(١٥٤) الجمعة ، احمد قاسم ، الآثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الأتابكي والأيلخاني م٢ ، ص٨١٢ .

(١٥٥) معروف . ناجي ، علماء النظاميات ، ص ١٨٣-١٨٤.

(١٥٦) القرشي ، الجواهر المضية ، ط١ ، (حيدر آباد : ١٣٣٢هـ) ، ١٦٢/٢ .
وانظر : معروف ، ناجي ، علماء النظاميات ، ص١٨٤ .

(١٥٧) تلخيص مجمع الآداب ، ج٤ق٢/٧٦٢ .

(١٥٨) ابن المستوفي ، تاريخ اربل ، ق٢٣٧/١ .
* وقد ذكر الفاسي المكي اسم مدرسة بالموصل وهي « الصارمية » وذكر انه تفقه بهذه المدرسة عبدالله بن محمود بن مودود بن بلدجي الملقب بمجد الدين على عدد من شيوخها ولم يذكر مؤسسها او موقعها . (انظر : تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار لا بن رافع السلامي ، انتخبه الفاسي المكي تحقيق : عباس العزاوي ، بغداد : ١٩٣٨ ، ص٧٦) وقد عد ناجي معروف هذه المدرسة هي نفسها مدرسة ابن بلدجي ، ولم يذكر السبب ومن أين استقرى معلوماته .(انظر : علماء النظاميات ، ص١٨٣) .

(١٥٩) عقود الجمان ، ٩/ورقة ١٨آ .
وقد ذكر المؤرخون المحدثون هذه المدرسة باسم المدرسة « اليوسفية» (انظر : الديوه‌جي ، تاريخ الموصل ، ٣٤٨/١. معروف ، ناجي ، علماء النظاميات ص١٨٦) ، وانهم استقروا معلوماتهم من (القرشي ، الجواهر المضية ، ١٩٨/٢– ١٩٩) . والذي نقل معلوماته عن ابن الشعار ، وذكر اسم المدرسة (اليوسفية) بدل (البرسقية) .
ولدى اطلاعنا على مخطوطة ابن الشعار ، وجدنا انه يذكر اسم المدرسة (البرسقية) بخط واضح . ونعتقد انّ الخطأ وقع في اثناء النسخ ، وخاصة ان حروف كلمة (البرسقية) مشابه إلى حد ما حروف كلمة (اليوسفية) فيحصل اللبس في رسم الحروف اذا كان خط الناسخ غير واضح .

(١٦٠) انظر عن آق سنقر البرسقي وسيرته : ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣١ . وهو غير قسيم الدولة آق سنقر والد عمادالدين زنكي .